



يوزع مجاناً  
ولا يجوز بيعه

# تأليف الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

تأليف  
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي  
المؤلف سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثامن

تيمّة يوسف - الرعد - إبراهيم  
الحجر - النخل - الاسراء

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
إدارة الشؤون الإسلامية  
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف  
دولة قطر

زَادَ الْمُسِيرَ

فِي عِلْمِ النَّفْسِ



الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

حقوق الطبع محفوظة

---

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة  
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية  
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.

---



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا  
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايمل: alshamiya.tr@gmail.com

# زَادَ الْمَسِيرَ

## فِي عِلْمِ النَّفْسِ

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد الثامن

يوسف ٨٢ - الإسراء

تحقيق وتعليق

بمجموعة باحثين

الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر





﴿ وَسَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴾ (٨٢)

[يوسف: ٨٢].

قوله تعالى: ﴿ وَسَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ المعنى: قولوا لأبيكم: سل أهل القرية ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يغنون: مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾؛ أي: وأهل العير، وكان قد صحبهم قوم من الكنعانيين.

قال ابن الأنباري: ويجوز أن يكون المعنى: وسل القرية والعير فإنها تعقل عنك لأنك نبي، والأنبياء قد تخاطبهم الأحبار والبهائم، فعلى هذا تسلّم الآية من إضمار<sup>(١)</sup>.

﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (٨٣) [يوسف: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾ في الكلام اختصار، والمعنى: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ذلك، فقال لهم هذا، وقد شرخناه في أول السورة. واختلفوا لأيّ علّة قال لهم هذا القول، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه ظنّ أنّ الذي تخلف منهم، إنّما تخلف حيلة ومكرًا ليصدّقهم، قاله وهب بن منبه.

(١) ذكر قول ابن الأنباري الواحد في التفسير البسيط (١٢ / ٢٠٩).

والثاني: أَنَّ الْمَعْنَى: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أَنْ خُرُوجَكُمْ بِأَخِيكُمْ يَجْلِبُ نَفْعًا، فَجَرَّ ضَرَرًا، قَالَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّالِثُ: ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ أَنَّهُ سَرَقَ، وَمَا سَرَقَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يَغْنِي: يُوسُفَ وَبَنِيَامِينَ وَأَخَاهُمَا الْمَقِيمَ بِمَضَرَ. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَقَامَ بِمَضَرَ يَهُودًا وَشَمْعُونَ، فَأَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ يَغْنِي: الْأَرْبَعَةَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾؛ أَي: بِشِدَّةِ حُزْنِي، وَقِيلَ: بِمَكَانِهِمْ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِيْمَا حَكَمَ عَلَيَّ.

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَآسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾؛ أَي: أَعْرَضَ عَنْ وَلَدِهِ أَنْ يُطِيلَ مَعَهُمُ الْخُطْبَ<sup>(٣)</sup>، وَأَنْفَرَدَ بِحُزْنِهِ، وَهَيَّجَ عَلَيْهِ مَا جَرَى ذِكْرُ يُوسُفَ ﴿وَقَالَ يَآسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَا طُولَ حُزْنِي عَلَى يُوسُفَ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٢٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢١١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٨).

(٣) في (ج): الخطاب.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٧/ ٢١٨٥) (١١٨٧٨) عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَآسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾، قال: يا حزنا على يوسف.



قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْأَسْفُ: أَشَدُّ الْحَسْرَةِ<sup>(١)</sup>. قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: لَقَدْ أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ مَا لَمْ يُعْطَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلَهُمْ، (يعني قوله)<sup>(٢)</sup>: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] وَلَوْ أُعْطِيَهَا الْأَنْبِيَاءُ لَأُعْطِيَهَا يَعْقُوبُ؛ إِذْ يَقُولُ: ﴿يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾<sup>(٣)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: هَذَا لَفْظُ الشَّكْوَى، فَأَيْنَ الصَّبْرُ؟

فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أَنَّهُ شَكََا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، لَا مِنْهُ.

والثاني: أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الدُّعَاءَ، فَالْمَعْنَى: يَا رَبِّ ارْحَمْ أَسْفِي عَلَى يُوسُفَ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ عَنْ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ أَنَّهُ قَالَ: نِدَاءٌ يَعْقُوبَ [١٣/٤١] الْأَسْفُ فِي اللَّفْظِ، مِنَ الْمَجَازِ الَّذِي يَعْنِي بِهِ غَيْرَ الْمَظْهَرِ فِي اللَّفْظِ.

وَتَلْخِيصُهُ: يَا إِلَهِي ارْحَمْ أَسْفِي (على يوسف)<sup>(٤)</sup>، أَوْ أَنْتَ رَأَيْتَ أَسْفِي، وَهَذَا أَسْفِي، فَنَادَى الْأَسْفُ فِي اللَّفْظِ، وَالْمُنَادَى فِي الْمَعْنَى سِوَاهُ؛ كَمَا قَالَ: ﴿يَحْضَرْنَآ﴾، وَالْمَعْنَى: يَا هَؤُلَاءِ تَنَبَّهُوا عَلَى حَسْرَتِنَا.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) زيادة من الأصل فقط.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٢٢٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٦٦) (١٤٢٨)، والبيهقي في الشعب (٩٦٩١) من طريق سفيان العصفري به.

(٤) من الأصل فقط.

قَالَ: وَالْحُزْنَ وَنَفُورَ النَّفْسِ مِنَ الْمَكْرُوهِ وَالْبَلَاءِ لَا عَيْبَ فِيهِ وَلَا مَأْتَمٌ إِذَا لَمْ يَنْطِقِ اللِّسَانُ بِكَلَامٍ مُؤْتَمٍ وَلَمْ يَشْكُ إِلَّا إِلَى رَبِّهِ، فَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَسَفَى﴾ شَكْوَى إِلَى رَبِّهِ، كَانَ غَيْرَ مُلُومٍ<sup>(١)</sup>.

وقد روي عن الحسن رضي الله عنه أن أخاه مات، فجزع الحسن جزعاً شديداً، فعوتب في ذلك، فقال: ما وجدت الله تعالى عاباً على يعقوب الحزن؛ حيث قال: ﴿يَتَأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾؛ أي: انقلبت إلى حال البياض.

وَهَلْ ذَهَبَ بَصَرُهُ، أَمْ لَا؟ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ ذَهَبَ [بَصَرُهُ]<sup>(٣)</sup>، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّانِي: ضَعُفَ بَصَرُهُ لِبَيَاضِ تَغْشَاهُ مِنْ كَثَرَةِ الْبُكَاءِ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: لَمْ يُبْصِرْ بِعَيْنَيْهِ سِتَّ سِنِينَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْحُزَنِ﴾؛ أي: مِنَ الْبُكَاءِ<sup>(٥)</sup>، يُرِيدُ أَنَّ

عَيْنَيْهِ ابْيَضَّتَا؛ لِكثَرَةِ بُكَائِهِ، فَلَمَّا كَانَ الْحُزْنُ سَبَبًا لِلْبُكَاءِ، سُمِّيَ الْبُكَاءُ حُزْنًا.

(١) انظر: تفسير الخازن (٢ / ٥٤٩).

(٢) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية (١ / ٤).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) النكت والعيون (٣ / ٦٩).

(٥) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢ / ٦٢٧).

وقال ثابت البناني: دخل جبريل عليه السلام على يوسف، فقال: أيها الملك الكريم على ربه، هل لك علم يعقوب؟ قال: نعم! قال: ما فعل؟ قال: ابضت عيناه، قال: ما بلغ حزنه؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: فهل له على ذلك من أجر؟ قال: أجر مائة شهيد<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن البصري: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة، وما جفت عينه، وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره<sup>(٢)</sup>. قوله تعالى: ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ الكَظِيمُ بمعنى: الكاظم؛ وهو المُمْسِكُ على حزنه فلا يظهره، قاله ابن قتيبة<sup>(٣)</sup>. وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرِّي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٦) يَبْنَى أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْكَافِرُونَ (٨٧) [يوسف: ٨٥ - ٨٧].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٠ / ١٦)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٢٦٩ - ٢٧٠ / ٤) بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٠ / ٤) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ.

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٦٢٧ / ٢) قال: أخبرنا أبو بكر التميمي، أنا أبو الشيخ الحافظ، نا أبو يحيى الرازي، نا سهل بن عثمان، نا ابن إدريس، عن هشام، عن الحسن قال: ما فارق يعقوب الحزن ثمانين سنة وما جفت عينه، وما أحد يومئذ أكرم على الله منه حين ذهب بصره.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢١).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: مَعْنَاهُ: وَاللَّهِ، وَجَوَابُ هَذَا الْقَسَمِ «لَا» الْمَضْمَرَةُ الَّتِي تَأْوِيلُهَا: تَاللَّهِ لَا تَفْتَأُ، فَلَمَّا كَانَ مَوْضِعُهَا مَعْلُومًا خَفَّفَ الْكَلَامَ لِسُقُوطِهَا<sup>(١)</sup> مِنْ ظَاهِرِهِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: وَاللَّهِ أَقْصَدُكَ أَبَدًا، يَغْنُون: لَا أَقْصَدُكَ<sup>(٢)</sup>، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ [مِنْ الطَّوِيلِ]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي<sup>(٣)</sup>  
يُرِيدُ: لَا أَبْرَحُ.

وَقَالَتِ الْخَنَسَاءُ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ]:

فَأَقْسَمْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ أَوْ أَسْأَلُ نَائِحَةً مَا هَا<sup>(٤)</sup>  
أَرَادَتْ: لَا آسَى.

وَقَالَ الْآخَرُ [مِنْ الْمُنْسَرَحِ]:

[٣١٤/ب] لَمْ يَشْعُرِ النَّعْشُ مَا عَلَيْهِ مِنْ أَلٍ عُرْفٍ وَلَا الْحَامِلُونَ مَا حَمَلُوا

(١) فِي (ج)، وَ(ف): بِسُقُوطِهَا.

(٢) الْأَضْدَادُ (ص: ١٤٢).

(٣) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ (ص: ١٠٨)، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ؛ لِلْفَرَاءِ (٢/ ٥٤٠)، وَتَأْوِيلُ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ (ص: ٢٢٥)، وَالْأَضْدَادُ (ص: ١٤٢)، وَالْكِتَابُ (٣/ ٥٠٤)، وَالصَّنَاعَتَيْنِ (ص: ١٣٨).

(٤) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهَا (ص: ١٢٥)، وَفِيهِ:

فَأَلَيْتُ آسَى عَلَى هَالِكٍ \*\*\* وَأَسْأَلُ بَاكِئَةً مَا لَهَا

وَهُوَ أَيْضًا لَهَا فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ؛ لِلْوَاحِدِي (١٢/ ٢١٨)، وَالتَّعَاذِي؛ لِلْمَبْرَدِ (ص: ١٢١)، وَأُمَالِي الْمُرْتَضَى (ص: ٤٨).

تَاللّٰهِ اَنْسَى مُصِیَّتِيْ اَبَدًا مَا اَسْمَعْتَنِيْ حَنِیْنَهَا الْاِیْلُ<sup>(١)</sup>  
 وقرأ أبو عمران، وابنُ مُحِیصِنٍ، وأبو حِنُوءَة: «قَالُوا بِاللّٰهِ بِالْبَاءِ<sup>(٢)</sup>،  
 وكذَٰلِكَ كُلُّ قَسَمٍ فِي الْقُرْآنِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿تَفْتَوُا﴾ فَقَالَ الْمَفْسَّرُونَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ: (مَعْنَى «تَفْتَأُ»)<sup>(٣)</sup>:  
 تَزَالُ، فَمَعْنَى الْكَلَامِ: لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يَوْسُفَ، وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٤)</sup> [مِن الطَّوِيل]:  
 فَمَا فِتْنَتْ خَيْلٌ تُثُوبُ وَتَدَّعِي وَيَلْحَقُ مِنْهَا لَاحِقٌ وَتَقَطَّعُ<sup>(٥)</sup>  
 وَأَنْشَدَ ابْنُ الْقَاسِمِ [مِن الطَّوِيل]:

فَمَا فِتْنَتْ مِنَّا رِعَالٌ كَأَنَّهَا رِعَالُ الْقَطَا حَتَّى اخْتَوَيْنَ بَنِي صَخْرٍ<sup>(٦)</sup>  
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:  
 أَحَدُهَا: أَنَّهُ الدَّنْفُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(١) البیتان لُنُصِيب بن رباح یرثی عبد العزیز أو ابنه أبا بکر فی الأغانی (١ / ٣٤٦)، ومعجم البلدان (٣ / ٢٣٠)، وحامسة القرشي (ص: ١٩٦).

(٢) لم أقف علیها.

(٣) فی (ف): معناه.

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣١٦).

(٥) البیت لأوس بن حجر فی دیوانه (ص: ٥٨)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١ / ٣١٦)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٢١)، والمسائل الحلبيات (ص: ٢٦٧).

(٦) البیت للأعرج، كما فی التفسیر البسيط؛ للواحدي (١٢ / ٢١٧).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ: أَخْرَضَهُ الْحُزْنَ؛ أَي: أَذْنَفَهُ<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْحَرَضُ: الَّذِي قَدْ أَذَابَهُ الْحُزْنُ أَوْ الْحُبُّ، وَهِيَ فِي مَوْضِعٍ مُحَرَضٍ<sup>(٢)</sup>. وَأَنْشَدَ [مِنَ الْبَسِيطِ]:

إِنِّي أَمْرٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَخْرَضَنِي حَتَّى بَلَيْتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ<sup>(٣)</sup>  
أَي: أَذَابَنِي.

وَقَالَ الرَّجَّاجُ: الْحَرَضُ: الْفَاسِدُ فِي جِسْمِهِ. وَالْمَعْنَى: حَتَّى تَكُونَ مُذْنَفًا مَرِيضًا<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الذَّاهِبُ الْعَقْلُ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.  
وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: الْفَاسِدُ الْعَقْلُ<sup>(٥)</sup>.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢١).

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣١٧).

(٣) البيت لعبد الله بن عمر بن عبد الله العرجي، كان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له العرج فنسب إليه. وهو في ديوانه (ص: ٥)، والشعر والشعراء (ص: ٣٨١)، وتفسير الطبري (١٦ / ٢٢٢)، ومجاز القرآن (١ / ٣١٧)، والاشتقاق (ص: ٤٨)، والتفسير البسيط (١٢ / ٢٢٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٢٦).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٢٤) (١٩٦٩٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٨٥ - ٢١٨٨) (١١٨٩٩) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قال: لما ذكر يعقوبُ يوسفَ قالوا يعني ولده الذين حضروه في ذلك الوقت، جهلاً وظلماً: ﴿تَاللَّهِ تَقْتَوْنَ أَذْكَرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾؛ أَي: تكون فاسداً لا عقل لك.





قَالَ الزَّجَّاجُ: وَقَدْ يَكُونُ الْحَرَضُ: الْفَاسِدُ فِي أَخْلَاقِهِ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الْفَاسِدُ فِي جَسَمِهِ وَعَقْلِهِ، يُقَالُ: رَجُلٌ حَارِضٌ وَحَرَضٌ، فَحَارِضٌ، يُثْنَى وَيُجْمَعُ وَيُؤَنَّثُ، وَحَرَضٌ لَا يُجْمَعُ وَلَا يُثْنَى؛ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ، قَالَه الْفَرَّاءُ<sup>(٢)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الْهَرَمُ، قَالَه الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ يَغْنُونُ: الْمَوْتَى.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ حَلَفُوا عَلَى شَيْءٍ يَجُوزُ أَنْ يَتَغَيَّرَ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ فِي الْكَلَامِ إِضْمَارًا، تَقْدِيرُهُ: إِنَّ هَذَا فِي تَقْدِيرِنَا وَظَنَّنَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْبَثُّ: أَشَدُّ الْحُزَنِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ لَا يَضِرُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَبْثُهُ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ الْمَعْنَى: إِنِّي لَا أَشْكُو إِلَيْكُمْ، وَذَلِكَ لَمَّا عَنَّفُوهُ بِمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٢٦).

(٢) معاني القرآن (٢ / ٥٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ<sup>(١)</sup>: «كَانَ لِيَعْقُوبَ أَخٌ مُؤَاخ [لَهُ]<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ: يَا يَعْقُوبُ! مَا الَّذِي أَذْهَبَ بَصْرَكَ؟ وَمَا الَّذِي قَوَّسَ ظَهْرَكَ؟.

قَالَ: أَمَّا الَّذِي أَذْهَبَ بَصْرِي؛ فَالْبُكَاءُ عَلَى يَوْسُفَ، وَأَمَّا الَّذِي قَوَّسَ ظَهْرِي؛ فَالْحُزْنُ عَلَى بَنِيَامِينَ. فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا يَعْقُوبُ! إِنَّ اللَّهَ يَقْرِئُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ، أَمَا تَسْتَحْيِي أَنْ تَشْكُوَنِي إِلَى غَيْرِي؟ فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾، فَقَالَ جَبْرِيلُ: اللَّهُ أَعْلَمُ

[١٤/أ]

بِمَا<sup>(٣)</sup> تَشْكُو، ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: أَيُّ رَبِّ! أَمَا تَرَحَّمُ الشَّيْخَ الْكَبِيرَ؟ أَذْهَبَتْ بَصْرِي، وَقَوَّسَتْ ظَهْرِي، فَارْذُدْ عَلَيَّ رَيْحَانِي أَشْمُهُ شَمَّةً قَبْلَ الْمَوْتِ، ثُمَّ اضْنَعْ بِي يَا رَبِّ مَا شِئْتَ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا يَعْقُوبُ! إِنَّ اللَّهَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: أَبَشِّرْ، فَوَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَوْ كَانَا مَيِّتِينَ لَنَشَرْتُهُمَا لَكَ، اضْنَعْ طَعَامًا لِلْمَسَاكِينِ، فَإِنَّ أَحَبَّ عِبَادِي إِلَيَّ الْمَسَاكِينُ، وَتَذَرِي لَمْ أَذْهَبْتُ بَصْرَكَ، وَقَوَّسْتُ ظَهْرَكَ، وَصَنَعَ إِخْوَةُ يَوْسُفَ يَوْسُفَ مَا صَنَعُوا؟ لِأَنَّكُمْ ذَبَحْتُمْ شَاةً، فَأَتَاكُمْ فُلَانُ الْمَسْكِينُ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمْ تُطْعِمُوهُ مِنْهَا.

فَكَانَ يَعْقُوبُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَرَادَ الْغَدَاءَ أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: أَلَا مَنْ أَرَادَ الْغَدَاءَ مِنَ الْمَسَاكِينِ فَلْيَتَغَدَّ مَعَ يَعْقُوبَ، وَإِذَا كَانَ صَائِمًا أَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى: مَنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُفْطِرْ مَعَ يَعْقُوبَ<sup>(٤)</sup>.

(١) ليست في (ف).

(٢) من (م).

(٣) في (ف): بما الذي.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة (٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٨٨) =



وقال وهبُ بنُ منبّه: أوحى الله تعالى إلى يعقوب عليه السلام:  
أتدري لم عاقبتك وحبستُ عنك يوسف ثمانين سنة؟ قال: لا، قال: لأنك  
شويتَ عناقًا، وقترتَ على جارك وأكلتَ ولم تُطعمه<sup>(١)</sup>.

وذكر بعضهم أن السبب في ذلك أن يعقوب ذبح عجل بقرّة بين  
يديها، وهي تخور، فلم يرحمها<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: كيف صبر يوسف عن أبيه بعد أن صار ملكًا؟

فقد ذكر المفسرون عنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه يجوز أن يكون ذلك عن أمر الله تعالى، وهو الأظهر.

والثاني: لئلا يظن الملك بتعجيل استدعائه أهله، شدة فاقتهم.

والثالث: أنه أحبَّ بعد خروجه من السجن أن يدرك نفسه إلى  
كمال السُرور.

= (١١٩٠١)، والحاكم في المستدرک (٢ / ٣٨٤)، والواحدی فی الوسیط بسنده (٢ / ٦٢٨)  
نحوه مرفوعاً من حدیث أنس، وقال ابن کثیر فی تفسیر القرآن العظیم (٢ / ٤٨٧):  
حدیث غریب، وفیه نکاره.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٢٩)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٢٦)  
بسند من أبي عمران عن أبي الخلد وهب بن منبه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور  
(٤ / ٥٨) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ، وانظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي  
(٢ / ٦٢٩)، ومعالم التنزيل (٤ / ٢٦٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢ / ٦٢٩) قال: إن سبب ابتلاء يعقوب أنه كانت  
له بقرة، ولها عجل، فذبح عجلها بين يديها، وهي تخور، فلم يرحمها يعقوب، فأخذه  
الله به، وابتلاه بأعز ولده.



وَالصَّحِيح: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِيَرْفَعَ دَرَجَةً يَغْقُوبَ  
بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَكَانَ يُوسُفُ يُلَاقِي مِنَ الْحُزْنِ لِأَجْلِ حُزْنِ أَبِيهِ  
عَظِيمًا، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ سَيِّئِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ وَأَنَا سَنَسْجُدُ لَهُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ  
عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَعْلَمُ مِنْ سَلَامَةِ يُوسُفَ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ آتَاهُ، فَقَالَ لَهُ  
يَغْقُوبُ: هَلْ قَبِضْتَ رُوحَ ابْنِي يُوسُفَ؟ قَالَ: لَا<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَعْلَمُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ، قَالَهُ عَطَاءٌ.

وَالرَّابِعُ: (أَنَّهُ لَمَّا)<sup>(٣)</sup> أَخْبَرَهُ بَنُوهُ بِسِيرَةِ الْعَزِيزِ، طَمِعَ أَنْ يَكُونَ هُوَ<sup>(٤)</sup>

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٢٧ / ١٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢١٨٩ / ٧) (١١٩٠٨) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ، حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: {وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}، يَقُولُ: أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةٌ، وَأَنِّي سَأَسْجُدُ لَهُ.

(٢) تَنْوِيرُ الْمُقْبَّاسِ (ص: ٢٠٢)، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٢ / ٦٢٩)، وَالتَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٢٢٢)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ (٤ / ٦٠) إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢١٨٩ / ٧) (١١٩٠٣) عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ.

(٣) فِي (ج): إِنَّمَا.

(٤) لَيْسَتْ فِي (ج).

يُوسُفَ، قَالَ السُّدِّيُّ، قَالَ: وَلِذَلِكَ قَالَ هُمْ: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا﴾<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مَنْبِيهِ: لَمَّا قَالَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ: مَا قَبِضْتُ رُوحَ  
يُوسُفَ؛ تَبَاشَّرَ عِنْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ أَصْبَحَ، فَقَالَ لِبَنِيهِ: ﴿أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ  
يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «تَحَسَّسُوا»؛ أَي: تَحَبَّرُوا وَالتَّمَسُّوا فِي الْمَطَانِّ<sup>(٣)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ: «مِنْ يُوسُفَ»، وَالْغَالِبُ أَنْ يُقَالَ: تَحَسَّسْتُ [٤١٤/ب] عَنْ كَذَا؟.

فَعَنهُ جَوَابَانِ - ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْأَثَرِيِّ<sup>(٤)</sup> -:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: عَنْ يُوسُفَ، وَلَكِنْ نَابَتْ عَنْهَا [«مِنْ»]<sup>(٥)</sup>، كَمَا  
تَقُولُ الْعَرَبُ: حَدَّثَنِي فُلَانٌ مِنْ فُلَانٍ، يَعْنُونَ: عَنْهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ «مِنْ» أَوْثَرَتْ لِلتَّبَعِيضِ، وَالْمَعْنَى: تَحَسَّسُوا خَبَرًا مِنْ  
أَخْبَارِ يُوسُفَ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٢٢٧)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ، كَمَا فِي مَجْمَعِ  
الزَّوَائِدِ؛ لِلْهَيْثَمِيِّ (٧ / ٤٥)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ: فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَاهِلِيُّ وَهُوَ ضَعِيفٌ.  
وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤ / ٢٧٠)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٢٢٣).

(٢) أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٧ / ٢١٨٩) عَنْ النَّضْرِ بْنِ عَرَبِيٍّ نَحْوَهُ.

(٣) مَجَازُ الْقُرْآنِ (١ / ٣١٧).

(٤) ذَكَرَهُ عَنْهُ الْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٢٢٤)، وَفِي (ج): ذَكَرَهُمَا الْمَآوِرِيُّ.

(٥) مِنْ (ج)، (ف)، وَ(م).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ.

وَالثَّانِي: مِنْ <sup>(١)</sup> فَرَجِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالثَّالِثُ: مِنْ تَوْسِعَةِ اللَّهِ، حَكَاهُ ابْنُ الْقَاسِمِ.

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الرُّوحُ: الْإِسْتِرَاحَةُ مِنْ غَمِّ الْقَلْبِ <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: لَا تَأْتِسُوا مِنَ الرُّوحِ الَّذِي يَأْتِي بِهِ اللَّهُ ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ يَرْجُو اللَّهَ فِي الشَّدَائِدِ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الْفِتْرَ وَجِئْنَا بِضَعَةٍ مُرْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ <sup>(٨٨)</sup> قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ <sup>(٨٩)</sup> قَالُوا أَيْنَ نَتُكِّ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ <sup>(٩٠)</sup> قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَازَلْنَاكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيبِينَ <sup>(٩١)</sup> قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ <sup>(٩٢)</sup> أَذْهَبُوا يَمِصِّي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ <sup>(٩٣)</sup>﴾

[يوسف: ٨٨ - ٩٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾

(١) في (ف): أن من.

(٢) ذكر قول الأصمعي الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٢٤)، وانظر: تهذيب اللغة (٥ / ١٣٩).

في الكلام مخذوف، تقديره: فخر جُوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف،  
﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ وكانوا يُسمُّونَ ملكهم بذلك. ﴿مَسْنَاوَاهُنَا الْأُثْرُ﴾  
يعنون: الفقر والحاجة.

﴿وَجِئْنَا بِضَئِصَةٍ [مُزَجَّغَةٍ] <sup>(١)</sup>﴾ وفي ماهية تلك البضاعة سبعة أقوال.

أحدها: أنها كانت دراهم، رواه العوفي عن ابن عباس <sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنها كانت متاعاً رثاً كالخبل والغرارة <sup>(٣)</sup>، رواه ابن أبي مليكة  
عن ابن عباس <sup>(٤)</sup>.

والثالث: أنه <sup>(٥)</sup> كانت أقطاً قاله الحسن.

والرابع: كانت نعالاً وأدماً، رواه جوير عن الضحاك <sup>(٦)</sup>.

(١) من (ف)، و(م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٣٦) (١٩٧٤٥)، عن العوفي عن ابن عباس، وأخرجه  
ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩١) (١١٩٢٣) عن الضحاك عن ابن عباس، وعزاه  
السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٣) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) الغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهو أكبر من الجوالق.  
انظر: تهذيب اللغة (٣ / ٢٦٥١)، واللسان (٦ / ٣٢٣٦).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٣٢٨)، الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٣٦)، وسعيد بن  
منصور في سننه (٥ / ٤٠٧) (١١٤١) عن ابن عينة، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩١)  
(١١٩١٩) من طريق الحسن بن يحيى.

(٥) ليست في (ف).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٣٥)، والواحي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٢٨).

والخامس: كَانَتْ سُويَقَ المقل<sup>(١)</sup>، رُوي عن الصَّحَّالِ أَيضًا<sup>(٢)</sup>.

والسادس: حَبَّةُ الخَضْرَاءِ وَصُنوبر، قَالَه أَبُو صَالِح.

والسابع: كَانَتْ صُوفًا وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ، قَالَه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ.

وفي المَرْجَاةِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْقَلِيلَةُ.

رَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: دَرَاهِمُ غَيْرُ طَائِلَةٍ<sup>(٣)</sup>، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: تَأْوِيلُهُ فِي اللُّغَةِ أَنَّ التَّرْجِيَةَ: الشَّيْءُ [الْقَلِيلُ]<sup>(٥)</sup> الَّذِي يُدَافَعُ بِهِ، يُقَالُ: فُلَانٌ يُزَجِّي العَيْشَ، أَي: يَدْفَعُ بِالْقَلِيلِ وَيُكْتَفِي بِهِ، فَاِلْمَعْنَى: جِئْنَا بِبَضَاعَةٍ إِنَّمَا يَدَافَعُ<sup>(٦)</sup> بِهَا وَيَتَقَوَّتُ<sup>(٧)</sup>، وَلَيْسَتْ مِمَّا يُتَسَعُّ بِهِ<sup>(٨)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنْ الْكَامِلِ]:

(١) المقل: ثمر شجر الدوم يؤكل.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٣٥ - ١٣٦) بدون نسبة، بلفظ: روي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٧٦) إلى ابن النجار عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٣٦) (١٩٧٤٦).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٥) من (م).

(٦) في (م): يدفع.

(٧) في (م): وتَقَوَّتْ.

(٨) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٢٧)، ومن قوله: (ويكتفي)... إلى هنا ساقط من (ج).





الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْهَجَانَ وَعَبْدَهَا عُوذًا تُزْجِي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا<sup>(١)</sup>  
أي: تَدْفَعُ أَطْفَالَهَا.

والثاني: أَنَّهَا<sup>(٢)</sup> الرَّدِيئَةُ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: إِنَّمَا قِيلَ لِلرَّدِيئَةِ: مُزْجَاءٌ؛ لِأَنَّهَا مَرْدُودَةٌ مَدْفُوعَةٌ  
غَيْرُ مَقْبُولَةٍ مِمَّنْ يُنْفِقُهَا، قَالَ: وَهِيَ مِنَ الْإِزْجَاءِ، وَالْإِزْجَاءُ عِنْدَ الْعَرَبِ:  
السَّوْقُ وَالْدَّفْعُ<sup>(٤)</sup>، وَأَنْشَدَ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

لِيَلِكِ عَلَى مِلْحَانَ ضَيْفٌ مُدْفَعٌ وَأَرْمَلَةٌ تُزْجِي مِنَ<sup>(٥)</sup> اللَّيْلِ أَرْمَلًا<sup>(٦)</sup>  
أي: تَسُوقُهُ.

(١) البيت لأعشى بني ثعلبة في ديوانه (ص: ٢٩)، وتفسير الطبري (١٦ / ٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٥ / ٥٢٦)، والكتاب لسيبويه (١ / ١٨٣)، والمقتضب (٤ / ١٦٣)، وبلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣ / ١٢٧)، والهجان من الإبل: البيض الكرام. العوذ: جمع عائد؛ وهي حديثة التّاج من الإبل والطّباء والخيل. وفي (ف): أبطاها.

(٢) ليست في (ج).

(٣) أخرجه الطبري في التفسير (١٦ / ٢٣٥) (١٩٧٤٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩١) (١١٩٢٢) عن عكرمة عن ابن عباس.

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣١٧).

(٥) في (ج)، و(ف): مع.

(٦) البيت لحاتم الطائي في ديوانه (ص: ٢٨٢)، وتفسير الطبري (١٦ / ٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٥ / ٥٢٦)، ونسب معد (١ / ٢٥١)، قال: وملحان: هو ابن حارثة بن سعد الطائي، ابن عم حاتم الطائي.

والثالث: الكاسِدة، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

[٤١٥/أ] والرَّابِع: الرِّثَّةُ؛ وَهِيَ الْمَتَاعُ الْحَلِيقُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

والخامس: النَّاقِصَةُ، رَوَاهُ أَبُو حُصَيْنٍ عَنْ عِكْرِمَةَ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾؛ أَي: أَمْتُهُ لَنَا وَلَا تُنْقِصْهُ لِرَدَاءَةِ بَضَاعَتِنَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: تَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِمَا بَيْنَ سَعْرِ الْجِيَادِ وَالرَّدِيثَةِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالسُّدِّيُّ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: كَانَ الَّذِي سَأَلُوهُ مِنَ الْمَسَاحَةِ يُشَبِّهُ التَّصَدَّقُ، وَلَيْسَ بِهِ.

وَالثَّانِي: بَرَدٌ أَخِينَا، قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ.

قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَنْبِيَاءَ، وَالْأَنْبِيَاءُ لَا تَحِلُّ لَهُمُ الصَّدَقَةُ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّالِثُ: وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا بِالزِّيَادَةِ عَلَى حَقِّنَا، قَالَهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ.

(١) أخرجه الطبري في التفسير (٢٣٩ / ١٦) (١٩٧٧٠).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٢٣ / ٢) (١٣٤٠)، والطبري في تفسيره (٢٣٦ / ١٦) (١٩٧٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١ / ٧) (١١٩١٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٧ / ١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٩١ / ٧) (١١٩٢٤).

(٤) ذكر قول ابن الأثري الواحد في التفسير البسيط (١٢ / ٢٣٠).

وذهب إلى أن الصدقة قد كانت تحلُّ للأنبياء قبل نبينا [محمد] <sup>(١)</sup>،  
حكاه [عنه] <sup>(٢)</sup> أبو سليمان الدمشقي، وأبو الحسن الماوردي <sup>(٣)</sup>، وأبو يعلى  
ابن الفراء.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾؛ أي: بالثواب.

قال الضحّاك: لم يقولوا: إن الله يجزيك إن تصدقت علينا؛ لأنهم لم  
يعلموا أنه مؤمن <sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَافَعَلْتُ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ﴾.

في سبب قوله لهم هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أخرج إليهم نسخة الكتاب الذي كتبوه على أنفسهم  
بيعه من مالك بن ذعر، وفي آخر الكتاب: «وكتب يهوذا».

فلما قرؤوا الكتاب اعترفوا بصحته، وقالوا: هذا كتاب كتبناه على  
أنفسنا عند بيع عبد كان لنا. فقال يوسف عند ذلك: إنكم تستحقون  
العقوبة، وأمر بهم ليقتلوا، فقالوا: إن كنت فاعلاً، فاذهب بأمّعتنا إلى  
يعقوب، ثم أقبل يهوذا على بعض إخوته، فقال: قد كان أبونا متّصل  
الحزن لفقد واحد من ولديه فكيف به إذا أخبر بهلاكنا أجمعين؟ فرّق

(١) من (ج).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٧٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٣٦).

يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ ذَلِكَ وَكَشَفَ لَهُمْ أَمْرَهُ، وَقَالَ لَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

الثَّانِي: أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا: ﴿مَسْنَاوَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أَدْرَكَتُهُ الرَّحْمَةُ، فَقَالَ لَهُمْ هَذَا، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ يَعْقُوبَ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا: إِنْ رَدَدْتَ وَلَدِي، وَإِلَّا دَعَوْتُ عَلَيْكَ دَعْوَةً تُدْرِكُ السَّابِعَ مِنْ وَلَدِكَ، فَبَكَى، وَقَالَ لَهُمْ هَذَا.

وَفِي «هَلْ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا اسْتِفْهَامٌ لِتَعْظِيمِ الْقِصَّةِ، لَا يُرَادُ بِهِ نَفْسُ الاسْتِفْهَامِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: فَاَلْمَعْنَى: مَا أَعْظَمَ مَا ارْتَكَبْتُمْ، وَمَا أَسْمَجَ مَا أَتْرُثُمْ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَتَضْيِيعِ الْحَقِّ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِيِّ: أَتَذْرِي مَنْ عَصَيْتَ؟ هَلْ تَذْرِي<sup>(١)</sup> مَنْ عَادَيْتَ؟ لَا يُرَدُّ بِذَلِكَ الْاسْتِفْهَامُ، وَلَكِنَّهُ يَقْصَدُ<sup>(٢)</sup> تَفْظِيعَ الْأَمْرِ<sup>(٣)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ<sup>(٤)</sup> [مِنْ الطَّوِيلِ]:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي<sup>(٥)</sup> .....

(١) فِي (ج)، وَ(م): تَعْرِفُ.

(٢) فِي (م): لَكِنْ يَرُدُّ.

(٣) ذَكَرَ ذَلِكَ الْوَاحِدِي فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٢٣٢).

(٤) اخْتَلَفَ فِي نَسْبَتِهِ؛ فَتَارَةَ نَسْبُوهُ إِلَى سَوَارِ بْنِ الْمُضَرِّبِ، وَتَارَةَ إِلَى مَسَاوِرِ بْنِ حُمَّانَ، وَتَارَةَ إِلَى الْفَرَزْدَقِ.

(٥) فَهُوَ لِسَوَارِ بْنِ الْمُضَرِّبِ السَّعْدِيِّ فِي نَوَادِرِ اللُّغَةِ؛ لِأَبِي زَيْدٍ (ص: ٢٣٣)، وَالتَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ؛ لِلوَاحِدِيِّ (١٤ / ١١٤)، وَالْحُجَّةُ؛ لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ (٥ / ١٨٦)، وَالْبَحْرُ =



لَمْ يُرِدِ الْاسْتِفْهَامَ، إِنَّمَا أَرَادَ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مَرْجُوٍّ عَنْهُمْ.

وقد يجوز<sup>(١)</sup> أن يكون المعنى: هل علمتم عقيب ما فعلتم يوسف [٤١٥/ب] وأخيه من تسليم الله لهما من المكروه؟ وهذه الآية تصديق قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾.

والثاني: أن «هل» بمعنى: «قد»، ذكره بعض المفسرين<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: فالذي فعلوا يوسف معلوم، فما الذي فعلوا بأخيه، وما سعوا في حبه ولا أرادوه؟.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أنهم فرّقوا بينه وبين يوسف، فنغصوا عينه بذلك.

والثاني: أنهم آذوه بعد فقد يوسف.

والثالث: أنهم سبّوه لما قُذِفَ بسرقة الصّاع.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: إذ أنتم صبيان، قاله ابن عباس.

=المحيط (٧/ ٢١٣)، والدر المصون (٧/ ٥٣٧)، ولساور بن حنّان من بني ربيعة بن كعب في مجاز القرآن (٢/ ٢٨٠)، وللفرزدق في جمهرة اللغة؛ لابن دريد (٣/ ١٣١٨)، وبلا نسبة في الأضداد (ص: ٦٨).

(١) في (ج)، و(م): قال: ويجوز.

(٢) في (ج): قولهم.

(٣) في (ج)، و(م): أهل التفسير.

والثاني: مُذْنِبُونَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

والثالث: جاهلون بعقوق الأب، وقطع الرَّحِمِ، ومُوافقة الهوى.

والرابع: جاهلون بما يؤول إليه أمرُ يوسفَ، ذكرهما ابنُ الأنباري<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَءَنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو جعفرٍ، وابنُ مُحَيَّصِنٍ: «إِنَّكَ» عَلَى الْحَبَرِ، وقرأه آخرونَ بهمزَينِ مُحَقَّقَتَيْنِ، وأدخلَ بَعْضُهُم بَيْنَهُمَا أَلِفًا<sup>(٣)</sup>.

واختلفَ المفسِّرونَ، هل عَرَفُوهُ، أَمْ شَبَّهُوهُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أحدهما: أَنَّهُمْ شَبَّهُوهُ بِيُوسُفَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ.

والثاني: أَنَّهُمْ عَرَفُوهُ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ.

وَفِي سَبَبِ مَعْرِفَتِهِمْ لَهُ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ تَبَسَّمَ، فَشَبَّهُوا ثَنَائَهُ بِثَنَائِ يُوسُفَ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ عَلَامَةٌ كَالشَّامَةِ فِي قَرْنِهِ، وَكَانَ لِيَعْقُوبَ مِثْلُهَا، وَلِإِسْحَاقَ مِثْلُهَا، وَلِسَارَةَ [مِثْلُهَا]<sup>(٤)</sup>، فَلَمَّا وَضَعَ التَّاجَ عَنْ رَأْسِهِ، عَرَفُوهُ،

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٤٩).

(٢) ذكره عنه الواحدي في تفسيره (١٢/ ٢٣٢).

(٣) قراءتان سبعيتان، (ص: ٣٢)، و(ص: ١٣٠).

(٤) من (م).



رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ كَشَفَ الْحِجَابَ، فَعَرَفُوهُ، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: إِنَّمَا أَظْهَرَ الْإِسْمَ، وَلَمْ يَقُلْ: أَنَا هُوَ؛ تَعْظِيمًا لِمَا وَقَعَ بِهِ مِنْ ظُلْمِ إِخْوَتِهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أَنَا الْمَظْلُومُ الْمَسْتَحِلُّ مِنْهُ، الْمَرَادُ قَتْلُهُ، فَكَفَى ظُهُورُ الْإِسْمِ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ وهم يَعْرِفُونَهُ، وَإِنَّمَا قَصَدَ: وَهَذَا الْمَظْلُومُ كَظْلَمِي<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالثَّانِي: بِالْجُمُعِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ.

وَالثَّالِثُ: بِالسَّلَامَةِ ثُمَّ بِالْكَرَامَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ، مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي رِوَايَةٍ قَبْلَ: ﴿مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ بَيَاءً فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بَغَيْرِ بَيَاءٍ فِي الْحَالَيْنِ<sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ بِإِسْنَادِهِ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ١٤٢) مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ بَشَرَ عَنْ ابْنِ سَمْعَانَ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤ / ٢٧٤)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٢٣٣).

(٢) ذَكَرَ قَوْلَ ابْنِ الْأَثَرِيِّ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٢٣٤).

(٣) قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ، انْظُرْ: التَّبْسِيرُ (ص: ١٣١).

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: (أنه)<sup>(١)</sup> مَنْ يَتَّقِ الزَّنا وَيُضْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ.

والثاني: مَنْ يَتَّقِ الزَّنا وَيُضْبِرْ عَلَى الْعِزَّةِ.

والثالث: مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ وَيُضْبِرْ عَلَى الْمَصَائِبِ، رُوِيَ هَذِهِ الْأَقْوَالُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والرابع: يَتَّقِ مَعْصِيَةَ اللَّهِ وَيُضْبِرْ عَلَى السُّجُنِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ أَي: أَجْرَ مَنْ كَانَ<sup>(٣)</sup> هَذَا حَالَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أَي: اخْتَارَكَ وَفَضَّلَكَ.

وبهذا عَنَّا أَنَّهُ فَضَّلَهُ فِيهِ؟ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ: [٤١٦/أ]

أحدها: بِالْمَلِكِ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: بِالصَّبْرِ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثالث: بِالْحِلْمِ وَالصَّفْحِ عَنَّا، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ.

والرابع: بِالْعِلْمِ وَالْعَقْلِ وَالْحُسْنِ وَسَائِرِ الْفَضَائِلِ الَّتِي أَعْطَاهُ.

(١) من الأصل فقط.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٤٥)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٤٣)،  
والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٢٧٤).

(٣) ليست في (ج).



قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِئِينَ﴾.

(قال ابن عباس<sup>(١)</sup>: لَمُذْنِبِينَ آثِمِينَ فِي أَمْرِكَ<sup>(٢)</sup>).

قال ابن الأنباري: ولهذا اختير «خاطئين» على «مخطئين» وإن كان «أخطأ» على ألسن الناس أكثر من «خطئ يخطأ»؛ لأن معنى خطئ يخطأ، فهو خاطئ: آثم، ومعنى أخطأ يخطئ، فهو مخطئ: ترك الصواب ولم يَأْتِمْ، قال الشاعر [من الوافر]:

عِبَادُكَ يُخْطِئُونَ وَأَنْتَ رَبُّ بِكَفِّكَ الْمَنَايَا وَالْحُثُومُ<sup>(٣)</sup>  
أراد: يَأْتُمُونَ.

قال: ويجوز أن يكون أثر «خاطئين» على «مخطئين»؛ لموافقة رؤوس الآيات؛ لأن «خاطئين» أشبه بما قبلها<sup>(٤)</sup>.

وذكر الفراء في معنى «إن» قولين:

أحدهما: وَقَدْ كُنَّا خَاطِئِينَ.

(١) ليس في (ج).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٣٦).

(٣) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٤٨١)، وتهذيب إصلاح المنطق (ص: ٦٣٢)، والمحاسب (٢ / ٢٠)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (١٤ / ٥٨٢)، وشرح أبيات سيويه (١ / ٢٠٢)، وبلا نسبة في أدب الكاتب (ص: ٤٤٣)، الحنوم: جمع حتم، والحنم: القضاء، وقال ابن سيده: الحتم: إيجاب القضاء، وفي التزويل: ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مریم: ٧١]، انظر: اللسان (ح ت م).

(٤) ذكر قول ابن الأنباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٣٦).

والثاني: وَمَا كُنَّا إِلَّا خَاطِئِينَ.

قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾

قال أبو صالح عن ابن عباس: لا أُعَيِّرُكم بعد اليوم بهذا أبداً<sup>(١)</sup>.

قال ابن الأثيري: إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ لِأَنَّهُ أَوَّلُ أَوْقَاتِ الْعَفْوِ، وَسَبِيلُ الْعَافِي فِي مِثْلِهِ أَنْ لَا يُرَاجَعَ عُقُوبَةً<sup>(٢)</sup>.

وقال ثعلب: قد تَرَبَّ فلانٌ على فلانٍ؛ إِذَا عَدَّدَ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن قتيبة: لَا تَغْيِرَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ بِمَا صَنَعْتُمْ<sup>(٤)</sup>.

وأصل التَّثْرِبِ: الإِفْسَادُ، يُقَالُ: تَرَبَّ عَلَيْنَا إِذَا أَفْسَدَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا زَنَتْ أُمَةٌ أَحَدَكُمْ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ، وَلَا يَشْرَبْ»<sup>(٥)</sup>؛ أَي: لَا يُعَيِّرْهُم بِالزَّنَا.

قال ابن عباس: جَعَلَهُمْ فِي حِلٍّ، وَسَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَغْفِرَةَ لَهُمْ<sup>(٦)</sup>.

وقال السُّدِّيُّ: لَمَّا عَرَفَهُمْ نَفْسَهُ، سَأَلَهُمْ عَنْ أَبِيهِ، فَقَالُوا: ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ، فَأَعْطَاهُمْ قِمِيصَهُ، وَقَالَ: ﴿أَذْهَبُوا بِقِمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي﴾

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٣٨) من رواية الكلبي.

(٢) ذكر قول ابن الأثيري الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٣٨).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١ / ٤٧٦) (ثرب).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٢).

(٥) أخرجه البخاري حديث رقم (٢٢٣٤)، ومسلم حديث رقم (١٧٠٣) من حديث أبي

هريرة رضي الله عنه.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢ / ٦٣١).

وهذا القميصُ كَانَ فِي قَصَبَةٍ<sup>(١)</sup> مِنْ فَضَّةٍ مُعَلَّقًا فِي عُنُقِ يُوسُفَ لَمَّا أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ، وَكَانَ مِنَ الْجَنَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ [يوسف: ١٨ / ٢٥ / ٢٦ / ٢٧ / ٢٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِ بِصِيرًا﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: يَعُودُ مُبْصَرًا<sup>(٣)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ قَطَعَ عَلَى الْغَيْبِ؟.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِالْوَحْيِ إِلَيْهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ أَهْلُهُ نَحْوًا مِنْ سَبْعِينَ إِنْسَانًا<sup>(٥)</sup>.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أَي: خَرَجَتْ مِنْ مِصْرَ مَتَوَجِّهَةً إِلَى كِنْعَانَ، وَكَانَ الَّذِي حَمَلَ الْقَمِيصَ يَهُوذَا.

قَالَ السُّدِّيُّ: قَالَ يَهُوذَا لِيُوسُفَ: أَنَا الَّذِي حَمَلْتُ الْقَمِيصَ إِلَى

(١) وعاء كالأنبوب، يكون من النبات ومن الفضة وغيرها.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩٦)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٤٦).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣١٨)، ولفظه: يَعُودُ مُبْصَرًا.

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٤١) بلفظ: أمره جبريل أن أرسل إليه بقميصك، فإن ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا صح وعوفي.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٤٢).

يَعْقُوبَ بِدَمٍ كَذِبٍ فَأَخْرَجْتُهُ، وَأَنَا الْآنَ أَحْمِلُ قِمِيصَكَ لِأَسْرَةٍ<sup>(١)</sup>، فحمله<sup>(٢)</sup>.  
 قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَخَرَجَ حَافِيًا حَاسِرًا يَغْدُو، وَمَعَهُ سَبْعَةُ أَرْغِفَةٍ لَمْ  
 يَسْتَوْفِ أَكْلَهَا<sup>(٣)</sup>.

[٤١٦/ب] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ يَغْنِي: يَعْقُوبَ لَمَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَهْلِهِ  
 وَقَرَابَتِهِ وَوَلَدٍ وَلَدِهِ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ وَمَعْنَى أَجِدُ: أَشُمُّ، قَالَ  
 الشَّاعِرُ [مِنْ الْبَسِيطِ]:

وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ      وَلَكِنَّهَا أَضْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ  
 وَلَيْسَ فَيْتَقُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ      وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الشَّاءُ الْمُخْلَفُ<sup>(٤)</sup>  
 فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ وَجَدَ يَعْقُوبُ رِيحَهُ وَهُوَ بِمِصْرَ، وَلَمْ يَجِدْ رِيحَهُ مِنْ  
 الْجُبِّ وَبَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْهُ، وَالْمَسَافَةُ هُنَاكَ أَقْرَبُ؟

فَعَنَّهُ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْفَى أَمْرَ يُوسُفَ عَلَى يَعْقُوبَ فِي بَدَايَةِ الْأَمْرِ  
 لِتَقَعِ الْبَلِيَّةُ الَّتِي يَتَكَامَلُ بِهَا الْأَجْرُ، وَأَوْجَدَهُ رِيحَهُ مِنَ الْمَكَانِ النَّازِحِ عِنْدَ  
 تَقْضِي الْبَلَاءِ وَمَجِيءِ الْفَرَجِ.

(١) فِي (ج): لِأَبْشَرِهِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِي فِي تَفْسِيرِهِ (١٥ / ٢٥٨)، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ١٥٦).

(٣) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ١٥٦).

(٤) الْبَيْتَانِ فِي أَسْمَالِي الزَّجَاجِيِّ (ص: ٨٦)، وَأَسْمَالِي الْقَالِي (١ / ١١٣)، وَزَهْرُ الْأَدَابِ (٣ / ٧٢٠)،  
 وَالْحِمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ (١ / ٢١٣)، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ (٤ / ١٥١)، وَالْوَافِي بِالْوَفَايَاتِ (٧ / ٢٨٤)،  
 وَوَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ (١ / ٩٠)، وَفِي رَوَايَةٍ: «نَسِيمُ الْمِسْكِ» بِدَلِّ: «فَيْتَقُ الْمِسْكَ».

والثاني: أن هذا القميص كان في قصبَةٍ من فضةٍ مُعلَّقًا في عنق يوسفَ على ما سبق بيّأته، فلمّا نشره فاحت روائح الجنان في الدنيا فاتّصلت بيعقوبَ، فعلم أن الرائحة من جهة ذلك القميص.

قال مجاهد: هبّت ريح فضربت القميصَ، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتّصلت بيعقوبَ فوجد ريح الجنة؛ فعلم أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة إلا ما كان من ذلك القميص، فمن ثمّ قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن ريح الصبا استأذنت ربّها عزّ وجلّ في أن تأتي يعقوبَ بريح يوسفَ قبل البشير فأذن لها<sup>(٢)</sup>؛ فلذلك يستروح كلُّ محزونٍ إلى ريح الصبا، ويجد المكروبون لها روحاً، وهي ريح لينّة تأتي من ناحية المشرق؛ [أي: من ناحيته]<sup>(٣)</sup>، قال أبو صخر الهذلي [من الطويل]:

إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهْجُنِي نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يُطْلَعُ الْفَجْرُ<sup>(٤)</sup>

قال ابن عباس: وجد (يعقوبُ)<sup>(٥)</sup> ريح قميص يوسفَ من مسيرة ثمان ليالٍ ثمانين فرسخاً.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٢) عن مجاهد.

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٤/ ٢٧٥).

(٣) من (ج).

(٤) البيت لأبي صخر الهذلي في شرح أشعار الهذليين (٢/ ٩٥٧)، وشرح شواهد المغني (١/ ١٦٩)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٣/ ٤٦٠)، الحجة؛ لأبي علي الفارسي (٢/ ٢٥٠)، والكامل؛ للمبرد (٣/ ٤٤).

(٥) من الأصل فقط.

قوله تعالى: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: يُجْهَلُونَ، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال مقاتل<sup>(٢)</sup>.

والثاني: تُسَفَّهُونَ، رواه عبدُ الله بنُ أبي الهذيل، عن ابنِ عباس<sup>(٣)</sup>، وبه قال عطاء، وقتادة، ومجاهد في رواية<sup>(٤)</sup>. وقال في [رواية]<sup>(٥)</sup> أخرى: لَوْلَا أَنْ تَقُولُوا: ذَهَبَ عَقْلُكَ<sup>(٦)</sup>.

والثالث: تُكْذِّبُونَ، رواه العوفي، عن ابنِ عباس<sup>(٧)</sup>، وبه قال سعيدُ ابنُ جبير، والضحاك.

والرابع: تُهَرِّمُونَ، قاله الحسن، ومجاهد في رواية<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٣ / ١٦) (١٩٨٢١)، وذكره البغوي في تفسيره (٤ / ٢٧٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٥) إلى ابن جرير الطبري وأبي الشيخ.

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٣٥٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٣ / ١٦) (١٩٨٢٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٥٣ / ١٦) (١٩٨٢٣) عن خفيف، عن مجاهد: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾، قال: لولا أن تسفهون.

(٥) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٦) أخرجه الطبري (٢٥٤ / ١٦) (١٩٨٣٤) عن ابن جريج، عن مجاهد: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾، قال: لولا أن تقولوا: ذهب عقلك!

(٧) أخرجه الطبري (٢٥٥ / ١٦) (١٩٨٤٣) قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾، يقول: تكذبون. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢١٩٨) (١١٩٦٧) من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٥ / ١٦) (١٩٨٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره =

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: الْفَنْدُ: إِنْكَارُ الْعَقْلِ مِنْ هَرَمٍ<sup>(١)</sup>.

وَالْخَامِسُ: تُعَجِّزُونَ، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup>.

(وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ)<sup>(٣)</sup>: تُسَفِّهُونَ وَتُعَجِّزُونَ وَتَلُومُونَ، وَأُنْشِدَ<sup>(٤)</sup> [مِنْ الْبَسِيطِ]:

يَا صَاحِبَيَّ دَعَا لَوْ مَيَّ وَتَفْنِيدِي فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرِي بِمَرْدُودٍ<sup>(٥)</sup>

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: وَأَصْلُ التَّفْنِيدِ: الْإِفْسَادُ، وَأَقْوَالُ الْمَفْسِّرِينَ تَقَارَبُ مَعَانِيهَا<sup>(٦)</sup>.

(قَالَ الشَّيْخُ)<sup>(٧)</sup>: وَسَمِعْتُ<sup>(٨)</sup> الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ ابْنَ الْخَشَّابِ<sup>(٩)</sup>

= (٧ / ٢١٩٨) (١١٩٦٨) مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿لَوْلَا أَنْ تُفْنِدُونِ﴾، قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَهْرَمُونَ.

(١) مَقَائِيسُ اللُّغَةِ (٤ / ٤٥٤) قَالَ: وَالْفَنْدُ: الْهَرَمُ، وَهُوَ ذَاكَ الْقِيَاسُ، وَلَا يَكُونُ هَرَمًا إِلَّا وَمَعَهُ إِنْكَارُ عَقْلِ.

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٢٢).

(٣) لَيْسَ فِي (ج).

(٤) مَجَازُ الْقُرْآنِ (١ / ٣١٨).

(٥) الْبَيْتُ لَهَائِي بْنِ شَكِيمٍ فِي مَجَازِ الْقُرْآنِ (١ / ٣١٨)، وَبِلَا نِسْبَةٍ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ

(١٦ / ٢٥٢)، وَالْكَشَفُ وَالْبَيَانُ؛ لِلثَّلَعْبِيِّ (١٥ / ١٥٤)، وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةٍ (٥ / ٥٣٤).

(٦) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (١٦ / ٢٥٦).

(٧) مِنْ الْأَصْلِ فَقَطْ.

(٨) فِي (ج): وَسَمِعْتُ مِنْ.

(٩) الْإِمَامُ، الْعَلَامَةُ، الْمُحَدِّثُ، إِمَامُ النُّحُو، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ

ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نَصْرِ الْبَغْدَادِيِّ، ابْنُ الْخَشَّابِ، مَنْ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْعَرَبِيَّةِ، حَتَّى

قِيلَ: إِنَّهُ بَلَغَ رَتْبَةَ أَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ. تَوَفَّى فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ. انْظُرْ:

تَارِيخُ بَغْدَادَ (١٥ / ٢٠٩ - ٢١٠)، وَسِيرُ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ (٢٠ / ٥٢٣ - ٥٢٤).

[١٧/٤١] - رحمه الله - يقول: [قوله] <sup>(١)</sup>: ﴿لَوْلَا أَنْ تُقِنْدُون﴾ فيه إضمار، تقديره: لا أخبرتكم أنه حي.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥].

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾.

قال ابن عباس: بنو بنيه خاطبوه بهذا <sup>(٢)</sup>، وكذلك قال السدي: هذا قول بني بنيه <sup>(٣)</sup>؛ لأن بنيه كانوا بمصر.

وفي معنى هذا الضلال ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه بمعنى: الخطأ، قاله ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: أنه الجنون، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: الشقاء والعناء، قاله مقاتل <sup>(٤)</sup>، يريد بذلك شقاء الدنيا.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ <sup>(١٦)</sup> قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خطيئين <sup>(١٧)</sup> قال سوف استغفر لكم ربِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ <sup>(١٨)</sup> [يوسف: ٩٦ - ٩٨].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يهوذا، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) تنوير المقياس (ص: ١٥٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٩٩) (١١٩٧٤).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).



وَهَبُ بْنُ مَنبِّهٍ، وَالسُّدِّيُّ، وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ سَمِعُونُ، قَالَه الضَّحَّاكُ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِهِ هَاهُنَا: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ﴾<sup>(١)</sup>، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ [آخِر] <sup>(٢)</sup>: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾؟. [البقرة: ٨٩].

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُمَا لُغَتَانِ لِقُرَيْشٍ خَاطِبَهُمُ اللَّهُ بِهِمَا جَمِيعًا، فَدُخُولُ «أَنْ» لِتَوْكِيدِ مُضِيِّ الْفِعْلِ، وَسُقُوطُهَا لِلْاعْتِمَادِ عَلَى إِيضَاحِ الْمَاضِي بِنَفْسِهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ نَعَالِي: ﴿أَلْقَنَهُ﴾ يَغْنِي: الْقَمِيصَ ﴿عَلَى وَجْهِهِ﴾ يَغْنِي<sup>(٤)</sup>: يَعْقُوبَ ﴿فَازْتَدَّ بِصِيرًا﴾، الْإِزْتِدَادُ: رُجُوعُ الشَّيْءِ إِلَى حَالٍ قَدْ كَانَ عَلَيْهَا. قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: إِنَّمَا قَالَ: ازْتَدَّ، وَلَمْ يَقُلْ: رَدَّ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُنْسَوِيَةِ إِلَى الْمَفْعُولِينَ؛ كَقَوْلِهِمْ: طَالَتِ النَّخْلَةُ، وَاللَّهُ أَطَالَهَا، وَتَحَرَّكَتِ الشَّجَرَةُ، وَاللَّهُ حَرَّكَهَا<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الضَّحَّاكُ: رَجَعَ إِلَيْهِ بَصْرُهُ بَعْدَ الْعَمَى، وَقَوَّتُهُ بَعْدَ الضَّعْفِ، وَشَبَابُهُ بَعْدَ الْهَرَمِ، وَسُرُورُهُ بَعْدَ الْحُزَنِ<sup>(٦)</sup>.

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٤٥).

(٤) ما بين الهلالين ليس في (ج).

(٥) ذكر قول ابن الأثباري الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٤٦).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٥٨)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢ / ٦٣٤).

وَرَوَى يَحْيَى بْنُ يَمَانَ عَنْ سُفْيَانَ، قَالَ: لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ [إِلَى] (١)  
يَعْقُوبَ، قَالَ: عَلَى أَيِّ دِينٍ تَرُكْتَ يُوسُفَ؟ قَالَ: عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: الْآنَ  
تَمَّتِ النِّعْمَةُ (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فِيهِ أَقْوَالٌ  
قَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا قَبْلَ هَذَا بِقَلِيلٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ سَأَلُوهُ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ مَا أَتَوْا؛  
لأنَّ نَبِيَّ مُجَابُ الدَّعْوَةِ.

﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ فِي سَبَبِ تَأْخِيرِهِ لِذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَخَّرَهُمْ لِإِنْتِظَارِ الْوَقْتِ الَّذِي هُوَ مِظَنَّةُ الْإِجَابَةِ.

ثُمَّ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَخَّرَهُمْ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣).

(١) مِنْ (ج).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٧/ ٢١٩٩) (١١٩٧٩)، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ

(١٥/ ١٦٢) مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ عَنِ الْحَسَنِ: لَمَّا أَتَى الْبَشِيرُ إِلَى يَعْقُوبَ فَأُلْقِيَ

عَلَيْهِ الْقَمِيصُ، قَالَ: عَلَى أَيِّ خَلْتِ يُوسُفَ؟ قَالَ: عَلَى الْإِسْلَامِ، قَالَ: الْآنَ تَمَّتِ النِّعْمَةُ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٧٠) الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦/ ٢٦٣)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ

(١١/ ٤٦١) مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّمَشْقِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ،

قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ جَرِيحٍ، عَنْ عَطَاءٍ وَعُكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبُ: ﴿سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾، يَقُولُ: حَتَّى

تَأْتِيَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. وَرَوَايَةُ التِّرْمِذِيِّ وَالْحَاكِمِ بِلَفْظٍ مَطُولٍ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ =

قَالَ وَهَبٌ: كَانَ يَسْتَغْفِرُ لَهُمْ كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ فِي نَيْفٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ مِنْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ طَاوُوسٌ: فَوَافَقَ ذَلِكَ لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّالِثُ: إِلَى وَقْتِ السَّحْرِ، رَوَاهُ عِكْرِمَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>، وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَقَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: إِنَّمَا أَرَادَ الْوَقْتَ الَّذِي هُوَ أَخْلَقَ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، لَا أَنَّهُ ضَنَّ عَلَيْهِمْ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَهَذَا أَشْبَهُ بِأَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ<sup>(٦)</sup>.

= غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم. وقال ابن كثير: وهذا غريب من هذا الوجه، وفي رفعه نظر. قال الحاكم: هذا حديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فتعقبه الذهبي قائلاً: هذا حديث منكر شاذ، أخاف أن يكون موضوعاً، وقد حيرني والله جودة سنده. بل أزال هذه الحيرة في السير (٩ / ٢١٨)، فقال: هذا عندي موضوع والسلام، ولعل الآفة دخلت على سليمان بن بنت شرحبيل فيه، فإنه منكر الحديث وإن كان حافظاً، فلمو كان قال فيه: عن ابن جريج، لراج، ولكن صرح بالتحديث، فقويت الريبة، وإنما هذا الحديث يرويه هشام بن عمار، عن محمد بن إبراهيم القرشي، عن أبي صالح، عن عكرمة، عن ابن عباس، ومحمد هذا ليس بثقة، وشيخه لا يدري من هو.

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٢٦٦).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٠٣).

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٦٠)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٢٧٧).

(٤) أخرجه ابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ كما في الدر المنثور (٤ / ٦٨).

(٥) تفسير مقاتل (٢ / ٣٥٠).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٢٩).

والقول الثاني: أَنَّهُ دَفَعَهُمْ عَنِ التَّعْجِيلِ بِالْوَعْدِ.

[٤١٧/ب] قَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ: طَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَى الشَّبَابِ أَسْهَلُ مِنْهَا عِنْدَ الشُّبُوحِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا تُثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ إِلَى قَوْلِ يَعْقُوبَ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾<sup>(١)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ أَخْرَجَهُمْ لِيَسْأَلَ يُوسُفَ، فَإِنْ عَفَا عَنْهُمْ، اسْتَغْفَرَ لَهُمْ، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ.

وَرَوَى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا أَبَانَا إِنْ عَفَا اللَّهُ عَنَّْا، وَإِلَّا فَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ لَنَا فِي الدُّنْيَا، فَدَعَا يَعْقُوبُ وَأَمَّنَ يُوسُفَ، فَلَمْ يَجِبْ فِيهِمْ عَشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ جَاءَ جَرِيرِلُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَجَابَ دَعْوَتَكَ فِي وَلَدِكَ، وَعَفَا عَمَّا صَنَعُوا بِهِ، وَاعْتَقَدَ مَوَائِقَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَى النَّبُوءَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَكَانَ يُوسُفُ قَدْ بَعَثَ مَعَ الْبَشِيرِ إِلَى يَعْقُوبَ جَهَازًا وَمَائَتِي رَاحِلَةٍ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ.

فَلَمَّا ارْتَحَلَ يَعْقُوبُ وَدَنَا مِنْ مِصْرَ، اسْتَأْذَنَ يُوسُفُ الْمَلِكَ الَّذِي فَوْقَهُ فِي تَلْقَى يَعْقُوبَ، فَأْذِنَ لَهُ، وَأَمَرَ الْمَلَأَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْجُنُودِ، وَخَرَجَ مَعَهُمْ أَهْلُ مِصْرَ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٧/ ٢١٩٥) (١١٩٥٠)، وَالتَّعْلِيلِي فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦١/ ١٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦/ ٢٨١) (١٩٩٤٨)، وَفِي سَنَدِهِ صَالِحُ الْمَرِي، وَيزِيدُ الرَّقَاشِي، وَهَمَّا ضَعِيفَانِ.

وقيل: إِنَّ الْمَلِكَ خَرَجَ مَعَهُمْ أَيْضًا.

فَلَمَّا التَقَى يَعْقُوبُ وَيُوسُفُ، بِكَيَا جَمِيعًا، فَقَالَ يُوسُفُ: يَا أَبَتِ  
بَكَيْتَ عَلَيَّ حَتَّى ذَهَبَ بَصْرُكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقِيَامَةَ تَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ؟  
قَالَ: أَيُّ بُنْيَ! خَشِيتُ أَنْ تُسَلِّبَ دِينَكَ فَلَا نَجْتَمِعُ<sup>(١)</sup>.

وقيل: إِنَّ يَعْقُوبَ ابْتَدَأَهُ بِالسَّلَامِ، فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا مُذْهِبَ الْأَحْزَانِ<sup>(٢)</sup>.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ

ءَامِنِينَ ﴿١١﴾﴾ [يوسف: ٩٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ يَعْنِي: يَعْقُوبَ وَوَلَدَهُ.

وَفِي هَذَا الدُّخُولِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ دُخُولُ أَرْضِ مِصْرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ﴾ يَعْنِي: الْبَلَدَ.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ١٦٢ - ١٦٣) عن الثوري.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٦٥) (١٩٨٧٨) عن فرقد السبخي، قال لما ألقى  
القميص على وجهه ارتد بصيرًا، وقال: ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، فحمل  
يعقوب وإخوة يوسف، فلما دنا أخبر يوسف أنه قد دنا منه، فخرج يتلقاه. قال:  
وركب معه أهل مصر، وكانوا يعظمونه. فلما دنا أحدهما من صاحبه، وكان يعقوب  
يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده يُقال له يهوذا. قال: فنظر يعقوب إلى الخيل  
والناس، فقال: يا يهوذا، هذا فرعون مصر؟ قال: لا هذا ابنك! قال: فلما دنا كل  
واحد منهما من صاحبه، فذهب يوسف يبدؤه بالسَّلَامِ، فمنع من ذلك، وكان يعقوب  
أحقّ بذلك منه وأفضل، فقال: السَّلَام عليك يا ذاهب الأحزان عني، هكذا قال: يا  
ذاهب الأحزان عني.

والثاني: أَنَّهُ دُخُولُ مِصْرَ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ﴾؛ أَي (١): اسْتَوطِنُوهَا.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَبُوهُ وَخَالَتُهُ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: أَبُوهُ وَأُمُّهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَابْنُ إِسْحَاقَ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا، وَالْمَعْنَى: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ جُرَيْجٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ يَعُودُ إِلَى الْأَمْنِ.

ثُمَّ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لَمْ يَثْبُقْ بِإِنْصِرَافِ الْحَوَادِثِ عَنْهُمْ.

وَالثَّانِي: أَنَّ النَّاسَ كَانُوا فِيهَا خَلَا (٢) يَخَافُونَ مُلُوكَ مِصْرَ، فَلَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِجَوَارِهِمْ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ يَعُودُ إِلَى دُخُولِ مِصْرَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ هَذَا حِينَ تَلَقَّاهُمْ قَبْلَ دُخُولِهِمْ، عَلَى مَا سَبَقَ بَيَّانُهُ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ «إِنْ» بِمَعْنَى: «إِذَا»؛ [كَقَوْلِهِ تَعَالَى] (٣): ﴿إِنْ أَرَدْنَا مَحْصَنًا﴾ [النور: ٣٣].

(١) فِي (ج): يَعْنِي.

(٢) فِي (ج): أَنَّ النَّاسَ فِيهَا حَكَمِي كَانُوا.

(٣) مِنْ (ج)، وَ(ف)، وَ(م).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: دَخَلُوا مِصْرَ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ نِيْفٌ وَسَبْعُونَ بَيْنَ<sup>(١)</sup> ذَكَرٍ وَأُنْثَى<sup>(٢)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: دَخَلُوا وَهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتِسْعُونَ، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى  
وَهُمْ سِتْمِائَةُ أَلْفٍ وَسَبْعُونَ أَلْفًا<sup>(٣)</sup>.

﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِيَنَّ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ  
قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ  
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿ رَبِّ  
قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿١٠١﴾ [يوسف: ١٠٠ - ١٠١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾.

في «أبويه» قولان: قد تقدّمَا في الآية التي قبلها.

والعرش هاهنا: سريرُ الملكة، أَجْلَسَ أَبُوبِهِ عَلَيْهِ ﴿ وَخَرُّوا لَهُ ﴾.  
يَعْنِي: أَبُوبِهِ وَإِخْوَتَهُ.

[٤١٨/أ]

وفي هاءِ «لَهُ» قولان:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا<sup>(٤)</sup> تَرْجِعُ إِلَى يُوسُفَ، قَالَ الْجُمْهُورُ.

(١) في (ف): من.

(٢) ذكره مقاتل في تفسيره (٢/ ٣٥٠) والسمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٠) عن محمد بن كعب، عن عبد الله بن شداد.

(٤) في الأصل: أنه، والمثبت من

قال أبو صالح عن ابن عباس: كَانَ سُجُودُهُمْ كَهَيْئَةِ الرُّكُوعِ، كَمَا يَفْعَلُ الْأَعَاجِمُ<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِالسُّجُودِ (لَهُ)<sup>(٢)</sup> لِتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الأثيري: سَجَدُوا لَهُ عَلَى جِهَةِ التَّحِيَّةِ، لَا عَلَى مَعْنَى الْعِبَادَةِ، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الدَّهْرِ يَحْيِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسُّجُودِ وَالْإِنْحِنَاءِ، فَحَظَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ<sup>(٤)</sup>، فَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَحَدُنَا يَلْقَى صَدِيقَهُ أَيْنَحْنِي لَهُ قَالَ: لَا»<sup>(٥)</sup>.

والثاني: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَالْمَعْنَى: وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، رَوَاهُ عَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ<sup>(٦)</sup> سَجَدُوا شُكْرًا لِلَّهِ؛ إِذْ جَمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يُوسُفَ.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٠٣)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٥١) من رواية الكلبي.

(٢) من الأصل فقط.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٨٢).

(٤) ذكره ابن الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٥٠).

(٥) أخرجه الترمذي في سننه حديث رقم (٢٧٢٨)، وابن ماجه في سننه حديث رقم (٣٧٠٢)، وأبو يعلى حديث رقم (٤٢٨٩)، والطحاوي في المعاني (١ / ٢٨١)، ولبيهقي في سننه (٧ / ١٠٠) من طريق حنظلة بن عبد الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله! الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه، أينحني له؟ قال: «لا» قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: «لا» قال: فأخذه بيده ويصافحه؟ قال: «نعم». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٦) ليست في (ج)، و(ف).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ﴾؛ أَي: تَصْدِيقُ مَا رَأَيْتُ، وَكَانَ قَدْ رَأَاهُمْ فِي الْمَنَامِ يَسْجُدُونَ لَهُ، فَأَرَاهُ اللَّهُ ذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ.

وَاخْتَلَفُوا فِيهَا بَيْنَ رُؤْيَاهِ وَتَأْوِيلِهَا عَلَى سَبْعَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَه سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ سَنَةً، قَالَه أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّلَاثُ: ثَمَانُونَ سَنَةً، قَالَه الْحَسَنُ، وَالْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ.

وَالرَّابِعُ: سِتُّ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعُكْرِمَةُ، وَالسُّدِّيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَالْخَامِسُ: خَمْسُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، قَالَه قَتَادَةُ.

وَالسَّادِسُ: سَبْعُونَ سَنَةً، قَالَه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَوْذَبٍ.

وَالسَّابِعُ: ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، قَالَه ابْنُ إِسْحَاقَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بَيِّنَاتٍ﴾؛ أَي: إِلَى.

وَالْبَدْوُ: الْبَسْطُ مِنَ الْأَرْضِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْبَدْوُ: الْبَادِيَّةُ، وَكَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ وَمَاشِيَةٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٥٠).

(٢) في (ف): والسدي وعكرمة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٧٦) (١٩٩٣٤) عن ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِ﴾؛ أي: أفسد بيننا.

قال أبو عبيدة: يُقال: نزعَ بينهم ينزع؛ أي: أفسد وهيج، وبغضهم يكسر الزاي (من) <sup>(١)</sup> ينزع <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾؛ أي: عالمٌ بدقائق الأمور. وقد شرحنا معنى «اللَّطِيف» في الأنعام [آية: ١٠٢].

فإن قيل: قد تَوَالَتْ عَلَى يُوسُفَ نِعَمٌ جَمَّةٌ <sup>(٤)</sup>، فما (السُّرُّ في) <sup>(٥)</sup> اقتصاره على ذكرِ السَّجْنِ، وهَلَّا ذَكَرَ الْجُبَّ، وهو أَضْعَبُ.  
فالجواب من وجوه:

أحدها: أَنَّهُ تَرَكَ ذِكْرَ الْجُبِّ تَكْرُمًا؛ لِئَلَّا يَذْكَرَ إِخْوَتُهُ صَنِيعَهُمْ، وقد قال: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

والثاني: أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْجُبِّ إِلَى الرَّقِّ، وَمِنَ السَّجْنِ إِلَى الْمَلِكِ، فَكَانَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ أَوْفَى.

والثالث: أَنَّ طُولَ لُبِّهِ فِي السَّجْنِ كَانَ عُقُوبَةً لَهُ، بِخِلَافِ الْجُبِّ، فَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى عَفْوِهِ.

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(م): يكسر زاي ينزع.

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣١٩).

(٤) في (ج)، و(م): خمسة.

(٥) من الأصل فقط.

قال العلماء بالسَّير: أقام يعقوبُ بعدَ قدومه مصرَ أربعًا وعشرينَ سنةً.

وقال بعضهم: سبعَ عشرةَ سنةً في أهناً عيشٍ، فلما حَضَرَتْهُ الوفاةُ أوصى إلى يوسفَ أنْ يُحْمَلَ إلى الشَّامِ حتَّى يدْفِنَهُ عِنْدَ أَبِيهِ إِسْحَاقَ [٣١٨ / ب]، ففعلَ به ذلك، وكانَ عمرُهُ مائةً وسبْعًا وأربعينَ سنةً، ثُمَّ إِنَّ يَوْسُفَ تَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَعَلِمَ أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَدُومُ فَتَمَنَّى الْمَوْتَ<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ عَبَّاسٍ، وقَتَادَةُ: ولم يَتَمَنَّ الْمَوْتَ نَبِيٌّ (قَطُّ)<sup>(٢)</sup> قَبْلَهُ<sup>(٣)</sup>، فَقَالَ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ يَعْنِي: مُلْكَ مِصْرَ ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقد سَبَقَ تَفْسِيرُهَا [يوسف: ٦].

وفي «مِنْ» قولان:

أحدهما: أَنَّهَا صِلَةٌ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٤)</sup>.

والثَّانِي: أَنَّهَا لِلتَّبَعِيضِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْتَ كُلُّ الْمُلْكِ، وَلَا كُلَّ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ.

(١) قاله السدي، أخرجه عنه الطبري في تفسيره (٢٨٢ / ١٦)، وانظر: معالم التنزيل (٢٨١ / ٤)، والكشف والبيان (١٧٣ / ١٥).

(٢) من الأصل فقط.

(٣) أخرجه الطبري (٢٧٨ / ١٦) (١٩٩٤٠)، وابن أبي حاتم (١٢٠١٢) من طريق أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبري أيضًا (٢٨٠ / ١٦) (١٩٩٤٢)، وابن أبي حاتم (١٢٠١١) من طريق قتادة عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه الطبري (٢٧٩ / ١٦) (١٩٩٤١) من طريق ابن جريج، عن ابن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهذان منقطعان.

(٤) تفسير مقاتل (٣٥٢ / ٢).

قوله تعالى: ﴿فَاطْرَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد شرحناه في الأنعام [آية: ٦].  
﴿أَنْتَ وَلِيِّ﴾؛ أي: الذي تلي أمري. ﴿تَوْفَّنِي مُسْلِمًا﴾ قال ابن عباس: يريد: لا تسلبني الإسلام حتى توفاني عليه<sup>(١)</sup>.  
وكان ابن عقيل يقول: لم يتمن يوسف الموت، وإنما سأل أن يموت على صفة. والمعنى: توفني إذا توفيتني مسلمًا.  
(قال الشيخ<sup>(٢)</sup>): وهذا<sup>(٣)</sup> الصحيح.  
قوله تعالى: ﴿وَالْحَقْنِي بِالْصَّلَاحِينَ﴾ والمعنى: ألحقني بدراجاتهم.  
وفيهم قولان:  
أحدهما: أنهم أهل الجنة، قاله عكرمة.  
والثاني: آباؤه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قاله الضحاك.  
قالوا: فلما اختصر يوسف، أوصى إلى يهوذا، ومات، فتشاح الناس في دفنه، كل يحب أن يدفن في محله؛ رجاء البركة، فاجتمعوا على دفنه في النيل ليتمر الماء عليه ويصل إلى الجميع، فدفنوه في صندوق من رخام، فكان هنالك إلى أن حمه موسى عليه السلام حين خرج من مصر ودفنه بأرض كنعان.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٦٣٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٢٥٦).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) في (ج): وهو.

قَالَ الْحَسَنُ: مات يُوسُفُ وهو ابنُ مائةٍ وعشرينَ سنةً<sup>(١)</sup>.

وذكرَ مُقَاتِلٌ: أَنَّهُ ماتَ بَعْدَ يَعْقُوبَ بِسِتِّينَ<sup>(٢)</sup>.

﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ

﴾ [يوسف: ١٠٢].

قوله تعالى: ﴿ ذَلِكْ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ ﴾؛ أي: ذَلِكْ الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي كَانَتْ غَائِبَةً عَنْكَ، فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ دَلِيلًا عَلَى نُبُوتِكَ.

﴿ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ﴾؛ أي: عِنْدَ إِخْوَةِ يُوسُفَ ﴿ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ ﴾؛ أي: عَزَمُوا عَلَى إلقاءِهِ فِي الْجُبِّ ﴿ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ بِيُوسُفَ.

و[في]<sup>(٣)</sup> هذا احتجاجٌ على صِحَّةِ بُرْهَانِنَا [محمَّد]<sup>(٤)</sup>؛ لأنَّه لم يُشَاهِدْ تِلْكَ الْقِصَّةَ، وَلَا كَانَ يَقْرَأُ الْكِتَابَ، وَقَدْ أَخْبَرَ عَنْهَا بِهَذَا الْكَلَامِ الْمُعْجِزِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ أَخْبَرَ بِوَحْيِي.

﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣].

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٠٢)، وانظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٤ / ٢٨٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٣٥٢).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٤) من (ج).

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: إِنَّ قُرَيْشًا وَالْيَهُودَ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ<sup>(١)</sup> قِصَّةِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ، فَشَرَحَهَا شَرْحًا شَافِيًا، وَهُوَ يُؤَمِّلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا لِإِسْلَامِهِمْ، فَخَالَفُوا ظَنَّهُ، فَحَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَزَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِذِهِ الْآيَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَعْنَاهَا: وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ بِمُؤْمِنِينَ وَلَوْ حَرَضْتَ عَلَى أَنْ تَهْدِيَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا نَسْتُلْهُمْ عَلَيْهِ﴾؛ أَي: عَلَى الْقُرْآنِ وَتِلَاوَتِهِ [وَهَدَايَتِكَ]<sup>(٤)</sup> ﴿مِنْ أَجْرِ إِنْ هُوَ﴾؛ أَي: مَا هُوَ إِلَّا تَذْكِرَةٌ لَهُمْ لِمَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ وَنَجَاتُهُمْ.

﴿وَكَايْنٍ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَايْنٍ﴾؛ أَي: وَكَمْ ﴿مِنْ آيَةٍ﴾؛ أَي: عَلَامَةٍ وَدَلَالَةٍ [٤١٩/أ] تَدُلُّهُمْ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، مِنْ أَمْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾؛ أَي: يَتَجَاوَزُونَهَا غَيْرَ مُتَفَكِّرِينَ وَلَا مُعْتَبِرِينَ.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

(١) فِي (ج): فِي.

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٢/ ٦٣٧)، وَالتَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢/ ٢٥٧).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ١٣٠).

(٤) مِنْ (ج)، وَ(ف)، وَ(م).

فِيهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ الْمُشْرِكُونَ.

ثُمَّ فِي مَعْنَاهَا الْمُتَعَلِّقُ بِهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ وَهُمْ مُشْرِكُونَ بِهِ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَقَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي تَلْبِيَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، كَانُوا يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ إِلَهُهُمْ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ النَّصَارَى، يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ خَالِقُهُمْ وَرَازِقُهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ يُشْرِكُونَ بِهِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمُ الْمُنَافِقُونَ، يُؤْمِنُونَ فِي الظَّاهِرِ رِثَاءَ النَّاسِ، وَهُمْ فِي الْبَاطِنِ كَافِرُونَ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ وَصَفَ الْمُشْرِكَ بِالْإِيمَانِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: أَنَّ أَكْثَرَهُمْ، مَعَ إِظْهَارِهِمُ الْإِيمَانَ بِالْإِسْتِثْمِ مُشْرِكُونَ.

﴿ أَفَإِمْنَوْا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿ [يوسف: ١٠٧]. ﴾

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أَفَإِمْنَوْا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْغَاشِيَةُ: الْمَجَلَّةُ تَغْشَاهُمْ <sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: يَأْتِيهِمْ مَا يَغْمُرُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ <sup>(٢)</sup>.

وَالْبَغْتَةُ: الْفَجْأَةُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَتَوَقَّعْ.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ الْمَعْنَى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ: هَذِهِ الدَّعْوَةُ الَّتِي أَدْعُو إِلَيْهَا <sup>(٣)</sup>، وَالطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا ﴿سَبِيلِي﴾؛ أَي: سُتَيْي وَمِنْهَا جِي.

وَالسَّبِيلُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ <sup>(٤)</sup>، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي آلِ عِمْرَانَ [آيَة: ١٩٥].

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾؛ أَي: عَلَى يَقِينٍ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: وَكُلُّ مُسْلِمٍ لَا يَخْلُو مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَلَا الْقُرْآنَ، فَقَدْ دَعَا إِلَى اللَّهِ بِمَا فِيهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتِمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ <sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسُبْحَنَ اللَّهُ﴾ الْمَعْنَى: وَقُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ؛ تَنْزِيهَا لَهُ عَمَّا أُشْرِكُوا.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٠).

(٣) في (ف): إياها.

(٤) في (م): تذكر وتؤنث.

(٥) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٢٦٣).



﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩) ﴿[يوسف: ١٠٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا﴾.

هذا نزل من أجل قوهم: هَلَّا بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا، فالمعنى: كَيْفَ تَعْجَبُوا مِنْ إِرْسَالِنَا إِيَّاكُمْ، وسائر الرُّسُلِ كانوا على مثل حالِك {يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ}؟. وقرأ حفص عن عاصم: «نُوحِي» بالنون<sup>(١)</sup>. والمراد بالقرى: المدائن.

وقال الحسن: لم يبعث الله نبيًّا من أهل البادية، ولا من الجن، ولا من النساء<sup>(٢)</sup>.

قال قتادة: لأنَّ أهل القرى أعلم وأحلم من أهل العمود<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: المشركين المنكرين نبوتك ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بذلك. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرك.

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٦٤) عن الحسن.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٢٩٣).

[٤١٩/ب] قَالَ الْفَرَاءُ: أُضِيفَتِ الدَّارُ [إِلَى] <sup>(١)</sup> الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْآخِرَةُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ [قَدْ] <sup>(٢)</sup> تُضِيفُ الشَّيْءَ إِلَى نَفْسِهِ إِذَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، وَالْحَقُّ: هُوَ الْيَقِينُ، وَقَوْلُهُمْ: أَتَيْتُكَ عَامَ الْأَوَّلِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

قَرَأَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَفْصٌ، وَالْمَفْضَلُ، وَيَعْقُوبُ <sup>(٤)</sup>: «تَعْقِلُونَ» بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ الْآخَرُونَ بِالْيَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَفَلَا يَعْقِلُونَ هَذَا فَيُؤْمِنُوا <sup>(٥)</sup>.

﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾.

الْمَعْنَى مُتَعَلِّقٌ بِالآيَةِ الْأُولَى، فَتَقْدِيرُهُ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا، فَدَعَا قَوْمَهُمْ، فَكَذَّبُوهُمْ، وَصَبَرُوا وَطَالَ دُعَاؤُهُمْ وَتَكْذِيبُ قَوْمِهِمْ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ.

(١) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) من (ج)، و(ف)، و(م).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٥٥-٥٦).

(٤) في (ف): والمفضل عن يعقوب.

(٥) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٣٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ يعني<sup>(١)</sup>: الرُّسُلُ.

﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحزرة، والكسائي: «فَنُجِّي» بنونين، الأولى مضمومة والثانية ساكنة والياء ساكنة<sup>(٢)</sup>.

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر، وحفص، [جميعاً]<sup>(٣)</sup> عن عاصم، [ويغقوب]<sup>(٤)</sup>: «فَنُجِّي» مشددة الجيم مفتوحة الياء بنون واحدة، يعني: المؤمنين، نجوا عند نزول العذاب<sup>(٥)</sup>.

﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ﴾؛ أي: في خبر يوسف وإخوته.

وروى عبد الوارث كسر القاف، وهي قراءة قتادة، وأبي الجوزاء<sup>(٦)</sup>.

﴿عِبْرَةً﴾؛ أي: عِظَةً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾؛ أي: لذوي العقول السليمة؛ وذلك من وجهين:

(١) في (ج): أي.

(٢) قراءة سبعة، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٥) قراءة سبعة، انظر: السبعة (ص: ٣٥٢).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرمانى (٢٥٣)، والكامل (ص: ٢٠٦).

أحدهما: ما جرى ليوسف من إعزازه وتمليكهِ بعد استعباده، فإنَّ مَنْ فعل ذلك به، قادرٌ على إعزازِ محمدٍ ﷺ وتعليه كلمته.  
والثاني: أنَّ مَنْ تفكَّر؛ علِمَ أنَّ محمدًا ﷺ، مع كونه أُمِّيًّا، لم يأتِ بهذه القصة على موافقة ما في التَّوراة من قبلِ نفسه، فاستدلَّ [بذلك] <sup>(١)</sup> على صحَّة نبوته.

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ في المشارِ إليه قولان:  
أحدهما: أنَّه القرآنُ، قاله قتادة.

والثاني: ما تقدَّم من القصص، قاله ابنُ إسحاق.

فعلى القولِ الأوَّل: يكونُ معنى قوله: ﴿وَلَا كَانَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولكن كان تصديقًا لما بين يديه من الكتبِ ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نحتاجُ إليه من أمور الدين ﴿وَهُدًى﴾ بيانا ورحمةً لقومٍ يؤمنون؛ أي: يُصدِّقون بما جاء به محمدٌ ﷺ.

وعلى القولِ الثاني: وتفصيل كلِّ شيءٍ من نبيِّ يوسف وإخوته.

(١) من (ر)، و(م).



## سورة الرعد

فصل [في نزولها] <sup>(١)</sup>

[١/٤٢٠]

اختلفوا في نزولها على قولين:

أحدهما: أنها مكية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير <sup>(٢)</sup>، وعطاء، وقتادة.

وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية، إلا آيتين، منها قوله: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ ... إلى آخر الآية [الرعد: ٣١]، وقوله ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] <sup>(٣)</sup>.

والثاني: أنها مدنية، (رواه عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد <sup>(٤)</sup>).

وروي عن ابن عباس أنها مدنية <sup>(٥)</sup>، إلا آيتين نزلتا بمكة، وهما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا سَأَرْتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ ... إلى آخرها [الرعد: ٣١] <sup>(٦)</sup>.

(١) من (م).

(٢) أخرجه عنه سعيد بن منصور وابن المنذر، كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩)، ونقله مكي في الهداية (٥/ ٣٦٥٩) عنه وعن قتادة. وينظر: البيان في عد آي القرآن (ص: ١٦٩).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٠٥)، ونقله الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٦٧) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وانظر: تفسير السمعي (٣/ ٧٥).

(٤) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، كما في الدر المنثور (٨/ ٣٥٩)،

(٥) ما بين الهالين ساقط من (ج).

(٦) انظر: البيان في عد آي القرآن؛ للداني (ص: ١٦٩)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١٣٥)، تفسير الطبري (١٦/ ٤٥٧).

وقال بعضهم: المدينى منها قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾... إلى قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤].

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَرْءُ تِلْكَ مَآيَتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١) **الله** الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد: ١ - ٢].

قوله سبحانه تعالى: ﴿الْمَرْءُ﴾ قد ذكرنا في سورة البقرة جملة من الكلام في معاني هذه الحروف.

وقد روي عن ابن عباس في تفسير هذه الكلمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أَن مَعْنَاهَا: أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَرَى، رواه أبو الضحى عنه.

والثاني: أَنَا اللَّهُ أَرَى، رواه سعيد بن جبيرة عنه.

والثالث: أَنَا اللَّهُ الْمَلِكُ الرَّحْمَنُ، رواه عطاء عنه.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ مَآيَتُ الْكِتَابِ﴾ في «تلك» قولان، وفي «الكتاب» قولان قد تقدمت في أول يونس.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ يعني: القرآن وغيره من الوحي ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني: أهل مكة<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٨٠).



قَالَ الرَّجَاجُ: لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؛ عَرَّفَ الدَّلِيلَ الَّذِي يُوجِبُ التَّضَدِيقَ بِالْخَالِقِ فَقَالَ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup>: الْعَمَدُ: مَتَحَرَّكَ الْحُرُوفُ بِالْفَتْحَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَحَرِّكُهَا بِالضَّمَّةِ؛ لِأَنَّهَا جَمْعُ عُمُودٍ، وَهُوَ الْقِيَاسُ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ هِجَاؤُهَا أَرْبَعَةُ أَحْرَفٍ، الثَّلَاثُ مِنْهَا أَلِفٌ أَوْ يَاءٌ أَوْ وَاوٌ، فَجَمِيعُهُ<sup>(٣)</sup> مَضْمُومُ الْحُرُوفِ؛ نَحْوُ: رَسُولٍ. وَالْجَمْعُ: رُسُلٌ، وَحِمَارٌ، وَالْجَمْعُ: حُمُرٌ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ جَاءَتْ أَسَامِي اسْتَعْمَلُوا جَمِيعَهَا بِالْحَرَكَةِ وَالْفَتْحَةِ؛ نَحْوُ: عُمُودٌ، وَأَدِيمٌ، وَإِهَابٌ، قَالُوا: أَدُمٌ، وَأُهَبٌ<sup>(٤)</sup>. وَمَعْنَى «عَمَدٍ»: سِوَارٍ، وَدَعَائِمٍ، وَمَا يَعْمَدُ الْبِنَاءُ. وَقَرَأَ أَبُو حَيَّوَةَ: «بَغَيْرِ عُمَدٍ» بِضَمِّ الْعَيْنِ وَالْمِيمِ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَاءَ الْكِتَابَةِ تَرْجِعُ إِلَى السَّمَوَاتِ، فَالْمَعْنَى: تَرَوْنَهَا بِغَيْرِ عَمَدٍ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالْجُمْهُورُ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: «تَرَوْنَهَا»<sup>(٦)</sup>: خَبِرْتُ مُسْتَأْنَفَ، وَالْمَعْنَى: رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِلا عَمَدٍ وَدَعَامَةٍ تَمْسُكُهَا، ثُمَّ قَالَ: «تَرَوْنَهَا»؛ أَي: مَا تُشَاهِدُونَ

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٦).

(٢) في (ج): عبيد.

(٣) في (ج): فجمعه.

(٤) مجاز القرآن (١/ ٣٢٠).

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٣).

(٦) في (ج): يرونها.

مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، يُغْنِيكُمْ عَنْ إِقَامَةِ الدَّلَائِلِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْعَمَدِ، فَاِلْمَعْنَى: إِنَّهَا بَعْمَدٍ لَا تَرَوْنَهَا، رَوَاهُ عَطَاءٌ، وَالضَّحَّاكُ<sup>(٢)</sup> عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ: لَهَا عَمَدٌ عَلَى قَافٍ، وَلَكِنَّا كُنَّا لَا تَرَوْنَ الْعَمَدَ<sup>(٣)</sup>، وَإِلَى هَذَا الْقَوْلِ ذَهَبَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرَمَةُ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ. [٤٢٠/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾؛ أَي: ذَلَّلَهُمَا لِمَا يُرَادُ مِنْهُمَا ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾؛ أَي: إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ، وَهُوَ فَنَاءُ الدُّنْيَا. ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ﴾؛ أَي: يَضْرِفُهُ بِحُكْمَتِهِ. ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾؛ أَي: يُبَيِّنُ الْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْبُعْثِ لِكَي تُوَفَّقُوا بِذَلِكَ.

وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ، وَقَتَادَةُ، وَالنَّخَعِيُّ: «نُذَبِّرُ الْأَمْرَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ» بِالنُّونِ فِيهِمَا<sup>(٤)</sup>.

(١) الْأَضْدَادُ (ص: ٢٦٨)، وَإِضَاحُ الْوَقْفِ وَالْإِبْتِدَاءِ (٢/ ٧٣٠ - ٧٣١)، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢/ ٢٨١).

(٢) فِي (ج): الضَّحَّاكُ وَعَطَاءٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٦/ ٣٢٤) مِنْ طَرِيقِ شَرِيكَ، عَنْ سَمَّاكٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَيَشْهَدُ لَهُ بِمَعْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ مُعَاذِ بْنِ مُعَاذٍ قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرَانُ بْنُ حُدَيْرٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَ قَتَادَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْسَلًا. وَانْظُرْ: التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ؛ لِلوَاحِدِيِّ (١٢/ ٢٨٣).

(٤) قِرَاءَةُ شَاذَةٌ، انْظُرْ: مُخْتَصَرُ الشُّوَاذِ (ص: ٧٠)، وَعِزَّاهَا الْهَلَبِيُّ فِي الْكَامِلِ (ص: ٥٧٧) لِلخَزَّازِ عَنْ حَفْصٍ وَالْخَفَّافِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَالْكَرْمَانِيُّ فِي شُوَاذِ الْقِرَاءَاتِ (ص: ٢٥٤) لِأَبَانَ بْنِ تَغْلِبٍ، وَهَارُونَ الْعَتَكِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَانْظُرْ: التَّحْقِيقُ؛ لِلْمُهَدَوِيِّ (٣/ ٥٦٣).

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ  
أُنثَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ قال ابن عباس: بسطها على الماء<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾.

قال الزجاج: أي: جبالاً ثوابت، يقال: رسا الشيء يرسو رسوا، فهو راس؛ إذا ثبت<sup>(٢)</sup>.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾؛ أي: نوعين. والزوج: الواحد الذي له قرين من جنسه. قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح<sup>(٣)</sup>، والأبيض والأسود.

قوله تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارُ﴾ قد شرحناه في الأعراف.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ وَجَعَلَتْ مِنْ أَغْطَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ  
صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفِضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

قوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَوِّرَةٌ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الأرض السبخة، والأرض العذبة، تثبت هذه، وهذه إلى جنبها لا تثبت، هذا قول ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، والضحاك.

(١) تنوير المقياس (ص: ٢٠٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٧).

(٣) ليست في (ر).

والثاني: أنَّها القرى المتجاورات، قاله قتادة، وابنُ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>، وهو يرجعُ إلى معنى الأول.

قوله تعالى: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحفصُ عن عاصم: ﴿وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ رفعاً في الكل.

وقرأ نافع، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائيُّ وأبو بكرٍ عن عاصم: «وزرعٍ ونخيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ» خفضاً في الكل<sup>(٢)</sup>.

قال أبو علي: مَنْ رَفَعَ، فالمعنى: وفي الأرضِ قطعٌ [متجاورات]<sup>(٣)</sup> وجناتٌ، وفي الأرضِ زرعٌ، وَمَنْ خَفَضَ حملَه على الأعنابِ، فالمعنى: جناتٍ مِنْ أعنابٍ، وَمِنْ زرعٍ، وَمِنْ نخيلٍ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ هذا مِنْ صِفَةِ النَّخِيلِ.

قال الزَّجَّاجُ: الصَّنَوَانُ: جمعُ صِنَوٍ وَصُنَوٍ، ومعناه: أن يكونَ الأصلُ واحداً، وفيهِ النَّخْلَتَانِ والثَّلاثُ والأربعُ<sup>(٥)</sup>.

وكذلك قال المفسِّرون: الصَّنَوَانُ: النَّخْلُ المجتمِعُ، [و]<sup>(٦)</sup> أصله واحدٌ، وَغَيْرُ صِنَوَانٍ: المتفرِّقُ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٤).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣١).

(٣) من (م).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥ / ٦).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٣٨).

(٦) من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

وقرأ أبو رزين، وأبو عبد الرحمن السلمي، وابن جبير، وقادة:  
«صُنَوَان» بضمّ الصّاد<sup>(١)</sup>.

قال الفراء: لغة أهل الحجاز: «صِنَوَان» بكسر الصّاد، وتيمم وقيس  
يضمّون الصّاد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يُسْقَى يَمَاءً وَاحِدًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تُسْقَى» بالتاء، «وَنُفَضِّلُ» بالنون،  
وقرأ حمزة، والكسائي: «تُسْقَى»<sup>(٣)</sup> بالتاء أيضًا، لكنهما أمالاً القاف.

وقرأ الحسن<sup>(٤)</sup>: «وَيُفَضِّلُ» بالياء. وقرأ عاصم، وابن عامر: «يُسْقَى»  
بالياء، «وَنُفَضِّلُ» بالنون، وكلّهم كسر الضّاد<sup>(٥)</sup>.

وروى الحلبي عن عبد الوارث ضمّ الياء من «يُفَضِّلُ» وفتح الضّاد،  
«بعضها» برفع الضّاد<sup>(٦)</sup>.

(١) هي قراءة عاصم في رواية القواس في السبعة (ص: ٣٥٦)، وجامع البيان؛ للداني (٣/ ١٢٤٣)، وزاد أنها رواية المفضل أيضًا.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٧٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) ليست في (ج).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: (ص: ١٣١).

(٦) قراءة شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٧٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٤).

وقال الفراء: مَنْ قرأ: «تُسْقَى» بالتاء؛ ذهب إلى تأنيث الزرع، [٢١/أ] والجنات، والنخيل، وَمَنْ كَسَرَ<sup>(١)</sup>؛ ذهب إلى النبت، وذلك كله يُسْقَى بماءٍ واحدٍ، وأكله مختلفٌ حامضٌ وحلوٌ، ففي هذا آية<sup>(٢)</sup>.

قال المفسرون: الماء الواحد: [ماء]<sup>(٣)</sup> المطر، والأكل: الثمر، بغضه أكثر<sup>(٤)</sup> مِنْ بغضٍ، وبغضه أفضلٌ مِنْ بغضٍ، وبغضه حامضٌ وبغضه حلوٌ، إلى غير ذلك، وفي هذا دليلٌ على بطلان قول الطبائعين؛ لأنه لو<sup>(٥)</sup> كان حدوث الثمر على طبع الأرض والهواء [والماء]<sup>(٦)</sup>؛ وجب أن يتفق ما يحدث لإتفاق ما أوجب حدوثه، فلما وقع الاختلاف دلَّ على مُدبِّرٍ قادرٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أنه لا تجوز العبادة إلا لمن يقدر على هذا.

﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِيهِ خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ أي: مِنْ تَكْذِيبِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ مَا لَا

(١) في (ر): ذكر.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٥٩).

(٣) من (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م).

(٤) في (ر)، و(م): أكبر.

(٥) ليست في (ر).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ بَعْدَمَا رَأَوْا مِنْ تَأْثِيرِ قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ،  
فَإِنْكَارُهُمُ الْبَغْثَ مُوَضِّعٌ عَجَبٍ.

وقيل: المعنى: وإن تعجب بما وقفت عليه من القطع المتجاورات  
وقُدْرَةِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ، فَعَجَبٌ جَعَلَهُمُ الْبَغْثَ؛ لَأَنَّهُ قَدْ بَانَ لَهُمْ مِنْ  
خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبَغْثَ أَسْهَلُ فِي<sup>(١)</sup> الْقُدْرَةِ.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: «إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَيْنَا» جَمِيعًا بِالِاسْتِفْهَامِ،  
غَيْرَ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو يَمُدُّ الْهَمْزَةَ ثُمَّ يَأْتِي بِالْيَاءِ سَاكِنَةً، وَابْنُ كَثِيرٍ يَأْتِي بِيَاءٍ  
سَاكِنَةٍ بَعْدَ الْهَمْزَةِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ.

وَقَرَأَ نَافِعٌ: «إِذَا» مِثْلَ أَبِي عَمْرٍو، وَاخْتَلَفَ عَنْهُ فِي الْمَدِّ، وَقَرَأَ: «إِنَّا  
لَفِي خَلْقٍ» مَكْسُورَةً عَلَى الْخَبَرِ.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزُهُ: «إِذَا كُنَّا» «أَيْنَا» بِهَمْزَتَيْنِ فِيهِمَا.

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «إِذَا كُنَّا تُرَابًا» مَكْسُورَةً الْأَلِفِ مِنْ غَيْرِ اسْتِفْهَامٍ،  
«أَيْنَا» يَهْمِزُ ثُمَّ يَمُدُّ ثُمَّ يَهْمِزُ عَلَى وَزْنٍ: عَاعَنَّا<sup>(٢)</sup>.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ أَيْضًا: «إِذَا» بِهَمْزَتَيْنِ لَا أَلِفَ بَيْنَهُمَا<sup>(٣)</sup>.

(١) في (م): من.

(٢) في (م): فاعنًا.

(٣) كلها سبعة، انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٣١)، وهذا أول موضع من مواضع تكرر  
الاستفهام، وفيها بعض الاستثناءات.

والأغلالُ جُمُعُ غُلٍّ، وفيها قولان:

أحدهما: أنها أغلالُ يومِ القيامةِ، قاله الأكثرون.

والثاني: أنها الأعمالُ التي هي أغلالٌ، قاله الزجاج<sup>(١)</sup>.

﴿وَيَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِالْحَسَنَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ⑥﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ⑦﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيظُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ⑧﴾ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ⑨﴾ [الرعد: ٦ - ٩].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ بِالْحَسَنَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في كفار مكة، سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب؛ استهزاء منهم بذلك، قاله ابن عباس.

والثاني: في مشركي العرب، قاله قتادة.

والثالث: في النضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>.

وفي السبئية والحسنة قولان:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٧).



أحدهما: بالعذابِ قبلَ العافيةِ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُقاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

والثاني: بالشرِّ قبلَ الخيرِ، قاله قتادةٌ.

فأما ﴿الْمَثَلَتُ﴾ فقرأ الجمهورُ بفتح الميم. وقرأ عثمانُ، وأبو رزينُ، وأبو مجليزُ، وسعيدُ بنُ جبِرٍ، وقاتدةٌ، والحسنُ، وابنُ أبي عبلةَ برفعِ الميم<sup>(٢)</sup>.

ثمَّ في معناها قولان:

أحدهما: أنَّها العقوباتُ، قاله ابنُ عباسٍ<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاجُ: المعنى: قد تقدَّم من العذابِ ما هو مثله، وما فيه [٤٢١/ب] نكالٌ، لو أنَّهم اتَّعظوا<sup>(٤)</sup>.

وقال ابنُ الأنباريُّ: المثلَّةُ: العقوبة التي تُبقي في المعاقب شيئاً بتغيير بعضِ خلقه، من قولهم: مثل فلانٍ بفلان، إذا شَانَ خلقه بقطعِ أنفه أو أُذنيه، أو سُمِّلَ عينيه، ونحو ذلك<sup>(٥)</sup>.

والثاني: أنَّ المثلَّاتِ: الأمثالُ التي ضربها الله عزَّ وجلَّ لهم، قاله مجاهدٌ، وأبو عبيدة<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) قراءتان متواترتان، انظر: انظر: الكامل (ص: ٥٧٨).

(٣) في (ج): ابن السائب.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٣٩).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦).

(٦) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا، وإنه ﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للمصرّين على الشرك<sup>(١)</sup>.

وقال مقاتل: لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب، وإنه ﴿لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ إذا عذب<sup>(٢)</sup>.

### فَصْلٌ

وذهب بعضُ المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ والمحققون على أنها مُحْكَمَةٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ «لَوْلَا»: بمعنى هَلَا، والآية التي طلبوها؛ مثل عصا موسى وناقة صالح. ولم يقتنعوا<sup>(٣)</sup> بما رأوا، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ أي: مخوف عذاب الله، وليس إليك<sup>(٤)</sup> من الآيات شيء.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ستة أقوال:

أحدها: أن المراد بالهادي: الله عز وجل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد، والضحاك، والنخعي،

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٢٩٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٣٦٨).

(٣) في (م): يقتنعوا.

(٤) في (م): لك.

[فيكون المعنى] <sup>(١)</sup>: إِنَّمَا إِلَهُكَ الْإِنْدَارُ، وَاللَّهُ الْهَادِي <sup>(٢)</sup>.

والثاني: أَنَّ الْهَادِي: الدَّاعِي، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثالث: أَنَّ الْهَادِي: النَّبِيُّ ﷺ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَعَطَاءٌ <sup>(٣)</sup>، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، فَالْمَعْنَى: وَلِكُلِّ قَوْمٍ نَبِيٌّ يُنْذِرُهُمْ <sup>(٤)</sup>.

والرَّابِع: أَنَّ الْهَادِي: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيْضًا، قَالَهُ عِكْرِمَةُ، وَأَبُو الضُّحَى، وَالْمَعْنَى: أَنْتَ مُنْذِرٌ، وَأَنْتَ هَادٍ.

والخامس: أَنَّ الْهَادِي: الْعَمَلُ، قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ.

والسَّادِس: أَنَّ الْهَادِي: الْقَائِدُ إِلَى الْخَيْرِ أَوْ إِلَى الشَّرِّ قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ) <sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ رَوَى الْمُفَسِّرُونَ مِنْ طُرُقٍ لَيْسَ فِيهَا مَا يَثْبُتُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ: «أَنَا الْمُنْذِرُ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَنْكِبِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ: «أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ بِكَ يُهْتَدَى مِنْ بَعْدِي» <sup>(٦)</sup>.

(١) ما بين ما بين المعكوفين ليس في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ف).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٣) ليس في (ر).

(٤) في (ج): منذرهم.

(٥) ليست في (ج).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٥٧) من طريق الحسن بن الحسين الأنصاري، قال: حدثنا معاذ بن مسلم بباع الهروي، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، =

[قَالَ المصنّف<sup>(١)</sup>: وهذا من موضوعات الرافضة.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْبَرَهُمْ عَنْ قُدْرَتِهِ، رَدًّا عَلَى مُنْكَرِي الْبَعْثِ، فَقَالَ: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾؛ أَي: مِنْ عِلْقَةٍ أَوْ مُضْغَةٍ، أَوْ زَائِدٍ أَوْ نَاقِصٍ، أَوْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، أَوْ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾؛ أَي: وَمَا تَنْقُصُ.

﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بِالْوَضْعِ لِأَقْلٍ مِنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: بِالْوَضْعِ لِأَكْثَرٍ مِنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ [٤٢٢/أ] ابْنُ جَبْرِ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>، وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup>، وَالزَّجَّاجُ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بِالسَّقْطِ النَّاقِصِ، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: بِالْوَلَدِ الثَّامِّ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَنْ الْحَسَنِ كَالْقَوْلَيْنِ.

وَالثَّلَاثُ: ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: بِإِرَاقَةِ الدَّمِّ فِي الْحَمْلِ (حَتَّى يَتَضَاعَلَ الْوَلَدُ، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾: إِذَا أُمْسَكَتِ الدَّمُّ فَيَعْظُمُ الْوَلَدُ)<sup>(٥)</sup>، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالرَّابِعُ: ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾: مَنْ وَلَدَتْهُ مِنْ قَبْلُ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾:

=عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهِ، وَالْحَسَنُ هَذَا كَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ الشَّيْعَةِ، لَيْسَ بِصَدُوقٍ، وَلَا نَقُومَ بِهِ حُجَّةٍ، وَمَعَاذَ مَجْهُولِ نَكْرَةٍ، وَالْآفَةُ مِنْ أَحَدِهِمَا، يَرَا جَعِ الْمِيزَانَ (١/ ٢٢٥) (٣/ ١٧٨).

(١) مِنْ (م).

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٣٦٨ - ٣٦٩).

(٣) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٢٥).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ١٤٠).

(٥) مَا بَيْنَ الْهَلَالَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ر).

مَنْ تَلِدُهُ مِنْ بَعْدُ، رُوي عَنْ قَتَادَةَ، وَالسُّدِّيَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾؛ أي: بقدر.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ مِفْعَالٌ مِنَ الْقَدْرِ<sup>(١)</sup>. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ قد شرحنا ذلك في الأنعام. و﴿الْكَبِيرُ﴾ بِمَعْنَى: الْعَظِيمِ.

وَمَعْنَاهُ: يَعُودُ إِلَى كِبَرِ قَدْرِهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ صِفَاتِ الْعُلُوِّ، فَهُوَ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ كَبِيرٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ كَبِيرٍ يَصْغُرُ بِالإِضَافَةِ إِلَى عَظَمَتِهِ. وَيُقَالُ: «الْكَبِيرُ»: الَّذِي كَبُرَ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ.

فَأَمَّا ﴿الْمُتَعَالَى﴾ فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: «الْمُتَعَالَى» بِيَاءٍ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ، وَكَذَلِكَ رَوَى عَبْدُ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَأَثْبَتَهَا فِي الْوَقْفِ دُونُ الْوَصْلِ ابْنُ شُبُوذٍ عَنْ قُنْبَلٍ، وَالباقون بغير ياءٍ في الحالين<sup>(٣)</sup>.

وَالْمُتَعَالَى: هُوَ الْمُنْتَزَعُ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَقَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْعَالِي فَوْقَ خَلْقِهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٠١).

(٣) انظر: مذهب ابن كثير في التيسير (ص: ١٣٤)، ورواية أبي عمرو ليست من طرقه، لكنها في السبعة (ص: ٣٥٨).

(٤) شأن الدعاء (ص: ٨٩).

وروي عن الحسن أنه قال: المتعالي عما يقول المشركون<sup>(١)</sup>.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ  
بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ﴾.

قال ابن الأثيري: ناب «سواء» عن مستو<sup>(٢)</sup>، والمعنى: مستو منكم  
﴿مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ﴾؛ أي: أخفاه وكنمه ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾: أعلنه وأظهره،  
والمعنى: أن السر والجهر عنده سواء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المستخفي: هو المستتر المتواري في ظلمة الليل، والسارب  
بالنهار: الظاهر المتصرف في حوائجه. يقال: سربت الإبل تسرب؛ إذا  
مضت في الأرض ظاهرة، وأنشدوا [من الطويل]:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ      وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهَوَ سَارِبٌ<sup>(٤)</sup>  
أي: ذاهبٌ.

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٠٢).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٠٤).

(٣) في (ج)، و(م): سواء عنده.

(٤) هو للأخنس بن شهاب التغلبي، والبيت في تفسير غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٢٥)،  
والحماصة؛ لأبي تمام (١ / ٣٧٦)، والمفضليات؛ للمفضل الضبي (ص: ٣٠٨). والمعنى: أنه لم  
يقيد فحل إبلهم حتى يذهب حيث شاء من المراعي فتبعه ولا نخشى الغارة.

ومعنى<sup>(١)</sup> الكلام: أن الظاهر والخفيّ عنده سواء، هذا قول الأكثرين.  
 وروى العوفي عن ابن عباس: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾ قال: صاحب رية بالليل<sup>(٢)</sup>، فإذا خرج بالنهار، أرى الناس أنه بريء من الإثم<sup>(٣)</sup>.  
 والثاني: أن المستخفي بالليل: الظاهر. والسار بالليل: المستتر. يقال: انسرب الوحش؛ إذا دخل في كِنَاسِه<sup>(٤)</sup>، وهذا قول الأخفش<sup>(٥)</sup>، وذكره قطرب أيضًا<sup>(٦)</sup>، واحتج له ابن جرير بقولهم: خفيت الشيء: إذا أظهرته<sup>(٧)</sup>، ومنها<sup>(٨)</sup>: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] بفتح الألف<sup>(٩)</sup>؛ أي: أظهرها. قال: وإنما قيل للمتواري: سارِبٌ؛ لأنه صار في السرب مستخفياً<sup>(١٠)</sup>.  
 ﴿لَهُ، مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يُحَافِظُونَهُ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١)

[الرعد: ١١].

(١) في (ج)، و(ر): في معنى.

(٢) في (ج): في الليل.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٦٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٢٩) (١٢١٨١) عن محمد بن سعد.

(٤) أي: جحره، ومخبؤه.

(٥) معاني القرآن (٢ / ٤٠٢).

(٦) انظر ما ذكره قطرب في تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٢ / ٢٨٧).

(٧) تفسير الطبري (١٦ / ٣٨٣).

(٨) في (ج)، و(ر)، و(م): ومنه قوله تعالى.

(٩) رُويت عن الحسن ومجاهد، انظر "المحتسب" (٢ / ٤٧)، الكامل للهنلي (ص ٣٩٢).

(١٠) تفسير الطبري (١٦ / ٣٨٣ - ٣٨٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ﴾

فِي هَاءِ «لَهُ» أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

[٤٢٢/ب] أَحَدُهَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَوَاهُ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنْ ابْنِ

عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: إِلَى الْمَلِكِ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّلَاثُ: إِلَى الْإِنْسَانِ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(١)</sup>.

وَالرَّابِعُ: إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَعَالَى، ذَكَرَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ<sup>(٢)</sup>، وَأَبُو سُلَيْمَانَ الدِّشْقِيُّ.

وَفِي الْمَعْقَبَاتِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْمَلَائِكَةُ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ،  
وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ فِي آخِرِينَ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى: لِلْإِنْسَانِ مَلَائِكَةٌ يَعْتَقِبُونَ، يَأْتِي بَعْضُهُمْ بِعَقِبِ بَعْضٍ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ أَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ: (هُمْ الْحَفَظَةُ)<sup>(٤)</sup>: اِثْنَانِ بِالنَّهَارِ، وَاثْنَانِ بِاللَّيْلِ، إِذَا  
مَضَى فَرِيقٌ، خَلَفَ بَعْدَهُ<sup>(٥)</sup> فَرِيقٌ، وَيَجْتَمِعُونَ عِنْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ وَافْجَرٍ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٣٦٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٤) ليست في (ج).

(٥) في (ج): خلفه.





وقال قوم، منهم ابنُ زيد: هذه الآيةُ خاصّةٌ في رسولِ الله ﷺ، عزمَ عامِرُ بنُ الطفيل وأزبدُ [بنُ قيسٍ]<sup>(١)</sup> على قتله، فمنعه اللهُ منهما، وأنزلَ هذه الآيةَ<sup>(٢)</sup>.

والقول الثاني: أنَّ المعقّبات حُرَّاسُ الملوك الذين يتعاقبون الحرسَ، وهذا مروئي عن ابنِ عباسٍ، وعكرمة.

وقال الضحاك: هم السلاطينُ المشركون المحترسون من الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ سبعةُ أقوالٍ:

أحدها: يحرسونه من أمرِ الله ولا يقدرُون، هذا على قولٍ من قال: هي في المشركين المحترسين من أمرِ الله تعالى.

والثاني: أن المعنى: حفظهم له من أمرِ الله، قاله ابنُ عباسٍ، وابنُ جبير، فيكون تقديرُ الكلام: هذا الحفظُ ممَّا أمرهم الله به.

والثالث: يحفظونه بأمرِ الله، قاله الحسنُ، ومجاهدٌ، وعكرمة.

قال اللغويون: والباءُ تقوم مقامُ «من» وحروفُ الصفات يقوم بعضها مقامُ بعضٍ.

والرابع: يحفظونه من الجنِّ، قاله مجاهدٌ، والنخعي.

(١) من (م).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٣٠)، عن عبد الرحمن بن زيد.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٧٤).

وقال كعب: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَكَلَّ بِكُمْ مَلَائِكَةً يَذُبُّونَ عَنْكُمْ فِي مَطْعِمِكُمْ وَمَشْرِبِكُمْ وَعَوْرَاتِكُمْ، إِذَا لَتَخَطَفَتْكُمْ الْجِنَّ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَمَلِكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقْطَعُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ، فَإِذَا أَرَادَهُ شَيْءٌ، قَالَ: وَرَاءَكَ وَرَاءَكَ، إِلَّا شَيْءٌ قَدْ قُضِيَ لَهُ أَنْ يُصِيبَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو مَجْلِزٍ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ مُرَادٍ إِلَى عَلِيٍّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ: احْتَرَسْتُ، فَإِنَّ نَاسًا مِنْ مُرَادٍ يُرِيدُونَ قَتْلَكَ، فَقَالَ [عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ]<sup>(٣)</sup>: إِنَّ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ<sup>(٤)</sup> مَلَكَئِنَّ يَحْفَظَانِهِ مِمَّا لَمْ يَقْدِرْ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ<sup>(٥)</sup>.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيمًا وَتَأْخِيرًا، وَالْمَعْنَى: لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْفَظُونَهُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ، وَالْفَرَاءُ<sup>(٦)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٣٧٨)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ٤٧) إِلَى ابْنِ جَرِيرٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٣٧٧) (٢٠٢٤٥)، وَذَكَرَهُ الْبَغْوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤ / ٣٠٠) عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ إِلَّا لَهُ مَلِكٌ مُوَكَّلٌ يَحْفَظُهُ فِي نَوْمِهِ وَيَقْطَعُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْهَوَامِّ، فَمَا مِنْهُمْ شَيْءٌ يَأْتِيهِ يَرِيدُهُ إِلَّا قَالَ: وَرَاءَكَ إِلَّا شَيْئًا يَأْذَنُ اللَّهُ فِيصِيبَهُ. (٣) مِنْ (ج).

(٤) فِي (ج): رَجُلَيْنِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٣٧٨)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ٤٧) إِلَى ابْنِ جَرِيرٍ.

(٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢ / ٦٠).

والسَّادِسُ: يَحْفَظُونَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ<sup>(١)</sup> حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى مَا قُدِّرَ لَهُ، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ، وَاسْتَدَلَّ بِمَا رَوَى عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ [أَنَّهُ]<sup>(٢)</sup> قَالَ: يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَّوْا عَنْهُ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: يَحْفَظُونَهُ لِأَمْرِ اللَّهِ.

وَالسَّابِعُ: يَحْفَظُونَ عَلَيْهِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ.

قَالَ الْأَخْفَشُ: وَإِنَّمَا أَنْتَ الْمُعْقَبَاتِ؛ لِكثَرَةِ ذَلِكَ مِنْهَا؛ نَحْوُ: النَّسَابَةُ، وَالْعَلَامَةُ، ثُمَّ ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَذْكَرٌ<sup>(٤)</sup>. [٢٣/أ]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾؛ أَي: لَا يُسَلِّبُهُمْ نِعَمَهُ ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فَيَعْمَلُوا بِمَعَاصِيهِ. قَالَ مُقَاتِلٌ: وَيُعْنِي بِذَلِكَ: كُفَّارَ مَكَّةَ<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْعَذَابُ.

وَالثَّانِي: الْبَلَاءُ.

(١) ليست في (ج).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١/ ٣٣٢)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٧١) (٢٠٢١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٣٧) (١٢١٩٦) من طريق إسرائيل به، عزاه السيوطي

(٤/ ٤٧) إلى الفريابي وابن المنذر.

(٤) معاني القرآن (٢/ ٤٠٣).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٦٩).

قوله تعالى: ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾؛ أي: لا يردُّه شيءٌ ولا تنفعه المعقبات.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ يغني: مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿مِنْ وَالٍ﴾؛ أي: مَنْ وَلِيٌّ يَدْفَعُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَالْبَلَاءَ.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (الرعد: ١٢).

قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: خوفًا للمسافر وطمعًا للمقيم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قال قتادة: فالمسافر خاف أذاه ومشقته، والمقيم يرجو منفعة<sup>(١)</sup>.

والثاني: خوفًا من الصواعق وطمعًا في الغيث، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الحسن.

والثالث: خوفًا للبلد الذي يخاف ضرر المطر وطمعًا لمن يرجو الانتفاع به، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

والرابع: خوفًا من العقاب وطمعًا في الثواب، ذكره الماوردي<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٣)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٣٨٧) (٢٠٢٥٢)،

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٢).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٠٠).

وكان ابنُ الزُّبَيْرِ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ  
لأَهْلِ الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾؛ أَي: وَيَخْلُقُ السَّحَابَ الثَّقَالَ بِالْمَاءِ.  
قَالَ الْفَرَّاءُ: السَّحَابُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ وَاحِدًا، فَإِنَّهُ جَمْعٌ، وَاحِدَتُهُ:  
سَحَابَةٌ، جَعَلَ نَعْتَهُ عَلَى الْجَمْعِ، كَمَا قَالَ: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِي  
حَسَانٍ﴾ [الرحمن: ٧٦]، وَلَمْ يَقُلْ: أَخْضَرَ، وَلَا حَسَنَ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا  
مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسِيحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ اسْمُ الْمَلِكِ الَّذِي يَزْجُرُ<sup>(٣)</sup> السَّحَابَ، وَصَوْتُهُ: تَسْبِيحُهُ،  
قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الصَّوْتُ الْمَسْمُوعُ<sup>(٥)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ (٢/ ٩٩٢)، وَالبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٤) من طريق  
عامر بن عبد الله بن الزبير، عن عبد الله بن الزبير، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ  
الْحَدِيثَ، وَقَالَ: سَبْحَانَ الَّذِي {يَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}، ثُمَّ يَقُولُ:  
إِنَّ هَذَا لَوَعِيدٌ شَدِيدٌ لَأَهْلِ الْأَرْضِ.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٦٠).

(٣) فِي (ج): يَزْجُرُ بِهِ.

(٤) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٣٧٠).

(٥) فِي (ر): أَنَّهُ صَوْتُ الْمَسْمُوعِ.

وإنما خصَّ الرَّعد بالتَّسبيح؛ لأنَّه من أعظم الأصوات.  
قال ابنُ الأنباري: وإخباره عن الصَّوت بالتَّسبيح مجازٌ، كما يقول  
القائل: قد غمَّني كلامُكَ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ في هاءِ الكناية قولان:  
أحدهما: أنَّها ترجعُ إلى الله عزَّ وجلَّ، وهو الأظهرُ.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يخافون الله، وليس كخوفِ ابنِ آدمَ، لا يعرفُ  
أحدهمَ مَنْ على يمينه وَمَنْ على يساره، ولا يُشغله عن عِبادةِ الله شيءٌ<sup>(٢)</sup>.  
والثَّاني: أنَّها ترجعُ إلى الرَّعد، ذكره الماورديُّ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾  
اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها نزلت في أربدَ بنِ قيسٍ، وعامرِ ابنِ الطفيل، أتيا إلى رسولِ  
الله ﷺ يريدان الفتنَ به، فقال: «اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ» فأما أربدُ فأرسلَ  
اللهُ تعالى عليه صاعقةً في يومٍ صائفٍ صاحٍ فأحرقتُه، وأما عامرٌ فأصابته غدةٌ  
فهلكَ، فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةَ، هذا قولُ الأكثرينَ، منهم ابنُ جريجٍ، وأربدُ  
[٤٢٣/ب] هو أخو لبيد بنِ ربيعةَ لأُمِّه<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكر عنه ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣١٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ١٠)، والتفسير البسيط (١٢ / ٣١٥) عن ابن عبَّاسٍ.

(٣) النكت والعيون (٣ / ١٠١).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٣٧٩) (١٠٦٠)، والطبري في تفسيره =

والثاني: أنها نزلت في رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: حدثني يا محمد عن إلهك، أياقوت هو؟ أذهب<sup>(١)</sup> هو؟ فنزلت على السائل صاعقة فأحرقته، ونزلت هذه الآية، قاله علي [بن أبي طالب]<sup>(٢)</sup> عليه السلام<sup>(٣)</sup>. قال مجاهد: وكان يهودياً<sup>(٤)</sup>.

وقال أنس بن مالك: بعث رسول الله ﷺ إلى بعض فراعة العرب يدعوه إلى الله تعالى فقال للرسول: وما الله، أمّن ذهب [هو]<sup>(٥)</sup>، أم من فضة، أم من نحاس؟ فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «ارجع إليه

= (١٦ / ٣٩٣)، وأبو نعيم في الدلائل (١ / ٦٦) من طريق عطاء بن يسار عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ / ٤١) بسبب عبد العزيز ابن عمران. قلت: هو متروك، كما في تقريب التهذيب (١ / ٥١١) (١١٤٢).

(١) في (ج): أم ذهب.

(٢) من (ج).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٩١) (٢٠٢٦٩) من طريق أبي روق عن أيوب، عن علي، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! حدثني من هذا الذي تدعو إليه؟ أياقوت هو، أذهب هو أم ما هو؟ قال: «نزلت على السائل الصاعقة فأحرقته، فأنزل الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾... الآية. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٢) إلى ابن جرير.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٣٩١) (٢٠٢٦٧) من طريق عن أبي بكر بن عياش، عن ليث، عن مجاهد، قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: أخبرني عن ربك من أي شيء هو، من لؤلؤ أو من ياقوت؟ فجاءت صاعقة فأخذته، فأنزل الله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾.

(٥) من (م).

فَازْغُهُ»، فَرَجَعَ<sup>(١)</sup>، فَأَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ، إِلَى أَنْ رَجَعَ إِلَيْهِ ثَالِثَةً، فَبَيْنَمَا هُمَا يَتَرَا جَعَانِ الْكَلَامَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى سَحَابَةً حِيَالَ رَأْسِهِ، فَرَعَدَتْ وَوَقَعَتْ مِنْهَا صَاعِقَةٌ فَذَهَبَتْ بِقُحْفِ رَأْسِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَتَمَّا نَزَلَتْ<sup>(٣)</sup> فِي رَجُلٍ أَنْكَرَ الْقُرْآنَ وَكَذَّبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَهْلَكَتُهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يُكَذِّبُونَ بِعِظَمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: يُخَاصِمُونَ فِي اللَّهِ؛ حَيْثُ قَالَ قَائِلُهُمْ: أَهْوَمِنْ ذَهَبَ، أَمْ<sup>(٤)</sup> مِنْ فِضَّةٍ؟ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: شَدِيدُ الْأَخْذِ، قَالَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

(١) ليست في (ر).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٥٩)، والطبراني في الأوسط (٢٦٠٢)، الطبري في تفسيره (٣٩٢ / ١٦) (٢٠٢٧٠)، والعقيلي في الضعفاء (٢٣٢ / ٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٠٤) من طريق عبد الله بن عبد الوهاب، قال: ثنا علي بن أبي سارة الشيباني، قال: ثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك... فذكر الحديث.

(٣) ليست في (ج)، و(م).

(٤) في (ج)، و(ر): أو.



والثاني: شديد المكر، شديد العداوة، رواه الضحَّاك عن ابن عباس.

والثالث: شديد العقوبة، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وقال مجاهد في رواية عنه: شديد الانتقام<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبيدة: شديد العقوبة والمكر والتَّكال<sup>(٢)</sup>، وأنشد للأعشى [من الخفيف]:

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُضَنِ الْمَجْدِ      غَزِيرُ النَّدى شَدِيدُ الْمَحَالِ  
إِنْ يُعَاقَبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُغْ      طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُيَالِي<sup>(٣)</sup>

وقال ابن قتيبة: شديد الكَيْد<sup>(٤)</sup> والمكر، وأصل المحال: الحيلة<sup>(٥)</sup>.

والرابع: شديد القوة، قاله مجاهد.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦٢٧) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣٢٥).

(٣) البيت الأول في ديوانه (ص: ٧-٩)، ومجاز القرآن (١ / ٣٢٥)، والزاهر (١ / ١٠٢)، والعين (٣ / ٢٤١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣ / ٤٨٥).

والبيت الثاني في ديوانه (ص: ٩)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١ / ٣٢٥)، وتفسير الطبري (١٩ / ٣٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٥ / ٤٨)، والمعنى: إن يعاقب هذا الممدوح أعداءه يكن هلاكًا ملازمًا لهم وإن يعط المسائل عطاءً جزيلاً فإنه لا ييالي بذلك العطاء فهو شجاع جواد.

(٤) في (ر)، و(م): اليد.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٦).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ مَا حَلَّتْهُ مَحَالًا؛ إِذَا قَاوَيْتُهُ حَتَّى تَبَيَّنَ<sup>(١)</sup> لَهُ أَيُّكُمَا الْأَشَدُّ، وَالْمَحَلُّ فِي اللُّغَةِ: الشَّدَّةُ<sup>(٢)</sup>.

والخامس: شَدِيدُ الْحَقْدِ، قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِيمَا سَمِعْنَاهُ عَنْهُ مُسْنَدًا مِنْ طَرِيقٍ.

وَقَدْ رَوَاهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ مِنْهُمْ ابْنُ الْأَثَرِيِّ، وَالنَّقَّاشُ، وَلَا يُجُوزُ هَذَا فِي صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ النَّقَّاشُ: هَذَا قَوْلٌ مُنْكَرٌ عِنْدَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالنَّظَرِ فِي اللُّغَةِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ<sup>(٣)</sup> هَذِهِ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالَّذِي اخْتَارَهُ فِي هَذَا مَا قَالَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: شَدِيدُ الْأَخْذِ، يَغْنِي: أَنَّهُ إِذَا أَخَذَ الْكَافِرَ وَالظَّالِمَ لَمْ يُفْلِتْهُ مِنْ عُقُوبَاتِهِ.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١١) ﴿[الرعد: ١٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَهِيَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَهُ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْجَمْهُورُ، فَالْمَعْنَى: لَهُ مِنْ خَلْقِهِ الدَّعْوَةُ الْحَقُّ، فَأُضِيفَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْحَقِّ؛ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.

(١) فِي (ج): بَيْنَ.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ١٤٣).

(٣) فِي (م) تَكُونُ.

وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْحَقُّ، فَمَنْ دَعَاهُ دَعَا الْحَقَّ، قَالَهُ الْحَسَنُ.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني: الأصنامَ يَدْعُونَهَا آلِهَةً.

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْمَعْنَى: وَالَّذِينَ يَدْعُونَ غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ أي: لَا يُجِيبُونَهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفْتَهُ إِلَى الْمَاءِ﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْعَطْشَانُ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الْبِئْرِ لِيَرْتَفِعَ الْمَاءُ إِلَيْهِ وَمَا هُوَ  
بِبَالِغِهِ، قَالَهُ عَلِيُّ [بْنُ أَبِي طَالِبٍ]<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَطَاءٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الرَّجُلُ الْعَطْشَانُ قَدْ وَضَعَ كَفَّهُ فِي الْمَاءِ وَهُوَ لَا يَرْفَعُهُمَا،  
رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الْعَطْشَانُ يَرَى خِيَالَهُ فِي الْمَاءِ مِنْ بَعِيدٍ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ  
يَتَنَاوَلَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ الرَّجُلُ يَدْعُو الْمَاءَ بِلِسَانِهِ وَيُشِيرُ إِلَيْهِ بِيَدِهِ فَلَا يَأْتِيهِ  
أَبَدًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ الْبَاسِطُ كَفَّهُ لِيَقْبِضَ عَلَى الْمَاءِ حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَى فِيهِ، لَا  
يَتِمُّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْعَرَبُ: تَقُولُ مَنْ طَلَبَ مَا لَا يَجِدُ فَهُوَ كَالْقَابِضِ<sup>(٣)</sup> عَلَى  
الْمَاءِ، وَأَنْشَدُوا [مَنْ الطَوِيلُ]:

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٢٦).

(٢) من (ر).

(٣) في (ج)، و(م): الْقَابِضُ.

وَأَيُّ وَإِيَّاكُمْ وَشَوْقًا إِلَيْكُمْ كَقَابِضِ مَاءٍ لَمْ تَسْقَهُ أَنَامِلُهُ<sup>(١)</sup>

أي: لم تحمله، والوسق: الحمل، وقال الآخر<sup>(٢)</sup> [من الطويل]:

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا مِنْ الْوَدِّ مِثْلَ الْقَابِضِ الْمَاءِ بِالْيَدِ<sup>(٣)</sup>

هذا قول أبي عبيدة<sup>(٤)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: وما دعاء الكافرين ربهم<sup>(٦)</sup> إلا في ضلال؛ لأن أضوائهم محجوبة عن الله عز وجل، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: وما عبادة الكافرين الأصنام [إلا]<sup>(٧)</sup> في خسران وباطل، قاله مقاتل<sup>(٨)</sup>.

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمي، وانظر البيت في مجاز القرآن (١ / ٣٢٧)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٢٤)، ومقاييس اللغة (٦ / ١٠٩)، تفسير الطبري (١٦ / ٣٩٩).

(٢) في (ج)، و(ر): آخر.

(٣) البيت للأحوص بن محمد بن الأنصاري، وهو في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١ / ٣٣٧)، وتفسير الطبري (١٦ / ٤٠٠)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٥ / ٢٦٠)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢ / ٣٢٥).

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣٢٧).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٦).

(٦) ليست في (ج).

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) تفسير مقاتل (٢ / ٣٧٢).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝﴾  
 ﴿الرعد: ١٥﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾؛ أي: مِنَ الملائكة، {وَمَنْ فِي  
 {الْأَرْضِ} مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾<sup>(١)</sup>.

وفي معنى سُجُودِ السَّاجِدِينَ كَرَهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ سُجُودٌ مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ بِالسَّيْفِ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

والثاني: أَنَّهُ سُجُودٌ ظِلُّ الْكَافِرِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أَنَّ سُجُودَ الْكَارِهِ تَذَلُّهُ وَانْقِيَاذُهُ لِمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ  
 مِنْ عَافِيَةٍ وَمَرْضٍ وَغِنًى وَفَقْرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ظِلَالُ السَّاجِدِينَ طَوْعًا  
 وَكَرْهًا، وَسُجُودُهَا: تَمَاطُلُهَا مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ، وَانْقِيَاذُهَا لِلتَّشْخِيرِ  
 بِالطُّوْلِ وَالْقِصَرِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: قَالَ اللَّغَوِيُّونَ: الظِّلُّ: مَا كَانَ بِالْغَدَوَاتِ قَبْلَ  
 انْبِسَاطِ الشَّمْسِ، وَالْفَيْءُ: مَا كَانَ بَعْدَ انْصِرَافِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ فَيْئًا؛  
 لِأَنَّهُ فَاءٌ؛ أَي: رَجَعَ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ تَبْسُطَ الشَّمْسُ، وَمَا  
 كَانَ سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ظِلٌّ، نَحْوُ ظِلِّ الْإِنْسَانِ، (وَظِلُّ الْجِدَارِ)<sup>(٣)</sup>، وَظِلُّ

(١) من (ر)، و(م).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٣).

(٣) ليست في (ر).

الثَّوْبِ، وَظِلُّ الشَّجَرَةِ<sup>(١)</sup>، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ [مِن الطَّوِيلِ]:

فَلَا الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ وَلَا الْفَيَّءُ مِنْ بَرْدِ الْعَيْشِيِّ تَذُوقُ<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ لَبِيدٌ [مِن الرَّمَلِ]:

يَبْنِمَا الظِّلُّ ظَلِيلٌ مُؤَنِقٌ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيْهِ فَاضْمَحَلَّ<sup>(٣)</sup>

وَقَالَ الْآخَرُ<sup>(٤)</sup> [مِن الطَّوِيلِ]:

أَيَا أَثْلَاثِ الْقَاعِ مِنْ بَطْنِ تَوْضِحٍ حَيْنِي إِلَى أَظْلَالِكُنَّ طَوِيلُ<sup>(٥)</sup>

[٤٢٤/ب] وَقِيلَ: إِنَّ الْكَافِرَ يَسْجُدُ لِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَظَلُّهُ يَسْجُدُ لِلَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ

شَرَحْنَا مَعْنَى الْغُدُوِّ وَالْأَضَالِ فِي الْأَعْرَافِ [آيَة: ٧].

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٧٥).

(٢) البيت في ديوانه (ص: ٧٠)، وإصلاح المنطق (ص: ٣٢٠)، والصحاح؛ للجوهري (١/ ٦٣)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٦٨)، والبيت قاله يصف سَرَخَةَ شَجَرِ عِظَامِ طَوَالٍ وَكُنِيَ بِهَا امْرَأَةً. وَالشَّاهِدُ: أَنَّهُ جَعَلَ الظِّلَّ وَقْتَ الضُّحَى؛ لِأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَنْسَخْهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ.

(٣) البيت بلا نسبة في قصر الأمل؛ لابن أبي الدنيا (ص: ١٩٦) لكن الرواية: «إِنَّمَا الدُّنْيَا كَفَيْءٍ زَائِلٍ»، وروضة العقلاء (ص: ٢٧٩)، والبلدان؛ لابن الفقيه (١٠٣)، والعقد الفريد (٦/ ٢٣٩)، وهو لأبي الشعر موسى بن سحيم في الأمثال والحكم (ص: ١٨٠).

(٤) في (م): آخر.

(٥) البيت ليحيى بن طالب الحنفي في أمالي القاضي (١/ ١٢٣)، والحماسة البصرية (٢/ ٢٠٣)، وزهر الأكم في الأمثال والحكم (٣/ ١٠٢)، ومصارع العشاق (١/ ٢٩٤)، والفرج بعد الشدة؛ للتنوخي (٤/ ٢٦٨).

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: ١٦].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾.

إنما جاء السؤال والجواب من جهة؛ لأن المشركين لا يُنكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم يُنكروا؛ كان كأنهم أجابوا.

ثم ألزمهم الحجة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: الأصنام توليتموهم فعبدتموهم وهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا، فكيف بغيرهم؟<sup>(١)</sup> ثم ضرب مثلاً للذي يعبد الأصنام والذي يعبد الله بقوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ يعني<sup>(٢)</sup>: المشرك والمؤمن ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَتُ وَالنُّورُ﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، (وابن عامر)<sup>(٣)</sup>، وحفص، عن عاصم: «تستوي» بالتاء. (وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «يستوي» بالياء)<sup>(٤)(٥)</sup>.

(١) في (ج)، و(ف)، و(ر)، و(م): لغيرهم.

(٢) في (ج): أي.

(٣) ليست في (ج).

(٤) ما بين الهلايين ساقط من (ج).

(٥) قرأتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: التَّائِيْتُ حَسَنٌ؛ لِأَنَّهُ فَعُلَ مُؤَنَّثٌ، وَالتَّذْكِيرُ سَائِعٌ؛ لِأَنَّهُ تَائِيْتُ غَيْرُ حَقِيقِيٍّ<sup>(١)</sup>.

ويعني بالظلمات والنور: الشرك والإيمان.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: مَعْنَاهُ: أَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾ فَتَشَابَهَ خَلْقُ اللَّهِ بِخَلْقِ هَؤُلَاءِ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٌ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا، بَلْ إِذَا فَكَّرُوا عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْخَلْقِ، وَغَيْرُهُ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: قُلْ ذَلِكَ وَبَيَّنَّهٖ بِمَا أُخْبِرَتْ بِهِ مِنَ الدَّلَالَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِمَّا<sup>(٣)</sup> يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي «يُوسُفَ» مَعْنَى الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ<sup>(٤)</sup>.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝١٧ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَهُمْ فِيهَا يَلْمَهُدُ ۝١٨﴾ [الرعد: ١٧ - ١٨].

(١) الحجة للقراء السبعة (٥ / ١٥).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٣٠).

(٣) في (ج): ما.

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٤٥).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يَغْنِي: الْمَطَرَ ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ وَهِيَ جَمْعُ وَادٍ؛ وَهُوَ كُلُّ مُنْفَرَجٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ مَاءُ الْمَطَرِ فَيَسِيلُ ﴿يَقْدَرُهَا﴾؛ أَي: بِمَبْلَغٍ مَا تَحْمَلُ، فَإِنْ صَغُرَ الْوَادِي؛ قَلَّ الْمَاءُ، وَإِنْ [هُوَ] <sup>(١)</sup> اتَّسَعَ؛ كَثُرَ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَأَيُّوبُ، وَابْنُ يَعْمُرَ، وَأَبُو حَاتِمٍ عَنْ يَعْقُوبَ: «بَقْدَرُهَا» بِاسْكَانِ الدَّالِ <sup>(٢)</sup>.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ﴾ تَوْسَعُ فِي الْكَلَامِ، وَالْمَعْنَى: سَالَتْ مِيَاهُهَا، فَحُذِفَ الْمُضَافُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «بَقْدَرُهَا»؛ أَي: بِقَدْرِ مِيَاهِهَا. ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾؛ أَي: عَالِيًا فَوْقَ الْمَاءِ، وَهَذَا مِثْلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ ضَرَبَ مِثْلًا آخَرَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَتَا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «تُوقِدُونَ [عَلَيْهِ]» <sup>(٣)</sup> بِالتَّاءِ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ بِالْيَاءِ <sup>(٤)</sup>.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ؛ فَلِمَّا قَبْلَهُ مِنَ الْخِطَابِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَأَتَّخِذُهُمُ﴾، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا عَامًّا لِلْكَافَّةِ. وَمَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ فَلَأَنَّ ذِكْرَ الْغَيْبَةِ قَدْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ <sup>(٥)</sup>.

(١) من (ر)، و(م).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧١).

(٣) من (ج)، و(م).

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٣).

(٥) الحجة للقراء السبعة (٥ / ١٦).

ويعني بقوله: ﴿وَمَتَّيُودُونَ [عَلَيْهِ]﴾<sup>(١)</sup>: مَا يَدْخُلُ إِلَى النَّارِ فَيُذَابُ مِنْ  
[٤٢٥/أ] الجواهر ﴿أَبْيَغَاءَ حَلِيَّةٍ﴾ يعني: الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ﴿أَوْ مَتَّعَ﴾ يعني: الْحَدِيدَ وَالصُّفْرَ  
وَالنُّحَاسَ وَالرَّصَاصَ، تُتَّخَذُ<sup>(٢)</sup> مِنْهُ الْأَوَانِي وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي يُنْتَفَعُ بِهَا، ﴿زَبْدٌ مِثْلُهُ﴾؛  
أي: [له] <sup>(٣)</sup> زَبْدٌ إِذَا أُذِيبَ مِثْلُ زَبَدِ السَّيْلِ، فَهَذَا مِثْلُ آخَرٍ.

وفِيمَا ضُرِبَ لَهُ هَذَانِ الْمَثَلَانِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ الْقُرْآنُ، شَبَّهَ نُزُولَهُ مِنَ السَّمَاءِ بِالْمَاءِ، وَشَبَّهَ قُلُوبَ الْعِبَادِ  
بِالْأُودِيَةِ تَحْمِلُ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ الْيَقِينِ وَالشَّكِّ، وَالْعَقْلِ وَالْجَهْلِ، فَيَسْتَكِينُ  
فِيهَا، (فَيَنْتَفِعُ الْمُؤْمِنُ بِمَا فِي قَلْبِهِ كَانْتِفَاعِ الْأَرْضِ الَّتِي يَسْتَقِرُّ فِيهَا)<sup>(٤)</sup> الْمَطَرُ،  
وَلَا يَنْتَفِعُ الْكَافِرُ بِالْقُرْآنِ لِمَكَانِ شَكِّهِ وَكُفْرِهِ، فَيَكُونُ مَا حَصَلَ عِنْدَهُ مِنَ  
الْقُرْآنِ كَالزَّبَدِ وَكَحَبْثِ الْحَدِيدِ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، فَالْحَقُّ مُشَبَّهٌ<sup>(٥)</sup> بِالْمَاءِ الْبَاقِي<sup>(٦)</sup> الصَّافِي،  
وَالْبَاطِلُ<sup>(٧)</sup> مُشَبَّهٌ بِالزَّبَدِ الذَّاهِبِ، فَهُوَ وَإِنْ عَلَا عَلَى الْمَاءِ فَإِنَّهُ سَيُمْحَقُ،  
كَذَلِكَ الْبَاطِلُ، وَإِنْ ظَهَرَ عَلَى الْحَقِّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ سَيُطْلَهُ.

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في (ر): يتخذ.

(٣) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ج).

(٥) في (م): شبه.

(٦) في (ج): الناقِي.

(٧) في الأصل: الباقي، والمثبت من سائر النسخ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ ضُرِبَ<sup>(١)</sup> لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَمَثَلَ الْمُؤْمِنِ وَاعْتَقَادِهِ وَعَمَلِهِ كَالْمَاءِ الْمُنْتَفِعِ بِهِ، وَمَثَلَ الْكَافِرِ وَاعْتَقَادِهِ وَعَمَلِهِ<sup>(٢)</sup> كَالزَّبْدِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ﴾؛ أي: كَمَا ذَكَرَ هَذَا، يَضْرِبُ [اللَّهُ]<sup>(٣)</sup> مَثَلَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: كَذَلِكَ يُمَثَّلُ اللَّهُ الْحَقُّ وَيُمَثَّلُ الْبَاطِلُ<sup>(٤)</sup>.

فَأَمَّا الْجُفَاءُ: فَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُوَ مَا رَمَى بِهِ الْوَادِي إِلَى جَنَابَتِهِ، يُقَالُ: أَجْفَأَتِ الْقَدْرُ بِزَبْدِهَا؛ إِذَا أَلْقَتْهُ عَنْهَا<sup>(٥)</sup>.

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: الْجُفَاءُ: مَا نَفَاهُ السَّيْلُ، وَمِنْهُ اسْتِيقَاقُ الْجُفَاءِ<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: «جُفَاء»؛ أي: بَالِيَا مُتَفَرِّقًا<sup>(٧)</sup>. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِذَا مُسَّرَ الزَّبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ مِنَ الْمَاءِ وَالْجَوَاهِرِ الَّتِي زَالَ زَبْدُهَا ﴿فَيَمَكْتُ فِي الْأَرْضِ﴾ فَيَنْتَفِعُ بِهِ ﴿كَذَلِكَ﴾ يَبْقَى الْحَقُّ لِأَهْلِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يَعْنِي: الْكُفَّارَ.

(١) في (ف)، و(م) أنه مثل ضربه الله.

(٢) ليست في (ج).

(٣) مز (م).

(٤) مجز القرآن (١ / ٣٢٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٦) مقيس اللغة (١ / ٤٦٦).

(٧) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٢٦٥).

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: اسْتَجِبْتُ لَكَ وَاسْتَجِبْتُكَ سَوَاءً، وَهُوَ بِمَعْنَى: أَجَبْتُ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْحُسْنَى ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْجَنَّةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْجَمْهُورُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا الْحَيَاةُ وَالرِّزْقُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّلَاثُ: كُلُّ خَيْرٍ مِنَ الْجَنَّةِ فَمَا دُونَهَا، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَقْدُوايَهُ﴾ أَي: لَجَعَلُوهُ فِدَاءً أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ.

وَفِي سُوءِ الْحِسَابِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْمُنَاقَشَةُ بِالْأَعْمَالِ، رَوَاهُ أَبُو الْجَوَزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ النُّخَعِيُّ: هُوَ أَنْ يَحَاسِبَ بِذَنْبِهِ كُلَّهُ، فَلَا يُغْفَرُ لَهُ مِنْهُ شَيْءٌ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ حَسَنَةٌ، وَلَا يُتَجَاوَزَ لَهُمْ عَنْ سَيِّئَةٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ التَّوْبِيخُ وَالتَّقْرِيعُ عِنْدَ الْحِسَابِ.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٢٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤١٧) (٢٠٣٢٧)، قال: حدثني يعقوب قال: حدثنا ابن عليه قال: حدثني الحجاج بن أبي عثمان قال: حدثني فرقد السبخي قال: قال إبراهيم النخعي: يا فرقد أتدري ما «سوء الحساب»؟ قلت: لا! قال: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء. وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (١١٦٧- تفسير) من طريق آخر عن إبراهيم بمعناه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥٦) إلى أبي الشيخ.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَزْوَاجُ الْأَلْبَابِ ۖ﴾ (١٩)

[الرعد: ١٩].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ قال ابن عباس: نزلت في حمزة، وأبي جهل<sup>(١)</sup>. ﴿إِنَّمَا يَنْذَرُكَ﴾ أي: [إنها]<sup>(٢)</sup> يتعظ ذوو العقول. والتذكُّر: الإلتعاض.

[٤٢٥/ب]

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ۚ﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۖ﴾ (٢١) [الرعد: ٢٠ - ٢١].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ في هذا العهد قولان:

أحدهما: أنه ما عاهدهم عليه حين استخر جهم من ظهر آدم. والثاني: ما أمرهم به وفرضه عليهم.

وفي الذي أمر الله [به]<sup>(٣)</sup> عز وجل، أن يوصل ثلاثة أقوال قد نسبناها إلى قائلها في أول سورة البقرة [آية: ٧٢]، وقد ذكرنا سوء الحساب آنفاً.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۚ﴾ (٢٢) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۖ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۚ﴾ (٢٤) [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٣٨).

(٢) من (ج)، و(م).

(٣) من (ر)، و(م).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾؛ أَي: عَلَى مَا أَمُرُوا بِهِ ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾؛ أَي: طَلَبًا لِرِضَاهُ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أَمَتُوهَا ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ مِنْ الْأَمْوَالِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ بِالصَّلَاةِ: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَبِالْإِنْفَاقِ: الزَّكَاةَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُوهُنَّ﴾؛ أَي: يَدْفَعُونَّ ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾.

وَفِي الْمَرَادِ بِهِمَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: يَدْفَعُونَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الشَّرَّ مِنَ الْعَمَلِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: يَدْفَعُونَ بِالْمَعْرُوفِ الْمُنْكَرَ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّلَاثُ: بِالْعَفْوِ الظُّلْمَ، قَالَهُ جُوَيْرٍ.

وَالرَّابِعُ: بِالْحِلْمِ السَّفَهَ؛ كَأَنَّهُمْ إِذَا سَفَهَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَالْخَامِسُ: بِالتَّوْبَةِ الذَّنْبَ، قَالَهُ ابْنُ كَيْسَانَ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَغْفَبِ الدَّارَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ: عُقْبَاهُمْ

الْجَنَّةَ؛ أَي: تَصِيرُ الْجَنَّةُ آخِرَ أَمْرِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٤٢١) (٢٠٣٣٥) عَنْ عَلِيٍّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يَغْنِي: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِرًا وَعَلَانِيَةً﴾ يَقُولُ: الزَّكَاةَ.

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٢٧).

(٣) ذَكَرَ عَنْ ذَلِكَ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ٢٧٥)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٣٤٠).

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٣٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ وقرأ ابنُ أبي عبَّلة: «صَلَح» بضم اللام<sup>(١)</sup>.  
ومعنى «صلح»: آمن، وذلك أنَّ الله تعالى ألحقَ بالمؤمن أهلَه المؤمنين؛  
إكراماً له، لتقرَّ عينُه بهم.  
﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ قال ابنُ عباس: بالتَّحِيَّةِ مِنَ الله  
تعالى والتَّحْفَةِ والهدايا<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال الزَّجَّاج: أضمَر القولَ هاهنا؛ لأنَّ في  
الكلام دليلاً عليه<sup>(٣)</sup>.  
وفي هذا السَّلام قولان:  
أحدهما: أنَّه التَّحِيَّةُ المعروفة، يدخل الملكُ فيسلم وينصرف.  
قال ابنُ الأثيري: وفي قوله<sup>(٤)</sup>: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قولان:  
أحدهما: أنَّ السَّلام: الله عزَّ وجلَّ، والمعنى: الله عليكم؛ أي: على حفظكم.  
والثَّاني: أنَّ المعنى: السَّلامَةُ عليكم، فالسَّلامُ جمع: سلامة<sup>(٥)</sup>.

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٨)، والكامل (ص: ٢٠٧)، والبحر المحيط (٥ / ٣٨٧).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٤٧).

(٤) في (ج)، (ر)، و(م): قول المُسلم.

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٦٤).

والثاني: أَنْ مَعْنَاهُ: إِنَّمَا سَلَّمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ وَشَرِّهَا بِصَبْرِكُمْ فِي الدُّنْيَا.

وفِيهَا صَبَرُوا عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَمَرُ اللَّهِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّانِي: فَضُولُ الدُّنْيَا، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالثَّالِثُ: الدِّينَ.

وَالرَّابِعُ: الْفَقْرُ، رُوِيَ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ فَقْدُ الْمَخْبُوبِ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝١٥﴾ [الرعد: ٢٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ قَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي [سُورَةِ] <sup>(١)</sup> الْبَقَرَةِ [آيَةِ: ٧٢]. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي كُفَّارِ أَهْلِ الْكِتَابِ <sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ ؛ أَي: عَلَيْهِمُ.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ ۝٢٦﴾ [الرعد: ٢٦].

(١) مِنْ (م).

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٣٧٦).



قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: يُوسِّعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُضَيِّقُ ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مُشْرَكِي مَكَّةَ، فَرِحُوا بِمَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا فَطَغَوْا وَكَذَّبُوا الرُّسُلَ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾؛ أي: بِالْقِيَاسِ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهَا ﴿إِلَّا مَتَّعٌ﴾؛ أي: كَالشَّيْءِ الَّذِي يُتَمَتَّعُ بِهِ، ثُمَّ يَفْنَى. [٢٦٤/أ]

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ (٢٧) [الرعد: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ طَلَبُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ آيَاتِ الْأَنْبِيَاءِ<sup>(٣)</sup>.

﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ أي: يَرُدُّهُ عَنِ الْهُدَى كَمَا رَدَّكُمْ بَعْدَمَا أَنْزَلَ مِنَ الْآيَاتِ وَحَرَّمَكُمْ الْإِسْتِدْلَالَ بِهَا ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾؛ أي: رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ، وَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى الْحَقِّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ رَجُوعَهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٤٤).

(٢) في الأصل: القياس، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٤٤).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨)  
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩].  
 قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا بدلٌ من قوله: ﴿أَنَابَ﴾، والمعنى:  
 يَهْدِي الَّذِينَ آمَنُوا.

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ في هذا الذِّكْرِ قولان:  
 أحدهما: أَنَّهُ الْقُرْآنُ.

والثاني: ذَكَرُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وفي معنى هذه الطَّمَأْنِينَةِ قولان:

أحدهما: أَنَّهَا الْحُبُّ لَهُ وَالْأُنْسُ بِهِ.

والثاني: السُّكُونُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ، بِخِلَافِ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ  
 اشمأزَّتْ قُلُوبُهُمْ.

قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: «أَلَا» حَرْفُ تَنْبِيهِ  
 وَابْتِدَاءٍ، وَالْمَعْنَى: تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّتِي هِيَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْكَافِرَ  
 غَيْرُ مُطْمَئِنِّ الْقَلْبِ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ فِيهِ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا طُوبَى؟ قَالَ: «شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ<sup>(١)</sup>، ثِيَابُ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ أَكْثَامِهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: طُوبَى شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، يَقُولُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لَهَا: نَفْتَقِي لِعَبْدِي عَمَّا شَاءَ، فَتَفْتَقُ لَهُ عَنِ الْخَيْلِ بِسُرُوحِهَا وَجُمْهَها، وَعَنِ الْإِبِلِ بِأَزْمَتِهَا، وَعَمَّا شَاءَ مِنَ الْكِسْوَةِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: طُوبَى: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، كُلُّ شَجَرِ الْجَنَّةِ مِنْهَا أَغْصَانُهَا، مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا مَذْهَبُ عَطِيَّةَ، وَشَمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ، وَمَغِيثُ بْنُ سَمِيٍّ، وَأَبِي صَالِحٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ اسْمُ الْجَنَّةِ بِالْحَبَشِيَّةِ، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(١) في (ج)، و(ر): سنة.

(٢) أخرجه ابن أبي داود في البعث (٦٧)، وابن حبان (٧٤١٣)، والآجري في الشريعة (٦٢٤)، من طريق ابن وهب به، وأخرجه أحمد في مسنده (١١٦٧٣)، وأبو يعلى (١٣٧٤)، والخطيب في تاريخه (٩٠ / ٤)، من طريق دراج به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥٩ / ٤) إلى أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٦ / ٢)، والطبري في تفسيره (٤٣٨ / ١٦)، وابن المبارك في الزهد (٧٥ / ٢)، ومن طريقه البغوي في معالم التنزيل (٣١٦ / ٤)، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (١١٥ / ٤)، وفيه شهر بن حوشب، مختلف فيه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٨ / ١٦) (٢٠٣٨٥).

[قَالَ الْمُصَنَّفُ<sup>(١)</sup>]: وَقَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ [اللُّغَوِيِّ]<sup>(٢)</sup>، عَنْ سَعِيدِ بْنِ مَسْجُوحٍ<sup>(٣)</sup>، قَالَ: طُوبَى: اسْمُ الْجَنَّةِ بِالْهِنْدِيَّةِ<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُ اسْمُ الْجَنَّةِ عَكْرِمَةٌ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ كَالْقَوْلَيْنِ:

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ مَعْنَى طُوبَى هُمْ: فَرَحٌ وَقُرَّةُ عَيْنٍ هُمْ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: نَعْمَى هُمْ، قَالَهُ عَكْرِمَةٌ فِي رِوَايَةٍ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْهُ: نِعَمَ مَا لَهُمْ<sup>(٥)</sup>.

وَالْخَامِسُ: غَبْطَةٌ هُمْ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ.

وَالسَّادِسُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: خَيْرٌ هُمْ، قَالَهُ النَّخَعِيُّ فِي رِوَايَةٍ، وَفِي أُخْرَى عَنْهُ قَالَ: الْخَيْرُ وَالْكَرَامَةُ اللَّذَانِ أُعْطَاهُمُ<sup>(٦)</sup> اللَّهُ<sup>(٧)</sup>.

(١) من (م).

(٢) من (ج).

(٣) قال في المعجم الصغير لرواة الطبري (١ / ١٩٩): سعيد بن مسجوع، وقيل: ابن مسجوع، وقيل: ابن مسجوع، من الرابعة أو الثالثة، لم أعرفه، ولم يعرفه شاكر قبلي.

(٤) (المعجم (ص: ٤٤٦)، أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٣٦) (٢٠٣٧٦)، قال: حدثنا ابن حميد قال: حدثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن مسجوع في قوله: ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾ قال: ﴿طُوبَى﴾: اسم الجنة بالهندية.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٣٤) (٢٠٣٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٥٨) إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وهناد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ. (٦) في (ر): أعطاهما.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٣٦)، وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٤ / ١١١).

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: طُوبَى لَكَ؛ أَي: أَصْبَتْ خَيْرًا، وَهِيَ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ<sup>(١)</sup>.

وَالسَّابِعُ: حُسْنَى لَهُمْ، رَوَاهُ سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنِ الْحَسَنِ.

وَالثَّامِنُ: أَنَّ الْمَعْنَى: الْعَيْشُ الطَّيِّبُ لَهُمْ.

«وَطُوبَى» عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ: فُعِلَ مِنَ الطَّيِّبِ، هَذَا قَوْلُ الزَّجَّاجِ<sup>(٢)</sup>. [٤٢٦/ب]

وَقَالَ ابْنُ الْأَثَبَارِيِّ: تَأْوِيلُهَا: الْحَالُ الْمُسْتَطَابَةُ، وَالْخَلَّةُ الْمُسْتَلَذَّةُ، وَأَصْلُهَا: «طَبِي» فَصَارَتْ الْيَاءُ وَآوًا؛ لِسُكُونِهَا وَانْضِمَامِ مَا قَبْلَهَا، كَمَا صَارَتْ فِي «مُوقِن»، وَالْأَصْلُ فِيهِ: «مِيقِن»؛ لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الْيَقِينِ، فَغَلَبَتْ الضَّمَّةُ فِيهِ الْيَاءَ فَجَعَلَتْهَا وَآوًا<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَسُنَ مَا تَبِ﴾ الْمَابُ: الْمَرْجِعُ وَالْمُنْقَلَبُ.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَبَتُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾ أَي: كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ قَبْلَكَ.

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٣٣٥)، والطبري في جامع البيان (١٦/ ٤٣٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٤٨).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٤٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

فِي سَبَبِ نَزُولِهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَالَ لِكِفَّارِ قُرَيْشٍ: «اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ»، قَالُوا: وَمَا الرَّحْمَنُ؟<sup>(١)</sup> فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقِيلَ لَهُمْ: إِنَّ الرَّحْمَنَ الَّذِي أَتَّكُرْتُمْ هَوْرِيَّ، هَذَا قَوْلُ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا كِتَابَ الصُّلْحِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، كَتَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو: مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا مُسَيْلِمَةً<sup>(٢)</sup>، فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ يَدْعُو، وَأَبُو جَهْلٍ يَسْتَمِيعُ إِلَيْهِ وَهُوَ<sup>(٤)</sup> يَقُولُ: «يَا رَحْمَنُ»، فَوَلَّى مُدْبِرًا إِلَى<sup>(٥)</sup> الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا كَانَ<sup>(٦)</sup> يَنْهَانَا عَنْ عِبَادَةِ الْآلِهَةِ وَهُوَ يَدْعُو إِلَهَيْنِ فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، ذَكَرَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ<sup>(٧)</sup>.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٢٩٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٧٣).

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٥ / ٣١٨).

(٣) أخرجه الطبري (١٦ / ٤٤٥ - ٤٤٦) عن قتادة ومجاهد مرسلًا. وانظر: تفسير مقاتل (٢ / ٣٧٨).

(٤) في (ج): والنبي ﷺ.

(٥) في (ج): فولى أبو جهل إلى.

(٦) ليست في (ج).

(٧) التفسير البسيط (١٢ / ٣٤٩ - ٣٥٠).

قوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ مَتَابٌ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ مُصَدَّرُ ثَبْتُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلَّ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِصِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَرَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَصْيِبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرْيَةً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ [الرعد: ٣١].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾

سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: لَوْ وَسَعَتْ لَنَا أَوْدِيَةٌ مَّكَةَ بِالْقُرْآنِ، وَسُيِّرَتْ جِبَالُهَا فَاخْتَرْتُنَاهَا، وَأُخِيَّتْ مَن مَاتَ مِنَّا، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ: قَالَتْ قُرَيْشٌ لِّرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اذْعُ اللَّهُ أَنْ يُسَيِّرَ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ وَيُفَجِّرَ لَنَا الْأَرْضَ أَنْهَارًا فَتَنْزَرَعَ، أَوْ يُجْبِي لَنَا مَوْتَانًا، فَتُكَلِّمُهُمْ، أَوْ تُصِيرَ هَذِهِ الصَّخْرَةُ ذَهَبًا فَتُغْنِيَنَا عَنْ رَحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَقَدْ كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ آيَاتٌ، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٣)</sup>، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩].

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٣٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٧) (٢٠٣٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢/ ٤٠) (٦٧٩) من طريق عبد الجبار به، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٨٥) وأخرجه أيضًا الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٧٤).

ومعنى قوله: ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾؛ أي: شَقَّتْ فُجِعِلَتْ أَنْهَارًا، ﴿أَوْ  
كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾؛ أي: أَحْيَاوَا حَتَّى كَلَّمُوا.  
واختلفوا في جوابِ «لَوْ» على قولين:  
أحدهما: أَنَّهُ مَحْذُوفٌ.

وفي تقديرِ الكلامِ قولان:

أحدهما: أَنَّ تَقْدِيرَهُ: لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنَ، ذِكْرُهُ الْفَرَاءُ<sup>(١)</sup>، وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ قَتَادَةُ: لَوْ فَعَلَ هَذَا بَقُرْآنٍ غَيْرِ قُرْآنِكُمْ؛ لَفَعَلَ بَقُرْآنِكُمْ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ تَقْدِيرَهُ: لَوْ كَانَ هَذَا كُلُّهُ لَمَّا آمَنُوا، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ  
أَنَّا نَزَّلْنَاهُ لَيْلِيهِمُ الْمَلَكُكَةَ﴾... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [الأنعام: ١١١] قَالَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ جَوَابَ «لَوْ» مُقَدَّمٌ، وَالْمَعْنَى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ، وَلَوْ  
[٤٢٧/أ] أَنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ مَا سَأَلُوا، ذِكْرُهُ الْفَرَاءُ أَيْضًا<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾؛ أي: لَوْ شَاءَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَأَمَنُوا،  
وَإِذَا لَمْ يَشَأْ، لَمْ يَنْفَعْ مَا اقْتَرَحُوا مِنَ الْآيَاتِ.

(١) معاني القرآن (١ / ٩٨).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٢٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٤٩) (٢٠٤٠٤).

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٤٨).

(٥) معاني القرآن (٢ / ٦٣).



ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أَفَلَمْ يَأْنَيْسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أفلم يتبين، رواه العوفي عن ابن عباس، وروى عنه عكرمة: أنه كان يقرأها كذلك، ويقول: أظنُّ الكاتبَ كتبها وهو ناعِصٌ<sup>(١)</sup>، وهذا قول مجاهد، وعكرمة، وأبي مالك، ومقاتل<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أفلم يعلم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد.

وقال ابن قتيبة: ويقال: هي لغة للنخع<sup>(٣)</sup>: «يأس» بمعنى: «يعلم»<sup>(٤)</sup>، قال الشاعر [من الطويل]:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيَأْسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسٍ زَهْدَمَ<sup>(٥)</sup>  
وإنما وقع اليأس في مكان العلم؛ لأنَّ في علمك الشيءَ وتيقُّنك به:  
يَأْسُكَ مِنْ غَيْرِهِ.

والثالث: أن المعنى: قد يئس الذين آمنوا أن يهدوا واحداً، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، قاله أبو العالية.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦٣) إلى ابن جرير وابن الأنباري في المصاحف.

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٣٨٠).

(٣) النَّخْع: قبيلة كبيرة من مذحج باليمن.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٢٧-٢٢٨).

(٥) البيت لسحيم بن وثيل اليربوعي، كما في مجاز القرآن (١ / ٣٣٢)، وتفسير الطبري (١٦ / ٤٥٠)، وبلا نسبة في المعاني الكبير؛ لابن قتيبة (٢ / ١١٤٨) والميسر والقдах (ص: ٣٣).

وَالرَّابِعُ: أَفَلَمْ يَيَّاسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يُؤْمِنَ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكُونَ، قَالَهُ الْكَسَائِيُّ<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى عِنْدِي: أَفَلَمْ يَيَّاسِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ إِيمَانِ هَؤُلَاءِ  
الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِيهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْكُفَّارِ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّانِي: كُفَّارُ مَكَّةَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا الْقَارِعَةُ: فَقَالَ الزَّجَّاجُ: هِيَ فِي اللُّغَةِ: النَّازِلَةُ الشَّدِيدَةُ تَنْزِلُ  
بِأَمْرِ عَظِيمٍ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الْمَرَادِ بِهَا هَاهُنَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: السَّرَايَا وَالطَّلَائِعُ الَّتِي كَانَ يَنْفِذُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَهُ  
عِكْرِمَةُ<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٤٩).

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٣٨٠).

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٤٩).

(٥) في (ج): قاله عطاء.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاَلْمَعْنَى: أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، رَوَاهُ سَعِيدُ ابْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَقَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا الْقَارِعَةُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ قَوْلَانِ:

أحدهما: فَتُحْ مَكَّةَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: الْقِيَامَةُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظُنُّهُ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ يَغْنِي: نَفْسَهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَعْنَى الْقِيَامِ هَاهُنَا: التَّوَلَّى لِأُمُورِ خَلْقِهِ، وَالتَّدْبِيرُ لِأَرْزَاقِهِمْ وَآجَالِهِمْ، وَإِخْصَاءُ أَعْمَالِهِمْ لِلْجَزَاءِ، وَالْمَعْنَى: أَفَمَن هُوَ مُجَازِي<sup>(٢)</sup> كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، يُثَبِّتُهَا إِذَا أَحْسَنْتَ، وَيَأْخُذُهَا بِمَا جَنَّتْ، كَمَنْ لَيْسَ بِهِذِهِ الصِّفَةُ مِّنَ الْأَصْنَامِ؟.

(١) تفسير مقاتل (٢) / ٣٨٠.

(٢) في (ج): أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ لِيَجْزِيَ.

قَالَ الْفِرَاءُ: فَتَرَكَ جَوَابَهُ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَعْلُومٌ، وَقَدْ بَيَّنَّه بَعْدَ هَذَا [٤٢٧/ب] بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ كَأَنَّهُ قِيلَ: كُشِرَ كَائِهِمْ<sup>(١)</sup> (٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾؛ أَي: بِمَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَإِضَافَةُ الْأَفْعَالِ إِلَيْهِمْ إِنْ كَانُوا شُرَكَاءَ لِلَّهِ كَمَا يُسَمَّى [اللَّهُ]<sup>(٣)</sup> بِالْخَالِقِ، وَالرَّازِقِ، وَالْمَحْيِيِّ، وَالْمَمِيتِ، وَلَوْ سَمُّوهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا لَكَذَبُوا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ هَذَا اسْتِفْهَامٌ مَنْقُطِعٌ مِمَّا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: فَإِنْ سَمُّوهُمْ بِصِفَاتِ اللَّهِ، فَقُلْ لَهُمْ: أَتُنَبِّئُونَهُ؛ أَي: أَتُخْبِرُونَهُ بِشَرِيكِ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ لِنَفْسِهِ شَرِيكًا، وَلَوْ كَانَ لَعَلِمَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَمْ يَظُنُّ مِنَ الْقَوْلِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّانِي: بِبَاطِلٍ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّلَاثُ: بِكَلَامٍ لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا حَقِيقَةَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: زَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ الْكُفْرَ<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ر): شُرَكَائِهِمْ

(٢) مَعَانِي الْقُرْآن (٢/ ٦٤).

(٣) الْمَثْبُوتُ مِنْ جَمِيعِ النُّسخ.

(٤) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢/ ٣٦٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ: «وَصُدُّوا» بِفَتْحِ الصَّادِ، وَمِثْلُهُ فِي: «حَمِ الْمُؤْمِنُ» [غافر: ٣٧] وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَخَمَزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: «وَصُدُّوا» بِالضَّمِّ فِيهِمَا<sup>(١)</sup>. فَمَنْ فَتَحَ؛ أَرَادَ: صَدُّوا الْمُسْلِمِينَ، إِمَّا عَنِ الْإِيمَانِ، أَوْ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ. وَمَنْ ضَمَّ؛ أَرَادَ صَدَّهُمُ اللَّهُ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَى.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ (٣٤) [الرعد: ٣٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَالْأَسْرُ، وَالسَّقَمُ، فَهُوَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَذَابٌ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ كَفَّارَةٌ ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾؛ أَي: أَشَدُّ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾؛ أَي: مَانِعٌ يَقِيهِمْ عَذَابَهُ.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (٣٥) [الرعد: ٣٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾؛ أَي: صِفَتُهَا أَنَّ الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا، هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وَقَالَ ثَعْلَبٌ: خَبَرُ الْمَثَلِ مُضْمَرٌ قَبْلَهُ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَعْنَى: فِيمَا نَصِفُ لَكُمْ مَثَلُ الْجَنَّةِ، وَفِيمَا نَقُصُّ عَلَيْكُمْ خَبَرَ الْجَنَّةِ.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٥٩)، والتيسير (ص: ١٣٣).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٦٥).

﴿أَكُلْهَا دَائِمًا﴾ قَالَ الْحَسَنُ: يُرِيدُ أَنْ ثَارَهَا لَا تَنْقَطِعُ كَثَابَةُ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>  
﴿وَزَلَّهَا﴾؛ لِأَنَّهُ لَا يَزُولُ وَلَا تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ أَتَفَوْا﴾؛ أَي: عَاقِبَةُ أَمْرِهِمُ الْمَصِيرُ إِلَيْهَا.  
﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلِكْتَبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَخْرَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ  
قُلْ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلِكْتَبَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ مُسْلِمُو الْيَهُودِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: وَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَصْحَابُهُ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّلَاثُ: مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(٣)</sup>.

وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ: الْقُرْآنُ، فَرِحَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَصَدَّقُوهُ، وَفَرِحَ بِهِ  
مُؤْمِنُو أَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُ صَدَّقَ مَا عِنْدَهُمْ.

وَقِيلَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،  
سَاءَ لَهُمْ قَلَّةُ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فِي الْقُرْآنِ مَعَ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي التَّوْرَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ  
ذِكْرُهُ فَرِحُوا، وَكَفَرَ الْمُشْرِكُونَ بِهِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٧٣).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٣٨٢).

(٣) النكت والعيون (٣ / ١١٦).

فَأَمَّا الْأَخْرَابُ: فَهُمْ الْكُفَّارُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَعَادَةِ.  
وَفِيهِمْ أَرْبَعَةٌ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قَالَهُ قَتَادَةُ. [٤٢٨/أ]

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالثَّلَاثُ: بَنُو أُمَيَّةَ وَبَنُو الْمَغِيرَةِ وَأُلُّ أَبِي طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَالرَّابِعُ: كَفَّارُ قُرَيْشٍ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي بَعْضِهِ الَّذِي أَنْكَرُوهُ ثَلَاثَةٌ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ ذَكَرُ الرَّحْمَنِ، وَالبُعْثُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ عَرَفُوا بَعْثَةَ الرَّسُولِ فِي كُتُبِهِمْ وَأَنْكَرُوا نُبُوَّتَهُ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ عَرَفُوا صِدْقَهُ وَأَنْكَرُوا تَصْدِيقَهُ، ذَكَرَهُمَا الْمَاورِدِيُّ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ

اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٢) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٤) النكت والعيون (٣/ ١١٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: وكَمَا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بَلَاغَتِهِمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ مَا فِيهِ مِنَ الْفَرَائِضِ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: دِينًا عَرَبِيًّا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: فِي صَلَاتِكَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أَنْ قَبِلْتَ الْكَعْبَةَ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّانِي: فِي قَبُولِ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ مَلَّةٍ أَبَائِكَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾؛ أي: مَا لَكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ قَرِيبٍ يَنْفَعُكَ ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يَقِيكَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾... الْآيَةُ.

سَبَبُ نُزُولِهَا: أَنَّ الْيَهُودَ عَيَّرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِكُثْرَةِ التَّزْوِيجِ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ نَبِيًّا كَمَا يَزْعُمُ؛ شَغَلَتْهُ النُّبُوَّةُ عَنْ تَزْوِيجِ النِّسَاءِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٤)</sup>، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٩)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٧٤).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٤).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٢).

(٤) تنوير المقياس (ص: ١٥٩)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٧٥) من رواية الكلبي.



ومعنى الآية: أَنَّ الرُّسُلَ قَبْلَكَ كَانُوا بِشَرًّا لَهُمْ ﴿أَزْوَجًا﴾ يَعْنِي: النِّسَاءَ، وَ﴿وَذُرِّيَّةً﴾ يَعْنِي: الْأَوْلَادَ. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أَي: بِأَمْرِهِ، وَهَذَا جَوَابُ لِلَّذِينَ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ الْآيَاتِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لِكُلِّ أَجَلٍ مِنْ أَجَالِ الْخَلْقِ كِتَابٌ عِنْدَ اللَّهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مِنَ الْمَقْدَمِ وَالْمُؤَخَّرِ، وَالْمَعْنَى: لِكُلِّ كِتَابٍ يُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ أَجَلٌ، قَالَهُ الصَّحَّاحُ وَالْفَرَّاءُ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: لِكُلِّ أَجَلٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَلِكُلِّ أَمْرِ قَضَاهُ اللَّهُ كِتَابٌ أُثْبِتَ فِيهِ، وَلَا تَكُونُ آيَةٌ وَلَا غَيْرُهَا إِلَّا بِأَجَلٍ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ فِي كِتَابٍ، هَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ جَرِيرٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿يَمَحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَمَحُوهُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَعَاصِمٌ: «وَيُثَبِّتُ» سَاكِنَةً الشَّاءَ خَفِيفَةَ الْبَاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَهَمْزَةً، وَالْكِسَائِيُّ: «وَيُثَبِّتُ» مُشَدَّدَةَ الْبَاءِ مَفْتُوحَةً الشَّاءَ<sup>(٣)</sup>.

(١) معاني القرآن (٢/ ٦٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٧٦).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة في القراءات (ص: ٣٥٩).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الْمَعْنَى: وَيُثَبِّتُهُ، فَاسْتَغْنَى بِتَعْدِيَةِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَعْلَيْنِ عَنْ تَعْدِيَةِ الثَّانِي<sup>(١)</sup>.

وَاخْتَلَفَ الْمَفْسَّرُونَ فِي الْمَرَادِ بِالَّذِي يَمْحُو وَيُثَبِّتُ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَامٌّ، فِي الرِّزْقِ، وَالْأَجَلِ، وَالسَّعَادَةِ. وَالشَّقَاوَةِ، وَهَذَا مَذْهَبُ عُمَرَ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَالضَّحَّاكِ، وَابْنِ جُرَيْجٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ النَّاسُخُ وَالْمَنْسُوخُ، فَيَمْحُو الْمَنْسُوخَ، وَيُثَبِّتُ النَّاسِخَ، [٤٢٨/ب] رَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَالْقُرْطُبِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾؛ أَي: يَنْسَخُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا يَشَاءُ، «وَيُثَبِّتُ»؛ أَي: يَدْعُهُ ثَابِتًا لَا يَنْسَخُهُ، وَهُوَ الْمَحْكَمُ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ يَمْحُو مَا يَشَاءُ، وَيُثَبِّتُ، إِلَّا الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ، وَالْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَدَلِيلُ هَذَا الْقَوْلِ، مَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ ابْنِ أَسِيدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا مَضَتْ عَلَى النَّطْفَةِ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، يَقُولُ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ: أَذْكَرُ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، فَيَقُولُ: أَشَقِيٌّ، أَمْ سَعِيدٌ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، فَيَقُولُ: عَمَلُهُ وَأَجَلُهُ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ تُطَوَّى الصَّحِيفَةُ،

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٢٠).

(٢) غريب القرآن (٢/ ٢٢٨).

فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

وَالرَّابِع: يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّت، إِلَّا الشَّقَاوَةَ وَالسَّعَادَةَ لَا يُغَيِّرَانِ<sup>(٢)</sup>،  
قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالخَامِس: يَمْحُو مَنْ جَاءَ أَجَلُهُ، وَيُثَبِّت مَنْ لَمْ يَجِئْ أَجَلُهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالسَّادِس: يَمْحُو مِنْ ذُنُوبِ عِبَادِهِ مَا يَشَاءُ فَيَغْفِرُهَا، وَيُثَبِّتُ مَا  
يَشَاءُ فَلَا يَغْفِرُهَا، رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وَالسَّابِع: يَمْحُو مَا يَشَاءُ بِالتَّوْبَةِ، وَيُثَبِّتُ مَكَائِهَا حَسَنَاتٍ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ.

وَالثَّامِن: يَمْحُو مِنْ دِيْوَانِ الْحِفْظَةِ مَا لَيْسَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ،  
وَيُثَبِّتُ مَا فِيهِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ.

وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ: الْقَوْلُ كُلُّهُ يُكْتَبُ، حَتَّى إِذَا كَانَ [فِي] يَوْمِ  
الْخَمِيسِ، طُرِحَ مِنْهُ كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ؛ مِثْلُ قَوْلِكَ:  
أَكَلْتُ، شَرَبْتُ، دَخَلْتُ، خَرَجْتُ، وَنَحْوَهُ، وَهُوَ صَادِقٌ، وَيُثَبِّتُ مَا فِيهِ  
الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم حديث رقم (٢٦٤٤)، ولفظ المصنف عند الطبراني في "الكبير" (٣٠٣٨).

(٢) في الأصل: يتغيران، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة في مسنده، كما في بغية الباحث (٢٢٤)، المطالب العالية؛  
لابن حجر (٨ / ٦٠١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٨٤) كلهم من طريق  
الكلبي، وهو متروك. قال الحافظ في فتح الباري (١٣ / ٥٢٣): والكلبي متروك، وأبو  
صالح لم يدرك جابرًا، ومما يضعفه أن الطبري في تفسيره (١٦ / ٤٨٤) رواه من طريق  
آخر عن الكلبي، عن أبي صالح.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قَالَ الرَّجَّاجُ: أَصْلُ الْكِتَابِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ الَّذِي أُثْبِتَ فِيهِ مَا يَكُونُ وَيَحْدُثُ.

وَرَوَى أَبُو الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ»<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هُمَا كِتَابَانِ، كِتَابٌ سِوَى أُمِّ الْكِتَابِ يَمْحُو مِنْهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ لَا يُغَيِّرُ مِنْهُ شَيْءٌ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾؛ أَي: مِنَ الْعِقَابِ<sup>(٤)</sup> وَأَنْتَ حَيٌّ أَوْ ﴿تَوَفَّيْنَاكَ﴾ قَبْلَ أَنْ تُرِيدَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تَبْلُغَ ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: يَعْنِي: الْجَزَاءُ<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ٢٧٩)، وابن أبي حاتم وابن مردويه، كما في الدر المنثور؛ للسيوطي (٤/ ١٢٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٤١٢): وفيه زياد بن محمد الأنصاري، منكر الحديث. انظر: المجروحين؛ لابن حبان (١/ ٣٠٨)، والكامل؛ لابن عدي (٣/ ١٩٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٣٨)، والطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٠)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٣٨١).

(٤) في (ج)، و(ر)، و(م): العذاب.

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٣).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾<sup>(١)</sup> نُسَخَ بِآيَةِ السَّيْفِ وفَرَضَ الْجِهَادُ<sup>(٢)</sup>، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾<sup>(٣)</sup> [الرعد: ٤١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ فِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ [مُحَمَّدٌ ﷺ]<sup>(٢)</sup> مِنَ الْأَرْضِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَالضُّحَاكُ.

قَالَ مِقَاتِلُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يَغْنِي: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ يَغْنِي: أَرْضَ مَكَّةَ ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يَغْنِي: مَا حَوْلَهَا<sup>(٣)</sup>. [٤٢٩/أ]

وَالثَّانِي: أَنَّهَا الْقَرْيَةُ تَخْرُبُ حَتَّى تَبْقَى الْأَيَّاتُ فِي نَاحِيَّتِهَا، رَوَاهُ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ عِكْرِمَةُ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ نَقُصُ أَهْلِهَا وَبِرْكَتِهَا، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: نَقُصُ الْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ<sup>(٤)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ ذَهَابُ فُقَهَائِهَا وَخِيَارِ أَهْلِهَا، رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(١) انظر: نواسخ القرآن؛ للمصنف (ص: ١٦٣).

(٢) من (ج).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٦) (٢٠٥٢٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٨) إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

والخامس: أَنَّهُ مَوْتُ أَهْلِهَا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَقَتَادَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: لَا يَتَقَعَّبُهُ أَحَدٌ بِتَغْيِيرٍ وَلَا نَقْصٍ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى سُرْعَةِ الْحِسَابِ فِي [سُورَةِ] البَقَرَةِ [آيَةِ: ٢٠٢].

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقَبَى الدَّارِ ۝١٢﴾ [الرعد: ٤٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يَغْنِي: كَفَّارَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ، مَكْرُوا بِأَنْبِيَائِهِمْ يَقْضُدُونَ قَتْلَهُمْ، كَمَا مَكَرَتْ قُرَيْشٌ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَقْتُلُوهُ. ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ يَغْنِي: أَنَّ مَكْرَ الْمَاكِرِينَ مَخْلُوقٌ لَهُ، وَلَا يَضُرُّ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ؛ وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَسْكِينٌ لَهُ.

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يَقَعُ ضَرَرٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَغْنِي: أَبَا جَهْلٍ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْكَافِرُ هَاهُنَا: اسْمٌ جَنْسٍ<sup>(٤)</sup>. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «الْكُفَّار» عَلَى الْجَمْعِ<sup>(٥)</sup>.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٢٩).

(٢) من (م).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢١)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٨٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥١).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة (ص: ٣٥٩).

قوله تعالى: ﴿لَمَنْ عَقِيَ الدَّارِ﴾ أي: لمن الجنة آخر الأمر.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسَتْ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيهم قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى.

والثاني: كفار قريش.

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي: شاهدًا ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بما أظهر من الآيات، وأبان من الدلالات على نبوتي.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: أنهم علماء اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه عبد الله بن سلام، قاله الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وابن زيد، وابن السائب، ومقاتل<sup>(١)</sup>.

والثالث: أنهم قوم من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق، منهم عبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وقيم الداري، قاله قتادة.

والرابع: أنه جبريل عليه السلام، قاله سعيد بن جبير.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٨٤).

والخامس: أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ.

والسَّادِس: أَنَّهُ بِنِيَامِينُ، قَالَ شَمْر.

والسَّابِع: أَنَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، رُوي عَنِ الْحَسَنِ، وَمُجَاهِدٍ، وَاخْتَارَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(١)</sup>، وَاحْتَجَّ لَهُ بِقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ: «وَمَنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ» وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ السَّمِيعِ، وَابْنِ أَبِي عُبَلَةَ، (وَمُجَاهِدٍ، وَأَبِي حَيَوَةَ)<sup>(٢)</sup>. وَرِوَايَةُ ابْنِ أَبِي سُرَيْجٍ عَنِ الْكِسَائِيِّ: «وَمِنْ» بِكسْرِ الميمِ «عِنْدِهِ» بِكسْرِ الدَّالِ «عُلِمَ» بِضَمِّ العينِ وَكسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِ الميمِ «الْكِتَابُ» بِالرَّفْعِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: «وَمِنْ» بِكسْرِ الميمِ «عِنْدِهِ» بِكسْرِ الدَّالِ «عُلِمَ» بِكسْرِ العينِ وَضَمِّ الميمِ «الْكِتَابُ» مُضَافٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ [٤٢٩ / ب] عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٣)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٥١).

(٢) ليست في (ج).

(٣) قراءتان شاذتان، انظرهما مع التوجيه في: المحتسب (١ / ٣٥٨).



## سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ ٱلْعَبْدِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ عَلِمْنَاهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا مَا رُويَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةَ أَتَاهُمَا قَالَا: سِوَى آيَتَيْنِ مِنْهَا <sup>(١)</sup>، وَهِيَ <sup>(٢)</sup> قَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ أَنفُسَهُمْ إِلَى ٱلْكَفْرِ﴾ وَٱلَّتِي بَعْدَهَا [إبراهيم: ٢٨ - ٢٩].

## بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّكَّابِ ٱلَّذِينَ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَهُ مَافِى ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَافِى ٱلْأَرْضِ وَوَعْدُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ أَنفُسَهُمْ إِلَى ٱلْكَفْرِ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ (٢)﴾ [إبراهيم: ١ - ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّكَّابِ﴾ قَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿كَتَبَ﴾ قَالَ ٱلزَّجَّاجُ: ٱلْمَعْنَى: هَٰذَا كِتَآبٌ، (وَٱلْكِتَآبُ: ٱلْقُرْآنُ) <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وَفِى ٱلْمَرَادِ ٱلظُّلُمَاتِ وَٱلنُّورِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ ٱلظُّلُمَاتِ: ٱلْكُفْرُ، وَٱلنُّورُ: ٱلْإِيمَانُ، رَوَاهُ ٱلعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣ / ٥١٣)، والنكت والعيون؛ للهاوردي (٢ / ٣٣٧)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٤ / ٣٢٩)، والبيان في عدآي القرآن (ص: ١٦٩)، وفنون الأفسان (ص: ١٣٨)، وجمال القراء (٢ / ٥٢٨).

(٢) في (م): وهما.

(٣) ليست في (ر).

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٥٣).

والثاني: أَنَّ الظُّلُمَاتِ: الضَّلَالَةُ، والنُّورَ: الهدى، قَالَه مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ.

والثالث: أَنَّ الظُّلُمَاتِ: الشُّكُّ، والنُّورَ: اليَقِينُ، ذَكَرَهُ المَاورِدِيُّ<sup>(١)</sup>.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: بِأَمْرِ رَبِّهِمْ، قَالَه مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: بِتَوْفِيقِ رَبِّهِمْ، قَالَه أَبُو سُلَيْمَانَ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الْإِذْنُ نَفْسُهُ، فَالْمَعْنَى: بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ تَعْلِيمِهِمْ، قَالَه الزَّجَّاجُ، قَالَ: ثُمَّ بَيَّنَّ مَا النُّورُ، فَقَالَ: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ: جَلَسْتُ إِلَى زَيْدٍ، إِلَى الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ، وَإِنَّمَا تُعَاد «إِلَى» بِمَعْنَى التَّعْظِيمِ لِلأَمْرِ<sup>(٤)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ [مِن الطَّوِيلِ]:

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ هَا      فَنَادَيْتُ بُنَى<sup>(٥)</sup> بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ  
دَعَوْتُ الَّتِي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي      لَأَلْقَيْتُهَا مِنْ حُبِّهَا وَقَضَيْتُ<sup>(٦)</sup>

(١) النكت والعيون (٣/ ١٢٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٣).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من (ج)، و(ر)، و(م).

(٥) في (ج): ليلي.

(٦) البيتان لقيس بن ذريح في نور القبس؛ لأبي المحاسن (ص: ١٥)، وبلا نسبة في عمل اليوم والليلة (ص: ١٤٢)، وروضة المحبين (ص: ١٧٢).

فَأَعَادُ «دَعَوْتُ» لِتَفْخِيمِ الْأَمْرِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَعَاصِمٌ، وَخَمَزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «الْحَمِيدُ \* اللَّهُ» عَلَى الْبَدَلِ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، [وَأَبَانُ، وَالْمُفَضَّلُ]: «الْحَمِيدُ \* اللَّهُ» رَفْعًا عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ<sup>(١)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ أَلْفَاظِ الْآيَةِ.

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٣) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ [إبراهيم: ٣ - ٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾؛ أَي: يُؤَثِّرُونَهَا ﴿عَلَى الْآخِرَةِ﴾ قال ابْنُ عَبَّاسٍ: يَأْخُذُونَ مَا تَعَجَّلَ لَهُمْ مِنْهَا تَهَاوَنًا بِأَمْرِ الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾؛ أَي: يَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي دِينِهِ، ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قد شَرَحْنَاهُ فِي آلِ عِمْرَانَ [آية: ٩٩].

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٤)، والسبعة (ص: ٣٦٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٣٩٨).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَيْكَ فِي ضَلَالٍ﴾؛ أي: في ذهابٍ عن الحقِّ ﴿بَعِيدٍ﴾ مِنْ الصَّوَابِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا يَلْسَنَ قَوْمَهُ﴾؛ أي: بلغتهم.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَمَعْنَى اللَّغَةِ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْكَلَامُ الْمَنْطُوقُ بِهِ، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَغَا [الطَّائِرُ] <sup>(١)</sup> يَلْغُو؛ إِذَا صَوَّتَ فِي الْغَلَسِ <sup>(٢)</sup>.

وَقَرَأَ أَبُو رَجَاءٍ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «إِلَّا يَلْسُنَ قَوْمَهُ» بِرَفْعِ اللَّامِ وَالسِّينِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ.

وَقَرَأَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، وَأَبُو عِمْرَانَ: «يَلْسَنَ قَوْمَهُ» بِكَسْرِ اللَّامِ وَسُكُونِ السِّينِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾؛ أي: الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ فِيهِمْ مُؤَنَّهُ <sup>(٤)</sup> عَنْهُ؛ وَهَذَا نَزَلَ؛ لِأَنَّ قَرِيشًا قَالُوا: مَا بَالُ الْكُتُبِ كُلِّهَا أَعْجَمِيَّةٌ، وَهَذَا عَرَبِيٌّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ﴾.

[٤٣٠/أ] قَالَ الزَّجَّاجُ: «أَنْ» مُفَسَّرٌ، وَالْمَعْنَى: قُلْنَا لَهُ: أَخْرِجْ قَوْمَكَ <sup>(٥)</sup>. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ [البقرة: ٢٥٧].

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٣٩٩).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (١ / ٣٥٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٨)، والكامل (ص: ٢٠٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٩).

(٤) في الأصل: فيفهموه، والمثبت من (ر)، و(م)، وفي (ج): فيفهموا.

(٥) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٥٥).

وفي قوله: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ أَفْوَاجٍ﴾:

أحدها: أَنَّهَا نِعَمُ اللَّهِ، رواه أَبِي بِن كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ قَتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا وَقَائِعُ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ، قَالَه ابْنُ زَيْدٍ، وَابْنُ السَّائِبِ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا أَيَّامُ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَأَيَّامُ نَقَمِهِ مِمَّنْ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ، قَالَه الزَّجَّاجُ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ ﴿شَكُورٍ﴾ لِأَنْعُمِهِ.

وَالصَّبَّارُ: الْكَثِيرُ الصَّبْرِ، وَالشَّكُورُ: الْكَثِيرُ الشُّكْرِ، وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِالْآيَاتِ؛ لِإِنْتِفَاعِهِ بِهَا. وَمَا بَعْدَ هَذَا مُشْرُوحٌ فِي [سُورَةِ] <sup>(٤)</sup> الْبَقَرَةِ [آيَةِ: ٤٩].

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبُكُمْ لَمَّا شَكَّرْتُمْ لَازِدَتْكُمْ وَلَمَّا كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَعْيُنَهُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٠).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٥).

(٤) من (م).

بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنُوتَا سُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَبَ عَلَىٰ مَاءٍ عَذِيبُمْوًا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ [إبراهيم: ٧ - ١٤].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ﴾ مذكور في الأعراف [آية: ١٦٧].

وفي قوله تعالى: ﴿لَيْنُ شُكْرْتُمْ لَا زَيْدَنَّكُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لئن شكرتم نعمي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن.

والثاني: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع.

والثالث: لئن وحدتوني لأزيدنكم خيراً في الدنيا، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كَفَرْتُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الكفر<sup>(٢)</sup> بالتوحيد.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٩٩).

(٢) في (م): كفر.

والثاني: كفران النعم.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؛ أي: غني عن خلقه، محمود في أفعاله؛ لأنه إما مُتَفَضِّلٌ بفعله، أو عَادِلٌ.

قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾.

قال ابن الأنباري: أي: لا يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup>، على أن الله تعالى أهلك أمما من العرب وغيرها، فانقطعت أخبارهم، وعفت آثارهم، فليس يعلمهم أحد إلا الله<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه سبعة أقوال:

أحدها: أنهم عضوا أصابعهم، غيظا، قاله ابن مسعود، وابن زيد.

وقال ابن قتيبة: «في» هاهنا بمعنى: «إلى»، ومعنى الكلام: عضوا عليها حنقا وغيظا؛ كما قال الشاعر [من المتقارب]:

يَرُدُّونَ فِي فِيهِ عَشَرَ الْحَسُودِ<sup>(٣)</sup>

يعني: أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر، ونحوه قول الهذلي:

(١) في (ر)، و(م): هو.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤١٠).

(٣) شطر بيت بلا نسبة في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٣٠)، والمعاني الكبير (٢ / ٨٣٤)، والاقتضاب في شرح أدب الكاتب (٢ / ٢٧٥)، والكشف والبيان (١٥ / ٣٥٨).

قَدْ أَفْنَى أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضْحَى يَعْضُ عَلَيَّ الْوُظَيْفَا<sup>(١)</sup>  
يقول: قَدْ أَكَلَّ أَصَابِعَهُ حَتَّى أَفْنَاهَا بِالْعَضِّ، وَأَضْحَى يَعْضُ عَلَيَّ  
وُظَيْفَ الذَّرَاعِ<sup>(٢)(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا جَاءَهُمُ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنِّي رَسُولٌ، قَالُوا لَهُ:  
اسْكُتْ، وَأَشَارُوا بِأَصَابِعِهِمْ إِلَى أَفْوَاهِ أَنْفُسِهِمْ، رَدًّا عَلَيْهِ وَتَكْذِيبًا، رَوَاهُ أَبُو  
صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا كِتَابَ اللَّهِ، عَجُّوا وَرَجَعُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى  
أَفْوَاهِهِمْ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُمْ وَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِ الرُّسُلِ، رَدًّا لِقَوْلِهِمْ قَالَهُ الْحَسَنُ.  
وَالْخَامِسُ: أَنَّهُمْ كَذَّبُوهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَرَدُّوا عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.  
وَالسَّادِسُ: أَنَّهُ مَثَلٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُمْ كَفُّوا عَمَّا أُمِرُوا بِقَبُولِهِ مِنَ الْحَقِّ، [٤٣٠/ب]

(١) البيت لصخر الغي بن عبد الله الحنظلي الهذلي في شرح أشعار الهذليين (١ / ٢٩٩)،  
وغريب القرآن (ص: ٢٣٠)، والمعاني الكبير (٢ / ٨٣٤)، وتهذيب اللغة (٤ / ٤٩٥)،  
وروايته في هذه المصادر: (فأمسى يَعْضُ...).

وقوله: (أَزْمُهُ): عَضُّهُ. من: (أَزَمَ يَأْزِمُ أَزْمًا) و(أَزُومًا)، فهو (أَزَمٌ وَأَزُومٌ)؛ إِذَا عَضَّ  
بِالْقَمِّ كُلَّهُ عَضًّا شَدِيدًا. و(الوظيفة): أصل استعمالها لذوات الأربع من الخيل والإبل،  
وهي ما استَدَقَّ مِنَ الذَّرَاعِ أَوْ السَّاقَيْنِ، ففي البعير هي: ما بين الرسغ والذراع، أو  
بين الرسغ والساق، وجعلها الشاعر هنا للإنسان.

(٢) في (ر)، و(م): بالذراع.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٠).



ولم يؤمنوا به. يُقال: ردَّ فلانُ يده إلى فيه؛ أي: أمسك فلم يُحب، قاله أبو عبيدة<sup>(١)</sup>.

والسَّابع: ردُّوا مآلوا قبلوه لكان<sup>(٢)</sup> نعمًا وأيادي من الله، فتكون الأيدي بمعنى: الأيادي، و«في» بمعنى: الباء، والمعنى: ردُّوا الأيادي بأفواههم ذكره الفراء. وقال: قد وجدنا من العرب من يجعل «في» موضع الباء، فيقول: أدخلك الله بالجنة، يريد: في الجنة<sup>(٣)</sup>، وأنشدني بعضهم:

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ      وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ<sup>(٤)</sup>  
فقال: أرغب فيها، يعني: بتأله، يريد: أرغب بها، وسنيس: قبيلة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾؛ أي: على زعمكم أنكم أرسلتم، لا أنتم أقرؤا بإرسالهم. وباقي الآية قد سبق [تفسيره]<sup>(٥)</sup> [هود: ٦٢].

قوله<sup>(٦)</sup>: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾ هذا استفهام إنكار، والمعنى: لا شك في الله؛ أي: في توحيدِهِ ﴿يَدْعُوكُمْ﴾ بالرُّسل والكتب ﴿لِيُغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٣٦).

(٢) في (ر): وكان.

(٣) معاني القرآن (٢ / ٧٠).

(٤) البيت بلانسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢ / ٧٠)، وتفسير الطبري (١٣ / ١٨٩)، وتهذيب اللغة (١٥ / ٥)، (سنيس): حي من قبيلة طي. الاشتقاق (ص: ٣٩٠).

(٥) من (م).

(٦) ليست في (ج)، و(ر)، و(ف).

قال أبو عبيدة: «من» زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿فَمَا يَكْمُرُ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، قال أبو ذؤيب [من الطويل]:

جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْحُبِّ لَمَّا شَكَوْتِهِ وَمَا إِنْ جَزَاكَ الضَّعْفَ مِنْ أَحَدٍ قَلِيلٍ  
أي: أحد<sup>(٢)</sup>.

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو الموت، والمعنى: لا يُعاجلكم بالعذاب.

﴿قَالُوا﴾ للرسول ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾؛ أي: ما أنتم ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾؛ أي: ليس لكم علينا فضل. والسلطان: الحجة. قالت الرُّسل: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فاعترفوا لهم بذلك، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ﴾ يعنون: بالنبوة والرَّسالة، ﴿وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾؛ أي: ليس ذلك من قبل أنفسنا.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ هَدَيْنَا سُبُلَنَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: بَيَّنَّ لَنَا رُشْدَنَا<sup>(٣)</sup>.

والثاني: عَرَفْنَا طَرِيقَ التَّوَكُّلِ.

(١) البيت لأبي ذؤيب في ديوان الهذليين (١/ ٣٥)، ومجاز القرآن (١/ ٤٩)، والصاحبي في فقه اللغة؛ لابن فارس (ص: ١٢٧)، والمحكم والمحيط؛ لابن سيده (١/ ٤١٢)، وبلا نسبة في المقتضب (٤/ ١٣٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤٩).

(٣) في الأصل: رسلنا، والمثبت من سائر النسخ.

وإنما قصص<sup>(١)</sup> هذا وأمثاله على نبينا ليقتدي بمن قبله في الصبر،  
وليُعلم ما جرى لهم.

قوله تعالى: ﴿لَنُكَلِّمَنَّ الَّذِينَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: الكافرين بالرسول.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: بعد هلاكهم ﴿ذَلِكَ﴾ الإنسان  
﴿لَمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ (قال ابن عباس)<sup>(٢)</sup>: خاف مقامه بين يدي<sup>(٣)</sup>.

قال الفرّاء: العرب قد تُضيف<sup>(٤)</sup> أفعالها إلى أنفسها، وإلى ما أوقعت  
عليه، فتقول: قد ندمت على ضربي إياك، وندمت على ضربك، فهذا من  
ذاك، ومثله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢]؛ أي: رزقي إياكم<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أثبت باء «وعيدي» في الحالين يعقوب،  
وتابعه ورش في الوصل<sup>(٦)</sup>.

﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ١٥ ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَرُسُومُ مِنْ مَاءٍ  
صَدِيدٍ﴾ ١٦ ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَاذُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ  
بِمُعْتَبَرٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ ١٧ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

(١) في (م): نص.

(٢) في (ج): أي.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٢١).

(٤) في (ج): قد تضيف العرب.

(٥) معاني القرآن (٢ / ٧١).

(٦) قراءة سبعة، انظر: انظر: التيسير؛ للداني (ص: ١٧٨)، والنشر (٢ / ٢٢٣)، وإتحاف  
فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٣٤١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا﴾ يَعْنِي: اسْتَنْصَرُوا.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَعُكْرُمَةُ، وَحُمَيْدٌ، وَابْنُ مُحْيَصَنٍ:  
«وَأَسْتَفْتَحُوا» بِكسْرِ التَّاءِ عَلَى الْأَمْرِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْمُشَارِ إِلَيْهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَتَيْتُمُ الرُّسُلَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: أَتَيْتُمُ الْكُفَّارَ، وَاسْتَفْتَحْتَهُمْ: سَأَلْتَهُمُ الْعَذَابَ؛ كَقَوْلِهِمْ: ﴿رَبَّنَا  
عَجِّلْ لَنَا قِطْعَانًا﴾ [ص: ١٦]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا لَقَدْ جِئْتُمُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾... الْآيَةُ  
[الأنفال: ٢٣]، هَذَا قَوْلُ ابْنِ زَيْدٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: خَسِرَ عِنْدَ الدُّعَاءِ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: خَسِرَ عِنْدَ  
نُزُولِ الْعَذَابِ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ: يَيْسُ مِنَ الْإِجَابَةِ.

وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْجَبَّارِ وَالْعَنِيدِ فِي [سُورَةِ] <sup>(٤)</sup> هُودِ [آيَةِ: ٥٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ وَرَّاهُ جَهَنَّمُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِمَعْنَى الْقُدَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ: أَمَامَهُ جَهَنَّمُ<sup>(٥)</sup>.

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١/ ٣٥٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٢)

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وانظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/ ٢٣٨).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠١).

(٤) من (ج).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (١/ ٣١٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٢٩).



وقال أبو عبيدة: ﴿مَنْ وَرَّايَهُ﴾؛ أي: قُدَّامِهِ وَأَمَامِهِ، يُقال: الموتُ مِنْ وَرَائِكَ<sup>(١)</sup>، وأنشد [من الطويل]:

أَتَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِي وَطَاعَتِي      وَقَوْمِي تَمِيمٌ وَالْقَلَاءُ وَرَائِيَا<sup>(٢)</sup>

والثاني: أنَّها بمعنى: «بعد».

قال ابن الأثيري: ﴿مَنْ وَرَّايَهُ﴾؛ أي: مِنْ بَعْدِ يَأْسِهِ، فَدَلَّ «خَاب» عَلَى الْيَأْسِ، فَكُنِيَ عَنْهُ، وَحُمِلَتْ «وراء» عَلَى مَعْنَى: «بعد»؛ كما قال النَّابِغَةُ [من الطويل]:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ<sup>(٣)</sup>

أراد: [ليس]<sup>(٤)</sup> بَعْدَ اللَّهِ مَذْهَبُ<sup>(٥)</sup>.

قال الزَّجَّاجُ: والوراء يكون<sup>(٦)</sup> بمعنى: الخلف والقُدَّام؛ لأنَّ ما بين يديك وما قُدَّامَكَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ؛ فَقَدْ صَارَ وَرَاءَكَ، قال الشَّاعِرُ [من الطويل]:

(١) مجاز القرآن (١ / ٢٣٧) بنحوه.

(٢) سبق تخريجه في سورة يوسف آية (٨٨).

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص: ٢٧)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٧٠)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢ / ٢٩٧)، والمحاسن والأضداد (ص: ٢٦٢)، والشعر والشعراء (١ / ١٥٧).

(٤) من (ر)، و(م).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٣١).

(٦) ليست في (ج).

أَلَيْسَ وَرَائِي إِنْ تَرَاخَتْ مَنِيَّتِي لُزُومُ الْعَصَا تُحْنِي <sup>(١)</sup> عَلَيْهَا الْأَصَابِعُ <sup>(٢)</sup>  
قال: وليس الوراق من الأضداد كما يقول بغض أهل اللغة <sup>(٣)</sup>.

وسئل ثعلب: لم قيل: الوراق للأمام؟ فقال: الوراق: اسم لما توارى  
عن عينك، سواء كان <sup>(٤)</sup> أمامك أو خلفك <sup>(٥)</sup>.

وقال الفرّاء: إنما يجوز هذا في المواقيت من الأيام والليالي والدَّهر،  
تقول: وراءك بردٌ شديدٌ، وبينَ يديك <sup>(٦)</sup> بردٌ شديدٌ.

[ولّا] <sup>(٧)</sup> يجوز أن تقول للرجل وهو بينَ يديك: هو وراءك، و[لا] <sup>(٨)</sup>  
ل للرجل: وراءك: هو بينَ يديك <sup>(٩)</sup>.

(١) في المعاني؛ للزجاج: تنني.

(٢) البيت للبيد في شرح ديوان لبيد (ص: ١٧٠)، وحامسة البحرني (ص: ٤٠٦)، والشعر  
والشعراء (١ / ٢٧١)، والأضداد؛ للسجستاني (ص: ٨٣)، والأضداد؛ لابن الأنباري  
(ص: ٦٩)، والأغاني (١٤ / ٩٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٠٥ - ٣٠٦).

(٤) في (م): أكان.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٥٧)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣ / ٥٢٢).

(٦) في (ج): يديه.

(٧) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٨) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٩) معاني القرآن (٢ / ١٥٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ قَالَ عِكْرَمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَاللُّغَوِيُّونَ: الصَّدِيدُ: الْقَيْحُ، وَالذَّمُّ، قَالَه قَتَادَةُ، وَهُوَ مَا يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ<sup>(١)</sup> جِلْدِ الْكَافِرِ وَلَحْمِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْقُرْظِيُّ: هُوَ غُسَالَةُ أَهْلِ النَّارِ، وَذَلِكَ مَا يَسِيلُ مِنْ فُجُوجِ الزُّنَاةِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى: يُسْقَى الصَّدِيدَ مَكَانَ الْمَاءِ، قَالَ: وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى التَّشْبِيهِ؛ أَي: [مَا]<sup>(٤)</sup> يُسْقَى مَاءً كَأَنَّهُ صَدِيدٌ<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ التَّجَرُّعُ: تَنَاوُلُ الْمَشْرُوبِ جُرْعَةً جُرْعَةً، لَا فِي مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَذَلِكَ لِشِدَّةِ كَرَاهَتِهِ لَهُ، وَأَنَّهُ يُكْرَهُهُ عَلَى شَرْبِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: لَا يَقْدِرُ عَلَى ابْتِلَاعِهِ، تَقُولُ<sup>(٦)</sup>: سَاغَ لِي الشَّيْءُ، وَأَسْغَتْهُ<sup>(٧)</sup>.

وَرَوَى أَبُو أُمَامَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُقَرَّبُ إِلَيْهِ فَيَكْرَهُهُ، فَإِذَا أَذِنَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ وَوَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فَإِذَا شَرِبَهُ قَطَعَ أَمْعَاءُهُ حَتَّى يُخْرَجَ مِنْ دُبُرِهِ»<sup>(٨)</sup>.

[٤٣١/ب]

(١) ليست في (ج).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٣٦٤).

(٣) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤ / ٣٤١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٣٦٤).

(٤) ليست في الأصل، و(ج)، والمثبت من (ر)، و(م).

(٥) غيب القرآن (ص: ٢٣١).

(٦) في (ج): يقال.

(٧) منافي القرآن وإعرابه (٣ / ١٥٧).

(٨) أخرجه الطبري في التفسير: (١٦ / ٥٤٩ - ٥٥٠)، والترمذي في سننه، حديث (٢٥٨٣)، =

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَيِّنَهِ الْمَوْتُ﴾؛ أَي: هُمُ الْمَوْتُ وَكَزْبُهُ وَالْمُتَّكِلُ عَلَى كُلِّ مَكَانٍ ﴿وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: من كُلِّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِهِ، رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: مِنْ كُلِّ عَرَقٍ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: تَتَلَقَّى نَفْسُهُ عِنْدَ حَنْجَرَتِهِ، فَلَا تَخْرُجُ مِنْ فِيهِ فَيَمُوتُ<sup>(٢)</sup>، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهَا فَتَجِدُ رَاحَةً<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، مِنْ فَوْقِهِ وَتَحْتِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ<sup>(٤)</sup> شِمَالِهِ، وَخَلْفِهِ وَقُدَّامِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا الْبَلَايَا الَّتِي (تُصَبُّ عَلَى)<sup>(٥)</sup> الْكَافِرِ فِي النَّارِ، سَمَّاهَا مَوْتًا، قَالَهُ الْأَخْفَشُ<sup>(٦)</sup>.

=وقال: «هذا حديث غريب، هكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولا يعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث». وأخرجه الحاكم في المستدرک (٢ / ٣٥١) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وأخرجه الإمام أحمد في المسند (٥ / ٢٦٥)، والبغوي في شرح السنة (١٥ / ٢٤٣-٢٤٤).

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٢٧)، والتفسير البسيط (١٢ / ٤٣٨).

(٢) في (م): فتموت.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٥٥٠) (٢٠٦٣٤)، وعزاه السيوطي في لدر النشور (٤ / ٧٤) إلى ابن جرير.

(٤) ليست في (ج)، و(م).

(٥) في (ج)، و(ر)، و(م): تصيب.

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٣٦٥).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾؛ أَي: مُوتًا تَنْقَطِعُ مَعَهُ الْحَيَاةُ. ﴿وَمِنْ وَرَآئِهِ﴾؛ أَي: مِنْ بَعْدِ هَذَا الْعَذَابِ.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: مِنْ بَعْدِ الصَّدِيدِ ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾<sup>(١)</sup>. وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: بَعْدَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ<sup>(٢)</sup>. وَالْغَلِيظُ: الشَّدِيدُ<sup>(٣)</sup>.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الصَّلَ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾.

قَالَ الْفَرَاءُ: أَضَافَ الْمَثَلَ إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا الْمَثَلُ الْأَعْمَالُ<sup>(٤)</sup>، فَاِلْمَعْنَى: مَثَلُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا. وَمِثْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]؛ أَي: تَرَى وُجُوهُهُمْ<sup>(٥)</sup>.

وَجَعَلَ الْعُصُوفَ تَابِعًا لِلْيَوْمِ فِي إِعْرَابِهِ، وَإِنَّمَا الْعُصُوفُ لِلرِّيحِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ عَلَى جِهَتَيْنِ:

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٣٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧ / ٢٢٣٩) (١٢٢٣٩)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٢٧).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ج)، و(م): للأعمال.

(٥) معالي القرآن (٢ / ٧٢ - ٧٣).

أحدهما: أَنَّ العُصُوفَ، وإنَّ كَانَ للرَّيحِ، فَإِنَّ اليَوْمَ يُوصَفُ بِهِ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ فِيهِ تَكُونُ، فَجَازَ أَنْ يَقُولَ<sup>(١)</sup>: يَوْمٌ عَاصِفٌ، كَمَا يَقُولُ<sup>(٢)</sup>: يَوْمٌ بَارِدٌ، وَيَوْمٌ حَارٌّ. وَالْوَجْهَ الْآخِرَ: أَنْ تُرِيدَ: فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ الرِّيحَ، فَتُحَذَفُ الرِّيحُ؛ لِأَنَّهَا قَدْ ذَكَرَتْ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

وَيَضْحَكُ<sup>(٣)</sup> عِرْفَانُ الدُّرُوعِ جُلُودَنَا إِذَا كَانَ يَوْمٌ مُظْلِمُ الشَّمْسِ كَاسِفٌ<sup>(٤)</sup>

يُرِيدُ: كَاسِفَ الشَّمْسِ.

وَرُوي عَنْ سَيِّوِيهِ أَنَّهُ قَالَ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِضْمَارٌ<sup>(٥)</sup>، وَالْمَعْنَى: وَمَا نَقَضَ عَلَيْكَ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿أَعْمَلْتُمْ كُرْمًا﴾ وَقَرَأَ النَّخَعِيُّ، وَابْنُ يَعْمُرَ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ» بِغَيْرِ تَنْوِينِ الْيَوْمِ<sup>(٦)</sup>. قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ كُلَّ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْمَشْرُكُونَ يُحْبَطُ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ، كَالرَّمَادِ الَّذِي سَفَتَهُ الرِّيحُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ، فَهُمْ

(١) فِي (ج): يَكُونُ. وَفِي (ر)، وَ(م): تَقُولُ.

(٢) فِي (ر)، وَ(م): تَقُولُ.

(٣) فِي (ج): وَتَضْحَكُ.

(٤) الْبَيْتُ بِلَا نِسْبَةٍ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ؛ لِلْفَرَاءِ (٢ / ٧٤)، وَعَجَزَهُ فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ (١٦ / ٥٥٤)، وَالْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ٣٦٧)، وَالتَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٤٤٢).

(٥) الْكِتَابُ (١ / ١٤٣)، وَانْظُرْ: إِعْرَابَ الْقُرْآنِ؛ لِلنَّحَاسِ (٢ / ١٨٠ - ١٨١)، وَمَشْكَلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ؛ لِمَكِّي (١ / ٤٤٧).

(٦) أَيْ: بِالإِضَافَةِ، قِرَاءَةُ شَاذَةٍ، انْظُرْ: الْمُحْتَسِبُ (١ / ٣٦٠)، وَشَوَازِ ابْنِ خَالَوَيْهِ (ص: ٦٨)، وَشَوَازِ الْقِرَاءَاتِ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٢٦٠).

لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا فِي الدُّنْيَا عَلَى شَيْءٍ فِي الْآخِرَةِ؛ أَي: لَا يَجِدُونَ ثَوَابَهُ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ مِنَ النِّجَاةِ.

﴿الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى الْإِبْرَاهِيمَ﴾ [إبراهيم: ١٩ - ٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ مَعْنَاهُ: أَلَمْ تُخْبِرْ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّانِي: أَلَمْ تَعْلَمْ، قَالَ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَي: لَمْ يَخْلُقْهُنَّ عَبَثًا، وَإِنَّمَا خَلَقَهُنَّ لِأَمْرِ عَظِيمٍ.

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ: يُمِيتُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكُفَّارِ وَيَخْلُقُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ خَيْرًا مِنْكُمْ وَأَطْوَعًا، وَهَذَا خِطَابٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾؛ أَي: بِمُتَمَنِّعٍ مُتَعَذِّرٍ.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنْنا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْصِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٣٩).

(٣) تنوير المقياس (ص: ٢١٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

[١/٤٣٢] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ لَفْظُهُ لَفْظُ الْمَاضِي، وَمَعْنَاهُ الْمُسْتَقْبَلُ، وَالْمَعْنَى: خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْبَعْثِ، وَاجْتَمَعَ التَّابِعُ وَالْمَتَّبِعُ، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ وَهُمْ الْأَتْبَاعُ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ وَهُمْ الْمَتَّبِعُونَ ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ جَمْعُ تَابِعٍ، يُقَالُ: تَابِعٌ وَتَبِعٌ، مِثْلُ: غَائِبٌ وَغَيْبٌ، وَالْمَعْنَى: تَبَعْنَاكُمْ فِيمَا دَعَوْتُنَا إِلَيْهِ <sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾؛ أَي: دَافِعُونَ عَنَّا ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قَالَ الْقَادَةُ: ﴿لَوْ هَدَيْنَا اللَّهُ﴾؛ أَي: لَوْ أَرْشَدَنَا فِي الدُّنْيَا لِأَرْشَدِنَاكُمْ، يَرِيدُونَ: أَنَّ اللَّهَ أَضَلَّنَا فَدَعَوْنَاكُمْ إِلَى الضَّلَالِ <sup>(٢)</sup>.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا﴾ قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: إِنَّ أَهْلَ النَّارِ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا نَبْكِي وَنَتَضَرَّعْ، فَإِنَّمَا أَدْرَكَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَبْكَايُهُمْ وَتَضَرَّعُهُمْ، فَبَكَوْا وَتَضَرَّعُوا، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ لَا يَنْفَعُهُمْ، قَالُوا: تَعَالَوْا نَصْبِرْ، فَإِنَّمَا أَدْرَكَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ بِالصَّبْرِ، فَصَبَرُوا صَبْرًا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ قَطُّ، فَلَمْ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ، (فَعِنْدَ ذَلِكَ) <sup>(٣)</sup> قَالُوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْيٍ﴾ <sup>(٤)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٥٨).

(٢) ذكره الواحدي بلا نسبة في التفسير الوسيط (٣/ ٢٨).

(٣) في (ر)، و(م): فعندها.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٥٩) (٢٠٦٤٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٧٤) إلى ابن جرير بنحوه.

وَرَوَى مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ قَالَ: جَزَعُوا مِائَةَ سَنَةٍ، وَصَبَرُوا مِائَةَ سَنَةٍ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: جَزَعُوا خَمْسَمِائَةَ عَامٍ<sup>(٢)</sup>، وَصَبَرُوا خَمْسَمِائَةَ عَامٍ<sup>(٣)</sup>. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْمَحِيصِ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ [آيَة: ١٢١].

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِيكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ وَأَدْخَلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢ - ٢٣].

نُؤَلِّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَعْنِي بِهِ: إِبْلِيسُ ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾؛ أَي: فُرِغَ مِنْهُ، فَدَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، فَحِينَئِذٍ يَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ بِاللَّوْمِ عَلَى إِبْلِيسَ، فَيَقُومُ فِيهَا بَيْنَهُمْ خُطْبَاءٌ، وَيَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾؛ أَي: وَعَدَكُمْ كَوْنَهُ هَذَا الْيَوْمَ فَصَدَقْتُكُمْ ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أَنَّهُ لَا يَكُونُ ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ الْوَعْدَ ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾؛ أَي: مَا أَظْهَرْتُ لَكُمْ حُجَّةً عَلَى مَا ادَّعَيْتُ.

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٤٠) (١٢٢٤٢)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢٨/ ٣).

(٢) في (ج)، و(م): سنة.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٣). وفي (ج): سنة.

وقال بعضهم: ما كنت أملككم فأكرهكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُمْ﴾ وهذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لكن ﴿دَعَوْتُمْ فَاسْتَجَبْتُ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَا أَنْفَسَكُمْ﴾ حيث أجبتوني<sup>(١)</sup> من غير برهان ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أي: بمغيثكم ﴿وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِك﴾ أي: بمغيثي.

قرأ حمزة «بمُصْرِخِيَّ» فحرك الياء إلى الكسر، وحركها الباقون إلى الفتح<sup>(٢)</sup>.

قال قطرب: هي لغة في بني يربوع، يعني: قراءة حمزة<sup>(٣)</sup>.

قال اللغويون: يقال: استنصر خني فلان فأضرخته؛ أي: استغاثني فأغثته.

﴿إِنِّي كَفَرْتُ﴾ اليوم بإشراككم إياي في الدنيا مع الله عز وجل في الطاعة ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

قوله تعالى: ﴿يَا ذِينَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: بأمر ربهم.

وقوله: ﴿نَحْنُ نَحْمِلُهُمْ فِيهَا سَلَمٌ﴾ قد ذكرناه في يونس [آية: ١٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup> تَوَاتَى أَكْلُهَا كُلِّ حِينٍ يَا ذِينَ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ<sup>(٢)</sup> [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾.

(١) ليست في (ر).

(٢) قراءة سبعة، انظر عزوها لحمزة في التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٢٩).

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: أَلَمْ تَرَ بَعَيْنَ قَلْبِكَ فَتَعْلَمَ بِإِعْلَامِي إِيَّاكَ كَيْفَ ضَرَبَ  
 اللَّهُ مَثَلًا؛ أَي: بَيَّنَّ شَبَهًا ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ شَهَادَةُ أَنْ  
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ<sup>(١)</sup>. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ أَي: طَيِّبَةِ الثَّمَرَةِ، فَتَرَكَ ذَكَرَ الثَّمَرَةِ [٤٣٢/ب]  
 اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ.

وَفِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا النَّخْلَةُ، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحِينَ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ  
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>، وَبِهِ قَالَ  
 ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ فِي آخِرِينَ.  
 وَالثَّانِي: أَنَّهَا شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ، رَوَاهُ أَبُو ظَبْيَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٥٦٧)، (٢٠٦٥٨)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الدَّعَاءِ (١٥٩٨)،  
 وَالبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ (١ / ٢٧٢ - ٢٧٣) (٢٠٦) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ  
 بِهِ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشُورِ (٤ / ٧٥) إِلَى ابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ رَقْمٍ (٦١)، وَمُسْلِمٌ حَدِيثَ رَقْمٍ (٢٨١١)، وَالتِّرْمِذِيُّ حَدِيثَ  
 رَقْمٍ (٢٨٦٧)، وَاللَّفْظُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ مِنْ  
 شَجَرٍ شَجَرَةٍ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟» قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ  
 فِي شَجَرِ الْبُودَايِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ. ثُمَّ قَالُوا: حَدَّثْنَا مَا هِيَ يَا  
 رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ».

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٥٧٢) (٢٠٦٩٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦ / ٥٧٣) (٢٠٦٩٥).

والثالث: أَنَّهَا الْمُؤْمِنُ، وَأَصْلُهُ الثَّابِتُ أَنَّهُ<sup>(١)</sup> يَعْمَلُ فِي الْأَرْضِ وَيُبْلَغُ عَمَلُهُ السَّمَاءَ.

وقوله تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ﴾ فالْمُؤْمِنُ يَذْكُرُ اللَّهَ كُلَّ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾؛ أي: فِي الْأَرْضِ ﴿وَقَرَعَهَا﴾: أَغْلَاهَا عَالٍ ﴿فِي السَّمَاءِ﴾؛ أي: نَحْوَ السَّمَاءِ، وَأَكْلُهَا: ثَمَرُهَا<sup>(٣)</sup>.

وَفِي الْحِينِ هَاهُنَا سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ، قَالَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والثاني: أَنَّهُ<sup>(٤)</sup> سِتَّةُ أَشْهُرٍ، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَعَكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ<sup>(٥)</sup>.

والثالث: أَنَّهُ بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ، رَوَاهُ أَبُو ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) ليست في (ج)، و(ف).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٥٧٦) (٢٠٧٠٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٧٥) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٣) في (ج)، و(ر): ثمرها.

(٤) ليست في (ج)، و(ف).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٥٧٨) (٢٠٧١٨ - ٢٠٧٢١ - ٢٠٧٢٣) عن سعيد بن جبير، والحسن، وعكرمة، وقتادة.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٥٧٦) (٢٠٧٠٨)، والضياء في المختارة (١٠ / ١٤) من طريق علي بن الجعد، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٧٦ - ٧٧) إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.



والرابع: أَنَّهُ السَّنَةُ، رُوي عن ابنِ عَبَّاسٍ أَيضًا<sup>(١)</sup>، وبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وابنُ زَيْدٍ.

والخامس: أَنَّهُ شَهْرَانِ، قَالَه سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ.

والسادس: أَنَّهُ غُدْوَةٌ وَعِشْيَةٌ وَكُلُّ سَاعَةٍ، قَالَه ابنُ جرير<sup>(٢)</sup>.

فَمَنْ قَالَ: ثَمَانِيَّةَ أَشْهُرٍ، أَشَارَ إِلَى مُدَّةٍ حَمَلُهَا بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَمَنْ قَالَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَهِيَ مُدَّةٌ حَمَلُهَا إِلَى حَيْثُ صَرَّامِهَا، وَمَنْ قَالَ: بُكْرَةٌ وَعِشْيَةٌ، أَشَارَ إِلَى الاجْتِنَاءِ مِنْهَا، وَمَنْ قَالَ: سَنَةً، أَشَارَ إِلَى أَنَّهَا لَا تَحْمِلُ فِي السَّنَةِ إِلَّا مَرَّةً [وَاحِدَةً]<sup>(٣)</sup>، وَمَنْ قَالَ: شَهْرَانِ، فَهُوَ مُدَّةٌ صَلَاحُهَا.

قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: لَا يَكُونُ فِي النَّخْلَةِ أَكْلُهَا إِلَّا شَهْرَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

وَمَنْ قَالَ: كُلُّ سَاعَةٍ، أَشَارَ إِلَى أَنَّ ثَمَرَتَهَا تُؤْكَلُ دَائِمًا.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٥٨٠) (٢٠٧٣٠) عن عطاء بن السائب، عن رجل منهم أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: حَلَفْتَ أَلَّا أَكْلِمَ رَجُلًا حِينًا؟ فَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾، فَالْحِينَ سَنَةٌ.

(٢) تفسير الطبري (١٦ / ٥٨٢).

(٣) من (ج).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦ / ٥٨١) (٢٠٧٣٣)، عن إبراهيم بن ميسرة قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَقَالَ: إِنِّي حَلَفْتُ أَنْ لَا أَكْلِمَ فَلَانًا حِينًا؟ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَوَقَّ أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ، لَا يَكُونُ مِنْهَا أَكْلُهَا إِلَّا شَهْرَيْنِ، فَالْحِينَ شَهْرَانِ.

قَالَ قَتَادَةُ: يُوْكَل ثَمْرَهَا <sup>(١)</sup> فِي الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الطَّلَعُ فِي الشَّتَاءِ مِنْ أَكْلِهَا، وَالْبَلَحُ وَالْبُسْرُ وَالرُّطْبُ وَالتَّمْرُ فِي الصَّيْفِ <sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا الْحِكْمَةُ فِي تَمْثِيلِ الْإِيمَانِ بِالنَّخْلَةِ، فَمِنْ أَوْجِهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا شَدِيدَةُ الثُّبُوتِ، فَشَبَّهَ ثَبَاتَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ بِثَبَاتِهَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا شَدِيدَةُ الِارْتِفَاعِ، فَشَبَّهَ ارْتِفَاعَ عَمَلِ الْمُؤْمِنِ بِارْتِفَاعِ فُرُوعِهَا.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ ثَمَرَتَهَا تَأْتِي فِي كُلِّ حِينٍ فَشَبَّهَ مَا يَكْتَسِبُ <sup>(٤)</sup> الْمُؤْمِنُ مِنْ بَرَكَةِ الْإِيمَانِ وَثَوَابِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِثَمَرَتِهَا الْمُجْتَنَاءَةِ فِي كُلِّ حِينٍ، عَلَى اخْتِلَافِ صُنُوفِهَا، فَالْمُؤْمِنُ كُلُّمَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، صَعَدَتْ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ جَاءَهُ خَيْرُهَا وَمَنْفَعَتُهَا.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا أَشْبَهُ الشَّجَرِ بِالْإِنْسَانِ، فَإِنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ يُقَطَّعُ رَأْسُهَا تَشَعَّبُ غُصُونُهَا مِنْ جَوَانِبِهَا، إِلَّا هِيَ، إِذَا قُطِعَ رَأْسُهَا يَبَسَتْ، وَلَا تَأْتِيهَا لَا تَحْمِلُ حَتَّى تَلْقَحَ، وَلَا تَأْتِيهَا فَضْلَةُ تُرْبَةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يُرَوَّى <sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ج)، وَ(ر): تُوْكَل ثَمَرَتَهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥٨٢ / ١٦) (٢٠٧٣٤)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿تَوَقَّى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾، قَالَ: يُوْكَل ثَمَرَهَا فِي الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (٥٨٢ / ١٦).

(٤) فِي (ج)، وَ(ر): يَكْسِبُ، وَفِي (ف): كَسَبَ.

(٥) يَشِيرُ الْمَصْنَفُ لِحَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَفْظُهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْرَمُوا عَمَتَكُمْ النَّخْلَةَ فَإِنَّهَا خَلَقَتْ مِنْ فَضْلَةِ طِينَةِ آدَمَ، وَلَيْسَ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَجَرَةٍ وَلَدَتْ تَحْتَهَا»

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيِّثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

﴾ [إبراهيم: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ الشُّرْكُ<sup>(١)</sup>. [٤٣٣/أ]

وقوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾ فِيهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا الْخِظْلَةُ، رَوَاهُ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>، وَبِهِ قَالَ أَنَسٌ، وَمُجَاهِدٌ.

والثاني: أَنَّهَا الْكَافِرُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

=مريم بنت عمران، فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطباً فتمرّاً<sup>(١)</sup>، أخرجه أبو يعلى (٤٥٥)، وابن حبان في المجروحين (٣/ ٤٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٨٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٢٣)، وفي إسناده مسرور بن سعيد. قال ابن الجوزي: لا يصح، مسرور بن سعيد منكر الحديث.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٣)،

(٢) أخرجه الترمذي (٣١١٩)، والطبري (١٦/ ٥٨٥) من طريق حماد بن سلمة، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنس بن مالك به مرفوعاً، قال الترمذي: روى غير واحد مثل هذا موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير حماد بن سلمة، ورواه معمر وحماد بن زيد وغير واحد ولم يرفعه. أ.هـ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٨٨) (٢٠٧٥٥) عن علي، عن ابن عباس قال: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْثَةٍ﴾، وَهِيَ الشُّرْكُ ﴿كَشَجَرَةٍ خَيْثَةٍ﴾، يَعْنِي الْكَافِرَ. قَالَ: ﴿اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، يَقُولُ: الشُّرْكُ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ، يَأْخُذُ بِهِ الْكَافِرُ وَلَا بِهِ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مَعَ الشُّرْكِ عَمَلًا.

وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: الْكَافِرُ لَا يُقْبَلُ عَمَلُهُ، وَلَا يَضَعُدُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَيْسَ لَهُ أَصْلٌ فِي الْأَرْضِ ثَابِتٌ، وَلَا فَرْعٌ فِي السَّمَاءِ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَمَّا الْكُشُوتَى<sup>(٢)</sup> رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ مِثْلٌ، وَلَيْسَتْ شَجَرَةٌ<sup>(٤)</sup> مَخْلُوقَةٌ، رَوَاهُ أَبُو ظَيْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالخَامِسُ: أَمَّا الثَّوْمُ، رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اجْتَنَّتْ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: اسْتَوْصَلَتْ وَقُطِعَتْ<sup>(٥)</sup>. قَالَ الرَّجَّاجُ: وَمَعْنَى اجْتَنَّتِ الشَّيْءَ فِي اللُّغَةِ: أَخَذَتْ جُثَّتَهُ بِكَمَاهَا<sup>(٦)</sup>.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا لَهَا مِنْ أَصْلٍ، لَمْ تَضْرِبْ فِي الْأَرْضِ عِرْقًا.

وَالثَّانِي: مَا لَهَا مِنْ ثَبَاتٍ.

(١) أخرجه الطبري في تفسير (١٦ / ٥٨٦) (٢٠٧٥٠).

(٢) الكُشُوتَى: نبت يتعلق بالأغصان، ولا عرق له في الأرض. انظر: القاموس المحيط مادة: (ك ش ث).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥ / ١١٥)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٣٨٤)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٦٩).

(٤) في (ج)، و(ر)، و(م): بشجرة.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٢).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٦١).

ومعنى تشبيه الكافر بهذه الشجرة أنه لا يضعده للكافر عمل صالح، ولا قول طيب، ولا لقوله أضل ثابت.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٧) [إبراهيم: ٢٧].

قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يُثَبِّتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، وهو<sup>(١)</sup> شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله تعالى: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحياة الدنيا: زَمَانُ الْحَيَاةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَالْآخِرَةُ: زَمَانُ الْمُسَاءَلَةِ فِي الْقَبْرِ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَفِيهِ أَحَادِيثُ تُعْضِدهُ.

والثاني: أن الحياة الدنيا: زَمَنُ السُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ، وَالْآخِرَةُ: السُّؤَالُ فِي الْقِيَامَةِ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ طَاوُوسٌ، وَقَتَادَةُ.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هَذِهِ الْآيَةُ وَرَدَتْ فِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَسُؤَالِ الْمَلَائِكَةِ، وَتَلْقِيَنِ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ كَلِمَةُ الْحَقِّ عِنْدَ السُّؤَالِ، وَتَثْبِيتهِ إِيَّاهُ عَلَى الْحَقِّ.

﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ يغنى: الْمُشْرِكِينَ، يُضِلُّهُمْ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ. ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ مِنْ هِدَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَإِضْلَالِ الْكَافِرِ.

(١) في (ف): وهو قوله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٢٨)

[إبراهيم: ٢٨].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا﴾.

في المشار إليهم سبعة أقوال:

أحدها: أَنَّهُم الْأَفْجَرَانِ مِنْ قُرَيْشٍ: بنو أمية، وبنو المغيرة، روي<sup>(١)</sup> عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب عليهما السلام.

والثاني: أَنَّهُمْ مُنَافِقُو قُرَيْشٍ، رواه أبو الطفيل عن علي عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

والثالث: بنو أمية، وبنو المغيرة، ورؤساء أهل بذر الذين ساقوا أهل بذر إلى بذر، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والرابع: أهل مكة، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الضحاک.

والخامس: المشركون من أهل بذر، قاله مجاهد، وابن زيد.

والسادس: أَنَّهُم الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَذْرِ مَنْ كَفَّارِ قُرَيْشٍ، قاله<sup>(٣)</sup> سعيد بن جبیر، وأبو مالك.

والسابع: أَنَّهُمْ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْمُشْرِكِينَ، قاله الحسن.

(١) في (ف): وروي.

(٢) أخرجه الطبري (١٦ / ٦٠٢)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤ / ٤٢٧) من طريق شعبة به، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٣ / ٩٥) من طريق أبي الطفيل علي، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٨٤) إلى ابن الأنباري في المصاحف وابن مردويه.

(٣) في (ف): رواه.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: تَبْدِيلُهُمْ <sup>(١)</sup> نِعْمَةَ اللَّهِ [كَفَرًا] <sup>(٢)</sup>، أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِرُسُولِهِ، وَأَسْكَنَهُمْ حَرَمَهُ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرُسُولِهِ، وَدَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَى الْكُفْرِ بِهِ، [٤٣٣/ب] فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾؛ أَي: الْهَلَاكَ.

ثُمَّ فَسَّرَ <sup>(٣)</sup> الدَّارَ بِقَوْلِهِ: ﴿جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا﴾ [إبراهيم: ٢٩]؛ أَي: يُقَاسُونَ حَرَّهَا ﴿وَيَنْسُ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٩]؛ أَي: بِئْسَ الْمَقَرُّ هِيَ.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي [سورة] <sup>(٤)</sup> البقرة [آية: ٢٢]، وَاللَّامُ فِي «لِيُضِلُّوا» لَامُ الْعَاقِبَةِ <sup>(٥)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهَا [يونس: ٨٨]، وَمَنْ قَرَأَ «لِيُضِلُّوا» بَضَمِّ الْيَاءِ <sup>(٦)</sup>، أَرَادَ: لِيُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا﴾؛ أَي: فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا، وَهَذَا وَعِيدٌ لَهُمْ.

(١) فِي سَائِرِ النُّسخ: وَتَبْدِيلُهُمْ.

(٢) مِنْ (ر)، وَ(م).

(٣) فِي (ج): فَسَّرُوا.

(٤) مِنْ (ف)، وَ(م).

(٥) هِيَ الَّتِي يَسْمِيهَا الْكُوفِيُّونَ لَامَ الصِّيْرُورَةِ؛ هَذِهِ اللَّامُ نَاصِبَةٌ لِمَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ الْأَفْعَالِ بِإِضْمَارِ أَنْ، وَالْمَنْصُوبُ بَعْدَهَا بِتَقْدِيرِ اسْمٍ مَخْفُوضٍ، وَهِيَ مُلْتَبَسَةٌ بِلَامِ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهَا، وَلَيْسَتْ بِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُكَ: أَعَدَدْتَ هَذِهِ الْخَشْبَةَ لِيَمِيلَ الْخَائِطُ فَأُدْعِمَهُ بِهَا، وَأَنْتَ لَمْ تَرُدِّ مِيلَ الْخَائِطِ وَلَا أَعَدَدْتَهَا لِلْمِيلِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ بَغْيَتِكَ وَإِرَادَتِكَ وَلَكِنْ أَعَدَدْتَهَا خَوْفًا مِنْ أَنْ يَمِيلَ فَتُدْعِمَهُ بِهَا وَاللَّامُ دَالَةٌ عَلَى الْعَاقِبَةِ.

(٦) قِرَاءَةُ الضَّمِّ وَالْفَتْحُ قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ، انْظُرْ: التَّيْسِيرُ (ص: ١٣٤).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ كَانَ الْكَافِرُ مَرِيضًا لَا يَنَامُ، جَائِعًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، لَكَانَ هَذَا نَعِيمًا يَتَمَتَّعُ بِهِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَوْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي أَنْعَمِ عَيْشٍ، لَكَانَ بُؤْسًا عِنْدَمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنَ نَعِيمِ الْآخِرَةِ<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَئِيعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (٣١) **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ** (٣٢) **وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** (٣٣) **وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَا تَنْمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** (٣٤) **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ** (٣٥) **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣٦) [إبراهيم: ٣١ - ٣٦].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَسْكَنَ ابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزُهُ، وَالْكِسَائِيُّ يَاءَ «عِبَادِي»<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: مَغْنَاهُ: قُلْ لِعِبَادِي: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفِقُوا، يُقِيمُوا وَيُنْفِقُوا، فَحُذِفَ الْأَمْرَانِ، وَتُرِكَ الْجَوَابَانِ<sup>(٣)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]:

فَأَيَّ أَمْرِي أَنْتَ أَيَّ أَمْرِي إِذَا قِيلَ فِي الْحَرْبِ مَنْ يُقَدِّمُ<sup>(٤)</sup>

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٢)، والتفسير البسيط (١٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر: التيسير (ص: ١٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٧٧).

(٤) البيت للكميت بن زيد الأسدي في المعاني الكبير؛ لابن قتيبة (١/ ٤١٩)، والأزمعة =



أَرَادَ: إِذَا قِيلَ: مَنْ يُقَدِّمُ؛ يُقَدِّمُ<sup>(١)</sup>.

وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قُلْ لِعِبَادِي: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَأَتَّقُوا، فَصُرِفَ عَنْ لَفْظِ الْأَمْرِ إِلَى لَفْظِ الْخَيْرِ، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: قُلْ هُمْ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَلِيَتَّقُوا، فَحُذِفَتْ<sup>(٢)</sup> لَامُ الْأَمْرِ؛ لِإِدْلَالَةِ «قُلْ» عَلَيْهَا<sup>(٣)</sup>. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالْخِلَالُ مُصْدَرٌ خَالَلتُ فَلَنَا خِلَالًا وَمُخَالَةً، وَالْإِسْمُ الْخُلَّةُ، وَهِيَ الصَّدَاقَةُ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾؛ أَي: ذَلَّلَهَا، تَجْرِي حَيْثُ تُرِيدُونَ، وَتَرْكَبُونَ فِيهَا حَيْثُ تَشَاؤُونَ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ لِيَتَنَفَّعُوا بِهِمَا وَتَسْتَظِئُوا بِضَوْنِهِمَا ﴿وَدَابَّيْنِ﴾ فِي إِصْلَاحِ مَا يُصْلِحُنِيهِ مِنَ النَّبَاتِ وَغَيْرِهِ، لَا يَفْتَرَانِ.

وَمَعْنَى الدُّوْب: مَرُورُ الشَّيْءِ فِي الْعَمَلِ عَلَى عَادَةٍ جَارِيَةٍ فِيهِ. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لِيَسْكُنُوا فِيهِ؛ رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لِيَتَنَفَّعُوا بِمَعَاشِكُمْ، ﴿وَمَا آتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.

=والأمكنة (ص: ٤٩٠)، ولكن رواية العجز فيهما: إذا الزجر لم يستدِر الزجورا.

(١) في (م): تقدم.

(٢) في (ج)، و(ف)، و(ر): فحذف.

(٣) انظر: البيان في غريب الإعراب؛ لابن الأنباري (٢/ ٥٩)، والإملاء؛ للعكبري (٢/ ٦٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

وفيه خمسة أقوال:

أحدها: أن المعنى: من كل الذي سألتموه، قاله الحسن، وعكرمة.

والثاني: من كل ما سألتموه، [لو سألتموه]<sup>(١)</sup>، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.

والثالث: وآتاكم من كل شيء سألتموه شيئاً، فأضمر الشيء؛ كقوله:

﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ أي: من كل شيء في زمانها شيئاً، قاله الأخفش<sup>(٣)</sup>.

والرابع: من كل ما سألتموه، وما لم تسألوه؛ لأنكم لم تسألوا شمساً

ولا قمرًا ولا كثيرًا من النعم التي ابتدأكم بها، فاكثفي بالأول من الثاني؛

كقوله: ﴿سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] قاله ابن الأثيري<sup>(٤)</sup>.

والخامس: على قراءة ابن مسعود، وأبي رزين، والحسن، وعكرمة، وقاتدة،

وأبان عن عاصم، وأبي حاتم عن يعقوب: «من كل ما» بالتثنية من غير إضافة<sup>(٥)</sup>،

[٤٣٤/أ] فالمعنى: آتاكم من كل ما لم تسألوه، قاله قاتدة، والضحاك.

(١) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ، إلا أن في (م): سألتوه، بدل: سألتموه.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٧٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٢).

(٥) قراءة شاذة، رواها محمد بن إسحاق المسيبي عن أبيه عن نافع، كما في جامع البيان (٣/ ١٢٥٨)،

وليست من طرق التيسير ولا النشر، وعزاها في المحتسب (١/ ٣٦٣) إلى ابن عباس والحسن

والضحاك، وزاد الثعلبي (١٥/ ٣٩٦) سلاماً، والكل في البحر المحيط (٦/ ٤٤٠).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾؛ أي: إنعامه ﴿لَا تُحْصَوْهَا﴾ لا تطيقوا الإتيان على جميعها بالعدِّ لِكثرتها. ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ قال ابنُ عباسٍ: يُريدُ أبا جهل<sup>(١)</sup>.

وقال الزجاج: الإنسان اسمٌ للجنس<sup>(٢)</sup> يُقصد به الكافرُ خاصَّةً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَظَلُمُوا كَفَّارًا﴾ الظُّلوم هاهنا: الشَّاكرُ غيرَ مَنْ أنعم عليه، والكفَّارُ: الجحودُ لنعمِ الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ قد سبق تفسيرُه في [سورة]<sup>(٤)</sup> البقرة [آية: ١٢٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ﴾؛ أي: جنِّبني وإياهم، والمعنى: ثبِّتني على اجتنابِ عبادتها. ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَضَلَّنَا مِنَ النَّاسِ﴾ يغني: الأصنام، وهي لا تُوصَفُ بالإضلالِ ولا بالفعلِ، ولكنهم لَمَّا ضلُّوا بسببها، كانت كَأَنَّهَا أَضَلَّتْهُمْ.

﴿فَمَنْ يَبْعَنِي﴾؛ أي: على ديني التَّوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾؛ أي: فهو على ملَّتِي ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: وَمَنْ عَصَانِي ثُمَّ تَابَ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، قاله السُّدِّيُّ.

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٨٢).

(٢) في (ف): الجنس.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٦٤).

(٤) من (م).

والثاني: وَمَنْ عَصَانِي فِيهَا دُونَ الشَّرْكِ، قَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانٍ.

والثالث: وَمَنْ عَصَانِي فَكَفَّرَ فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِ فَتَهْدِيَهُ إِلَى التَّوْحِيدِ، قَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ<sup>(١)</sup>.

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ دَعَا بِهِذَا قَبْلَ أَنْ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الشَّرْكَ كَمَا اسْتَغْفَرَ لِأَيِّهِ<sup>(٢)</sup>.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ في «مِنْ» قولان:

أحدهما: أَنَّهَا لِلتَّبْعِيضِ، قَالَهُ الْأَخْفَشُ<sup>(٣)</sup>، وَالْفَرَّاءُ<sup>(٤)</sup>.

والثاني: أَنَّهَا لِلتَّوَكِيدِ، وَالْمَعْنَى: أَسْكَنْتُ ذُرِّيَّتِي، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ يعني: مَكَّةَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا حَرْثٌ وَلَا مَاءٌ. ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ إِنَّمَا سُمِّيَ مُحَرَّمًا؛ لِأَنَّهُ يُحْرَمُ اسْتِحْلَالُ حُرْمَتِهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٠٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٠٨).

(٤) معاني القرآن (٧٨).

(٥) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢/ ٤٨٧).

(٦) في (ج)، و(ف): حرماته، وفي (م): محرماته.



وَالِاسْتِخْفَافُ<sup>(١)</sup> بِحَقِّهِ.

فَإِنْ قِيلَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَيْتٌ حِينَئِذٍ، إِنَّمَا بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ؟

فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهِ<sup>(٢)</sup>:

أَحَدُهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ مَوْضِعَ الْبَيْتِ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّانِي: عِنْدَ بَيْتِكَ الَّذِي كَانَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ أَيَّامَ الطُّوفَانِ.

وَالثَّلَاثُ: عِنْدَ بَيْتِكَ الَّذِي قَدْ جَرَى فِي سَابِقِ عِلْمِكَ أَنَّهُ يَحْدُثُ هَاهُنَا، ذَكَرَهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ يَقُولُ: ظَاهِرُ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ أَنْ بُنِيَ الْبَيْتُ وَصَارَتْ مَكَّةَ بَلَدًا. وَالْمُفَسِّرُونَ عَلَى خِلَافٍ مَا قَالُوا.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَرَجَ مِنَ الشَّامِ وَمَعَهُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ وَأُمُّهُ هَاجِرُ وَمَعَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَبِهَا نَاسٌ يُقَالُ لَهُمْ: الْعَمَالِيقُ، خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ، وَالْبَيْتُ

(١) فِي (ف): وَاسْتِخْفَافٌ.

(٢) فِي (ج): أَوْجُهُ.

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (١٧ / ٢٤).

يَوْمَئِذٍ رَبُّوهُ حَمَرَاءُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ لِحَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَاهُنَا <sup>(١)</sup> أُمِرْتُ أَنْ أَضَعَهُمَا؟ قَالَ: نَعَمْ! فَأَنْزَلَهُمَا <sup>(٢)</sup> فِي مَكَانٍ مِنَ الْحَجَرِ، وَأَمَرَ هَاجِرًا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِ عَرِيشًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾... الْآيَةُ <sup>(٣)</sup>.

[٤٣٤/ب] وَفَتَحَ أَهْلُ الْحَجَّازِ، وَأَبُو عَمْرٍو يَاءَ ﴿إِنِّي أَسْكَنْتُ﴾ <sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فِي مَتَعَلَّقِ هَذِهِ اللَّامِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ فَاَلْمَعْنَى: جَنْبُهُمُ الْأَصْنَامَ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، هَذَا قَوْلُ مُقَاتِلٍ <sup>(٥)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَسْكَنْتُ﴾ فَاَلْمَعْنَى: أَسْكَنْتُهُمْ عِنْدَ بَيْتِكَ لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ <sup>(٦)</sup> قِبْلَةُ الصَّلَوَاتِ، ذَكَرَهُ الْمَوَارِدِيُّ <sup>(٧)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾؛ أَي: قُلُوبَ جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ، [قَالَ الْأَكْثَرُونَ] <sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (ف)، وَ(م): أَهَاهُنَا.

(٢) فِي (ف): فَابِنَ لَهُمَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣/ ٦٢) (٢٠٤٨)، وَالْأَزْرَقِيُّ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ (١/ ٢١ - ٢٢) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ.

(٤) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: السَّبْعِيَّةُ؛ لِابْنِ مُجَاهِدٍ (ص: ٣٦٤)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ١٣٥)، وَالنَّشْرُ؛ لِابْنِ الْجَزَرِيِّ (٢/ ٣٠).

(٥) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٤٠٨).

(٦) فِي (ر)، وَ(م): بَيْتِكَ.

(٧) النَّكْتُ وَالْعَيُونُ (٣/ ١٣٨).

(٨) مِنْ (ج).

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ الْقُلُوبِ بِالْأَفْئِدَةِ؛ لِقُرْبِ الْقَلْبِ  
مِنَ الْفُؤَادِ وَمُجَاوَرَتِهِ<sup>(١)</sup>، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]:

رَمَتْنِي بِسَهْمٍ أَصَابَ الْفُؤَادَ      غَدَاةَ الرَّحِيلِ فَلَمْ أَتَّصِرْ<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ الْآخَرُ<sup>(٣)</sup> [مِنَ الطَّوِيلِ]:

كَأَنَّ فُؤَادِي كُلَّمَا مَرَّ رَاكِبٌ      جَنَاحَ غُرَابٍ رَامَ نَهْضًا إِلَى وَحْرِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَالَ الْآخَرُ<sup>(٥)</sup> [مِنَ الطَّوِيلِ]:

وَإِنَّ فُؤَادًا قَادِنِي لِيَصْبَابَةٍ      إِلَيْكَ عَلَى طُولِ الْهَوَى لَصَبُورُ<sup>(٦)</sup>  
يَعْنُونَ بِالْفُؤَادِ: الْقَلْبَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَهَوَّىٰ إِلَيْهِمْ﴾.

(١) انظر قول ابن الأنباري في تفسير الخازن (٣ / ٤١).

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه (ص: ١٠٥)، وأشعار الستة الجاهليين (ص: ٢٠)،  
والتفسير البسيط (١٢ / ٥٠٣)، والمقاصد النحوية (١ / ١٦٥).

(٣) في (ف)، و(م): آخر.

(٤) البيت ليحيى بن طالب الحنفي في أمالي القالي (١ / ١٢٣)، والحماسة البصرية (٢ / ١٣٦)،  
والتذكرة الحمدونية (٦ / ٧١).

(٥) في (ج)، و(م): آخر.

(٦) البيت بلا نسبة في التكت والعيون؛ للماوردي (٣ / ١٣٨).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَحْنُ إِلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ: تَنْزِعُ إِلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ  
الْفَرَّاءُ<sup>(٣)</sup>: تُرِيدُهُمْ، كَمَا تَقُولُ: رَأَيْتُ فَلَانًا يَهْوِي نَحْوَكَ؛ أَي: يُرِيدُكَ<sup>(٤)</sup>.  
وَقَرَأَ بَعْضُهُمْ: «تَهْوَى إِلَيْهِمْ» بِمَعْنَى: تَهَوَّاهُمْ<sup>(٥)</sup>؛ كَقَوْلِهِ: ﴿رَدِفَ لَكُمْ﴾  
[النمل: ٧٢]؛ أَي: رَدِفَكُمْ «وإلى» توكيدٌ للكلام.

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: ﴿تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ تَنْحَطُّ إِلَيْهِمْ وَتَنْحَدِرُ<sup>(٦)</sup>.

وَفِي مَعْنَى هَذَا الْمِيلِ إِلَيْهِمْ<sup>(٧)</sup> قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْمِيلُ إِلَى الْحَجِّ، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ حُبُّ سُكْنَى مَكَّةَ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٨)</sup>.

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٨٩) من رواية عطاء عن ابن عباس، بلفظ: يريد تحن إليهم زيارة بيتك.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٦) عن قَتَادَةَ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور في الدر المنثور (٤ / ٨٧) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٣) في (ج): وقال ابن الأنباري.

(٤) معاني القرآن؛ للفراء (٢ / ٧٨).

(٥) قراءة شاذة، انظر عزوها في معاني القرآن (٣ / ٥٣٦)؛ للنحاس إلى مجاهد.

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٤٨٩) بلا نسبة.

(٧) ليست في سائر النسخ.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٦)، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَأَجْمَلَ أَفْتَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ﴾ قال: إن إبراهيم خليل الرحمن سأل الله أن يجعل أناساً من الناس يَهْوُونَ سَكْنَى أو سَكُنْ مَكَّةَ. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٨٧) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.



وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَوْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ:  
فاجْعَلْ أَفْئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، لَحَجَّهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَلَكِنَّهُ قَالَ:  
مِنَ النَّاسِ<sup>(١)</sup>.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا تُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
السَّمَاءِ﴾ (٣٨) [إبراهيم: ٣٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا تُخْفِي﴾ قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:  
مَا تُخْفِي مِنَ الْوُجْدِ بِمَفَارِقَةٍ<sup>(٢)</sup> إِسْمَاعِيلَ، وَمَا نُعْلِنُ مِنَ الْحَبِّ لَهُ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِنَّمَا قَالَ هَذَا لَمَّا نَزَلَ إِسْمَاعِيلُ الْحَرَمَ، وَأَرَادَ فِرَاقَهُ.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ  
الِدُّعَاءِ﴾ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ [إبراهيم: ٣٩ - ٤٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ﴾؛ أَي: بَعْدَ الْكِبَرِ  
﴿إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وُلِدَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ  
وَتِسْعِينَ سَنَةً<sup>(٤)</sup>، وَوُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً<sup>(٥)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٦) عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ  
ابْنِ عَبَّاسٍ. وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (٣ / ٤٣٨) (٣٩٩٦) مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ.

(٢) فِي (ف): مِنْ مَفَارِقَةٍ.

(٣) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ٤٠٣).

(٤) لَيْسَتْ فِي (م).

(٥) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ٤٠٤)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٤٩٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَخَمَزَةُ، وَهُبَيْرَةُ عَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ: «وَقَبَّلْ دُعَائِي» بِيَاءٍ فِي الْوَصْلِ. وَقَالَ الْبَزْزِيُّ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ: يَصِلُ وَيَقِفُ بِيَاءً. وَقَالَ قُتَيْبٌ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ: يَشْمُ الْيَاءُ فِي الْوَصْلِ، وَلَا يُثْبِتُهَا، وَيَقِفُ عَلَيْهَا بِالْأَلِفِ الْبَاقُونَ «دُعَاءً» بغير ياءٍ فِي الْحَالَيْنِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: الْوَقْفُ وَالْوَصْلُ بِيَاءٍ هُوَ الْقِيَاسُ، وَالْإِسْمَاءُ جَائِزٌ؛ لِدَلَالَةِ الْكُسْرَةِ عَلَى الْيَاءِ<sup>(٢)</sup>.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (٤١) [إبراهيم: ٤١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: اسْتَغْفَرَ لِأَبَوَيْهِ وَهَمَّا حَيَّانٍ، طَمَعًا فِي أَنْ يَهْدِيَا إِلَى [٤٣٥/أ] الْإِسْلَامِ<sup>(٣)</sup>. وَقِيلَ: أَرَادَ بِوَالِدَيْهِ: آدَمَ، وَحَوَّاءَ.

وَقَرَأَ ابْنُ مُسْعُودٍ، وَأَبِيٌّ، النَّخَعِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ: «وَلِوَالِدَيَّ» يَغْنِي: إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، يَدُلُّ عَلَيْهِ ذِكْرُهُمَا قَبْلَ ذَلِكَ. وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ: «وَلِوَالِدِي»

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ١٣٥)، وحاصل طرق التيسير أن هذه الكلمة ثلاث قراءات؛ الأولى: قراءة الجمهور بكسر الهمز وحذف الياء وضلاً ووقفًا، وهي لابن عامر وعاصم والكسائي ونافع من رواية قالون، وابن كثير من رواية قبل، والثانية: إثبات الياء وضلاً ووقفًا، وهي لحمزة وأبي عمرو وورش عن نافع، والثالثة: إثباتها في الحالين، وهي للبخاري عن ابن كثير.

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥ / ٣٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٣٤-٣٥)، والتفسير البسيط (١٢ / ٤٩٢-٤٩٣).

عَلَى التَّوْحِيدِ. وقرأ عاصم الجحدري: «وَلَوْلَيْدِي» بضم الواو. وقرأ يحيى ابن يعمر، والجوني: «وَلَوْلَيْدِي» بفتح الواو وكسر الدال على التوحيد<sup>(١)</sup>. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾؛ أي: يُظهر الجزاء<sup>(٢)</sup> على الأعمال. وقيل: معناه: يوم يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس؛ إذ كان المعنى مفهوماً.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾<sup>(٣)</sup> مُهْطِعِينَ مُقْنِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ قال ابن عباس: هذا وعيد للظالم، وتعزية للمظلوم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو رزين، وقتادة: «نُؤَخِّرُهُمْ» بالنون<sup>(٤)</sup>؛ أي: نُؤَخِّرُ<sup>(٥)</sup> جزاءهم ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ

(١) كلها شاذة، انظر عزوها في: المحتسب (١ / ٣٦٥)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٦٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٦٢)، والكامل (ص: ٢٠٨).

(٢) ليست في (ج)، و(ف).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٨ - ٢٩)، والخرائطي في مساوي الأخلاق (٦٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٨٣ - ٨٤) عن ميمون بن مهران في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ قال: هي وعيد للظالم وتعزية للمظلوم.

(٤) قراءة شاذة، عزها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٦٢) إلى الحسن وقتادة والسلمي، وعباس عن أبي عمرو والمفضل عن عاصم، وعن سعيد بن جبیر (يؤخرهم) بسكون الراء.

(٥) في (م): يؤخر.

فِيهِ الْأَبْصَرُ ﴿١﴾؛ أَي: تَشَخَّصُ أَبْصَارُ الْخَلَائِقِ لِظُهُورِ الْأَحْوَالِ فَلَا تَغْتَمِضُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْإِهْطَاعَ: النَّظَرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْرُقَ النَّاطِرُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو الضَّحَى.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْإِسْرَاعُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ: أَهْطَعَ<sup>(٣)</sup> الْبَعِيرُ فِي سَيْرِهِ، وَاسْتَهْطَعَ؛ إِذَا أَسْرَعَ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي مَا أَسْرَعُوا إِلَيْهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِلَى الدَّاعِي، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: إِلَى النَّارِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٥)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمُهْطَعَ الَّذِي لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُقْنِي رُءُوسِهِمْ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: رَافِعِي رُءُوسِهِمْ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ،

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٩)، وَعَزَاهُ السُّوْطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنْشُورِ (٦ / ١٣٤) إِلَى ابْنِ جُرَيْرٍ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) مَجَازُ الْقُرْآنِ (١ / ٣٤٣).

(٣) فِي (ف): هَطَعَ.

(٤) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٣٣).

(٥) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢ / ٤١٠).

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٣١ - ٣٢).

وسعيد بن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة، وأنشد أبو عبيدة<sup>(١)</sup> [من الرجز]:

أَنْغَضَ نَحْوِي رَأْسَهُ فَأَقْنَعَا<sup>(٢)</sup>

كَأَنَّمَا أَبْصَرَ شَيْئًا أَطْمَعَا<sup>(٣)</sup>

وقال ابن قتيبة: الْمُقْنَعُ رَأْسُهُ: الَّذِي رَفَعَهُ وَأَقْبَلَ بِطَرْفِهِ عَلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

وقال الزجاج: رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ، مُلْتَصِقَةً بِأَعْنَاقِهِمْ. و﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ﴾ نُصِبَ عَلَى الْحَالِ، الْمَعْنَى: لِيَوْمٍ تَشْخُصُ فِيهِ أَبْصَارُهُمْ مُهْطِعِينَ<sup>(٥)</sup>.

والثاني: نَاكِسِي رُؤُوسِهِمْ، حَكَاهُ الْمَاورِدِيُّ عَنِ الْمُؤَرِّجِ<sup>(٦)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾؛ أَي: لَا يَرْجِعُ<sup>(٧)</sup> إِلَيْهِمْ أَبْصَارُهُمْ مِنْ شِدَّةِ النَّظَرِ، فَهِيَ شَاخِصَةٌ.

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٤٤).

(٢) في سائر النسخ: وأقنعا.

(٣) الرجز بلا نسبة في مجاز القرآن (١ / ٣٤٤)، وتفسير الطبري (١٧ / ٣١)، والكشف والبيان؛ للعلبي (١٥ / ٤٠٨)، وحياة الحيوان (٢ / ٤٩٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٦٥ - ١٦٦).

(٦) النكت والعيون (٣ / ١٤٠).

(٧) في (م): ترجع.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالْمَعْنَى: أَنَّ نَظَرَهُمْ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ الْحَسَنُ:  
وَجُوهَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى السَّمَاءِ، لَا يَنْظُرُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ<sup>(٢)</sup>.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَفْنَدْتُهُمْ هَوَاءً﴾<sup>(٣)</sup> الْأَفْنِدَةُ: مَسَاكِنُ الْقُلُوبِ.

وَفِي مَعْنَى الْكَلَامِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْقُلُوبَ خَرَجَتْ مِنْ مَوَاضِعِهَا فَصَارَتْ فِي الْحَنَاجِرِ، رَوَاهُ  
عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ قَتَادَةُ: خَرَجَتْ مِنْ صُدُورِهِمْ فَنَشَبَتْ فِي حُلُوقِهِمْ، فَأَفْنَدَتْهُمْ  
هَوَاءً لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ<sup>(٥)</sup>.

وَالثَّانِي: وَأَفْنَدَتْهُمْ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ، فَهِيَ كَالْخَرَبَةِ، رَوَاهُ  
الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: وَأَفْنَدَتْهُمْ مُنْخَرَقَةً<sup>(٧)</sup> لَا تَعِي شَيْئًا، قَالَهُ مَرَّةً ابْنُ شَرَحْبِيلَ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٢)، وذكره البغوي في معالم التنزيل (٤ / ٣٥٩)،  
والثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٤٠٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٥٠٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٥٠١).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٣٤٣)، والطبري في تفسيره (١٧ / ٣٤) عن معمر  
عن قتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٨٨) إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٣).

(٦) في (م): مُتَخَرِّقَةً.

وَقَالَ الرَّجَاجُ: مُتَحَرِّقَةٌ<sup>(١)</sup> لَا تَعِي شَيْئًا مِنَ الْخَوْفِ<sup>(٢)</sup>.

والرابع: وأفئدتهم جوف لا عقول لها<sup>(٣)</sup>، قاله أبو عبيدة<sup>(٤)</sup>، وأنشد  
لحسن [من الوافر]:

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخِبٌ هَوَاءٌ<sup>(٥)</sup>

نَعْلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ<sup>(٦)</sup> قُلُوبَهُمْ خَلَّتْ عَنِ الْعُقُولِ، لَمَّا رَأَوْا  
مِنْ أَهْوَالِ. وَالْعَرَبُ تُسَمِّي كُلَّ أَجْوَفٍ خَاوٍ: هَوَاءً.

فَالْإِبْنُ قُتَيْبَةَ. وَيُقَالُ: أَفْئَدَتُهُمْ مَنْخُوبَةٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُبْنِ<sup>(٧)</sup>.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَى أَجَلٍ  
قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَتَنْجِيعِ الرَّسُلِ أَوْلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ  
زَوَالٍ﴾ (١٤) ﴿[إبراهيم: ٤٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ﴾؛ أَي: خَوْفُهُمْ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني  
بِهِ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِذِكْرِ الْعَذَابِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ثَوَابٌ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ

(١) الذي في معاني الزجاج المطبوع: منحرقة.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٦٦).

(٣) ليست في (ج)، و(ف).

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣٤٤).

(٥) البيت لحسان في مجاز القرآن (١ / ٣٤٤)، وتفسير الطبري (١٧ / ٣٥)، ومعاني القرآن؛

للنحس (٣ / ٥٤١)، والكشف والبيان؛ للشعلبي (١٥ / ٤٠٩).

(٦) ليست في (ج)، و(ف).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

خَرَجَ نَحْرَجَ التَّهْدِيدِ لِلْعَصَاةِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ بِالنَّاسِ هَاهُنَا: أَهْلَ مَكَّةَ<sup>(١)</sup>.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أَي: أَشْرَكُوا ﴿رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾؛ أَي: أَمْهَلْنَا<sup>(٢)</sup> مُدَّةً يَسِيرَةً.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: سَأَلُوا الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا قَرِيبٌ<sup>(٣)</sup>.  
﴿نَحْبُ دَعْوَتِكَ﴾ يَعْنِي: التَّوْحِيدَ، فَيُقَالُ<sup>(٤)</sup> لَهُمْ: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ﴾؛ أَي: حَلَفْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّكُمْ لَا تُبْعَثُونَ وَلَا تَتَّقِلُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ.  
﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾<sup>(٥)</sup> [إِبْرَاهِيمَ: ٤٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكَنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؛ أَي: نَزَلْتُمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ وَقَرَأْتُمْهُمْ؛ كَالْحَجَرِ وَمَذِينٍ، وَالْقُرَى الَّتِي عُذِّبَ أَهْلُهَا. وَمَعْنَى ﴿ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؛ [أَي]<sup>(٥)</sup>: ضَرُّوْهَا<sup>(٦)</sup> بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢١٥)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٣٥)، والتفسير البسيط (١٢/ ٥٠٤).

(٢) في (ج): مهلنا.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤١٠).

(٤) في (ف): فقال.

(٥) من (م).

(٦) في (ج): صيروها.



﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المთوكل الناجي: «وُتِّينَ» بضم التاء<sup>(١)</sup>. ﴿كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ يعني: كيف عذبناهم، (يقول: فكان)<sup>(٢)</sup> ينبغي لكم أن تنزجروا عن المخالفة اعتباراً بمساكينهم بعدما علمتم فعلننا بهم.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ قال ابن عباس: يريد الأمثال التي في القرآن<sup>(٣)</sup>.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾<sup>(٤)</sup> فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ<sup>(٥)</sup> [إبراهيم: ٤٦ - ٤٧].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾.

في المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها: أنه نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه.

قال: لَا أَنْتَهِي حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَمَرَ بِفَرْخِي نَسْرٍ قُرْبِيًّا حَتَّى سَمِنَا وَاسْتَعْلَجَا، ثُمَّ أَمَرَ بِتَابُوتٍ فَنُحِتَ، ثُمَّ جَعَلَ فِي وَسْطِهِ خَشَبَةً، وَجَعَلَ عَلَى

(١) قراءة شاذة، والرواية عن السلمي: (وُتِّينَ) الرفع من بين، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٥٦)، وعزاها ابن عطية في تفسيره (٥ / ٦٨١) إلى السلمي بنون عظمة مضمومة وجزم (وُتِّينَ)، وانظر أيضاً: شواذ ابن خالويه (ص: ٦٩)، والبحر المحيط (٥ / ٤٣٦).

(٢) في (ج): وكان.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢ / ٥٠٥).

رَأْسِ الْخَشَبَةِ لَحْمًا شَدِيدَ الْحُمْرَةِ، ثُمَّ جَوَّعَهُمَا وَرَبَطَ أَرْجُلَهُمَا بِأَوْتَارٍ إِلَى قَوَائِمِ التَّابُوتِ، وَدَخَلَ هُوَ وَصَاحِبُهُ لَهُ فِي التَّابُوتِ وَأَغْلَقَ بَابَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَهُمَا، فَجَعَلَا يُرِيدَانِ اللَّحْمَ، فَصَعِدَا فِي السَّمَاءِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ لِصَاحِبِهِ: افْتَحْ وَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟ فَفَتَحَ، فَقَالَ: أَرَى الْأَرْضَ كَأَنَّهَا الدُّخَانُ، فَقَالَ لَهُ: أَغْلِقْ، ثُمَّ صَعِدَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ<sup>(١)</sup>: افْتَحْ [فَانْظُرْ]<sup>(٢)</sup>، فَفَتَحَ، فَقَالَ: مَا أَرَى إِلَّا السَّمَاءَ، وَمَا نَزَدَا مِنْهَا إِلَّا بُعْدًا، قَالَ: فَصَوِّبْ خَشَبَتَكَ، فَصَوَّبَهَا، فَانْقَضَتِ النَّسُورُ تُرِيدُ [٤٣٦/أ] اللَّحْمَ، فَسَمِعَتِ الْجِبَالُ هَدَّتَهَا، فَكَادَتْ تَزُولُ عَنْ مَرَاتِبِهَا، هَذَا قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: كَانَتِ النَّسُورُ أَرْبَعَةً.

وَرَوَى السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ: أَنَّهُ مَا زَالَ يَصْعَدُ إِلَى أَنْ رَأَى الْأَرْضَ مُحِيطَةً بِهَا بِخَرٍّ، فَكَأَنَّهَا فَلَكَةٌ فِي مَاءٍ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى وَقَعَ فِي ظُلْمَةٍ، فَلَمْ يَرَ مَا فَوْقَهُ وَلَمْ يَرَ مَا تَحْتَهُ، فَفَزِعَ، فَصَوَّبَ اللَّحْمَ، فَانْقَضَتِ النَّسُورُ، فَلَمَّا نَزَلَ أَخَذَ فِي بِنَاءِ الصَّرْحِ، ثُمَّ صَعِدَ مِنْهُ مَعَ النَّسُورِ، فَلَمَّا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى السَّمَاءِ، انْخَذَهُ حِصْنًا، فَاتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ<sup>(٤)</sup>.

(١) ليست في (ج)، و(ف)، و(م).

(٢) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٩)، عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٨٩) إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري.

(٤) انظر: بحر العلوم (٢ / ٢٤٨).

وَقَالَ عِكرْمَةُ: كَانَ مَعَهُ فِي التَّابُوتِ غُلَامٌ قَدْ حَمَلَ الْقَوْسَ وَالنَّشَابَ، فَرَمَى بِهِمْ فَعَادَ إِلَيْهِ مُلَطَّخًا بِالدَّمِّ، فَقَالَ: كُفَيْتَ إِلَهَ السَّمَاءِ، وَذَلِكَ مِنْ دَمِ سَمَكَةٍ فِي بَحْرِ مُعَلَّقٍ فِي الْهَوَاءِ، فَلَمَّا هَالَهُ الْإِرْتِفَاعُ، قَالَ لِصَاحِبِهِ: صَوِّبِ الْخَشَبَةَ، فَصَوَّبَهَا، فَانْحَطَّتِ النَّسُورُ، فَظَنَّتِ الْجِبَالُ أَنَّهُ أَمْرٌ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ فَزَالَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لَمَّا رَأَتْ الْجِبَالُ ذَلِكَ، ظَنَّتْ أَنَّهُ قِيَامُ السَّاعَةِ، وَكَادَتْ تَزُولُ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو مَالِكٍ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ بَخْتَنَصَّرَ، وَأَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ لَهُ جَرَتْ، وَأَنَّ النَّسُورَ لَمَّا ارْتَفَعَتْ تَطْلُبُ اللَّحْمَ إِلَى حَيْثُ [مَا]<sup>(٢)</sup> شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، نُودِيَ: يَا أَيُّهَا الطَّاعِيَةُ! أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَفَرِقَ، ثُمَّ سَمِعَ الصَّوْتَ فَوْقَهُ، فَنَزَلَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِبَالُ ذَلِكَ، ظَنَّتْ أَنَّهُ قِيَامُ السَّاعَةِ فَكَادَتْ تَزُولُ، وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمُ الْأُمَمُ الْمُتَقَدِّمَةُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، [وَعِكرْمَةُ]<sup>(٣)</sup>: مَكْرُهُمْ: شِرْكُهُمْ<sup>(٤)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُمُ الَّذِينَ مَكَّرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ هَمُّوا بِقَتْلِهِ وَإِخْرَاجِهِ.

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٤ / ٣٦١)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٤١٣).

(٢) من (ج).

(٣) من (ر)، و(م).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٨٩) إلى ابن

المنذر وابن أبي حاتم.

وفي معنى <sup>(١)</sup> قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه محفوظٌ عنده حتى يُجَازِيَهُمْ بِهِ، قاله الحسنُ، وفتادة.

والثاني: وعند الله جزاءُ مكرهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُهُمْ﴾ وقرأ أبو بكر، وعمر، وعلي، وابنُ مسعود، [وأبي<sup>(٢)</sup>]، وابنُ عباس، وعكرمة، وأبو العالية: «وإن كَادَ [مَكْرُهُمْ]<sup>(٣)</sup>» بالذال<sup>(٤)</sup>.

﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ وقرأ الأكثرون «لِتَزُولَ» بكسر اللام الأولى من «لِتَزُولَ» وفتح الثانية. أراد: وما كان مكرهم لِتَزُولَ مِنَ الْجِبَالِ؛ أي: هو أضعفُ وأوهنُ، كذلك فسرها الحسنُ البصريُّ.

وقرأ الكسائيُّ: «لِتَزُولَ» بفتح اللام الأولى وضمَّ الثانية<sup>(٥)</sup>، أراد: قد

(١) ليست في سائر النسخ.

(٢) من (ج)، و(ر)، و(م).

(٣) من سائر النسخ.

(٤) قراءة شاذة، انظر: تفسير الطبري (١٧ / ٤٠ - ٤١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢ / ١٨٧)، والقراءات الشاذة؛ لابن خالويه (ص: ٧٤)، والمحاسب (١ / ٣٦٥)، وإعراب القراءات وعللها (١ / ٣٣٧).

(٥) انظر قراءة الكسائي في التيسير (ص: ١٣٥)، وانظر القراءات الواردة في هذه الكلمة في البحر المحيط (٦ / ٤٥٤)، وانظر عزوها لعلي وابن عباس وأنس ومجاهد في تفسير الطبري (١٧ / ٤٠ - ٤١)، وعزاها الثعلبي (٥ / ٣٢٦) إلى ابن جريج، وعزاها في إتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٤٤) إلى ابن محيصن.

كَادَتْ الْجِبَالُ تَزُولُ مِنْ مَكْرِهِمْ، كَذَلِكَ فَسَّرَهَا ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(١)</sup>.

وفي المراد بالجبال قولان:

أحدهما: أنَّهَا الْجِبَالُ الْمَعْرُوفَةُ، قَالَ الْجُمْهُورُ.

والثاني: أَنَّهَا ضُرِبَتْ مَثَلًا لِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتُبُوتِ دِينِهِ كُتُبُوتِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ، وَالْمَعْنَى: لَوْ بَلَغَ كَيْدُهُمْ إِلَى إِزَالَةِ الْجِبَالِ، لَمَا زَالَ أَمْرُ الْأَسْلَامِ، قَالَه الرَّجَّاجُ<sup>(٢)</sup>.

[٤٣٦/ب]

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَيَدُلُّ عَلَى صَحَّةِ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُحِلِّفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾؛ أَي: فَقَدْ وَعَدَكَ الظُّهُورَ عَلَيْهِمْ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ [بِوَعْدِهِ]<sup>(٤)</sup>: النَّصْرَ وَالْفَتْحَ وَإِظْهَارَ الدِّينِ<sup>(٥)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾؛ أَي: مَنِيعٌ ﴿ذَوَاتِنِقَامٍ﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَهُوَ أَنْ يُجَازِيَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرِهِمْ.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾

[إبراهيم: ٤٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾.

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٥٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٦٦ - ١٦٧).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥ / ٣٣).

(٤) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢ / ٥١٣).

وَرَوَى أَبَان (عَنْ عَاصِمٍ) <sup>(١)</sup> «يَوْمَ تُبَدَّلُ» بِالنُّونِ وَكُسِرِ الدَّالِ «الْأَرْضُ»  
بِالنَّضْبِ، «وَالسَّمَوَاتِ» (بِخَفْضِ التَّاءِ) <sup>(٢)</sup>، وَلَا خِلَافَ فِي نَضْبِ «غَيْرِ» <sup>(٣)</sup>.

وَفِي مَعْنَى تَبْدِيلِ الْأَرْضِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَلْكَ الْأَرْضُ، وَإِنَّمَا يُزَادُ فِيهَا وَيَنْقُصُ مِنْهَا، وَتَذْهَبُ  
أَكَامُهَا وَجِبَاهُهَا وَأَوْدِيَّتُهَا وَشَجَرُهَا، وَتَمُدُّ مَدَّ الْأَدِيمِ، رَوَى هَذَا الْمُعْنَى أَبُو  
صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ»  
قَالَ: يَسْطُهَا <sup>(٤)</sup> وَيَمُدُّهَا مَدَّ الْأَدِيمِ <sup>(٥)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَبْدُلُ بغيرِهَا.

ثُمَّ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا تُبَدَّلُ بِأَرْضٍ غَيْرِهَا بِنِصَاءٍ كَالْفِضَّةِ لَمْ يُعْمَلْ عَلَيْهَا خَطِيئَةٌ، رَوَاهُ  
عُمَرُو بْنُ مَيْمُونٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ.

(١) مِنَ الْأَصْلِ فَقَطْ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: بِالْخَفْضِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٣) قِرَاءَةٌ شَاذَةٌ، انْظُرْ: شَوَازِ الْقِرَاءَاتِ؛ لِلْكَرْمَانِيِّ (ص: ٢٦٣)، وَالْبَحْرِ الْمَحِيطِ (٥ / ٤٤٠).

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَفِي (ف)، وَ(ر)، وَ(م): يَسْطُهَا.

(٥) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ الصُّورِ الطَّوِيلِ، أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧ / ٤٩)، مَخْتَصَرًا، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي مَعْجَمِهِ  
الْكَبِيرِ (٢٥ / ٢٦٦)، مَطْوًى، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الْبَعْثِ (ص: ٣٣٨) مَطْوًى، وَطَرَفُهُ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
وَجَلَّ لَمَّا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ خَلَقَ الصُّورَ»، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ  
وَالْبَيَانِ (١٥ / ٤١٦) مَخْتَصَرًا، وَالحَدِيثُ ضَعْفُهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (٢ / ١٦٧) وَوَصَفَهُ  
بِالنَّكَارَةِ؛ بِسَبَبِ تَفَرُّدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، وَهُوَ مُنْكَرُ الْحَدِيثِ.

وَالثَّانِي: أَتَهَا تُبَدِّلُ نَارًا، قَالَه أَبِي بَنْ كَعْبٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَتَهَا تُبَدِّلُ بِأَرْضٍ مِنْ فُضَّةٍ، قَالَه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ.

وَالرَّابِعُ: تُبَدِّلُ بِخَبْزَةِ بَيْضَاءٍ، فَيَأْكُلُ الْمُؤْمِنُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، قَالَه أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالْقُرْظِيُّ.

وَقَالَ غَيْرُهُمْ: يَأْكُلُ مِنْهَا أَهْلُ الْإِسْلَامِ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِهِمْ.

فَأَمَّا تَبْدِيلُ السَّمَوَاتِ فَفِيهِ <sup>(١)</sup> سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَتَهَا تُجْعَلُ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَه عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالثَّانِي: أَتَهَا تُصِيرُ جَنَانًا، قَالَه أَبِي بَنْ كَعْبٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ تَبْدِيلَهَا: تَكْوِيرُ شَمْسِهَا وَتَنَاقُضُ نُجُومِهَا، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ تَبْدِيلَهَا: اخْتِلَافُ أَخْوَالِهَا، فَمَرَّةً كَالْمُهَلِّ، وَمَرَّةً تَكُونُ كَالذَّهَانِ، قَالَه ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ <sup>(٢)</sup>.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ تَبْدِيلَهَا أَنْ تُطَوَّى كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ.

وَالسَّادِسُ: أَنْ تَنْشَقَّ فَلَا تَظَلَّ، ذَكَرَهُمَا الْمَاورِدِيُّ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أي: خَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ.

(١) فِي (ج): فَعَنهُ.

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٣/ ٣٦)، وَالتَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢/ ٥١٥).

(٣) النِّكَتُ وَالْعَيُونُ (٣/ ١٤٤).

﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾<sup>(١)</sup> سَرَابِلُهُمْ مِّنْ فَطْرَانٍ  
وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ  
﴿٥١﴾ [إبراهيم: ٤٩ - ٥١].

قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ ﴾ يعني: الكُفَّارَ ﴿ مُّقْرَنِينَ ﴾ يُقَالُ:  
قَرَنْتُ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ: إِذَا وَصَلْتُهُ بِهِ.

وفي معنى «مُقرنين» ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّهُمْ يُقَرَّنُونَ مَعَ الشَّيَاطِينِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: أَنَّ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ قُرِنَتْ إِلَى رِقَابِهِمْ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

والثالث: يُقَرَّنُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup>.

وفي الْأَصْفَادِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُمَا الْأَغْلَالُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٣)</sup>،  
وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٤)</sup>، وَابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(٥)</sup>.

والثاني: الْقِيُودُ وَالْأَغْلَالُ، قَالَ فَتَادَةُ.

والثالث: الْقِيُودُ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣٤٥).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٤) شرح القصائد السبع (ص: ٤١٢).





فَأَمَّا السَّرَائِيلُ: فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ الْقُمُصُ، وَاحِدُهَا: سِرْبَالٌ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: السَّرْبَالُ: كُلُّ مَا لَبَسَ<sup>(٢)</sup>. [١/٤٣٧]

وَفِي الْقَطْرَانِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: فَتُحُ الْقَافِ وَكُسْرُ الطَّاءِ، وَفَتْحُ الْقَافِ  
مَعَ تَسْكِينِ الطَّاءِ، وَكُسْرُ الْقَافِ مَعَ تَسْكِينِ الطَّاءِ.

وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ النَّحَاسُ الْمَذَابِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَطْرَانُ الْإِبِلِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَهُوَ شَيْءٌ يُتَحَلَّبُ مِنْ شَجَرٍ  
تَهْنَأُ بِهِ الْأِبِلُ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَإِنَّمَا جُعِلَ لَهُمُ الْقَطْرَانُ؛ لِأَنَّهُ يُبَالِغُ فِي اشْتِعَالِ النَّارِ  
فِي الْجُلُودِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُبَالِغَةَ فِي إِخْرَاقِهِمْ بَغَيْرِ ذَلِكَ لَقَدَرَ، وَلَكِنَّهُ  
حَذَّرَهُمْ مَا<sup>(٣)</sup> يَعْرِفُونَ حَقِيقَتَهُ<sup>(٤)</sup>.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو رَزِينٍ، وَأَبُو مَجْلِيزٍ، وَعِكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ  
أَبِي عُبَيْلَةَ، [وَأَبُو حَاتِمٍ]<sup>(٥)</sup> عَنْ يَعْقُوبَ: «مِنْ قَطْرِ» بِكُسْرِ الْقَافِ وَسُكُونِ

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٠).

(٣) في (ف): لا.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٠).

(٥) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

الطَّاءِ وَالتَّوِينِ، «آي»<sup>(١)</sup> بقطع الهمزة وفتحها ومدّها<sup>(٢)</sup>.

والقِطْر: النحاس، وآن: قد انتهى حرّه.

قوله تعالى: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾؛ أي: تعلوها. واللام في ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلّقة بقوله: ﴿وَيَرْزُوا﴾.

﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

قوله تعالى: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ﴾.

في المُشار إليه قولان:

أحدهما: أنّه القرآن.

والثاني: الإنذار.

والبلاغ: الكفاية. قال مقاتل: والمراد بالناس: أهل مكة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِيُنْذَرُوا بِهِ﴾؛ أي: أنزل؛ لينذروا به، ﴿وَلِيَعْلَمُوا﴾ بما<sup>(٤)</sup> فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾؛ أي: وليتّعظ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾؛ [أي: العقول]<sup>(٥)</sup>.

(١) أي: كلمة مكونة من كلمتين: موصوف، وهو: (قِطْر)، وصفة، وهي: (آي).

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (١ / ٣٦٦)، وشواذ القراءات؛ للكرمان (ص: ٢٦٣).

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٤١٤).

(٤) في (ج): أنّ ما.

(٥) من (ج).

## سُورَةُ الْحَجَرِ

وهي مكيةٌ [كلّها] <sup>(١)</sup> من غيرِ خلافٍ نَعْلَمُهُ <sup>(٢)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّتِّلِكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١].

قوله تعالى: ﴿الرَّتِّلِكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ﴾ قد سبق بيّانه [يونس: ١].

قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ القرآنَ هو الكتابُ، جمعُ له بينُ الاسمينِ.

والثاني: أنَّ الكتابَ: هو التَّوراةُ والإنجيلُ، والقرآنُ: كتابُنا. وقد ذكرنا في أوّلِ سورةِ يوسفَ معنى المُبينِ.

﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائيُّ «رُبَّمَا» مشدّدةً. وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وعبدُ الوارث: «رُبَّمَا» بالتخفيفِ <sup>(٣)</sup>.

(١) ليس في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (ص: ٢٣)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٢/ ٢٦٣)، والنكت والعيون؛ للهاوردي (٣/ ١٤٧).

(٣) انظر تخفيف نافع وعاصم وتشديد غيرهما في التيسير (ص: ١٣٥)، والخلاف عن أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٦٦).

قَالَ الْفَرَّاءُ: أَسَدٌ وَتَمِيمٌ: يَقُولُونَ «رَبِّمَا» بِالتَّشْدِيدِ، وَأَهْلُ الْحَجَّازِ وَكَثِيرٌ مِنْ قَيْسٍ يَقُولُونَ: «رَبِّمَا» بِالتَّخْفِيفِ، وَتِيمُ الرَّبَابِ يَقُولُونَ: «رَبِّمَا» بِفَتْحِ الرَّاءِ<sup>(١)</sup>.

وَقِيلَ: إِنَّمَا قُرِئْتُ بِالتَّخْفِيفِ، لِمَا فِيهَا مِنْ التَّضْعِيفِ، وَالْحُرُوفُ<sup>(٢)</sup> الْمُضَاعَفَةُ قَدْ تُحْذَفُ، نَحْوُ «إِنْ، وَلَكِنْ» فَإِنَّهُمْ قَدْ خَفَّفُوهَا.

قَالَ الزَّجَّاجُ: يَقُولُونَ<sup>(٣)</sup>: رَبُّ رَجُلٍ جَاءَنِي، وَرَبُّ رَجُلٍ جَاءَنِي<sup>(٤)</sup>، وَأَنْشَدَ [مِنْ الْكَامِلِ]:

أَزْهَيْرُ إِنْ يَشِبِ الْقَذَالُ فَإِنِّي رَبُّ هَيْضَلٍ مَرِسٍ لَفَقْتُ بِهِضَلٍ<sup>(٥)</sup>  
هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي كَثِيرٍ الْهَذَلِيِّ، وَفِي دِيْوَانِهِ:

رَبُّ هَيْضَلٍ<sup>(٦)</sup> لِحَبِّ لَفَقْتُ بِهِضَلٍ .....

(١) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٧٨).

(٢) في (ف): وحروف.

(٣) في (ف): يقول.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٢).

(٥) البيت للهذلي في شرح أشعار الهذليين (ص: ١٠٧٠)، وأمالى ابن الشجري (٢/ ٤٨)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ٢٨٧)، وبلا نسبة في المحتسب (٢/ ٣٤٣)، وأمالى ابن الشجري (٢/ ١٧٩)، والإنصاف (ص: ٢٤٧)، والمتع في التصريف (٢/ ٦٢٧). والمقرب (٨/ ٢٠٠)، وزهير: مرَّحَمَ زهيرة، وهي ابنته. والقذال: ما بين الأذن والقفا. ومَرِسٍ: ذو مَرَاة وشدة. لِحَبِّ: من قولهم: جيشٌ لحب؛ عرمرم، ذو جَلْبَةٍ وكثرة.

(٦) في (ج): هيطل.

والهَيْضَلُ: جمع هَيْضَلَةٍ، وهي الجماعة يُغْرَى بِهِمْ، تقول<sup>(١)</sup>: لَفَقْتُهُمْ بأَعْدَائِهِمْ فِي الْقِتَالِ. «وَرُبَّ»: كَلِمَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِلتَّقْلِيلِ، كَمَا أَنَّ «كَمْ» لِلتَّكْثِيرِ، [٤٣٧/ب] وَإِنَّمَا زِيدَتْ «مَا» مَعَ «رُبَّ» لِيَلِيهَا الْفِعْلُ، تقول: رُبَّ رَجُلٍ جَاءَنِي، وَرُبَّمَا جَاءَنِي زَيْدٌ.

وَقَالَ الْأَخْفَشُ: أَدْخَلَ مَعَ «رُبَّ»: «مَا» لِيَتَكَلَّمَ بِالْفِعْلِ بَعْدَهَا، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ «مَا» بِمَنْزِلَةِ «شَيْءٍ» فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: رُبَّ شَيْءٍ؛ أَي: «رُبَّ وَدٍّ يَوَدُّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ: «مَا» هَاهُنَا بِمَعْنَى «حِينَ»، فَالْمَعْنَى: رُبَّ حِينَ يَوَدُّونَ فِيهِ.

وَاخْتَلَفَ الْمَفْسُرُونَ مَتَى يَقَعُ هَذَا مِنَ الْكُفَّارِ عَلَى قَوْلَيْنِ:  
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ.

وَمَتَى يَكُونُ ذَلِكَ؟ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ وَمَعَهُمْ مَنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، قَالَ الْكُفَّارُ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَمْ تَكُونُوا مُسْلِمِينَ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالُوا: فَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ إِسْلَامُكُمْ وَقَدْ صِرْتُمْ مَعَنَا فِي النَّارِ؟ قَالُوا: كَانَتْ لَنَا ذُنُوبٌ فَأَخَذْنَا بِهَا؛ فَسَمِعَ اللَّهُ تَعَالَى مَا قَالُوا، فَأَمَرَ بِمَنْ كَانَ فِي النَّارِ مِنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَأَخْرِجُوا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْكُفَّارُ، قَالُوا: يَا لَيْتَنَا

(١) فِي (م): يَقُولُ.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤١١).

كُنَّا مُسْلِمِينَ فَنَخْرُجُ كَمَا أُخْرِجُوا، رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ رحمه الله عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (١)، وَذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَا يَزَالُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرْحَمُ (٢) وَيُشْفَعُ حَتَّى يَقُولَ جَلَّ وَعَزَّ: مَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ، فَذَلِكَ (قَوْلُهُ) (٣): حِينَ ﴿يَبْدَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٤).

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا عَايَنُوا الْقِيَامَةَ، وَدُؤَالُوا كَانُوا مُسْلِمِينَ، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ (٥).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السَّنَةِ (٢/ ٤٠٥) بَنَحْوَهُ، وَالطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٦١) بَنَحْوَهُ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٢/ ٢٤٢) بَنَحْوَهُ، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَابِيهَقِي فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ (ص: ٩١)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٣/ ٣٩)، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٧/ ٤٥) وَقَالَ: وَفِيهِ خَالِدُ بَيْتِ نَافِعِ الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ: مَتْرُوكٌ، وَبَقِيَّةُ رَجَالِهِ ثَقَاتٌ، وَذَكَرَهُ أَيْضًا السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤/ ١٧٢) وَزَادَ نَسْبَتَهُ إِلَى ابْنِ مَرْدُوَيْهِ، وَالْحَدِيثُ يَدُورُ عَلَى خَالِدِ بْنِ نَافِعِ الْأَشْعَرِيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ بَلْ قَالَ عَنْهُ أَبُو دَاوُدَ: مَتْرُوكٌ، وَلَمْ يُوَافِقِ الذَّهَبِيُّ عَلَى تَرْكِهِ، وَقَالَ: هَذَا تَجَاوَزَ فَلَا يَسْتَحِقُّ التَّرْكَ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ أَحْمَدُ وَمُسَدَّدٌ، انْظُرْ: الْمِيزَانُ (٢/ ١٦٦).

(٢) فِي (ج): يَرْحَمُهُم.

(٣) مِنَ الْأَصْلِ فَقَطْ.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٦١)، وَابِيهَقِي فِي الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ (ص: ٨١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَوَانَةَ، وَهَنَادٍ فِي الزُّهْدِ (ص: ١٩٠) مِنْ طَرِيقِ عَطَاءٍ، وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤/ ٩٢) إِلَى سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ.

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ١٧٣).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ كَلَّمَا رَأَى أَهْلَ الْكُفْرِ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيَسْلَمُ مِنْ مَكْرُوهِهَا الْمُؤْمِنُ، وَدُّوا ذَلِكَ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ<sup>(١)</sup>.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا، إِذَا عَايَنُوا<sup>(٢)</sup> وَتَبَيَّنَ لَهُمُ الضَّلَالُ مِنَ الْهُدَى وَعَلِمُوا مَصِيرَهُمْ، وَدُّوا ذَلِكَ، قَالَه الضَّحَّاكُ.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ «رُبَّ» لِلتَّقْلِيلِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ خَارِجَةٌ مَخْرَجَ الْوَعِيدِ، وَإِنَّمَا يُنَاسِبُ الْوَعِيدَ تَكْثِيرُ مَا يُتَوَاعَدُ بِهِ؟

فَعَنْهُ ثَلَاثَةُ أَجَوِبَةٍ - ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْأَثَرِيِّ<sup>(٣)</sup> -:

أَحَدُهُنَّ: أَنَّ «رُبَّمَا» تَقَعُ عَلَى التَّقْلِيلِ وَالتَّكْثِيرِ، كَمَا يَقَعُ النَّاهِلُ عَلَى الْعَطْشَانِ وَالرَّيَّانِ، وَالْجَوْنُ عَلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَمَا يَقَعُ بِهِمْ مِنَ الْأَهْوَالِ تَكْثُرُ عَلَيْهِمْ، فِإِذَا عَادَتْ إِلَيْهِمْ عَقُوبُهُمْ، وَدُّوا ذَلِكَ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ هَذَا الَّذِي خُوفُوا بِهِ، لَوْ كَانَ مِمَّا يَوْدُ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ مِنْ أَحْوَالِ الْعَذَابِ، أَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ يَخَافُ النَّدَمَ إِذَا حَصَلَ فِيهِ وَلَا يَتَيَقَّنُهُ؛ لَوَجَبَ عَلَيْهِ اجْتِنَابُهُ.

(١) ذَكَرَ ذَلِكَ الْوَاحِدِي فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٥٣٨)، وَعَزَاهُ إِلَى الزَّجَّاجِ، وَانْظُرْ: مُعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ؛ لِلزَّجَّاجِ (٣ / ١٧٢).

(٢) فِي (ف): عَايَنُوهُ.

(٣) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِي فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٢ / ٥٣٨ - ٥٣٩).

فإن قيل: كيف جاء بعد «رُبما» مُستقبل، وسبيلها أن يأتي بعدها الماضي، تقول: رُبما لقيت عبد الله؟

فالجواب: أن ما وعده الله تعالى حق، فمُستقبله بمنزلة الماضي، يدل [٤٣٨/أ] عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ [سبا: ٥١] على أن الكِسائيَّ والفرَّاء<sup>(١)</sup> حكيا عن العرب أنهم يقولون: رُبما يندم فلان، قال الشاعر [من الخفيف]:

رُبمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ<sup>(٢)</sup>  
 ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

قوله تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا﴾؛ أي: دَعِ الْكُفَّارَ يَأْخُذُوا حُظُوظَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ﴾؛ أي: وَيُسْغِلُهُمْ مَا يَأْمَلُونَ فِي الدُّنْيَا عَنْ أَخْذِ حَظِّهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إِذَا وَرَدُوا الْقِيَامَةَ وَبَالَ مَا صَنَعُوا، وَهَذَا وَعِيدٌ وَتَهْدِيدٌ، وَهَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَ الْمَفْسِّرِينَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [٥] ﴿مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ [٥] [الحجر: ٤ - ٥].

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٢).

(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص: ٤٤٤)، لعبيد بن الأبرص في مجموعة المعاني (ص: ١٣٥)، وشعراء النصرانية (ص: ٦٥٠) وعنهما في ديوان عبيد (ص: ١١١)، ولعمير الحنفي في كتاب التعازي (ص: ٧٦).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ﴾؛ أَي: وَمَا عَذَّبْنَا مِنْ أَهْلِ قَرِيْبَةٍ ﴿إِلَّا وَهِيَ كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾؛ أَي: أَجَلٌ مُوَقَّتٌ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ.

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ «من»: صلة، والمعنى: مَا تَتَقَدَّمُ وَقْتَهَا الَّذِي قُدِّرَ لَهَا بِلُغُوغِهِ، وَلَا تَسْتَأْخِرُ عَنْهُ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: إِنَّمَا قَالَ: «أَجَلَهَا»؛ لِأَنَّ الْأُمَّةَ لَفْظُهَا مُؤَنَّثٌ، وَإِنَّمَا قَالَ: «يَسْتَأْخِرُونَ» إِخْرَاجًا لَهُ عَلَى مَعْنَى الرِّجَالِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُزِّلَ الْمَلَكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ (٨)﴾ [الحجر: ٦ - ٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾.

قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالنَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، وَنَوْفَلِ بْنِ خُوَيْلِدٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَالذِّكْرُ: الْقُرْآنُ، وَإِنَّمَا قَالُوا هَذَا اسْتَهْزَاءً، لَوْ أَيْقَنُوا أَنَّهُ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ؛ مَا قَالُوا: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) معاني القرآن (٢ / ٨٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٤٢٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٥٤٢) من رواية عطاء عن ابن عباس، وأخرجه الطبري (١٧ / ٦٦) عن الضحاك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٩٤) إلى ابن جرير.

قال أبو علي الفارسي: وجواب هذه الآية في سورة أخرى في قوله:  
﴿مَا أَنْتَ بِغَفَّةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] <sup>(١)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا﴾.

قال الفراء: «لوما»، و«لولا» لغتان معناهما: هلاً <sup>(٢)</sup>، وكذلك قال  
أبو عبيدة <sup>(٣)</sup>: وهما بمعنى واحد، وأنشد لابن مقبل [من البسيط]:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْ مَا الدِّينُ عِبْتُكُمْ      يَبْغِضُ مَا فِيكُمْ إِذْ عِبْتُمَا عَوْرِي <sup>(٤)</sup>

قال المفسرون: إنما سألوا الملائكة ليشهدوا له بصدقته، وأن الله أرسله،  
فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع،  
وأبو عمرو، وابن عامر: «مَا تَنْزِلُ» بالتاء المفتوحة «الملائكة» بالرفع <sup>(٥)</sup>.

وروى أبو بكر عن عاصم: «مَا تَنْزَلُ» بضم التاء على مَا لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، [وخلف] <sup>(٦)</sup>: «مَا  
نُنَزِّلُ» بالنون والزاي مشددة <sup>(٧)</sup> «الملائكة» نصباً <sup>(٨)</sup>.

(١) الحجة (٦ / ٣٤٣ - ٣٤٤) بتصرف.

(٢) كتاب فيه لغات القرآن (ص: ١٠٦).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣٤٦).

(٤) البيت لتميم بن مقبل في مجاز القرآن (١ / ٣٤٦)، وتفسير الطبري (١٧ / ٦٦)، والكشاف  
(٢ / ٣١٠)، والمقرب (١ / ٩٠)، ورصف المباني (ص: ٣١٦).

(٥) ليست في (ف).

(٦) ليست في الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) في (ر)، و(م): المشددة.

(٨) كلها سبعة، انظر: التيسير (ص: ١٣٥).

وفي المراد بالحق أربعة أقوال:

أحدها: أنه العذاب إن لم يؤمنوا، قاله الحسن.

والثاني: الرسالة، قاله مجاهد.

والثالث: قبض الأرواح عند الموت، قاله ابن السائب.

والرابع: أنه القرآن، حكاه الماوردي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا﴾ يعني: المشركين ﴿إِذَا مُنْظَرِينَ﴾؛ أي: عند نزول الملائكة إذا نزلت.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ من عادة الملوك إذا فعلوا شيئاً، قال [٤٣٨/ب] أحدهم: نحن فعلنا، يريد نفسه وأتباعه، ثم صار هذا عادة للملك في خطابه، وإن انفرد بفعل الشيء، فخطبت العرب بما تعقل من كلامها. والذكر: القرآن، في قول جميع المفسرين.

وفي هاء «له» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الذكر، قاله الأكتون.

قال قتادة: أنزله الله ثم حفظه، فلا يستطيع إبليس أن يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقاً<sup>(٢)</sup>.

(١) النكت والعيون (٣/ ١٤٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٦٨)، وابن الضريس في فضائل القرآن (ص: ٧٣) (١٢٢) من طريق يزيد به، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٠)، وعزاه السيوطي في =

والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، فالمعنى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَفِظُونَ﴾ من الشياطين والأعداء؛ لقولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، هذا قول ابن السائب، ومقاتل<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الحجر: ١٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: رؤسلاً، فحذف المفعول؛ لدلالة الإرسال عليه. والشَّيْع: الفرق، وحكي عن الفراء أنه قال: الشيعة: الأئمة المتابعة<sup>(٢)</sup> بعضها بعضاً فيما يجتمعون عليه من أمر<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الحجر: ١١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ هذا تعزية للنبي ﷺ، والمعنى: إن كل نبي قبلك كان مُبْتَلًى بقومه كما ابتليت.

﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لا يؤمنون به، وقد خلت سنة الأولين [الحجر: ١٢ - ١٣].

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أنه الشرك، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

والثاني: أنه الاستهزاء، قاله قتادة.

= الدر المنثور (٤ / ٩٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) تفسير مقاتل (٢ / ٤٢٥).

(٢) في (ف): المتابعة.

(٣) ليس في معانيه، ولا في لغات القرآن، وذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٥٤٩).

وَالثَّالِثُ: التَّكْذِيبُ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ، وَالْفَرَاءُ<sup>(١)</sup>.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: كَمَا سَلَكْنَا الْكُفْرَ<sup>(٢)</sup> فِي قُلُوبِ شَيْعِ الْأَوَّلِينَ، نُدْخِلُ فِي قُلُوبِ هَؤُلَاءِ التَّكْذِيبَ فَلَا يُؤْمِنُوا. ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ، فَقَالَ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

وَفِي الْمَشَارِ إِلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الرَّسُولُ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: الْقُرْآنُ.

وَالثَّالِثُ: الْعَذَابُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ فِي إِهْلَاكِ الْمَكْذِبِينَ.

وَالثَّانِي: مَضَتْ سُنَّتُهُمْ بِتَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ١٤ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ

أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ ١٥ ﴿[الحجر: ١٤ - ١٥].

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٥).

(٢) في (ج): للكفر.

(٣) في (ج): أنه نبينا محمد ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾؛ أي: يضعّدون، يُقال: ظَلَّ يَفْعَلُ كَذَا؛ إِذَا فَعَلَهُ بِالنَّهَارِ.

وفي المشار إليهم بهذا الصُّعُودِ قولان:

أحدهما: أَنَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، فالمعنى: لو كُشِفَ عَنْ أَبْصَارِ هَؤُلَاءِ فَرَأَوْا بَابًا مَّفْتُوحًا فِي السَّمَاءِ، وَالْمَلَائِكَةُ تَصْعَدُ فِيهِ، لَمَّا آمَنُوا بِهِ.

والثاني: أَنَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ، قاله الحسنُ، وقتادة، فيكونُ المعنى: لو وصلناهم إلى صُعودِ السَّمَاءِ، لم يَسْتَشْعِرُوا إِلَّا الْكُفْرَ، لِعِنَادِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾.

قرأ الأكثرُونَ بِتَشْدِيدِ الْكَافِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ، وعبدُ الوارثُ بِتَخْفِيفِهَا.

قال الفراءُ: وَمَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ مُتْقَارِبٌ، والمعنى: حُسِتْ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: «سَكَّرَتْ» الرِّيحُ؛ إِذَا سَكَنَتْ وَرَكَدَتْ<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عمرو بنُ العلاء: معنى «سُكِّرَتْ» بِالتَّخْفِيفِ، مأخوذٌ مِنْ [٤٣٩/أ] سُكْرِ الشَّرَابِ<sup>(٢)</sup>. يعني: أَنَّ الْأَبْصَارَ حَارَتْ، وَوَقَعَ بِهَا مِنْ فَسَادِ النَّظَرِ مِثْلُ مَا يَقَعُ بِالرَّجُلِ السَّكَرَانِ مِنْ تَغْيِيرِ الْعَقْلِ.

(١) معاني القرآن (٢ / ٨٦).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره (١٧ / ٧٤).

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: إِذَا كَانَ هَذَا مَعْنَى <sup>(١)</sup> التَّخْفِيفِ، فَسُكِّرَتْ،  
بِالتَّشْدِيدِ، يُرَادُ بِهِ وَقُوعُ هَذَا الْأَمْرِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ <sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «سُكِّرَتْ» بِالتَّشْدِيدِ، مِنَ السُّكُورِ الَّتِي <sup>(٣)</sup> تَمْنَعُ الْمَاءَ الْجَرِيَّةَ،  
فَكَانَ هَذِهِ الْأَبْصَارُ مُنَعَتْ مِنَ النَّظَرِ كَمَا يَمْنَعُ السُّكْرُ الْمَاءَ مِنَ الْجُرْيِ <sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: «سُكِّرَتْ» بِالتَّشْدِيدِ، فَسَّرُوهَا: أَغْشَيْتَ، «وَسُكِّرَتْ»  
بِالتَّخْفِيفِ: تَحَيَّرْتُ وَسَكَنْتُ عَنْ أَنْ تَنْظُرَ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: سُكِرَتِ الرِّيحُ  
تَسْكُرُ؛ إِذَا سَكَنْتَ <sup>(٥)</sup>.

وَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ قَالَ:  
أَخَذَ بِأَبْصَارِنَا (وَشَبَّهَ عَلَيْنَا) <sup>(٦)</sup>، وَإِنَّمَا سَحَرَنَا <sup>(٧)</sup>.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «سُكِّرَتْ» سُدَّتْ بِالسَّحَرِ، فَيَتِمَّ ثَلَاثُ الْأَبْصَارِ غَيْرَ مَا تَرَى <sup>(٨)</sup>.

(١) في (ف): بمعنى.

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢ / ٨٧).

(٣) في (ف): من السكون الذي.

(٤) الغريبيين في القرآن والحديث (٣ / ٩٠٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٧٥).

(٦) ليست في (ج).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٧٥).

(٨) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٤١).

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظَرِ بَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مِنْ أَسْفَرِ السَّعَةِ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر: ١٦ - ١٨].  
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾.

### في البروج ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بروج الشمس والقمر؛ أي: منازلها، قاله ابن عباس، وأبو عبيدة<sup>(١)</sup> في آخرين.

قال ابن قتيبة: وأسمائها: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنها قصور، روي عن ابن عباس أيضًا<sup>(٣)</sup>.

وقال عطية: هي قصور في السماء، فيها الحرس<sup>(٤)</sup>. وقال ابن قتيبة: أصل البروج: الحصون<sup>(٥)</sup>.

والثالث: أنها الكواكب، قاله مجاهد، وقتادة، ومقاتل<sup>(٦)</sup>.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٤٨).

(٢) أدب الكاتب (ص: ٨٦).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩/ ٢٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٧١٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥) إلى عبد بن حميد.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٦).



قَالَ أَبُو صَالِحٍ: هِيَ النُّجُومُ الْعِظَامُ<sup>(١)</sup>. قَالَ قَتَادَةُ: سُمِّيَتْ بُرُوجًا؛ لِظُهُورِهَا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزَيَّنَّهَا﴾؛ أَي: حَسَّنَاهَا بِالْكَوَاكِبِ.

وَفِي الْمَرَادِ بِالنَّاظِرِينَ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الْمَبْصُرُونَ.

وَالثَّانِي: الْمُعْتَبَرُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾؛ أَي: حَفِظْنَاهَا أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا شَيْطَانٌ أَوْ يَغْلِبَ مِنْ أَمْرِهَا شَيْئًا إِلَّا اسْتِرَاقًا، ثُمَّ يَتَّبِعُهُ الشَّهَابُ. وَالرَّجِيمُ: مَشْرُوحٌ فِي آلِ عِمْرَانَ [آيَة: ٣٦].

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ كَانَتْ الشَّيَاطِينُ تُرْمَى بِالنُّجُومِ قَبْلَ مَبْعَثِ نَبِيِّنَا [مُحَمَّدٍ] ﷺ، أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا لَمْ تُرْمَ حَتَّى بُعِثَ ﷺ، (وَهَذَا الْمَعْنَى: مَذْكُورٌ فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ)<sup>(٤)</sup>.

وَقَدْ أَخْرَجَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «انْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَيْرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمْ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٩ / ٢٨٩).

(٢) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٣ / ٣٤٤).

(٣) مِنْ (ج).

(٤) مَا بَيْنَ الْهَلَالَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ج)، وَ(ف).

الشُّهُبُ»<sup>(١)</sup> وظاهرُ هذا الحديثِ أنَّها لم تكنْ قبلَ ذلك.

قالَ الزَّجَّاجُ: ويدلُّ على أنَّها كانتْ بعدَ مولِدِ رسولِ الله ﷺ أنَّ شعراءَ العربِ الذينَ يمثُلونَ بالبرقِ والأشياءِ المشرِّعة، لم يوجَد في أشعارِها ذكرُ الكواكبِ المنقُضَةِ، فلمَّا حدثتْ بعدَ مولِدِ نبيِّنا<sup>(٢)</sup> - ﷺ - استعملتِ الشعراءُ [٤٣٩/ب] ذكرَها<sup>(٣)</sup>؛ فقالَ ذو الرُّمة:

كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيةٍ مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ<sup>(٤)</sup>

والثَّاني: أَنَّهُ قد كانَ ذلكَ قبلَ نبيِّنا [حمَّدي]<sup>(٥)</sup> - ﷺ - فروى مُسلمٌ في «صحيحهِ» منَ حديثِ عليِّ بنِ الحُسينِ، عنِ ابنِ عَبَّاسٍ، قالَ بينما النَّبيُّ - ﷺ - جالِسٌ في نَفَرٍ منَ أَصحابِهِ؛ إِذْ رُمِيَ بَنَجْمٍ، فَاسْتَنَارَ، فَقَالَ: «مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا فِي الجَاهِلِيَّةِ؟» قالُوا كُنَّا نَقُولُ: يَمُوتُ عَظِيمٌ، أَوْ يُولَدُ عَظِيمٌ، قالَ: «فإنَّها لا يَرْمَى بِهَا لِمَوْتٍ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا»<sup>(٦)</sup> إِذَا قَضَى أَمْرًا، سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ،

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٧٧٣ - ٤٩٢١)، ومسلم حديث رقم (٤٤٩)، والترمذي حديث رقم (٣٣٢٣).

(٢) في (ج): بعد موت نبيِّنا.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٦).

(٤) البيت لذي الرمة في معاني القرآن؛ للزجاج (٣/ ١٧٦)، والنكت والعيون؛ للهاوردي (٣/ ١٥٣)، والحجة في القراءات السبع (ص: ٣٠٨)، وتهذيب اللغة (٨/ ٢٧١)، والكمال في اللغة والأدب (٣/ ٨٠)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ٩٥).

(٥) من (ج).

(٦) في (ج): الله تعالى.

حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْوِيحَ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَسْتَخِيرُ أَهْلَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ، ثُمَّ يَسْتَخِيرُ أَهْلَ كُلِّ سَّمَاءٍ (أَهْلَ سَّمَاءٍ)<sup>(١)</sup>، حَتَّى يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَتُخْطَفُ الْجِنُّ وَيُرْمَوْنَ، فَمَا جَاءُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ وَيَزِيدُونَ<sup>(٣)</sup>.

ورُوي عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الشَّيَاطِينَ كَانَتْ لَا تُحْجَبُ عَنِ السَّمَوَاتِ، فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى [بْنُ مَرْيَمَ]<sup>(٤)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ، مُنِعَتْ مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ، فَلَمَّا وُلِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مُنِعُوا مِنَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: قَدْ كَانَ يُرْمَى بِالنُّجُومِ قَبْلَ مَبْعَثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّهَا غُلِظَتْ حِينَ<sup>(٦)</sup> بُعِثَ ﷺ<sup>(٧)</sup>، وَهَذَا مَذْهَبُ ابْنِ قُتَيْبَةَ<sup>(٨)</sup>، قَالَ: وَعَلَى هَذَا وَجَدْنَا الشُّعْرَ الْقَدِيمَ، قَالَ بِشَرُّ بْنُ أَبِي خَازِمٍ، وَهُوَ جَاهِلِيٌّ<sup>(٩)</sup>

(١) ليست في (ج).

(٢) في (ج): إلى السماء الدنيا.

(٣) صحيح مسلم حديث رقم (٢٢٢٩).

(٤) من (ج).

(٥) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٢١٦)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٤١)، والتفسير البسيط (١٢ / ٥٦٦)، ونسبه الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٥٢) إلى الكلبي.

(٦) في الأصل: حيث، والمثبت من سائر النسخ.

(٧) ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٢٩)، والسمرقندي في بحر العلوم (٣ / ٤١٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٢٢ / ٢٩٧).

(٨) تأويل مشكل القرآن (ص: ٤٣٠).

(٩) في (ج): وكان جاهلياً.

[من الكامل]:

وَالْعَيْرُ يُرْهِقُهَا الْغُبَارُ وَجَحْشُهَا يَنْقُضُ خَلْفَهَا انْقِصَاصَ الْكَوْكَبِ<sup>(١)</sup>

وقال أوس بن حجر وهو جاهلي<sup>(٢)</sup> [من الكامل]:

فَانْقَضَ كَالدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ نَقْعٌ يَثُورُ تَحَالُهُ طُنْبًا<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾؛ أي: اختطف ما يسمعه<sup>(٤)</sup> من كلام الملائكة. قال ابن فارس: استرق السمع؛ إذا سمع<sup>(٥)</sup> مُسْتَخْفِيًا<sup>(٦)</sup>.

﴿فَاتَّبَعَهُ﴾؛ أي: لحقه ﴿شَهَابٌ مُبِينٌ﴾ قال ابن قتيبة: كوكبٌ مُضِيٌّ<sup>(٧)</sup>. وقيل: «مُبِينٌ» بمعنى: ظاهرٌ يراه أهل الأرض. وإنما يَسْرِقُ الشَّيْطَانُ ما يَكُونُ مِنْ أَخْبَارِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَحْيُ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَقَدْ صَانَهُ عَنْهُمْ.

(١) البيت في لبشر ابن أبي خازم في ديوانه (ص: ٣٧)، وتأويل مشكل القرآن (٢٤٢-٢٤٣)، والمعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، والحيوان (٦/ ٢٧٣)، برواية (الخبار) بدلاً من (الغبار)، و(خلفها) بدلاً من (خلفها)، والكشاف (٢٩/ ٨٧) برواية: (خلفها)، معنى البيت: الخبر: أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم، شبه الجحش بالكوكب المنقض في سرعته وبياضه. (٢) في (ج): وكان جاهليًا.

(٣) البيت له في ديوانه (ص: ٣)، برواية: (وانقض)، والحيوان (٦/ ٢٧٤)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٢٤٣)، والمعاني الكبير (٢/ ٧٣٩)، والنكت والعيون؛ للهاوردي (٦/ ١١٢).

(٤) في (ر)، و(م): سمعه.

(٥) في (ج)، و(ف): يسمع.

(٦) مقاييس اللغة (٣/ ١٥٤).

(٧) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

واختلفوا، هل يقتل الشَّهابُ، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أَنَّهُ يُحْرِقُ وَيُجْبَلُ [ويجرح] <sup>(١)</sup> وَلَا يَقْتُلُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُقَاتِلٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَقْتُلُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ، هَلْ يَقْتُلُ الشَّيْطَانُ قَبْلَ أَنْ يُخْبِرَ بِمَا سَمِعَ؟ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ يَقْتُلُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَعَلَى هَذَا لَا تَصِلُ أَخْبَارُ السَّمَاءِ إِلَى غَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَلِذَلِكَ انْقَطَعَتِ الْكَهَانَةُ <sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَقْتُلُ بَعْدَ إِلْقَائِهِ مَا سَمِعَ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْجِنِّ، وَلِذَلِكَ

يَعُودُونَ إِلَى الْإِسْتِرَاقِ، وَلَوْ لَمْ تَصِلْ <sup>(٣)</sup>؛ لَقَطَعُوا الْإِسْتِرَاقَ. [٤٤٠/أ]

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ <sup>(١٩)</sup>

وَجَعَلْنَا لِكُلِّ فِتْنَةٍ مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَزَاقِينَ﴾ <sup>(٢٠)</sup> [الحجر: ١٩ - ٢٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾؛ أَي: بَسَطْنَاهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ﴿وَأَلْقَيْنَا

فِيهَا رَوْسِيَ﴾ وَهِيَ الْجِبَالُ الثَّوَابِتُ ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ فِي الْمَشَارِ إِلَيْهَا <sup>(٤)</sup> قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا <sup>(٥)</sup> الْأَرْضُ، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ.

(١) من (ج)، و(ف).

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١٠٠) عن ابن عباس، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٣٧) عن الزهري.

(٣) في (ج)، و(ف): يصل.

(٤) في (ر)، و(م): إليه.

(٥) في (ج): أنه.

والثاني: الجبال، قاله الفراء<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ﴾ قولان:

أحدهما: أن الموزون: المعلوم، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال سعيد بن جبير، والضحاك.

وقال مجاهد، وعكرمة في آخرين: الموزون: المقدور<sup>(٣)</sup>.

فعلى هذا يكون المعنى: معلوم القدر كأنه قد وزن؛ لأن أهل الدنيا لما كانوا يعلمون قدر الشيء بوزنه، أخبر الله تعالى عن هذا أنه معلوم القدر عنده بأنه موزون.

وقال الزجاج: المعنى: أنه جرى على وزن من قدر الله تعالى، لا يجاوز ما قدره الله تعالى عليه<sup>(٤)</sup>، ولا يستطيع خلق زيادة فيه ولا نقصاناً<sup>(٥)</sup>.

والثاني: أنه عنى به الشيء الذي يُوزن كالذهب، والفضة، والرصاص، والحديد، والكحل، ونحو ذلك<sup>(٦)</sup>، وهذا المعنى مزوي عن

(١) معاني القرآن (٢ / ٨٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٧٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٩٥) إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٠) عن مجاهد، وعكرمة.

(٤) ليست في (ج).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٧٦).

(٦) في (ج): وغير.

الحَسَنَ، وَعَكْرِمَةَ، وَابْنَ زَيْدٍ، وَابْنَ السَّائِبِ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَّاءُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ فِي الْمَشَارِ إِلَيْهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْأَرْضُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي أَنْبَتَتْ. وَالْمَعَايِشُ جَمْعُ مَعِيشَةٍ. وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا أَزْزَاقًا تَعِيشُونَ بِهَا.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَمْ يَرْزُقِينَ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الدَّوَابُّ وَالْأَنْعَامُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: الْوَحُوشُ، رَوَاهُ مَنْصُورٌ عَنْ مُجَاهِدٍ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْوَحْشُ، وَالطَّيْرُ، وَالسَّبَاعُ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَرْزُقُهُ ابْنُ آدَمَ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: الْعَبِيدُ وَالْإِمَاءُ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ<sup>(٥)</sup>.

وَالرَّابِعُ: الْعَبِيدُ، وَالْأَنْعَامُ، وَالْأَنْعَامُ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(٦)</sup>.

(١) معاني القرآن (٢ / ٨٦).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٩٥) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٩٥) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٥) معاني القرآن (٢ / ٨٦).

(٦) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٧٧).

قَالَ الْفَرَّاءُ: «وَمَنْ» فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، فَاَلْمَعْنَى: جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا الْمَعِيشَ، وَالْعَبِيدَ، وَالْإِمَاءَ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا فِي مَوْضِعِ خَفْضٍ، فَاَلْمَعْنَى: جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَلَمْ نَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: جَعَلْنَا لَكُمْ الدَّوَابَّ، وَالْعَبِيدَ، وَكُفَيْتُمْ مَوْوَنَةً أَرْزَاقَهَا<sup>(٢)</sup>.  
فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قُلْتُمْ: إِنَّ «مَنْ» هَاهُنَا لِلْوُحُوشِ وَالِدَّوَابِّ، وَإِنَّمَا تَكُونُ (مَنْ) لِمَنْ يَعْقِلُ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمَّا وُصِفَتِ الْوُحُوشُ وَغَيْرُهَا بِالْمَعِيشِ الَّذِي الْغَالِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُوصَفَ بِهِ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لِلْأَدَمِيِّ مَعِيشٌ، وَلَا يُقَالُ: لِلْفَرَسِ مَعِيشٌ، جَرَتْ مَجْرَى النَّاسِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، وَقَالَ: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، وَقَالَ: ﴿كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وَإِنْ قُلْنَا: أُرِيدَ بِهِ الْعَبِيدُ، وَالْوُحُوشُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ وَغَيْرُهُمْ؛ غَلَبَ النَّاسُ عَلَى غَيْرِهِمْ لِفَضِيلَةِ الْعَقْلِ وَالتَّمْيِيزِ.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾؛ أَي: وَمَا مِنْ شَيْءٍ ﴿إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ [٤٤٠/ب] وَهَذَا الْكَلَامُ عَامٌّ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

(١) معاني القرآن (٢/ ٨٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٧٧).



وذهب قومٌ من المفسرين إلى أن المراد به المطر خاصة، فالمعنى عندهم: وما من شيء من المطر إلا عندنا خزائنه؛ أي: في حكمنا وتديرنا، ﴿وَمَا نُنْزِلُهُ﴾ كل عام ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لا يزيد ولا ينقص، فما من عام أكثر مطراً من عام، غير أن الله تعالى يضرفه إلى من يشاء، ويمنعه من يشاء.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ [الحجر: ٢٢ - ٢٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ وقرأ حمزة؛ وحلف: «الرَّيْح»<sup>(١)</sup> وكان أبو عبيدة<sup>(٢)</sup> يذهب إلى أن «لَوَاقِحَ» بمعنى مُلاقِح، فسقطت الميم منه، قال الشاعر [من الطويل]:

لِيُنْكَ يَزِيدُ بَائِسٌ لِضَرَاعَةٍ وَأَشْعَثُ بِمَنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ<sup>(٣)</sup>

أراد: المطاوح، فحذف الميم، فمعنى الآية عنده: وأرسلنا الرياح مُلقحة، فيكون هاهنا فاعلٌ بمعنى مفعول، كما أتى فاعلٌ بمعنى مفعول؛ كقوله: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]؛ أي: مدفوق، و﴿عِشَّةً رَاضِيَةً﴾ [الحاقة: ٢١]، و[القارعة: ٧]؛ أي: مرضية، وكقوله: لَيْلٌ نَائِمٌ؛ أي: منوم فيه، ويقولون: أَبْقَلَ النَّبْتُ، فهو باقلٌ؛ أي: مُبْقِل.

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ٧٨).

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣٤٨).

(٣) البيت لنهشل بن حري يرثي أخاه في مجاز القرآن (١ / ٣٤٩)، وتفسير الطبري (١٧ / ٨٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (١٢ / ٥٧٨)، وتفسير ابن عطية (٥ / ٧٠٨).

وقال ابن قتيبة: يريد أبو عبيدة<sup>(١)</sup> أنها تلقح الشجر، وتلقح السحاب كأنها تنتج، ولست أدري ما أضطره إلى هذا التفسير بهذا الاستكراه، وهو يجد العرب تسمي الرياح لواقح، والريح لاقحاً<sup>(٢)</sup>، قال الطرماح - وذكر بزدا مده على أصحابه في الشمس يستظلون به - [من مجزوء الكامل]:

فَلِقْ لِأَفْئَانِ الرِّيحِ لِلْأَقْحِ مِنْهَا وَحَائِلٌ<sup>(٣)</sup>  
فَالْأَقْحُ: الجنوب، والحائل: الشمال، ويُسمون الشمال أيضاً: عقيماً،  
والعقيم: التي لا تحمل، كما سمو الجنوب لاقحاً، قال كثير [من الطويل]:  
..... وَمَرَّ بِسَفَافِ الثُّرَابِ عَقِيمُهَا<sup>(٤)</sup>

يعني: الشمال. وإنما جعلوا الريح لاقحاً أي: حاملاً؛ لأنها تحمل السحاب وتقلبه وتصرفه، ثم تحله فينزل، فهي على هذا حامل، وبدل على هذا قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ أي: حملت.

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٤٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٣) البيت للطرماح في غريب القرآن (ص: ٢٣٦)، والحجة للقراء السبعة (٢ / ٢٥٢)، والتفسير البسيط؛ للواحيدي (١٢ / ٥٨١)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٢٤)، وبلانسة في البصائر والذخائر (٩ / ٩٨).

(٤) عجز البيت لكثير في غريب القرآن (ص: ٢٣٧)، والمحكم والمحيط (٨ / ٤٢١)، وأساس البلاغة (١ / ١١٨)، والأزمنة والأمكنة (ص: ٥٢٤)، وصدرة: إذا مستثبات الرياح تسمت.



قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: شَبَّهَ مَا تَحْمِلُهُ الرِّيحُ مِنَ الْمَاءِ وَغَيْرِهِ، بِالْوَلَدِ الَّذِي <sup>(١)</sup> تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ النَّاقَةُ، وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ: حَرْبٌ لَاقِحٌ، لَمَّا تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ <sup>(٢)</sup>.

فَعَلَى قَوْلِ أَبِي عُبَيْدَةَ <sup>(٣)</sup>؛ يَكُونُ مَعْنَى «لَوَاقِحَ»: أَنَّهَا مُلْقِحَةٌ لَغَيْرِهَا، وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ قُتَيْبَةَ <sup>(٤)</sup>: أَنَّهَا لَاقِحَةٌ نَفْسَهَا.

وَأَكْثَرُ الْأَحَادِيثِ تَدُلُّ عَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: يَبْعَثُ اللَّهُ الرِّيَّاحَ لِتُلْقِحَ السَّحَابَ، فَتَحْمِلُ الْمَاءَ، فَتَمْجُهُ ثُمَّ تَمْرِيهِ <sup>(٥)</sup>، فَيُدِرُّ كَمَا تُدِرُّ اللَّقْحَةُ <sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَبْعَثُ اللَّهُ الرِّيَّاحَ عَلَى السَّحَابِ فَتُلْقِحُهُ فَيَمْتَلِئُ مَاءً <sup>(٧)</sup>.

(١) في (ر)، و(م): التني.

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٥٨٢).

(٣) مجاز القرآن (١ / ٣٤٨).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٦).

(٥) مرى الناقة يمر بها: مسح ضرعها، فأمرت هي: درّ لبنها، وهي: المربة بالضم والكسر. ومرى الشيء: استخرجه كما تراه. القاموس مادة (م ر ي).

(٦) أخرجه الطبري (١٧ / ٨٦) بنحوه، والطبراني في الكبير (٩ / ٣٥٣)، والبيهقي (٣ / ٣٦٤)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢٨ / ١٠٠٦) بنحوه، من طرق عن الأعمش به، وذكره النحاس في معاني القرآن (٤ / ١٩) بنحوه، والسمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٢١٧) بنحوه، وأورده الهيثمي في المجمع (٧ / ٤٥)، وقال: وفيه يحى الحماني وهو ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٧٩) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والخرائطي.

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٩٦) إلى ابن جرير، وابن أبي حاتم.

قَالَ النَّخَعِيُّ<sup>(١)</sup>: تُلْفَحُ السَّحَابَ وَلَا تُلْفَحُ الشَّجَرَ<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسنُ في آخرين: تُلْفَحُ السَّحَابَ وَالشَّجَرَ، يَعْنُونَ أَنَّهَا: تُلْفَحُ السَّحَابَ حَتَّى يُمَطِّرَ، وَالشَّجَرَ حَتَّى يُثْمَرَ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يَعْنِي: السَّحَابَ ﴿مَاءً﴾ يَعْنِي: الْمَطَرَ ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ أَي: جَعَلْنَاهُ سُقْيَا لَكُمْ.

[٤٤١/أ] قَالَ الْفَرَاءُ: الْعَرَبُ مُجْتَمِعُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا: سَقَيْتُ الرَّجُلَ، فَأَنَا أَسْقِيهِ: إِذَا سَقَيْتُهُ لِسَقَاتِهِ، فَإِذَا أَجْرُوا لِلرَّجُلِ نَهْرًا، قَالُوا: أَسْقَيْتُهُ وَسَقَيْتُهُ، وَكَذَلِكَ السُّقْيَا مِنَ الْغَيْثِ، قَالُوا فِيهَا: سَقَيْتُ، وَأَسْقَيْتُ<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو عبيدة: كُلُّ مَا كَانَ مِنَ السَّمَاءِ، فِيهِ لُغَتَانِ: أَسْقَاهُ اللَّهُ، وَسَقَاهُ اللَّهُ، قَالَ لَبِيدٌ [مَنْ الْوَافِرُ]:

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نَمِيرًا وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلَالٍ<sup>(٥)</sup>

(١) في (ر)، و(م): الحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٨٧)، وعزاه السيوطي (٤ / ٩٦) إلى أبي الشيخ عن إبراهيم.

(٣) أخرجه الطبري (١٧ / ٨٧)، وأبو الشيخ (٨٥٦) من طريق ابن عليه به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٩٦) إلى أبي عبيد وابن أبي حاتم.

(٤) لغات القرآن (ص: ٨٢).

(٥) البيت للبيد في ديوانه (ص: ٧١)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٢ / ٥٦٢) والرواية فيه: (والقائل) بدل: (والقبائل)، ولغات القرآن؛ للفراء (ص: ٨٢)، وتفسير الطبري (١٧ / ٣١٧)، والكشف والبيان (١٦ / ٦٧)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٩ / ١٨١).

فجاء باللغتين. وتقول: سقيت الرجل ماءً وشراباً من لبنٍ وغيره، وليس فيه إلا لغةٌ واحدةٌ بغير ألفٍ، إذا كان في الشفة؛ فإذا جعلت له شرباً؛ فهو: أسقيته، وأسقيت أرضه، وإبله، ولا يكون غير هذا، وكذلك إذا استسقيت له؛ كقول ذي الرمة [من الطويل]:

وَقَفْتُ عَلَى رَسْمٍ لِمَيَّةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ  
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُّهُ نُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ<sup>(١)</sup>  
فإذا وهبت له إهاباً ليجعله سقاء؛ فقد أسقيته إياه<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ﴾ يعني: الماء المنزل ﴿بِخَزِينٍ﴾ وفيه قولان: أحدهما: بحافظين؛ أي: ليست خزائنه بأيديكم، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>. والثاني: بمانعين، قاله سفيان الثوري.

قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ يعني: أنه الباقي بعد فناء الخلق.  
﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ﴾ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ إِنَّهُ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ [الحجر: ٢٤ - ٢٥].

(١) البيتان لذي الرمة في مجاز القرآن (١ / ٣٥٠)، وتفسير الطبري (١٧ / ٨٩)، والكشف والبيان؛ للعلبي (١٥ / ٤٥٢)، وتفسير ابن عطية (٥ / ٧١٠)، والجليس الصالح (ص: ٢٨٠)، ومصارع العشاق (٢ / ١٨٧).

(٢) انتهى نقله من مجاز القرآن (١ / ٣٤٩ - ٣٥٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٤٢٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ يُقَالُ: اسْتَقْدَمَ الرَّجُلُ، بِمَعْنَى: تَقَدَّمَ، وَاسْتَأَخَرَ، بِمَعْنَى: تَأَخَّرَ.

وَفِي سَبَبِ نُزُولِهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً حَسَنَاءَ كَانَتْ تُصَلِّي خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَكَانَ بَعْضُهُمْ يَتَقَدَّمُ<sup>(١)</sup> حَتَّى يَكُونَ فِي أَوَّلِ صَفٍّ لِئَلَّا يَرَاهَا، وَيَتَأَخَّرُ بَعْضُهُمْ حَتَّى يَكُونَ فِي آخِرِ الصَّفِّ<sup>(٢)</sup>، فإِذَا رَكَعَ نَظَرَ مِنْ تَحْتِ إِبْطِهِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، رَوَاهُ أَبُو الْجَوْزَاءِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - حَرَّضَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ، فَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ، وَقَالَ قَوْمٌ: يُبَوِّئُهُمْ قَاصِيَةٌ عَنِ الْمَدِينَةِ: لَنَنْبِيعَنَّ دُورَنَا، وَلَنَشْرَيْنَ دُورًا قَرِيبَةً مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى نُدْرِكَ الصَّفِّ الْمُتَقَدِّمَ<sup>(٤)</sup>، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ؛ وَمَعْنَاهَا: إِنَّمَا تُحْزَوْنَ عَلَى النَّبَاتِ، فَاطْمَأْنُوا وَسَكُنُوا، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ج)، وَ(ف)، وَ(ر)، وَ(م): يَسْتَقْدِم.

(٢) فِي (ف)، وَ(ر): صَفٌّ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (٢٨٣٥)، وَأَحْمَدُ (٢٧٨٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣١٢٢)، وَالنَّسَائِيُّ (٨٦٩)، وَفِي الْكِبَرِيِّ (١١٢٧٣)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٠٤٦)، الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٩٣ / ١٧)، وَابْنُ خُزَيْمَةَ (١٦٩٦ - ١٦٩٧)، وَابْنُ حِبَّانَ (٤٠١)، وَالتَّطَبُّرِيُّ (١٢٧٩٦)، وَالحَاكِمُ (٣٥٣ / ٢)، وَالبَيْهَقِيُّ (٩٨ / ٣) مِنْ طَرَقَ عَنْ نُوحِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٤) فِي (ج): الْأَوَّلِ.

(٥) ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرِ الْجُرْجَانِيُّ فِي دَرَجِ الدَّرَرِ (١٧٢ / ٢) مِنْ رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (٤٥٧ / ١٥)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٢٨٢) عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ.

وللمُفسِّرينَ في معنَى المُستَقْدِمِينَ والمُسْتَأخِرِينَ ثَمَانِيَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: التَّقَدُّمُ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَالتَّأَخُّرُ عَنْهُ، وَهَذَا عَلَى الْقَوْلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِي سَبَبِ نَزُولِهَا، فَعَلَى الْأَوَّلِ: هُوَ التَّقَدُّمُ لِلتَّقْوَى، وَالتَّأَخُّرُ لِلخِيَانَةِ بِالنَّظَرِ، وَعَلَى الثَّانِي: هُوَ التَّقَدُّمُ لِطَلَبِ الْفَضِيلَةِ، وَالتَّأَخُّرُ لِلْعُذْرِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُسْتَاقْدِمِينَ: مَنْ مَاتَ، وَالْمُسْتَأخِرِينَ، مَنْ هُوَ حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، وَخَصِيفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَبِهِ قَالَ عَطَاءٌ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْقُرْظِيُّ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمُسْتَاقْدِمِينَ: مَنْ خَرَجَ مِنَ الْخَلْقِ وَكَانَ. وَالْمُسْتَأخِرِينَ: الَّذِينَ فِي أَضْلَابِ الرِّجَالِ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ [٤٤١/ب] عكرمة<sup>(٢)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْمُسْتَاقْدِمِينَ: مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ، وَالْمُسْتَأخِرِينَ (مِنْ)<sup>(٣)</sup> أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ<sup>(٤)</sup>.

وَالْخَامِسُ: أَنَّ الْمُسْتَاقْدِمِينَ: الْمُتَقَدِّمُونَ فِي الْخَيْرِ، وَالْمُسْتَأخِرُونَ: الْمُثْبَطُونَ عَنْهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٠).

(٣) من الأصل فقط.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٢)، وعزاه السيوطي في

الدر المنثور (٤ / ٩٨) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

والسَّادس: أَنَّ الْمُسْتَقْدِمِينَ فِي صُفُوفِ الْقِتَالِ، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ عَنْهَا، قَالَهُ الضَّحَّاكُ.  
والسَّابع: أَنَّ الْمُسْتَقْدِمِينَ: مَنْ قُتِلَ فِي الْجِهَادِ، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ: مَنْ لَمْ يُقْتَلْ، قَالَهُ الْقُرْظِيُّ.

والثَّامن: أَنَّ الْمُسْتَقْدِمِينَ: أَوَّلُ الْخَلْقِ، وَالْمُسْتَأْخِرِينَ آخِرُ الْخَلْقِ، قَالَهُ الشَّعْبِيُّ.  
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (١٦) ﴿وَلَجَّانَ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُورِ﴾ (٢٧) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ (٢٨) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (٢٩) [الحجر: ٢٦ - ٢٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يَعْنِي: آدَمَ ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:  
أَحَدُهَا: أَنَّهُ الطِّينُ الْيَابِسُ الَّذِي لَمْ تُصَبَّهِ النَّارُ، فَإِذَا نَقَرْتَهُ صَلَّ، فَسَمِعَتْ لَهُ صَلْصَلَةٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(١)</sup>، وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup>.  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ الطِّينُ الْمَتْنُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالْكِسَائِيُّ<sup>(٣)</sup>، وَأَبُو عُبَيْدٍ<sup>(٤)</sup>.  
وَيُقَالُ: صَلَّ اللَّحْمُ: إِذَا تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ.  
وَالثَّالِثُ: أَنَّهُ طِينٌ خُلِطَ بِرَمْلِ، فَصَارَ لَهُ صَوْتُ عِنْدَ نَقْرِهِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ<sup>(٥)</sup>.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٣٧).

(٣) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٥/ ٤٦٠).

(٤) غريب الحديث (٣/ ١٦٦).

(٥) معاني القرآن (٢/ ٨٨).



فَأَمَّا الْحَمَاءُ: فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هُوَ جَمْعُ حَمَاءٍ، وَهُوَ الطِّينُ الْمَتَغَيَّرُ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: لَا خِلَافَ أَنَّ الْحَمَاءَ: الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمَتَغَيَّرُ الرِّيحِ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ قَالَ: بَلُّ التُّرَابِ حَتَّى صَارَ<sup>(٣)</sup> طِينًا، ثُمَّ تَرَكَ حَتَّى أَتَنَّنَ وَتَغَيَّرَ.

وَفِي الْمُسْنُونِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الْمُتَنَّنُ أَيُّضًا، رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ فِي آخَرِينَ.

قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ: الْمُسْنُونُ: الْمَتَغَيَّرُ الرَّائِحَةُ<sup>(٥)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الطِّينُ الرَّطْبُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الْمَضْبُوبُ، قَالَهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ<sup>(٧)</sup>، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٨)</sup>.

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٥١).

(٢) الأضداد (ص: ٣٩٧).

(٣) في الأصل، و(ج)، و(ف): عاد، والمثبت من (ر)، و(م).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤١٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٨).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٨).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٩)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (٤ / ٣٨٩).

(٨) مجاز القرآن (١ / ٣٥١).

والرَّابِعُ: أَنَّهُ الْمَحْكُوكُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، قَالَ: فَمَنْ قَالَ: الْمُسْنُونُ: الْمُنْتِنُ، قَالَ: هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ تَسَنَّى الشَّيْءُ: إِذَا أَتَتْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَسْئَلْهُ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ: مُسْنُونٌ؛ لِتَقَادُِمِ السَّنِينَ عَلَيْهِ.

وَمَنْ قَالَ: الطَّيْنُ الرَّطْبُ، قَالَ: (سُمِّيَ مُسْنُونًا)<sup>(١)</sup>؛ لِأَنَّهُ يَسِيلُ وَيَنْبَسِطُ، فَيَكُونُ كَالْمَاءِ الْمُسْنُونِ الْمَضْبُوبِ.

وَمَنْ قَالَ: الْمَضْبُوبُ، اخْتَجَّ بِقَوْلِ الْعَرَبِ: قَدْ سَنَنْتَ عَلَى الْمَاءِ: إِذَا صَبَبْتَهُ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَضْبُوبُ عَلَى صُورَةٍ وَمِثَالٍ؛ مِنْ قَوْلِهِ: رَأَيْتُ سُنَّةَ وَجْهِهِ؛ أَيِ: صُورَةَ وَجْهِهِ، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنْ الْبَسِيطِ]:

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهِهِ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ      مَلَسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبٌ<sup>(٢)</sup>

وَمَنْ قَالَ: الْمَحْكُوكُ، اخْتَجَّ بِقَوْلِ الْعَرَبِ: سَنَنْتَ الْحَجَرَ عَلَى الْحَجَرِ؛ إِذَا حَكَّكَتَهُ عَلَيْهِ. وَسُمِّيَ الْمَسْنُونُ مَسْنًا؛ لِأَنَّ الْحَدِيدَ يُحَكُّ عَلَيْهِ.

قَالَ: وَإِنَّمَا كُرِّرَتْ «مِنْ»؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَى مُتَعَلِّقَةٌ بِ«خَلَقْنَا» وَالثَّانِيَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالصَّلَاحِ، تَقْدِيرُهُ: وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ الصَّلَاحِ الَّذِي هُوَ مِنْ هَآءِ مُسْنُونٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) ليست في (ج).

(٢) البيت لذي الرمة في الأضداد (ص: ٣٩٨-٣٩٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٤٠)، والمعاني الكبير؛ لابن قتيبة (١/ ٥٣٣)، والكشف والبيان (١٥/ ٤٦٠)، والتذكرة الحمدونية (٥/ ٣١٥)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (٢/ ٧٤)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٥٥).

(٣) انتهى نقله عن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٤٨٨-٤٨٩).

قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه مسيخ الجن، كما أن القردة والخنزير مسيخ الإنس، رواه  
عكرمة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنه أبو الجن، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وروى عنه الضحاك أنه قال: الجان أبو الجن، وليسوا بشياطين،  
والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلا مع إبليس، والجن يموتون، ومنهم  
المؤمن ومنهم الكافر<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أنه إبليس، قاله الحسن، وعطاء، وقتادة، ومقاتل<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل: أليس أبو الجن هو إبليس؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه هو، فيكون هذا القول هو الذي قبله.

والثاني: أن الجان أبو الجن، وإبليس أبو الشياطين، فينبغي إذا فرق  
على ما ذكرناه عن ابن عباس.

قال العلماء: وإنما سمي جانا؛ لتواريه عن العيون.

قوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعني: قبل خلق آدم.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٧٧) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٣٤٢) إلى ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن ابن عباس.

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٤٢٨).

﴿مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ وقال ابنُ مسعودٍ: مِنْ نَارِ الرِّيحِ الْحَارَّةِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَالسَّمُومُ فِي اللُّغَةِ: الرِّيحُ الْحَارَّةُ وَفِيهَا نَارٌ<sup>(١)</sup>. قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: وَهِيَ نَارٌ لَا دُخَانَ لَهَا<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٣١) قَالَ يَتَايَلِسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلَاسِلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ (٤١) [الحجر: ٣١ - ٤١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾؛ أَي: عَدَلْتُ صُورَتَهُ، وَأَتَمَمْتُ خَلْقَتَهُ ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ هَذِهِ الرُّوحُ هِيَ الَّتِي يَحْيَا بِهَا الْإِنْسَانُ، وَلَا تُعْلَمُ مَا هِيَئَتُهَا، وَإِنَّمَا أَضَافَهَا إِلَيْهِ؛ تَشْرِيفًا لِأَدَمَ، وَهَذِهِ إِضَافَةٌ مُلْكٍ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ إِجْرَاءُ الرُّوحِ فِيهِ نَفْخًا؛ لِأَنَّهَا جَرَتْ فِي بَدَنِهِ عَلَى مِثْلِ جَرِي الرِّيحِ فِيهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ١٠٠)، وَالْحَاكِمُ (٢ / ٤٧٤) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ (٩٠٥٧) مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَخْرَجَهُ مَعْمَرٌ فِي جَامِعِهِ (٢٠٣٥٧) عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَاصِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ٩٨) إِلَى الْفَرِيَابِيِّ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ.

(٢) تَنْوِيرُ الْمُقْبَاسِ (ص: ٢١٧)، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٣ / ٤٤)، وَالتَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ (٢١ / ١٥٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقْعُوا لَهُ سَجِيدَيْنِ﴾ <sup>(١)</sup> أَمْرٌ <sup>(٢)</sup> مِنَ الْوُقُوعِ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأْتُهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ قَالَ [فِيهِ] <sup>(٣)</sup> سَيَبُوهِ وَالْخَلِيلُ: هُوَ تَوْكِيدٌ بَعْدَ تَوْكِيدٍ <sup>(٤)</sup>.

وقَالَ الْمَبْرُذُ: «أَجْمَعُونَ» يَدُلُّ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ فِي السُّجُودِ، فَاَلْمَعْنَى: سَجَدُوا كُلُّهُمْ فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ <sup>(٥)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: وَهَذَا، لِأَنَّ «كُلًّا» تَدُلُّ عَلَى اجْتِمَاعِ الْقَوْمِ فِي الْفِعْلِ، وَلَا تَدُلُّ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ فِي الزَّمَانِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَقَوْلُ سَيَبُوهِ أَجْوَدُ؛ لِأَنَّ «أَجْمَعِينَ» مَعْرِفَةٌ، وَلَا تَكُونُ حَالًا <sup>(٦)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: مَعْنَاهُ: يَلْعَنُكَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الْأَرْضِ <sup>(٧)</sup> إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ لِأَنَّهُ يَوْمٌ لَهُ أَوَّلٌ وَلَيْسَ لَهُ آخِرٌ، فَجَرَى مَجْرَى الْأَبَدِ الَّذِي لَا يَفْنَى، وَالْمَعْنَى: عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ يَغْنِي: الْمَعْلُومَ بِمَوْتِ الْخَلَائِقِ فِيهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُذَيِّقَهُ أَلَمَ الْمَوْتِ قَبْلَ أَنْ يُذَيِّقَهُ الْعَذَابَ الدَّائِمَ فِي جَهَنَّمَ.

(١) فِي (ج): أَي.

(٢) لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٣) الْكِتَابُ (٢/ ٣٨٧)، وَذَكَرَهُ عَنْهُ وَعَنْ الْخَلِيلِ الزَّجَّاجِ فِي مَعَانِيهِ (٣/ ١٧٩).

(٤) الْمُقْتَضِبُ (٤/ ٣٩٥)، وَذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الزَّجَّاجُ فِي مَعَانِيهِ (٣/ ١٧٩).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ١٧٩).

(٦) لَيْسَتْ فِي (ف)، وَ(ر)، وَ(م).

قوله تعالى: ﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: مفعول التزيين محذوف، والمعنى: لا زَيْنَ لهم الباطل حتى يَقْعُوا فيه. ﴿وَلَا غَوِيَنَّهُمْ﴾؛ أي: ولا ضلَّلتهم.

والمخلصون: الَّذِينَ أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لله عَنْ كُلِّ شَائِبَةٍ تُنَاقِضُ الإِخْلَاصَ، وَمَا أَخْلَلْنَا بِهِ مِنَ الْكَلِمَاتِ هَاهُنَا، فَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهَا فِي الْأَعْرَافِ [الآية: ١٦] وَغَيْرِهَا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٤٢/ب] اختلفوا في معنى هذا الكلام على ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ هَذَا: الإِخْلَاصَ، فَاْلْمَعْنَى: إِنَّ الإِخْلَاصَ طَرِيقٌ إِلَيَّ مُسْتَقِيمٌ، وَ«عَلَيَّ» بِمَعْنَى: «إِلَيَّ».

والثاني: هَذَا طَرِيقٌ عَلَيَّ جَوَازُهُ؛ لِأَنِّي بِالْمِرْصَادِ، فَأَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَهُوَ خَارِجٌ مَخْرَجِ الْوَعِيدِ؛ كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ مُخَاصَمُهُ: طَرِيقُكَ عَلَيَّ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

والثالث: هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ اسْتِقَامَتُهُ؛ أَي: أَنَا ضَامِنٌ لاسْتِقَامَتِهِ بِالْبَيَانِ وَالْبُرْهَانِ.

وَقَرَأَ قَتَادَةُ، وَيَعْقُوبُ: «هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ» بِكَسْرِ اللَّامِ وَرَفْعِ الْيَاءِ وَتَنْوِينِهَا<sup>(١)</sup>؛ أَي: رَفِيعٌ.

(١) قراءة عشرية ليعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٠١)، وعزاها في المحتسب (٢/ ٣) للمذكورين، وانظر: البحر المحيط (٦/ ٤٧٨).

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾  
[الحجر: ٤٢ - ٤٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ فيهم أربعة أقوال:  
أحدها: أنهم المؤمنون.

والثاني: المعصومون، روي عن قتادة.

والثالث: المخلصون، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

والرابع: الطيعون، قاله ابن جرير<sup>(٢)</sup>.

فعلى هذه الأقوال، تكون الآية من العام الذي أريد به الخاص.

وفي المراد بالسلطان قولان:

أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن جرير<sup>(٣)</sup>، فيكون المعنى: ليس لك (عليهم)<sup>(٤)</sup> حجة في<sup>(٥)</sup> إغوائهم.

والثاني: أنه القهر والغلبة؛ وإنما له أن يغر ويزين، قاله أبو سليمان الدمشقي.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٢٩).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٣).

(٣) تفسير الطبري (١٧/ ١٠٥).

(٤) من الأصل فقط.

(٥) في (ج): على.

وُسَيْلُ سَفِيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ<sup>(١)</sup>، فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ  
سُلْطَانٌ أَنْ تُلْقِيَهُمْ فِي ذَنْبٍ يَضِيقُ عَفْوِي عَنْهُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ يَغْنِي: الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ وَهِيَ دَرَكَاتُهَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، قَالَ  
عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَبْوَابُ جَهَنَّمَ لَيْسَتْ كَأَبْوَابِكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنَّهَا هَكَذَا وَهَكَذَا  
وَهَكَذَا بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَوَصَفَ الرَّأْيِي عَنْ بَيْدِهِ وَفَتَحَ أَصَابِعَهُ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ<sup>(٤)</sup>: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، أَوَّلُهَا جَهَنَّمُ، ثُمَّ لَظَى، ثُمَّ  
الْحُطْمَةُ، ثُمَّ السَّعِيرُ، ثُمَّ سَقَرٌ، ثُمَّ الْجَحِيمُ، ثُمَّ الْهَاطِيَةُ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هِيَ سَبْعَةُ أَذْرَاكٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، فَأَعْلَاهَا فِيهِ  
أَهْلُ التَّوْحِيدِ يُعَذَّبُونَ عَلَى قَدْرِ ذُنُوبِهِمْ ثُمَّ يُخْرَجُونَ، وَالثَّانِي فِيهِ النَّصَارَى،  
وَالثَّلَاثُ فِيهِ الْيَهُودُ، وَالرَّابِعُ فِيهِ الصَّابِئُونَ، وَالْخَامِسُ فِيهِ الْمَجُوسُ،  
وَالسَّادِسُ فِيهِ مُشْرِكُو الْعَرَبِ، وَالسَّابِعُ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ<sup>(٦)</sup>.

(١) لَيْسَتْ فِي (ج).

(٢) ذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤/ ٣٨٢)، وَالثَّلْبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٥/ ٤٦٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ١٠٦).

(٤) فِي (ج)، وَ(ف): جَرِيرٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ١٠٧).

(٦) أَخْرَجَهُ الثَّلْبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٥/ ٤٧١ - ٤٧٢)، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ  
الْبَسِيطِ (١٢/ ٦١٠)، وَالبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤/ ٣٨٢ - ٣٨٣).



قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: لَمَّا اتَّصَلَ الْعَذَابُ بِالْبَابِ، وَكَانَ الْبَابُ مِنْ سَيِّئِهِ، سُمِّيَ بِاسْمِهِ لِلْمُجَاوَرَةِ، كَتَسْمِيَتِهِمُ الْحَدَّثَ غَائِطًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾؛ أَي: مِنْ أَتْبَاعِ إِبْلِيسَ ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ وَالْجُزْءُ: بَعْضُ الشَّيْءِ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۖ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ أَمِينٍ ۖ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ۖ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۖ (٤٨)﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ قد شرَحْنَا فِي [سُورَةِ] (١) الْبَقَرَةِ [آيَةَ: ٢ - ٥٢] مَعْنَى التَّقْوَى وَالْجَنَّاتِ.

فَأَمَّا الْعُيُونُ: فَهِيَ عُيُونُ الْمَاءِ، وَالْخَمْرِ، وَالسَّلْسَبِيلِ، وَالتَّسْنِيمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ أَنَّهُ مِنْ شَرَابِ الْجَنَّةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوهَا﴾ الْمَعْنَى: يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوهَا ﴿بِسَلَامٍ﴾، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: بِسَلَامَةٍ مِنَ النَّارِ.

وَالثَّانِي: بِسَلَامَةٍ مِنْ كُلِّ آفَةٍ.

وَالثَّالِثُ: بِتَحِيَّةٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) من (ر)، و(م).

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ءَامِنِينَ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: آمِنِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

وَالثَّانِي: مِنَ الْخُرُوجِ.

وَالثَّالِثُ: مِنَ الْمَوْتِ.

وَالرَّابِعُ: مِنَ الْخَوْفِ وَالْمَرَضِ.

[٤٤٣/أ] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ قَدْ ذَكَرْنَا تَفْسِيرَهَا فِي [سُورَةِ] <sup>(١)</sup> الْأَعْرَافِ [آيَةِ: ٤٣]، فَإِنَّ الْمَفْسِّرِينَ ذَكَرُوا مَا هُنَاكَ هَاهُنَا مِنْ تَفْسِيرٍ وَسَبَبٍ نُزُولٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِخْوَانًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ مُتَوَادُّونَ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ نَصَبَ «إِخْوَانًا» عَلَى الْحَالِ، فَأَوْجَبَ ذَلِكَ أَنَّ التَّآخِي وَقَعَ مَعَ نَزْعِ الْغَلِّ، وَقَدْ كَانَ التَّآخِي بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا؟.

فَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ، فَقَالَ: مَا مَضَى مِنَ التَّآخِي قَدْ كَانَ تَشَوُّبُهُ ضَعْفًا شَدِيدًا وَشَحْنَاءًا، وَهَذَا التَّآخِي بَيْنَهُمُ الْمَوْجُودُ <sup>(٢)</sup> عِنْدَ نَزْعِ الْغَلِّ وَهُوَ تَأَخِي الْمَصَافَاةِ وَالْإِخْلَاصِ، وَيُجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ ﴿إِخْوَانًا﴾ عَلَى الْمَذْحِ، الْمَعْنَى: اذْكُرْ إِخْوَانًا. فَأَمَّا السُّرُورُ: فَجَمْعُ سَرِيرٍ.

(١) من (ر)، و(م).

(٢) في (ف): موجود.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَى سُورٍ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٍ بِالزَّبَرْجَدِ وَالْدُرِّ وَالْيَاقُوتِ، السَّرِيرُ مِثْلُ مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى أَيْلَةَ<sup>(١)</sup>، ﴿مُنْقَلِبِينَ﴾ لَا يَرَى بَعْضُهُمْ قَفَا بَعْضٍ، حَيْثُمَا التَفَتَ رَأَى وَجْهًا يُحِبُّهُ يُقَابِلُهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَمْسُهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾؛ أَي: لَا يُصِيبُهُمْ فِي الْجَنَّةِ إِغْيَاءٌ وَتَعَبٌ.

﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) [الحجر: ٤٩ - ٥٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

سَبَبُ نَزُولِهَا: مَا رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ بِإِسْنَادٍ لَهُ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - [قَالَ: طَلَعَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ] (٢) مِنَ الْبَابِ الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ بَنُو شَيْبَةَ، وَنَحْنُ نَضْحَكُ، فَقَالَ: «أَلَا أَرَأَكُمْ تَضْحَكُونَ؟» ثُمَّ أَذْبَرَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَجَرِ، رَجَعَ إِلَيْنَا الْقَهْقَرَى، فَقَالَ: «إِنِّي لَمَّا خَرَجْتُ؛ جَاءَ جِبْرِيلُ

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٤٦)، والتفسير البسيط (١٢/ ٦١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٨/ ٤٠٩)، وأَيْلَةُ: بفتح أوله، على وزن فَعْلَةٍ، مدينة على رأس خليج العقبة من البحر الأحمر - الذي تشارك فيه الحدود المصرية والفلسطينية والأردنية والسعودية، قيل هي آخر الحجاز وأول الشام، وقيل وهي مدينة اليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالقوا، قيل: وقد سميت بأيلة بنت مدين ابن إبراهيم، وهي التي يطلق عليها اليهود اليوم: (ميناء إيلات)، انظر: معجم ما استعجم (١/ ٢١٦)، ومعجم البلدان (١/ ٢٩٢)، وأطلس العالم (ص: ٢٩).

(٢) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لَمْ تُقْنَطْ عِبَادِي؟ ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو بِتَحْرِيكِ يَاءٍ: «عِبَادِي» وَيَاءٍ «أَنِّي أَنَا»، وَأَسْكَنَهَا الْبَاقُونَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قَدْ شَرَحْنَا الْقِصَّةَ فِي هُودٍ [آيَة: ٦٩]، وَبَيَّنَّا هُنَالِكَ مَعْنَى الضَّيْفِ وَالسَّبَبَ فِي خَوْفِهِ مِنْهُمْ، وَذَكَرْنَا مَعْنَى الْوَجَلِ فِي الْأَنْفَالِ [آيَة: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُعَلِّمُ عَلِيمٌ﴾؛ أَي: إِنَّهُ<sup>(٣)</sup> يَبْلُغُ وَيَعْلَمُ.

﴿قَالَ أَبَشَرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ﴾<sup>(٥٤)</sup> قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَنِيطِيبِ<sup>(٥٥)</sup> قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ<sup>(٥٦)</sup> قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ<sup>(٥٧)</sup> قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ<sup>(٥٨)</sup> إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(٥٩)</sup> إِلَّا أَمْرَانَهُ، فَذَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَائِبِينَ<sup>(٦٠)</sup> فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ<sup>(٦١)</sup> قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ<sup>(٦٢)</sup> قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ<sup>(٦٣)</sup> وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ<sup>(٦٤)</sup> فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ<sup>(٦٥)</sup> وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنْ دَابرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْحِحِينَ<sup>(٦٦)</sup>﴾ [الحجر: ٥٤ - ٦٦].

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٨٩٢) عن مصعب بن ثابت، والطبري في تفسيره (١٧ / ١١١)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٠٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٦).

(٣) ليست في (ف).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾؛ أي: بالولد ﴿عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾؛ أي: على حالة الكبر والهرم ﴿فِيمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «تُبَشِّرُونَ» بفتح النون. وقرأ نافع بكسر النون، ووافقه ابن كثير في كسرهما، لكنه شددهما. وهذا استفهام تعجب، كأنه عجب من الولد على كبره<sup>(١)</sup>.

﴿قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾؛ أي: بما قضى الله أنه كائن ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَظِطِينَ﴾ يعني: الآيسين.

﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «وَمَنْ يَقْنَطُ» بفتح النون في جميع القرآن. وقرأ أبو عمرو، والكسائي: «يَقْنَطُ» بكسر النون<sup>(٢)</sup>. وكلهم قرءوا: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨] بفتح النون.

وروى خارجة عن أبي عمرو: «وَمَنْ يَقْنَطُ» بضم النون<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاج: يُقال: قَنَطَ يَقْنَطُ، وَقْنَطَ يَقْنَطُ، والقنوط بمعنى:

اليأس<sup>(٤)</sup>، ولم يكن إبراهيم قانطاً، ولكنه استبعد وجود الولد. [٤٤٣/ب]

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٥)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/ ٢٤٢)، ونقلها

ابن القطاع في كتاب الأفعال (١/ ١٢) عن حيوة.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨١).

قَوْلُهُ <sup>(١)</sup>: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾؛ أَي: مَا <sup>(٢)</sup>أَمْرُكُمْ؟ ﴿قَالُوا إِنَّا أَزْهَلْنَا﴾؛  
أَي: بِالْعَذَابِ.

وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا لَ لُوطٍ﴾ اسْتِثْنَاءٌ لَيْسَ مِنَ الْأَوَّلِ.

فَأَمَّا آلُ لُوطٍ: فَهُمْ أَتْبَاعُهُ الْمُؤْمِنُونَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَأَبُو  
عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ:

«لَمُنْجُوهُمْ» مُشَدَّدَةٌ الْجِيمِ. وَقَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكِسَائِيُّ: «لَمُنْجُوهُمْ» خَفِيفَةٌ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا أَمْرَاتَهُ﴾ الْمَعْنَى: إِنَّا لَمُنْجُوهُمْ إِلَّا أَمْرَاتَهُ، ﴿قَدَرْنَا﴾  
وَرَوَى أَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «قَدَرْنَا» بِالتَّخْفِيفِ <sup>(٤)</sup>، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ، يُقَالُ: قَدَرْتُ  
وَقَدَرْتُ، وَالْمَعْنَى: قَضَيْنَا ﴿إِنَّمَا لِمَنِ الْغَيْرُ﴾ يَعْنِي: الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ يَعْنِي: لَا أَعْرِفُكُمْ، ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا  
بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ يَعْنُونَ: الْعَذَابَ، كَانُوا يَشْكُونَ فِي نُزُولِهِ. ﴿وَأَتَيْنَاكَ  
بِالْحَقِّ﴾؛ أَي: بِالْأَمْرِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ مِنْ عَذَابِ قَوْمِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّبَعْ أَذْبَرَهُمْ﴾؛ أَي: سِرَّ خَلْفَهُمْ ﴿وَأَمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾؛  
أَي: حَيْثُ يَأْمُرُكُمْ جِبْرِيلُ.

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (ج): من.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

(٤) سبعة، انظر: التيسير (ص: ١٣٦).

وفي المكان الَّذِي أُمِرُوا بِالْمِضِيِّ إِلَيْهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ الشَّامُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثَّانِي: قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾؛ أَي: أَوْحَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ؛ أَي: الْأَمْرَ بِهَلَاكِ قَوْمِهِ.

(قَالَ الزَّجَّاجُ: فَسَّرَ: مَا الْأَمْرُ بِبَاقِي الْآيَةِ)<sup>(١)</sup>، وَالْمَعْنَى: وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ<sup>(٢)</sup>.

فَأَمَّا الدَّابِرُ: فَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ آخِرَ مَنْ يَبْقَى مِنْكُمْ يَهْلِكُ وَفَتْ الصُّبْحِ.

﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيِّفِي فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ (٦٩) قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَلَمِينَ (٧٠) قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) [الحجر: ٦٧ - ٧١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ﴾ وَهِيَ قَرْيَةٌ<sup>(٣)</sup> لُوطٍ، وَاسْمُهَا: سَدُومُ، ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بِأَضْيَافِ<sup>(٤)</sup> لُوطٍ؛ طَمَعًا فِي رُكُوبِ الْفَاحِشَةِ، فَقَالَ لَهُمْ لُوطٌ: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيِّفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾؛ أَي: بِقُصْدِكُمْ إِيَّاهُمْ بِالسُّوءِ، يُقَالُ:

(١) مَا بَيْنَ الْهَلَالَيْنِ سَاقِطٌ مِنْ (ج).

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ١٨٢).

(٣) فِي (م): وَهُمْ قَوْمٌ.

(٤) فِي (ف): بِأَضْيَافِ قَوْمٍ.

فَضَحَهُ يَفْضُحُهُ؛ إِذَا أَبَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَلْزُمُهُ بِهِ الْعَارُ، وَقَدْ أُثْبِتَ يَفْقُوبُ  
يَاءً: «تَفْضُحُونَ» وَ«لَا تَحْزُونَ» فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾؛ أَي: عَنْ ضِيَاةِ الْعَالَمِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ حَرَّكَ يَاءً: «بَنَاتِي» نَافِعٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿لَعَنَّاكَ إِنَّمَا لَقِيَ سَكْرَتُهُمْ يَعْصُونَ<sup>(٧٢)</sup> فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ<sup>(٧٣)</sup> فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا  
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ<sup>(٧٤)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ<sup>(٧٥)</sup> وَإِنَّمَا  
لِسَبِيلٍ مُّقْبِرٍ<sup>(٧٦)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ<sup>(٧٧)</sup>﴾ [الحجر: ٧٢ - ٧٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَعَنَّاكَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ مَعْنَاهُ: وَحَيَاتُكَ يَا مُحَمَّدُ، رَوَاهُ أَبُو الْجَوَزَاءِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: لَعَيْشُكَ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>، وَبِهِ قَالَ

(١) انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٢)، والإتحاف؛ للديلمي (ص: ٢٧٦).

(٢) سبعة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للذاني (ص: ٢٧٦)، والنشر؛  
لابن الجزري (٢/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٨)، والحاتم بن أبي أسامة في مسنده - كما في  
المطالب (٤٠٢٦) - وأبو نعيم في الدلائل (٢١)، والبيهقي في الدلائل (٥/ ٤٨٨) من  
طريق سعيد بن زيد، وأخرجه أبو يعلى (٢٧٥٤)، وأبو نعيم في الدلائل (٢٢) من  
طريق عمرو بن مالك، بلفظ: «بحياتك»، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٠٣)  
إلى ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١١٩)، وابن أبي حاتم كما في تغليق التعليق (٤/ ٢٣٣)  
من طريق أبي صالح، عن معاوية ابن صالح، عن علي بن أبي طلحة، به، وعزاه  
السيوطي (٤/ ١٠٤) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس.



الْأَخْفَشُ<sup>(١)</sup>، وهو يرجعُ إلى معنى الأولِ.

والثالث: أَنْ مَعْنَاهُ: وَحَقَّكَ عَلَى أُمَّتِكَ، تَقُولُ الْعَرَبُ<sup>(٢)</sup>: لَعَمْرُ اللَّهِ لَا أَقُومُ، يَعْثُونَ: وَحَقَّ اللَّهُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

قَالَ: وَفِي الْعَمْرِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: عَمَرٌ وَعُمَرُ وَعُمُرٌ، وَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْبَقَاءُ<sup>(٣)</sup>.

وَحَكَى الزَّجَّاجُ: أَنَّ الْخَلِيلَ وَسَيَّوِيهِ وَجَمِيعَ أَهْلِ اللُّغَةِ قَالُوا: الْعَمْرُ وَالْعُمَرُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِي الْقَسَمِ؛ فَتَحَ لَا غَيْرُ، وَإِنَّمَا آثَرُوا الْفَتْحَ (فِي الْقَسَمِ)<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّ الْفَتْحَ أَحْفَ عَلَيْهِمْ<sup>(٥)</sup>، وَهُمْ يُؤَكِّدُونَ الْقَسَمَ بِ«لَعَمْرِي» وَ«لَعَمْرِكَ»، فَلَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُمْ إِيَّاهُ، لَزِمُوا الْأَخْفَ عَلَيْهِمْ.

قَالَ: وَقَالَ النَّخَوِيُّونَ: ازْتَفَعَ: «لَعَمْرِكَ» بِالْإِبْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مُحذُوفٌ، [٤٤٤/أ] وَالْمَعْنَى: لَعَمْرِكَ قَسَمِي، وَلَعَمْرِكَ مَا أَقْسِمُ بِهِ، وَحُذِفَ الْخَبَرُ؛ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ. الْمَعْنَى: أَقْسِمُ ﴿إِنَّمَا لَفِيَ سَكْرَتُهُمْ يَوْمَهُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.

وَفِي الْمَرَادِ بِهِذِهِ السَّكْرَةُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَتَتْهَا بِمَعْنَى: الضَّلَالَةِ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: بِمَعْنَى: الْغَفْلَةِ، قَالَهُ الْأَعْمَشُ.

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٣).

(٢) ليست في (ج).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٩١).

(٤) في (ج): للقسم.

(٥) في (ج): عليه.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٣ - ١٨٤).

وقد شرَحْنَا معنى العمه في [سورة] <sup>(١)</sup> البقرة [آية: ١٥].

وفي المشار إليهم بهذا قولان:

أحدهما: أنهم قوم لوط، قاله الأكثرون.

والثاني: قوم نبيِّنا ﷺ، قاله عطاء.

قوله تعالى: ﴿فَاخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ يعني: صيحة العذاب، وهي صيحة جبريل عليه السلام.

﴿مُشْرِقِينَ﴾ قال الزجاج: يُقال: أشرقنا، فنحن مُشرقون: إذا صادفوا شروق الشمس، وهو طلوعها، كما يُقال: أصبحنا: إذا صادفوا الصُّبح، يُقال: شرقت الشمس؛ إذا طلعت، وأشرقَت؛ إذا أضاءت وصفت، [على] <sup>(٢)</sup> هذا أكثر [أهل] <sup>(٣)</sup> اللغة. وقد قيل: شرقت وأشرقَت في معنى واحد، إلا أن «مُشرقين» في معنى مُصادفين لطلوع الشمس <sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ قد فسّرنا <sup>(٥)</sup> الآية في سورة <sup>(٦)</sup> هود [آية: ٨٢].

(١) من (ف)، و(م).

(٢) من (ج).

(٣) من (ج)، و(ف).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٤).

(٥) في (ج): شرحنا.

(٦) ليست في (ف).

وفي المتوسِّمين أربعة أقوال:

أحدها: أنَّهم المتفرِّسون.

روى أبو سعيد الخدري عن النبي -ﷺ- أنه قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى»، ثُمَّ قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ قال: للمتفرِّسين<sup>(١)</sup>. وبهذا<sup>(٢)</sup> قال مجاهد، وابن قتيبة.

قال ابن قتيبة: يُقال: تَوَسَّمتُ في فلانٍ الحَيْرَ؛ أي: تبيَّته<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاج: المتوسِّمون، في اللغة: النَّظَّارُ المُتَبَتِّونَ في نظرِهِم حتَّى يعرفوا حقيقة سِمة الشَّيء، يُقال: تَوَسَّمتُ في فلانٍ كذا؛ أي: عرفتُ ونسَمَ ذلك فيه<sup>(٤)</sup>.

وقال غيره: المتوسِّم: النَّاطِرُ في السِّمة الدَّالة على الشَّيء<sup>(٥)</sup>.

والثاني: المعتبرون، قاله قتادة.

والثالث: النَّاطِرُونَ، قاله الضَّحَّاك.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٢١)، والطبراني في الأوسط (٧٨٤٣)، والعقيلي في الضعفاء (٤ / ١٢٩)، والخطيب في تاريخه (٣ / ١٩١)، (٧ / ٢٤٢) من طريق محمد بن كثير به، وأخرجه البخاري في تاريخه (٧ / ٣٥٤)، والترمذي (٣١٢٧) من طريق عمرو بن قيس به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٠٣) إلى مردويه وابن السني وابن أبي نعيم.

(٢) في (ج): وبه.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٣٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٨٤).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٦٣٩) ونسبه إلى أبي إسحاق الزجاج أيضًا.

والرَّابِع: المتفكِّرون، قاله ابنُ زَيْدٍ، والفراء<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلِئَآئِهَا﴾ يعني: قرية قوم لوط ﴿لِسَبِيلِ مُقِيمٍ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: لِبَطْرِيقٍ واضح، رواه نَهْشَلٌ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وبه قال قتادة، والزَّجَّاجُ<sup>(٣)</sup>. وقال ابنُ زَيْدٍ: لِبَطْرِيقٍ<sup>(٤)</sup> مُبِينٍ<sup>(٥)</sup>.

والثَّانِي: لِبَهْلَاكِ، رواه أبو رَوَيْقٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>، والمعنى: إِنَّهَا بِحَالٍ هَلَاكِهَا لم تعمُرْ حتَّى الآن، فالاعتبارُ بِهَا مُمكنٌ، وهي على طريقِ قُريشٍ إذا سافروا إلى الشَّامِ.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ لِظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَلِئَآئِهَا لِيَأْمُرَ مُبِينٌ ﴿٧٩﴾﴾

[الحجر: ٧٨ - ٧٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ لِظَالِمِينَ﴾

قال الزَّجَّاجُ: معنى «إِنْ» والَّام: التَّوكِيدُ، والأَيْكُ: الشَّجَرُ الملتَفُّ،

(١) معاني القرآن (٢ / ٩١).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٢ / ٣٤٩) بلفظه عن قتادة، والطبري (١٧ / ١٢٢) بلفظه عن قتادة، وبنحوه عن مجاهد والضحاك، وورد بنحوه في معاني القرآن؛ للنحاس (٤ / ٣٦)، والتفسير البسيط (١٢ / ٦٣٩)؛ للواحدي عن مجاهد وفتادة والضحاك، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٩٣) إلى ابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٨٥).

(٤) في (ج): بطريق.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٢٣).

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٩٤) إلى ابن أبي حاتم.

فَالْفَضْلُ بَيْنَ وَاحِدِهِ وَجَمْعِهِ: الهاء. والمعنى: أصحاب الشجرة<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْمَفْسَّرُونَ: هُمْ قَوْمٌ شُعَيْبٍ، كَانَ مَكَائِهِمْ ذَا شَجَرٍ، فَكَذَّبُوا شُعَيْبًا فَأُهْلِكُوا بِالْحَرِّ كَمَا بَيَّنَّا فِي سُورَةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ [آية: ٨٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِأَنَّهُمَا﴾ فِي الْمَكْنَى عَنْهُمَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا<sup>(٢)</sup> الْآيَكَةُ وَمَدِينَةُ قَوْمِ لُوطٍ، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ.

وَالثَّانِي: لُوطٌ وَشُعَيْبٌ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

[٤٤٤/ب]

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَأْمُرَ مُبِينَ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لِبَطْرِيقِ ظَاهِرٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَقِيلَ لِلطَّرِيقِ: إِمَامٌ؛ لِأَنَّ الْمَسَافِرَ يَأْتُمُّ<sup>(٣)</sup> بِهِ حَتَّى يَصِيرَ<sup>(٤)</sup> إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُرِيدُهُ<sup>(٥)</sup>.

وَالثَّانِي: لِفِي كِتَابِ مُسْتَبِينَ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: «وَلِأَنَّهُمَا» يَعْنِي: لُوطًا وَشُعَيْبًا لِبَطْرِيقِ مَنْ الْحَقُّ يُؤْتَمُّ بِهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٢) في الأصل، و(ج): أنها.

(٣) في الأصل: يلتم، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) في (ج): يصل.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٣٩).

(٦) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٦/ ٣٩٢١).

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ (٨٠) [الحجر: ٨٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسِلِينَ﴾ يعني بهم: ثمود.

قال ابن عباس: كانت منازلهم بالحجر بين المدينة والشام<sup>(١)</sup>.

وفي الحجر قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي<sup>(٢)</sup> الذي كانوا به، قاله قتادة، والزجاج<sup>(٣)</sup>.

والثاني: اسم مدينتهم، قاله الزهري، ومقاتل<sup>(٤)</sup>.

قال المفسرون: والمراد بالمرسلين: صالح وخده؛ لأنه<sup>(٥)</sup> من كذب نبيًا فقد كذب الكل.

والمراد بالآيات: الناقة، قال ابن عباس: كان فيها آيات: خروجها من الصخرة، ودنو نتائجها عند خروجها، وعظم خلقها فلم تشبهها ناقة، وكثرة لبنها حتى كان يكفيهم جميعًا، ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ (٨١) [الحجر: ٨١]: لم يتفكروا فيها ولم يستدلوا بها<sup>(٦)</sup>.

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٣٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٧ / ٥٢٤).

(٢) في (ف)، و(ر)، و(م): اسم الوادي.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٨٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢ / ٤٣٥).

(٥) في (ر)، و(م): لأن.

(٦) تنوير المقباس (ص: ٢٨٠)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٢ / ٦٤٣).

﴿وَكَاْنُوا يَنْحِتُوْنَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتًا ؕ اٰمِنِيْنَ﴾ (٨٢) فَأَخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِيْنَ ﴿٨٣﴾  
 فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُوْنَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ  
 وَلَآئِكَ السَّاعَةُ لِآيَةِ فَاَصْفَحْ اَصْفَحْ الْجَمِيْلَ ﴿٨٥﴾ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيْمُ ﴿٨٦﴾  
 [الحجر: ٨٢ - ٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَكَاْنُوا يَنْحِتُوْنَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوْتًا﴾ قد شرّحناه في الأعراف [آية: ٧٤].

وفي قوله تعالى: ﴿ءَامِنِيْنَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: آمِنِينَ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِمْ.

والثاني: آمِنِينَ مِنْ خَرَابِهَا.

والثالث: مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُوْنَ﴾ قولان:

أحدهما: مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ نَحْتِ الْجِبَالِ.

والثاني: [مَا كَانُوا] <sup>(١)</sup> يَكْسِبُونَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْعَامِ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا﴾ أي: لِلْحَقِّ وَلِإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَهُوَ ثَوَابُ الْمَصْدَقِ  
 وَعِقَابُ الْمَكْذِبِ.

﴿وَلَآئِكَ السَّاعَةُ لِآيَةِ﴾ أي: وَإِنَّ الْقِيَامَةَ لَتَأْتِي، فَيُجَازَى الْمُشْرِكُونَ  
 بِأَعْمَالِهِمْ، ﴿فَاَصْفَحْ اَصْفَحْ الْجَمِيْلَ﴾ عَنْهُمْ، وَهُوَ الْإِعْرَاضُ الْحَالِي مِنْ جَزَعٍ  
 وَفُحْشٍ.

(١) ليست في الأصل، والثبت من (ف)، و(ر)، و(م).

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَهَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

فَأَمَّا ﴿الْخَلْقُ﴾: فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. وَ﴿الْعَلِيمُ﴾: قَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ [الحجر: ٨٧ - ٨٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِ﴾.

سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ سَبْعَ قَوَافِلَ وَافَتْ مِنْ بُضْرَى وَأَذْرَعَاتٍ لِيَهُودِ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فِيهَا أَنْوَاعٌ مِنَ الْبَزِّ وَالطَّيِّبِ وَالْجَوَاهِرِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ لَنَا لَتَقَوَّيْنَا بِهَا وَانْفَقْنَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ: قَدْ أُعْطِيتُكُمْ سَبْعَ آيَاتٍ هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ هَذِهِ السَّبْعِ الْقَوَافِلِ، وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾... الْآيَةَ، قَالَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْمَرَادِ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، قَالَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ مَسْعُودٍ فِي رِوَايَةٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الْأَكْثَرِينَ عَنْهُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَالْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، فِي رِوَايَةٍ، وَمُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ، وَعَطَاءٌ، وَقَتَادَةُ فِي آخَرِينَ.

(١) عزاه المصنف للحسين بن الفضل تبعاً للواحد في أسباب النزول (ص: ٣٨٣) (٥٥٦)، والحسين بن الفضل لم أقف له على ترجمة.



فعلَى هَذَا، إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالسَّبْعِ؛ لِأَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ.

وَفِي تَسْمِيَّتِهَا بِالثَّانِي سَبْعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى اسْتَشْنَاهَا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَمْ يُعْطِهَا أُمَّةً قَبْلَهُمْ، [١/٤٤٥]  
رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: لِأَنَّهَا تُثْنَى فِي كُلِّ رُكْعَةٍ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: وَالْمَعْنَى: آتَيْنَاكَ السَّبْعَ الْآيَاتِ الَّتِي تُثْنَى فِي كُلِّ رُكْعَةٍ،  
وَأِنَّمَا دَخَلَتْ «مِنْ» لِلتَّوَكِيدِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾<sup>(٢)</sup> [عَمَد: ١٥].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: سُمِّيَ «الْحَمْدُ» مَثَانِي؛ لِأَنَّهَا تُثْنَى فِي كُلِّ صَلَاةٍ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: لِأَنَّهَا مَثَا أَثْنَى بِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ فِيهَا حَمْدَ اللَّهِ وَتَوْجِيدَهُ  
وَذَكَرَ مَمْلَكَتِهِ، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٦٣ / ٤) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنِ السَّبْعِ الْمَثَانِي قَالَ: أَمَ الْقُرْآنَ، قَالَ سَعِيدٌ: قَرَأَهَا وَقَرَأَ فِيهَا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، وَقَرَأَهَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ كَمَا قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَرَأَ فِيهَا: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: فَمَا الْمَثَانِي؟ قَالَ: هِيَ أَمَ الْقُرْآنَ اسْتَشْنَاهَا اللَّهُ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ فَرَفَعَهَا فِي أَمَ الْكِتَابِ فَدَخَرَهَا لَهُمْ حَتَّى أَخْرَجَهَا وَلَمْ يُعْطِهَا أَحَدًا قَبْلَهَا، قَالَ: فَقُلْتُ لِأَبِي: أَخْبِرْكَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ لَهُ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ؟ قَالَ: نَعَمْ! وَهُوَ إِسْنَادُ لَيْنٍ بِسَبَبِ وَالِدِ ابْنِ جُرَيْجٍ، وَهُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَكَانَ لَا يَتَابِعُ حَدِيثَهُ.

(٢) الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ (٢ / ٢٠٦).

(٣) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٣٥).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣ / ١٨٥).

والرَّابِع: لَأَنَّ فِيهَا «الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ» مَرَّتَيْنِ، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ عَنْ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ، وَهَذَا عَلَى قَوْلٍ مَنْ يَرَى التَّسْمِيَةَ مِنْهَا.  
والخَامِس: لَأَنَّهَا مَقْسُومَةٌ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي»<sup>(١)</sup>.

والسَّادِس: لَأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ، ذَكَرَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ.  
والسَّابِع: لَأَنَّ كَلِمَاتِهَا مُثْنَاءٌ؛ مِثْلُ: الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، إِيَّاكَ إِيَّاكَ، الصِّرَاطَ صِرَاطًا، عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ: غَيْرُ غَيْرٍ، ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ.  
وَمِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهَا فِي حَيْزٍ، وَالْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي حَيْزٍ، وَامْتَنَّنَ عَلَيْهِ بِهَا كَمَا امْتَنَّنَ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ كُلِّهِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا السَّبْعُ الطُّوْلُ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي رِوَايَةٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي رِوَايَةٍ، وَمُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ، وَالضَّحَّاكُ.  
فَالسَّبْعُ الطُّوْلُ هِيَ: «الْبَقَرَةُ»، وَ«آلُ عِمْرَانَ»، وَ«النِّسَاءُ»، وَ«الْمَائِدَةُ»، وَ«الْأَنْعَامُ»، وَ«الْأَعْرَافُ».

وَفِي السَّابِعَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا «يُونُسُ»، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّانِي: «بَرَاءَةُ» قَالَهُ أَبُو مَالِكٍ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ حَدِيثَ رَقْمِ (٣٩٥)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي سَنَنِهِ حَدِيثَ رَقْمِ (٨٢١)، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ حَدِيثَ رَقْمِ (٢٩٥٣).

والثالث: «الأنفال» و«براءة» جميعاً، رواه سُفيانُ عن مسعرٍ عن  
بعضِ أهلِ العلمِ.

قال ابنُ قُتيبةَ: وكأُتوا يَرَوْنَ «الأنفال» و«براءة» سورةً واحدةً،  
ولذلك لم يفصلوا بينهما<sup>(١)</sup>.

قال شيخنا أبو منصور اللغوي: هي الطُّولُ بضمِّ الطاءِ، ولا تقلُّها بالكُسرِ.  
فعلى هذا، في تسميتها بالثاني قولان:

أحدهما: لأنَّ الحدودَ والفرائضَ والأمثالَ تُنبت فيها، قاله ابنُ عباسٍ.  
والثاني: لأنَّها<sup>(٢)</sup> تُجاوِزُ المائةَ الأولى إلى المائةِ الثانيةِ، ذكره الماورديُّ<sup>(٣)</sup>.

والقولُ الثالثُ: أنَّ السَّبعَ المثاني سبْعُ مَعَانٍ أنزلت في القرآن: أمرٌ،  
ونهيٌّ، وبشارةٌ، وإنذارٌ، وضربُ الأمثالِ، وتعدادُ النعمِ، وأخبارُ الأممِ،  
قاله زياد بنُ أبي مريمَ<sup>(٤)</sup>.

والقولُ الرَّابِعُ: أنَّ المثاني: القرآنُ كُلُّه، قاله طاووسٌ، والضَّحَّاكُ،  
وأبو مَالِكٍ.

(١) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٢) في الأصل: لأنها لا، والمثبت من سائر النسخ.

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٧١).

(٤) زياد بن أبي مريم الجزري، قال العجلي: تابعي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات،  
أخرج له ابن ماجه. انظر ترجمته في: التهذيب (٣/ ٣٣٠-٣٣١)، والتقريب (١/ ٢٧٠).

فَعَلَى هَذَا، فِي تَسْمِيَةِ الْقُرْآنِ بِالْمَثَانِي أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لِأَنَّ بَعْضَ الْآيَاتِ يَتْلُو بَعْضًا، فَتُنشَى الْآخِرَةُ عَلَى الْأُولَى، وَلَهَا مَقَاطِعُ تَفْصِيلُ الْآيَةِ بَعْدَ الْآيَةِ حَتَّى تَنْقُضِيَ السُّورَةَ، قَالَه أَبُو عُيَيْدَةَ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ سُمِّيَ بِالْمَثَانِي لِمَا يَتَرَدَّدُ فِيهِ مِنَ الشَّأْنِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالثَّلَاثُ: لِمَا يَتَرَدَّدُ فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالثَّوَابِ، وَالْعِقَابِ. [٤٤٥/ب]

وَالرَّابِعُ: لِأَنَّ الْأَقَاصِيصَ، وَالْأَخْبَارَ، وَالْمَوَاعِظَ، وَالْآدَابَ، تُنِيتُ فِيهِ، ذَكَرَهُنَّ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: قَدْ يَكُونُ الْمَثَانِي سُورَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، قِصَارُهَا وَطَوَالُهَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَ مَثَانِي؛ لِأَنَّ الْأَنْبَاءَ وَالْقِصَصَ تُنْشَى فِيهِ، فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ، الْمَرَادُ بِالسَّبْعِ: سَبْعَةُ أَسْبَاعِ الْقُرْآنِ، وَيَكُونُ فِي الْكَلَامِ إِضْمَارٌ، تَقْدِيرُهُ: وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿مِنَ الْمَثَانِي﴾ فَبِفِي «مِنْ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا لِلتَّبَعِيضِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ جُمْلَةِ الْآيَاتِ الَّتِي يُنْشَى بِهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَآتَيْنَاكَ الْقُرْآنَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا لِلصَّفَةِ<sup>(٤)</sup>، فَيَكُونُ السَّبْعُ هِيَ الْمَثَانِي، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٥٤).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٢٠٦).

(٣) غريب القرآن (ص: ٣٥).

(٤) في (ف): الصفة.

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: ٣٠] لَا أَنْ بَعْضَهَا رِجْسٌ، ذَكَرَ  
الْوَجْهَيْنِ الرَّجَّاجُ<sup>(١)</sup>، وقد ذكرنا عن ابن الأثيري قريبا من هذا المعنى.  
قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ يعني: العَظِيمَ القَدْرَ؛ لَأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ  
تَعَالَى، وَوَحْيُهُ.

وفي المَرَادِ بِهِ هَاهُنَا قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ جَمِيعُ الْقُرْآنِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ.  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْفَاتِحَةُ أَيْضًا، قَالَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَقَدْ رَوَيْنَا فِيهِ حَدِيثًا فِي  
أَوَّلِ تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِيِّ: فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، يَكُونُ قَدْ نَسَقَ الْكُلَّ عَلَى<sup>(٢)</sup>  
الْبَعْضِ، كَمَا يَقُولُ الْعَرَبِيُّ: رَأَيْتَ جِدَارَ الدَّارِ وَالدَّارَ، وَإِنَّمَا يَصْلُحُ هَذَا،  
لَأَنَّ الزِّيَادَةَ الَّتِي فِي الثَّانِي مِنْ كَثَرَةِ الْعَدَدِ أَشْبَهُ بِهَا مَا يُغَايِرُ الْأَوَّلَ، فَجَوَزَ  
ذَلِكَ عَطْفُهُ عَلَيْهِ.

وَعَلَى الْقَوْلِ الثَّانِي؛ نَسَقَ الشَّيْءَ عَلَى نَفْسِهِ لِمَا زِيدَ عَلَيْهِ مَعْنَى  
الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ، كَمَا قَالُوا: رُويَ ذَلِكَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ الْخَطَّابِ. يُرِيدُونَ ابْنَ  
الْخَطَّابِ: الْفَاضِلَ الْعَالِمَ الرَّفِيعَ الْمُنَزَّلَةَ، فَلَمَّا دَخَلَتْهُ زِيَادَةٌ، أَشْبَهَ مَا يُغَايِرُ  
الْأَوَّلَ، فَعُطِفَ عَلَيْهِ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٥).

(٢) في (ج): عن.

ولَمَّا ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِتَّه عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، نَهَاهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الدُّنْيَا لِيَسْتَغْنِيَ بِمَا آتَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ عَنِ الدُّنْيَا، فَقَالَ: ﴿لَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾؛ أي: أَصْنَافًا مِنَ الْيَهُودِ وَالْمَشْرِكِينَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ نَهَاهُ عَنِ الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا.

وَالثَّانِي: لَا تَحْزَنْ بِمَا أَتَّعَمْتُ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ أي: أَلِنْ جَانِبَكَ لَهُمْ. وَخَفِضَ الْجَنَاحَ: عِبَارَةٌ عَنِ السُّكُونِ وَتَرْكِ التَّصَعُّبِ وَالْإِبَاءِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ارْزُقْ بِهِمْ وَلَا تُغْلِظْ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ حَرَكُ يَاءٍ «إِنِّي» ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَنَافِعٌ<sup>(٢)</sup>. وَذَكَرَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ أَنَّ مَعْنَاهَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

﴿كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١) فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) [الحجر: ٩٠ - ٩٣].

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٥٢).

(٢) قراءة سبعية، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٦٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٧٦).

قوله تعالى: ﴿كَمَا أُنزِلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ في هذه الكاف قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾.

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أن المعنى: ولقد آتيناك سبعا من المثاني؛ كما أنزلنا الكتب [٤٤٦/أ] على المقتسمين، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

والثاني: أن المعنى: ولقد شرفناك وكرمناك بالسبع المثاني، كما شرفناك وأكرمناك بالذي أنزلناه على المقتسمين من العذاب، والكاف بمعنى: «مثل»، و«ما» بمعنى: «الذي» ذكره ابن الأثير.

والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ والمعنى: إني أنا النذير، أنذرتكم مثل الذي أنزل على المقتسمين من العذاب، وهذا معنى قول الفراء<sup>(٢)</sup>.

فخرج في معنى «أنزلنا» قولان:

أحدهما: أنزلنا الكتب، على قول مقاتل<sup>(٣)</sup>.

والثاني: العذاب، على قول الفراء<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٩١ - ٩٢).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٣٦).

(٤) معاني القرآن (٢/ ٩١).

وفي «المقتسمين» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود والنصارى، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>، وبه قال الحسن، ومجاهد.

فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم آمنوا ببعض القرآن، وكفروا ببعضه، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أنهم اقتسموا القرآن، فقال بعضهم: هذه السورة لي، وقال آخر: هذه السورة لي؛ استهزاء به، قاله عكرمة.

والثالث: أنهم اقتسموا كتبهم، فأمن بعضهم ببعضها وكفر ببعضها، وآمن آخرون بما كفر به غيرهم، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم مشركو قريش، قاله قتادة، وابن السائب.

فعلى هذا، في تسميتهم بالمقتسمين قولان:

أحدهما: أن أقوالهم تقسمت في القرآن، فقال بعضهم: إنه سحر، وزعم بعضهم أنه كهانة، وزعم بعضهم أنه أساطير الأولين، منهم: الأسود بن عبد يغوث، والوليد بن المغيرة، وعدي بن قيس السهمي،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، ومن طريق هشيم، قال أخبرنا أبو بشر، عن ابن عباس، ومن طريق الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس، ومن طريق هشيم، عن منصور، عن الحسن، ومن عبد الملك، عن قيس، عن مجاهد.



وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، قَالَه قَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ اقْتَسَمُوا عَلَى عِقَابِ مَكَّةَ.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: هُمْ رَهْطٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ اقْتَسَمُوا عَلَى عِقَابِ مَكَّةَ حِينَ حَضَرَ الْمَوْسِمُ، قَالَ هُمْ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ: انْطَلَقُوا فَتَفَرَّقُوا عَلَى عِقَابِ مَكَّةَ حَيْثُ يَمْرُ بِكُمْ أَهْلُ الْمَوْسِمِ، فَإِذَا سَأَلُوكُمْ عَنْهُ، يَعْنِي: رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فليقل بغضكم: كَاهِنٌ، وبغضكم: سَاحِرٌ، وبغضكم: شَاعِرٌ، وبغضكم: غَاوٍ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَى صَدَقَتُكُمْ، وَمِنْهُمْ: حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَيْعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَالْعَاصِ بْنُ هِشَامٍ، وَأَبُو قَيْسٍ بْنُ الْوَلِيدِ، وَقَيْسُ بْنُ الْفَاكِهَةِ، وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَهَلَالُ بْنُ عَبْدِ الْأَسْوَدِ، وَالسَّائِبُ بْنُ صَيْفِيٍّ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَوْسُ بْنُ الْمَغِيرَةِ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ قَوْمٌ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِينَ ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ [النمل: ٤٩]، فَكَفَّاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ، قَالَه عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ. فَعَلَى هَذَا، هُوَ مِنَ الْقِسْمِ، لَا مِنَ الْقِسْمَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ فِي الْمَرَادِ بِالْقُرْآنِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كِتَابُنَا، وَهُوَ الْأَظْهَرُ، وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ.

[٤٤٦/ب]

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ: كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ قَبْلَنَا.

(١) انظر: بحر العلوم (٢/ ٢٦٢).

وفي «عِضِينَ» قولان:

أحدهما: أَنَّهُ مأخوذٌ مِنَ الأَعْضَاءِ.

قَالَ الْكِسَائِيُّ، وَأَبُو عُيَيْدَةَ: اقْتَسَمُوا الْقُرْآنَ <sup>(١)</sup> وَجَعَلُوهُ أَعْضَاءً <sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ فِيمَا فَعَلُوا فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُمْ عَضُّوه أَعْضَاءً، فَأَمَنُوا بَعْضَهُ، وَكَفَرُوا بِبَعْضِهِ.

وَالْمَعْضِيُّ: الْمَفْرَقُ. وَالتَّعْضِيَةُ: تَجْزِئَةُ الذَّبِيحَةِ أَعْضَاءً.

قَالَ <sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا تَعْضِيَةَ فِي مِيرَاثٍ» <sup>(٤)</sup> أَرَادَ تَفْرِيقَ مَا يُوجِبُ

تَفْرِيقَهُ ضَرَرًا عَلَى الْوَرَثَةِ كَالسَّيْفِ وَنَحْوِهِ، وَقَالَ رُؤْبَةُ [مِن الرجز]:

وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بِالْمَعْضَى <sup>(٥)</sup>

وَهَذَا الْمَعْنَى فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(١) فِي (م): بِالْقُرْآنِ.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥٥).

(٣) فِي الْأَصْلِ: قَالَ عَلِيٌّ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ (ج)، وَ(ف)، وَ(ر)، وَ(م).

(٤) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ (٤/ ٢١٩) بَنَحْوِهِ بِرِوَايَتَيْنِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السَّنَنِ الْكُبْرَى (١٠/ ١٣٣) بَنَحْوِهِ بِرِوَايَتَيْنِ، وَالحديث ضعيف كما قال الشافعي: قال: ولا يكون مثل هذا الحديث حجة؛ لأنه ضعيف، وهو قول من لقينا من فقهاءنا، وقال البيهقي: وإنما ضعفه لانقطاعه، وهو قول الكافة، وعلة أخرى أن الحديث يدور على صديق بن موسى، وهو ليس بحجة كما في الميزان (٣/ ٢٨)، وقد أشار إلى ذلك الآبَادِي فِي ذَيْلِ سَنَنِ الدَّارِقُطْنِيِّ (٤/ ٢١٩).

(٥) الرجز لرؤبة بن العجاج، كما في مجاز القرآن (١/ ٣٥٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٢٧٢)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٣٩).

والثاني: أَنَّهُمْ عَضُّوا الْقَوْلَ فِيهِ؛ أَي: فَرَّقُوا، فَقَالُوا: شِعْرٌ، وَقَالُوا: سَحْرٌ، وَقَالُوا: كَهَانَةٌ، وَقَالُوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي رِوَايَةِ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

والثاني: أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنَ الْعَضِّ، وَالْعَضُّ، بِلِسَانِ قُرَيْشٍ: السَّحْرُ، وَيَقُولُونَ لِلْسَّاحِرَةِ: عَاضِيَةٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - لَعَنَ الْعَاضِيَةَ وَالْمُسْتَعْصِمَةَ»<sup>(١)</sup>، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: جَعَلُوهُ سَحْرًا، وَهَذَا الْمَعْنَى فِي رِوَايَةِ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وَبِهِ قَالَ عِكْرَمَةُ، وَالْفَرَاءُ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَعْلَنَّهُنَّ آمَجِعِينَ﴾<sup>(١٢)</sup> عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ هَذَا سَوَالُ تَوْيِيخٍ، يُسْأَلُونَ عَمَّا عَمِلُوا فِيمَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَمْ عَصَيْتُمْ وَتَرَكْتُمْ الْإِيمَانَ؟ فَتَظْهَرُ فَضِيحَتُهُمْ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْجَوَابِ.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: يُسْأَلُ الْعِبَادُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ خَلَّتَيْنِ: عَمَّا كَانُوا يَغْبُدُونَ، وَعَمَّا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ<sup>(٤)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَةِ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَيَوْمَذِلَّا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِي فِي الْكَامِلِ (٣/ ٣٣٩) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِي إِسْنَادِهِ زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ وَسَلَمَةُ بْنُ وَهْرَامٍ، وَهَمَا ضَعِيفَانِ، وَقَالَ ابْنُ الْقَيْسَرَانِي فِي ذَخِيرَةِ الْحِفَاطِ (٢/ ٨٦٩): رَوَاهُ سَلَمَةُ بْنُ وَهْرَامٍ: عَنْ عِكْرَمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَسَلَمَةُ: قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: أَخْشَى أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ ضَعِيفًا. وَابْنُ خَارِزِمٍ قَالَ: فِيهِ نَظَرٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ١٤٨).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٣/ ٣٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ١٥٠).

فَعَنَّهُ جَوَابَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ لَا يَسْأَلُهُمْ: هَلْ عَمِلْتُمْ كَذَا؟ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ، وَإِنَّمَا يَقُولُ: لَمْ  
عَمِلْتُمْ كَذَا؟ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

والثاني: أَنَّهُمْ يُسْأَلُونَ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُسْأَلُونَ فِي بَعْضِهَا،  
رَوَاهُ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١) [الحجر: ٩٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: فَاْمَضْ لِمَا تُؤْمَرُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: أَظْهَرِ أَمْرَكَ، رَوَاهُ لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: ﴿ فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾؛ أَي: أَظْهَرِ ذَلِكَ. وَأَصْلُهُ: الْفَرْقُ  
وَالْفَتْحُ، يُرِيدُ: اصْدَعِ الْبَاطِلَ بِحَقِّكَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: أَظْهَرِ بِمَا تُؤْمَرُ بِهِ، أَخِذْ ذَلِكَ مِنَ الصَّدِيعِ، وَهُوَ  
الصُّبْحُ<sup>(٤)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ [مَنْ الْوَافِرُ]:

..... كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ صَدِيعٌ<sup>(٥)</sup>

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ١٥٠) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٥ / ٥٢٥)، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٤ / ٣٩٥) عَنْ  
عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَهُ.

(٣) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٤٠).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣ / ١٨٦).

(٥) عَجَزَ بَيْتَ لَعْمَرٍ وَبْنِ مَعْدٍ يَكْرَبُ فِي دِيْوَانِهِ (ص: ١٣٣)، وَقِيلَ: لِلشَّيْخِ فِي مَلْحَقٍ =

وقَالَ الْفَرَّاءُ: إِنَّمَا لَمْ يَقُلْ: بِمَا تُؤْمَرُ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ: فَاصْدَعْ بِالْأَمْرِ<sup>(١)</sup>.  
وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ أَنَّ «بِهِ» مُضْمَرَةٌ؛ كَمَا تَقُولُ: مَرَزْتُ بِالَّذِي  
مَرَزْتُ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ، الْجَهْرُ بِالْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ  
عَنْ مُجَاهِدٍ<sup>(٣)</sup>.

وقَالَ مُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ: مَا زَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - مُسْتَخْفِيًا حَتَّى  
نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَخَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ<sup>(٤)</sup>. [٤٤٧/أ]

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: اكْفُفْ عَنْ حَزْبِهِمْ.

وَالثَّانِي: لَا تُبَالِ بِهِمْ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى لَوْمِهِمْ عَلَى إِظْهَارِ أَمْرِكَ.

=ديوانه (ص: ٤٤٧)، وصدرة:

تَرَى السَّرْحَانَ مُفْتَرِشًا يَدَيْهِ \*\*\* .....

وأكثر المصادر على (لَبَنَهُ) بدل (غرتة). ويروى (به السرحان) أو (بها السرحان).  
والبيت في العين (١ / ٢٩٢)، والمعاني الكبير (١ / ١٩٣)، ومعاني الزجاج (٣ / ١٨٦)،  
وجوهرة اللغة (١ / ٥١٢)، ومعاني النحاس (٤ / ٤٥)، وأمثالي ابن الشجري (٢ / ٢٤٠)،  
والبحر المحيط (٥ / ٤٥٤).

(١) معاني القرآن (٢ / ٢ / ٩٣).

(٢) البيان في غريب إعراب القرآن (٢ / ٧٣).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤١٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٥٢).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٠٦) إلى  
ابن جرير عن أبي عبيدة، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ.

والثالث: أَعْرَضَ عَنِ الْإِهْتِمَامِ بِاسْتَهْزَائِهِمْ.

وَأَكْثَرُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذَا الْقَدْرَ مِنَ الْآيَةِ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ (١٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (١٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (١٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (١٩) ﴿ [الحجر: ٩٥ - ٩٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الْمَعْنَى: فَاصْذَعْ بِأَمْرِي كَمَا كَفَيْتُكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَهُمْ قَوْمٌ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ وَبِالْقُرْآنِ.

وَفِي عَدَدِهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ كَانُوا خَمْسَةً: الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَأَبُو زَمْعَةَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْعَاصِمُ بْنُ وائِلٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَاسْمُ أَبِي زَمْعَةَ: الْأَسْوَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ. وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُمْ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَكَانَ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ: الْحَارِثُ بْنُ غَيْطَلَةَ. قَالَ الزُّهْرِيُّ: غَيْطَلَةُ أُمُّهُ، وَقَيْسٌ أَبُوهُ، فَهَوَّ وَاحِدٌ<sup>(١)</sup>.

وَأِنَّمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُهُ، وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي كِتَابِ «التَّلْقِيحِ»<sup>(٢)</sup> مَنْ يُنسَبُ إِلَى أُمِّهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَسَمَّيْتُ آبَاءَهُمْ؛ لِيَعْرِفُوا إِلَى أَيِّ الْأَبْوَانِ يُنسَبُوا.

(١) الأثر في تاريخ دمشق (٤١ / ٩٠).

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر؛ لابن الجوزي (ص: ١٧٥).

وفي رواية عن ابن عباس مكان الحارث بن قيس: عدي بن قيس<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنهم كانوا سبعة، قاله الشعبي، وابن أبي بزة<sup>(٢)</sup>، وعدّهم ابن أبي بزة، فقال: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، والحارث بن عدي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وأضرّم وبعكك ابنا عبد الحارث بن السباق<sup>(٣)</sup>.

وكذلك عدّهم مقاتل، إلا أنه قال مكان الحارث بن عدي: الحارث بن قيس لسهمي، وقال: أضرّم وبعكك ابنا الحجاج بن السباق.  
ذَكَرُ مَا أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ بِهِ وَكَفَى رَسُولَهُ ﷺ أَمْرُهُمْ

قال المفسرون: أتى جبريل عليه السلام رسول الله - ﷺ - والمستهزئون يطوفون بالبيت، فمرّ الوليد بن المغيرة، فقال جبريل: يَا مُحَمَّدُ! كَيْفَ تَجِدُ هَذَا؟ فَقَالَ: «بَنَسَ عَبْدُ اللَّهِ» قَالَ: قَدْ كُفِيتَ، وَأَوْمَأَ إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ، فَمَرَّ الْوَلِيدُ بِرَجُلٍ يَرِيشُ<sup>(٤)</sup> نَبْلًا لَهُ، فَتَعَلَّقَتْ شَظِيئَةٌ مِنْ نَبْلِ بِلَازَارِهِ، فَمَنَعَهُ الْكِبَرُ أَنْ يُطَامِنَ<sup>(٥)</sup> لِيَنزِعَهَا، وَجَعَلَتْ تَضْرِبُ سَاقَهُ، فَمَرَضَ وَمَاتَ، وَقِيلَ: تَعَلَّقَ سَهْمٌ بِثَوْبِهِ فَأَصَابَ أَكْحَلَهُ فَقَطَعَهُ، فَمَاتَ.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٦٢) (١٣٦٥)، والطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٧).

(٢) القاسم بن أبي بزة، بفتح الموحدة وتشديد الزاي، المكّي مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة من الخامسة، مات سنة خمس عشرة، وقيل: قبلها. انظر: التقريب (٢/ ١١٥)، وتهذيب التهذيب (٨/ ٣١٠).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٥٨).

(٤) راى السهم يرشه: ألزق عليه الریش.

(٥) يقال: طأمن ظهره: إذا حنى ظهره.

ومرَّ العاص بنُ وائلٍ، فقال جبريلُ: كيف تجدُ هذا يا حمَّدُ؟ فقال: «بئسَ عبدُ الله» فأشارَ إلى أخصرِ رجله، وقال: قد كُفيتَ، فدخلتُ شوكةً في أخصيه، فانتفختَ رجله وماتَ.

ومرَّ الأسودُ بنُ المطلبِ، فقال: كيف تجدُ هذا؟ قال: «عبدُ سوءٍ» فأشارَ [ب/٤٤٧] بيده إلى عينيهِ، فعَمِيَ وهلكَ. وقيل: جعل ينطخُ برأسه الشَّجرَ ويضربُ وجهه بالشَّوكِ، فاستغاثَ بعلامِهِ، فقال (غلامُهُ)<sup>(١)</sup>: لا أرى أحدًا يصنعُ بك هذا غيرَ نفسِكَ، فماتَ وهو يقول: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّدٍ.

ومرَّ الأسودُ بنُ عبدِ يغوثَ، فقال جبريلُ عليه السلام: كيف تجدُ هذا؟ فقال: «بئسَ عبدُ الله» فقال: قد كُفيتَ، وأشارَ إلى بطنِهِ، فسَقَى بطنَهُ، فماتَ. وقيل: أصابَ عينَهُ شوْكٌ، فسالتَ حدَقَتاهُ. وقيل: خرجَ عن أهلِهِ فأصابَهُ السَّمُومُ، فأسودَّ حتَّى عادَ حبشيًّا، فلمَّا أتى أهلَهُ لم يعرفوه، فأغلَقُوا دُونَهُ الأبوابَ حتَّى ماتَ.

ومرَّ به الحارثُ بنُ قيسٍ، فقال: كيف تجدُ هذا؟ قال: «عبدُ سوءٍ» فأومأَ إلى رأسِهِ، وقال: قد كُفيتَ، فانتفخَ رأسُهُ فماتَ، وقيل: أصابَهُ العطشُ، فلم يزلْ يشربُ الماءَ حتَّى انقَدَّ بطنُهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) من الأصل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٧ / ١٤) بنحوه، من طريق زياد، عن سعيد بن جبير، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٥ / ٥٢٩ - ٥٣١)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٣٩٥).



وَأَمَّا أَضْرَمُ<sup>(١)</sup> وَبَعْكَكَ: فَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَخَذَتْ أَحَدَهُمَا الدُّبَيْلَةَ<sup>(٢)</sup>  
وَالْآخَرَ ذَاتَ الْجَنْبِ، فَمَاتَا جَمِيعًا<sup>(٣)</sup>.

قال عكرمة: هلك المستهزئون قبل بذر<sup>(٤)</sup>. وقال ابن السائب:  
أُهْلِكُوا جَمِيعًا فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فيه قولان:  
أحدهما: أَنَّهُ التَّكْذِيبُ.

والثاني: الإِسْتِهْزَاءُ.

قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: قُلْ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، قَالَهُ الصَّحَّاحُ.

والثاني: فَصَلِّ بِأَمْرِ رَبِّكَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٦)</sup>.

(١) في تفسير مقاتل: أحرم، وفي البحر المحيط: الأثرم.

(٢) الدُّبَيْلَةُ: داء في الجوف.

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٤٤٠).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٦٣) (١٤٦٦)، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٥٦) من طريق ابن عينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ قال: هم خمسة كلهم هلك قبل بذر: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأبو زمعة بن عبد الأسود، والحارث بن قيس، والأسود بن عبد يغوث.

(٥) تنوير المقباس (ص: ٤٨٢)، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٢٦٣).

(٦) تفسير مقاتل (٢ / ٤٤٠).

وفي قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ قولان:

أحدهما: مِنَ المصلين.

والثاني: مِنَ المتواضعين، رُوي<sup>(١)</sup> عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ الموتُ، قاله ابنُ عباسٍ، ومُجاهدٌ، والجمهورُ، وسُمِّيَ يقينًا؛ لأنه مُوقنٌ به.

وقال الزجاجُ: معنى الآية: اعْبُدْ رَبَّكَ أَبَدًا، وَلَوْ قِيلَ: اعْبُدْ رَبَّكَ، بغيرِ تَوْقِيتٍ، لجازَ إِذَا عَبْدَ الْإِنْسَانُ مَرَّةً أَنْ يَكُونَ مُطِيعًا، فَلَمَّا قَالَ: ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أُمرَ بالإقامةِ على العِبادَةِ مَا دَامَ حَيًّا<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أَنَّهُ الحقُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ نَصْرِكَ عَلَى أَعْدَائِكَ، حكاؤه الماوردي<sup>(٣)</sup>.

(١) في (ف): رَوَاهُ.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٧).

(٣) النكت والعيون (٣/ ١٧٦).

## سُورَةُ النَّحْلِ

## فَصْلٌ فِي نَزُوحِهَا

رَوَى مُجَاهِدٌ، وَعَطِيَّةٌ، وَابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ<sup>(١)</sup>،  
وَكَذَلِكَ رُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ، وَعِكْرَمَةَ، وَعَطَاءٍ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّهُ نَزَلَ مِنْهَا بَعْدَ قَتْلِ حُمْزَةَ: ﴿وَإِنْ  
عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾<sup>(٣)</sup> [النحل: ١٢٦]، وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ: هِيَ  
مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ نَزَلَتْ<sup>(٤)</sup> بِالْمَدِينَةِ، وَهِيَ<sup>(٥)</sup> قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ  
ثَمَنًا قَلِيلًا﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٦)</sup> [النحل: ٩٥ - ٩٧].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ إِلَّا<sup>(٧)</sup> قَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إِلَى آخِرِ  
الآيَاتِ<sup>(٨)</sup> [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٠٧) وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١٠ / ٦٥).

(٤) في (س)، و(م): نزلن.

(٥) في (م): وهن.

(٦) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص: ٥٤١)، ومعاني القرآن ٤ / ٥١.

(٧) في (ر): إلى.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٣٦٦) بمعناه عن الشعبي، وأحمد (٥ / ١٣٥)،

بنحوه من طريقين عن أبي، ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٢٦٥).

وقال قتادة: هي مكيّة إلا خمس آيات: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾... الآيةين [النحل: ٩٥-٩٦]، ومن قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرها<sup>(١)</sup> [النحل: ١٢٦].

وقال ابن السائب: هي مكيّة إلا خمس آيات قوله<sup>(٢)</sup>: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾... الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿ثُمَّ رَأَيْتُكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾... الآية<sup>(٣)</sup> [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرها<sup>(٤)</sup> [النحل: ١٢٦].

وقال مقاتل: هي مكيّة إلا سبع آيات: قوله: ﴿ثُمَّ رَأَيْتُكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾... الآية [النحل: ١١٠]، وقوله: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾... الآية [النحل: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾... الآية [النحل: ٤١]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾... الآية [النحل: ١١٢]، وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرها<sup>(٥)</sup> [النحل: ١٢٦].

وقال جابر بن زيد: أنزل من أول النحل: أَرْبَعُونَ آيَةً بمكة وبقيتها بالمدينة<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره الجرجاني في درج الدرر (٣/ ١٠٦٥)، وأبو حيّان البحر المحيط (٦/ ٥٠٢).

(٢) ليست في (ر).

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) تنوير المقياس (ص: ٢٢١).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٤٥٨).

(٦) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ١٧٥).

وَرَوَى حَمَّادٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: كَانَ يُقَالُ لِسُورَةِ النَّحْلِ: سُورَةُ النَّعْمِ؛ يُرِيدُ لِكَثْرَةِ تَعْدَادِ النَّعْمِ فِيهَا<sup>(١)</sup>.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ① يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ② خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ③﴾ [النحل: ١ - ٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ﴾ قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكِسَائِيُّ بِالْإِمَالَةِ<sup>(٢)</sup>.

وَسَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبِ السَّاعَةِ﴾ [القمر: ١]، فَقَالَ الْكُفَّارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ أَقْرَبَتْ، فَأَمْسِكُوا عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَنْزِلُ شَيْءٌ؛ قَالُوا: مَا نَرَى شَيْئًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَبِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] فَأُسْفِقُوا، وَانْتَظَرُوا قُرْبَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا امْتَدَّتِ الْأَيَّامُ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! مَا نَرَى شَيْئًا مِمَّا نُخَوِّفُنَا بِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ﴾ فَوَثَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَرَفَعَ النَّاسُ رُؤُوسَهُمْ، فَنَزَلَ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فَاظْمَأَنُوا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تفسير الخازن (٣ / ٦٦).

(٢) قراءة سبعية، انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٥ - ٤٢)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٧٦).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ١٠)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٤)، والبغوي في معالم التنزيل (٤ / ٧).

وفي قوله: ﴿أَتَى﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه <sup>(١)</sup> بمعنى: يأتي؛ كما يقال: أتاك الخير فأبشُر؛ أي: سيأتيك، قاله ابن قتيبة <sup>(٢)</sup>. وشاهده: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦] ونحو ذلك.

والثاني: أتى بمعنى: قُرب.

قال الزجاج: أعلم الله تعالى أن ذلك في قُربه بمنزلة ما قد أتى <sup>(٣)</sup>.

والثالث: أن «أتى» للماضي، والمعنى: أتى بغض عذاب الله، وهو: الجذب الذي نزل بهم، والجوع.

﴿فَلَا تَسْتَغْلِوْهُ﴾ فينزل بكم مستقبلاً كما نزل بكم <sup>(٤)</sup> ماضياً، قاله ابن الأثيري <sup>(٥)</sup>.

وفي المراد بـ «أمر الله» خمسة أقوال:

أحدها: أنها الساعة، وهي تخرج <sup>(٦)</sup> على قول ابن عباس الذي قدمناه، وبه قال ابن قتيبة <sup>(٧)</sup>.

(١) في (ر): أتى.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٨٩).

(٤) ليست في (م).

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٤).

(٦) في (ر): وقد يخرج. وفي (م): وقد تخرج. وفي (س): ويخرج.

(٧) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٨٠).

والثاني: خروج رسول الله ﷺ، رواه الضحاك عن ابن عباس<sup>(١)</sup>،  
يعني: أن خروجه من أمارات الساعة.

وقال ابن الأنباري: أتى أمر الله من أشرط الساعة، فلا تستعجلوا  
قيام الساعة.

والثالث: أنه الأحكام والفرائض، قاله الضحاك.

والرابع: عذاب الله، ذكره ابن الأنباري.

والخامس: وعيد المشركين، ذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ أي: لا تطلبوه قبل حينه. ﴿سُبْحَنَهُ﴾؛  
أي: تنزيه له وبراءة من الشوء عما يشركون به من الأصنام.

قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿يُنَزِّلُ﴾  
بإسكان النون وتخفيف الزاي. وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة،  
والكسائي: ﴿يُنَزِّلُ﴾ بالتشديد، وروى الكسائي عن أبي بكر عن عاصم:  
{تُنَزَّلُ} بالتاء مضمومة، وفتح الزاي مُشَدَّدة<sup>(٣)</sup>. ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ رفع.

وقال ابن عباس: ويريد بالملائكة جنبريل عليه السلام وخذه<sup>(٤)</sup>. [٤٤٨/ب]

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٠٨)، وعزاه إلى ابن مردويه من طريق الضحاك  
عن ابن عباس.

(٢) النكت والعيون (٣ / ١٧٨).

(٣) قراءات سبعة، انظر: التيسير (ص: ٦١)، والسبعة (ص: ٣٧٠).

(٤) تنوير المقباس (ص: ٢٢١)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٥٥)، والتفسير  
السيط (٩ / ١٣).

وفي المراد بالروح ستة أقوال:

أحدها: أنه الوحي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنه النبوة، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أن المعنى: يُنزل<sup>(٣)</sup> الملائكة بأمره، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>.

فعلى هذا يكون المعنى: أن أمر الله كله روح.

قال الزجاج: الروح ما كان فيه من أمر الله حياة النفوس<sup>(٥)</sup> بالإرشاد<sup>(٦)</sup>.

والرابع: أنه الرحمة، قاله الحسن، وقتادة.

والخامس: أن أرواح الخلق<sup>(٧)</sup>: لا ينزل ملك إلا ومعه روح، قاله مجاهد.

والسادس: أنه القرآن، قاله ابن زيد.

فعلى هذا سماه روحاً؛ لأن الدين يحيا به، كما أن الروح تحيي البدن.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١٠٩) إلى

ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٦٦) عن مجاهد.

(٣) في (ر): تنزل.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٦٥).

(٥) في معاني الزجاج: للنفوس.

(٦) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ١٩٠).

(٧) في (م): أنه أرواح الخلائق.



وقال بعضهم: الباء في قوله: ﴿بِالرُّوحِ﴾ بمعنى: مع، فالتقدير<sup>(١)</sup>: مع الرُّوح، ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: بأمره ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني: الأنبياء ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾.

قال الزَّجَّاج: والمعنى: أنذروا أهل الكُفْرِ والمعاصي بـ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي: مروهم بتوحيد<sup>(٢)</sup>ي، وقال غيره: أنذروا بـ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ أي: مروهم<sup>(٣)</sup> بالتَّوْحِيدِ مع تخويفهم إن لم يُقَرُّوا.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤].

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ قال المفسرون: أخذ أبي ابن خلف عظمًا رَمِيمًا، فجعل يفتنه ويقول: يا مُحَمَّدُ! كيف يبعث الله هذا بعدَ مَرَمٍ؟.

فنزَلَتْ فِيهِ<sup>(٤)</sup> هذه الآية، والخصيم: المخاصم، والمبين: الظاهرُ الخصومة. والمعنى: أَنَّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نُطْفَةٍ، وهو مع ذلك يخاصم ويُنكر البعث، أَفَلَا يُسْتَدَلُّ بِأَوَّلِهِ عَلَى آخِرِهِ، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى إِيجَادِهِ أَوَّلًا، قَدِرَ<sup>(٥)</sup> عَلَى إِعَادَتِهِ ثَانِيَةً؟.

(١) في (م): تقديره.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٠).

(٣) في (س): أنذروهم.

(٤) ليست في (س)، و(م).

(٥) في (ر): يقدر.

وفيه تنبيه على إنعام الله عليه حيث<sup>(١)</sup> نقله من حال ضعف النطفة إلى القوة التي أمكنه معها الخصام.

﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْمَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَوْعَالَكُمْ إِلَى بَلََدٍ لَمْ تَكُونُوا بِهِ لَبِغِيهٖ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٥ - ٧].  
قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ الأنعام: الإبل، والبقر، والغنم.

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه ما استدفع به من أوبارها تتخذ ثياباً، وأخيه، وغير ذلك، روى العوفي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالدِفء: اللباس<sup>(٢)</sup>، وإلى هذا المعنى ذهب الأكثرون.

والثاني: أنه نسلها. روى عكرمة عن ابن عباس: ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾ قال: الدِفء: نسل كل دابة<sup>(٣)</sup>، وذكر ابن السائب قال: يُقال: الدِفء أولادها، ومن لا يحمل من الصغار<sup>(٤)</sup>، وحكى ابن فارس اللغوي عن

(١) في (ر)، و(م): حين.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٦٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١١٠) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٣٥٣)، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٦٨) من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ﴾ قال: نسل كل دابة، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ١١٠) إلى عبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ١٧٩).

الأمويّ، قال: الدِفءُ عندَ العرب: نَتَاجُ الإِبِلِ وألبانُها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْفَعٌ﴾؛ أي: سوى الدِفءِ مِنَ الْجُلُودِ، والألبانِ، والنَّسْلِ، والرُّكُوبِ، والعملِ عَلَيْهَا، إلى غير ذلك، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يعْنِي: مِنَ الْحُومِ الْإِنْعَامِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾؛ أي: زِينَةٌ، ﴿حَيْثُ تُرْمَحُونَ﴾؛ أي: حينَ تَرُدُّوْنَهَا إلى مَرَاحِهَا<sup>(٢)</sup>، وهو المكانُ الَّذِي تَأْوِي إليه، فترجعُ عِظامُ الضُّرُوعِ والأَسْنِمَةِ، فيقال: هَذَا مَالُ فُلَانٍ، ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُرْسِلُونَهَا بِالْعِدَاةِ إلى مَرَاعِيهَا.

فإن قيل: لمَ قَدَّمَ الرِّوَا ح وهو مؤخَّرٌ؟.

فالجوابُ: أنَّها في حالِ الرِّوَا ح تكونُ أَجْمَلُ؛ لأنَّها قد رَعَتْ، وامْتَلَأَتْ [أ/٤٤٩] ضُرُوعُهَا، وامْتَدَّتْ أَسْنِمَتُهَا.

قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ الإشارةُ بهذا إلى ما يطيق<sup>(٣)</sup> الحملَ مِنْهَا، والأثْقَالُ: جَمْعُ ثَقْلٍ، وهو مَتَاعُ الْمَسَافِرِ.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَى بَلَدٍ﴾ قولان:

أحدهما: أَنَّهُ عامٌّ في كُلِّ بَلَدٍ يَقْصُدُهُ الْمَسَافِرُ، وهو قولُ الْأَكْثَرِينَ.

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٧).

(٢) في (ر): مراحلها.

(٣) في (م): تطيق.

والثاني: أن المراد به: مكّة، قاله عكرمة، والأوّل أصح، والمعنى: أنّها تحملكم إلى كلّ بلد لو تكلفتم أنتم بلوغه لم تبلغوه إلا بشقّ الأنفس.

وفي معنى «شِقّ الأنفس» قولان:

أحدهما: أنّه المشقّة، قاله الأكثرون.

قال ابن قتيبة: يُقال: نحنُ بشقّ من العيش؛ أي: بجهد<sup>(١)</sup>؛ وفي حديث أمّ زرع: «وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشَقٍّ»<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أن الشّق: النّصف، فكان الجهد يُنقص من قوّة الرّجل ونفسه كأنه قد ذهب نصفه، ذكره الفراء<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوףٌ رَّحِيمٌ﴾؛ أي: حينَ مَنْ عَلَيْكُمْ بالنعم التي فيها هذه المرافق<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨)

[النحل: ٨].

قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ﴾؛ أي: وخلق الخيل ﴿وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قال الزجاج: المعنى: وخلقها زينة<sup>(٥)</sup>.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤١).

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم (٥١٨٩)، ومسلم (٢٤٤٨).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٩٧).

(٤) في (م): الرفق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

## فَصْلٌ

وَيَجُوزُ أَكْلُ لَحْمِ الْخَيْلِ، وَإِنَّمَا لَمْ يُذَكَّرْ فِي الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْمَقْصُودُ،  
وَإِنَّمَا مَعْظَمُ الْمَقْصُودِ بَهَا: الرُّكُوبُ وَالزَّيْنَةُ، وَبِهَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ. وَقَالَ أَبُو  
حَنِيفَةَ، وَمَالِكٌ: لَا تُؤْكَلُ لَحُومُ الْخَيْلِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ذَكَرَ قَوْمٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ: أَنَّ الْمَرَادَ بِهِ عَجَائِبُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ الَّتِي لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهَا؛ مِثْلُ مَا يُرَوَى: أَنَّ لِلَّهِ مَلَكًا مِنْ صِفَتِهِ كَذًا،  
وَتَحْتَ الْعَرْشِ نَهْرٌ مِنْ صِفَتِهِ كَذًا.

(١) اختلف أهل العلم في حكم أكل لحم الخيل على ثلاث مذاهب:

المذهب الأول: الجواز: اختاره من الصحابة عبد الله بن الزبير وأسماء وهو مذهب  
الشافعي وأحمد ومحمد وأبو يوسف وابن حبيب من المالكية وإسحاق والظاهرية  
غيرهم من أهل العلم. قال الشافعي الأم: كل ما لزمه اسم الخيل من العرب  
والمقارييف والبراذين، فأكلها حلال. قال ابن قدامة المقدسي الكافي: الحيوان ثلاثة  
أقسام: أهلي فيباح منه بهيمة الأنعام؛ لقول الله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾  
والخيل كلها. قال ابن الهمام الفتح القدير: «وَيُكْرَهُ لَحْمُ الْفَرَسِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ»، وَهُوَ  
قَوْلُ مَالِكٍ.

المذهب الثاني: الكراهة ذهب إليه الأوزاعي وأبو عبيد وهو قول لمالك ورواية عن  
أبي حنيفة، قال ابن عبد البر: ولا تؤكل الخيل عند مالك كراهية لا تحريمًا.

المذهب الثالث: التحريم وهو مذهب ابن عباس وقول لأبي حنيفة وهو المعتمد من  
مذهب مالك. قال الموصلي الحنفي الاختيار: ولا يحل أكل كل ذي ناب من السباع ولا  
ذي مخلب من الطير، ولا تحمل الحمر الأهلية ولا البغال ولا الخيل. انظر: الأم للشافعي  
(٢/ ٢٧٥)، الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٥٥٦ - ٥٥٧)، وفتح القدير؛ للكمال ابن  
الهمام (٩/ ٥٠١)، والكافي في فقه المدينة (١/ ٤٣٦)، والاختيار لتعليق المختار (٥/ ١٤).

وقال قوم: هو ما أعدَّ الله لأهل الجنة فيها، ولأهل النار.

وقال أبو سليمان الدمشقي: في الناس من كره تفسير هذا الحرف.

وقال الشعبي: هذا الحرف من أسرار القرآن.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ①﴾ هُوَ  
الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ②  
يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ③﴾ [النحل: ٩ - ١١].

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾.

القَصْدُ: استقامة الطريق، يُقال: طريق قَصْدٍ وقاصِدٍ؛ إذا قَصَدَ بِكَ  
ما تُريد. قال الزجاج: المعنى: وعلى الله تبيين الطريق المستقيم، والدُّعاء  
إليه بالتحجج والبرهان<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾.

قال أبو عبيدة: السَّبِيلُ لفظه لفظ الواحد، وهو في موضع الجميع،  
فكانه قال: وَمِنَ السَّبِيلِ سَبِيلٌ جَائِزٌ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الأثيري: لما ذكر السَّبِيلُ، دلَّ على السَّبِيلِ. فليذلك قال: ﴿وَمِنْهَا  
جَايِزٌ﴾ كما دلَّ الحدَّثانِ على الحوادثِ في قول العبدِيّ [من الوافر]:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٢).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٥٧).

وَلَا يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ حَيٌّ فَهَلْ يَبْقَى عَلَيْهِنَّ السَّلَامُ  
أَرَادَ: فَهَلْ يَبْقَى عَلَى الْحَوَادِثِ، وَالسَّلَامُ: الصُّخُورُ، قَالَ: وَيُجُوزُ أَنْ  
يَكُونَ إِنَّمَا قَالَ: ﴿وَمِنْهَا﴾؛ لِأَنَّ السَّبِيلَ يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ، فَاَلْمَعْنَى: مِنْ السَّبِيلِ  
جَائِرٌ.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى: وَمِنْ الطَّرِيقِ <sup>(١)</sup> جَائِرٌ لَا يَهْتَدُونَ فِيهِ، وَالْجَائِرُ:  
الْعَادِلُ عَنِ الْقَصْدِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَمِنْهَا جَائِرُ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلَفَةِ <sup>(٣)</sup>. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: [٤٤٩/ب]  
الْأَهْوَاءُ وَالْبِدْعُ <sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يَعْنِي: الْمَطَرَ ﴿لَكُمْ مِنْهُ  
شَرَابٌ﴾ وَهُوَ مَا تَشْرَبُونَهُ.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ فِي مَعْنَاهُ قَوْلَيْنِ:

(١) فِي (ر)، وَ(م): الطَّرِيق.

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٤٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ١٧٦)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٥/ ١١٤) إِلَى  
ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾  
يَقُولُ: الْبَيَانُ ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ قَالَ: الْأَهْوَاءُ الْمُخْتَلَفَةُ.

(٤) ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦/ ٢٥)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٣/ ٢٣)،  
وَالْبَغْوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٥/ ١١).

أحدهما: ومنه سَقِيَ شَجَرٍ، وشَرِبُ شَجَرٍ، فخلَّفَ المَصَافَ إِلَيْهِ المَصَافُ؛ كقوله: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْفَجَلَ﴾ [البقرة: ٩٣].

والثاني: أنَّ المعنى: ومن جهة الماء شَجَرٌ، ومن سَقِيهِ شَجَرٌ، ومن نَاحِيته شَجَرٌ، فحذف الأول، وخلَّفه الثاني، قال زهيرٌ [من الكامل]:

..... أَقْوَيْنَ مِنْ حَجَجٍ وَمِنْ شَهْرٍ<sup>(١)</sup>

أي: من ممرِّ حَجَجٍ.

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: والمرادُ بهذه الشَّجَرِ: المرعى<sup>(٢)</sup>. وقال الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا نَبَتَ<sup>(٣)</sup> عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ شَجَرٌ، قال الشاعرُ يصفُ الخَيْلَ [من الرجز]:

يَغْلِفُهَا اللَّحْمَ إِذَا عَزَّ الشَّجَرُ  
وَالْخَيْلُ فِي إِطْعَامِهَا اللَّحْمَ ضَرَزَ<sup>(٤)</sup>

(١) البيت في ديوان زهير (ص: ٨٦)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ٤٧٨)، وتهذيب اللغة (٤/ ٣٤٥٤)، والجمل المنسوب للخليل (ص: ١٦١)، والجمل؛ للزجاجي (ص: ١٣٩)، والإنصاف (ص: ٣١٥). والقنة -بالضم-: أعلى الجبل وأراد بها هنا ما أشرف من الأرض. والحجر -بكسر الحاء-: منازل ثمود بناحية الشام عند وادي القرى. وأقوين: خلون وأقفرن، وصدره:

لَمِنَ الدِّيَارِ بُقْنَةُ الْحِجْرِ \*\*\* .....

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٣) في (م): ينبت.

(٤) الرجز للنمر بن تَوَلَّب في ديوانه (ص: ٣٥٥)، وفيه: (عَسَرَ) بدل: (ضَرَزَ)، والشعر والشعراء (ص: ١٩١)، وفيه: (الشحم) بدل: (اللحم)، والأغاني (٢٢/ ٢٧٩)، واللسان (٨/ ٤٦٦٧) (هشش)، وبلا نسبة في تهذيب اللغة (٤/ ٣٢٤٨) (لحم)، وسمي اللبن =



يعني: أَنَّهُمْ يَسْقُونَ الْخَيْلَ اللَّبَنَ إِذَا أُجْدَبَتِ الْأَرْضُ <sup>(١)</sup>. و﴿ثِيَمُوتَ﴾  
بمعنى: تَرَعُونَ، يُقَال: سَامَتِ الْإِبِلُ فِيهِ سَائِمَةٌ؛ إِذَا رَعَتْ، وَإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ  
مِنَ السُّومَةِ، وَهِيَ: الْعَلَامَةُ، وَتَأْوِيلُهَا: أَنَّهَا تُؤَثَّرُ فِي الْأَرْضِ بِرُغِيهَا عِلَامَاتٌ.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾ وَرَوَى أَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ:  
«نُبِّتُ» بِالنُّونِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْحُبُوبَ <sup>(٣)</sup>، وَمَا بَعْدَ هَذَا ظَاهِرٌ إِلَى قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ قَالَ الْأَخْفَشُ: الْمَعْنَى: وَجَعَلَ النُّجُومَ  
مُسَخَّرَاتٍ، فَجَارَ إِضْمَارُ فِعْلِ غَيْرِ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْمَضْمَرَ، فِي الْمَعْنَى مِثْلُ  
الْمَظْهَرِ، وَقَدْ تَفَعَّلَ الْعَرَبُ أَشَدَّ مِنْ هَذَا، قَالَ الرَّاجِزُ [مَنْ الرَّجَزُ]:  
تَسْمَعُ فِي أَجْوَافِهِنَّ صَرَدًا وَفِي الْيَدَيْنِ جُسَاءً وَبَدَدًا <sup>(٤)</sup>

=لَحْمًا؛ لِأَنَّهَا تَسْمَنُ عَلَى اللَّبَنِ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ١٩٢).

(٢) قراءة سبعية، انظر: السبعة (ص: ٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٥٨).

(٤) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للأخفش (٢ / ٤١٥)، ومعاني القرآن؛ للفرّاء  
(١ / ٤٠٥)، وروايته فيه:

تسمع للأحشاء منه لفظاً \*\*\* ولليدين.....

وورد في الخصائص؛ لابن جني (٢ / ٤٣٢)، ورواية صدره:

تسمع للأجواف منه صَرَدًا \*\*\* .....

وفي تفسير الطبري (١٤ / ٩٠ - ٩١)، وروايته فيه: (صَوْرًا) بدل: (صَرَدًا)، وفيه: (وفي  
اليدين حَشَّةً وَبَوْرًا) وفيه: والحشة: اليبس.

المعنى: وترى في اليدين. والجُشَاءُ: اليبس. والبددُ: السعة<sup>(١)</sup>.

وقال غيره: قوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ حال مؤكدة؛ لأن تسخيرها قد عُرف بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ: «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ» (رفعاً كله، وروى حفص عن عاصم: بالنصب، كالجُمهور، إلا قوله تعالى: ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ﴾<sup>(٢)</sup> فإنه رفعها<sup>(٣)</sup>.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَنَى فِي الْأَرْضِ رَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ [النحل: ١٢ - ١٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ أي: وسخر ما ذرأ لكم. وذرأ بمعنى: خلق. و﴿سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أي: ذلله للركوب والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً ثَلَسُونَهَا﴾ يعني: الدرّ، واللؤلؤ، والمرجان، وفي هذا دلالة على أن حالفًا

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٥).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (س).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (٣٧٠)، والتيسير (ص: ١٣٧).

لو حَلَفَ: لا يَلْبِسُ حُلِيًّا، فَلْيَسْ لَوْلَا، أَنَّهُ يَحْنَثُ، وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لا يَحْنَثُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ﴾ يَعْنِي: السُّفْنَ.

وَفِي مَعْنَى ﴿مَوَآخِرَ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: جَوَارِي، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

قَالَ اللَّغَوِيُّونَ: يُقَالُ: مَحَرَّتِ السَّفِينَةُ مَحْرًا؛ إِذَا شَقَّتِ الْمَاءَ فِي جَرَيَانِهَا.

وَالثَّانِي: الْمَوَاقِرُ<sup>(٢)</sup>، يَعْنِي: الْمَمْلُوءَةَ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: بِالرُّكُوبِ فِيهِ لِلتَّجَارَةِ ابْتِغَاءَ الرِّبْحِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ.

وَالثَّانِي: بِمَا تَسْتَخْرِجُونَ مِنْ حَلِيَّتِهِ، وَتَصِيدُونَ مِنْ حَيْثَانِهِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: وَفِي دُخُولِ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ

فَضْلِهِ﴾ وَجَهَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا مَعْطُوفَةٌ عَلَى لَامٍ مَحْذُوفَةٍ، تَقْدِيرُهُ: وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ

فِيهِ لِتَبْتَغُوا بِذَلِكَ وَلِتَبْتَغُوا.

(١) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (٢/ ٣٣٦)، ومجمع الأنهر في شرح ملتقى البحرين (١/ ٥٨٠).

(٢) في المطبوع: المَوَآخِر. وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٨١) من طريق عبد الوارث

قال: ثنا يونس، عن الحسن، في قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ﴾ قال: المَوَاقِر.

والثاني: أَنَّهَا دَخَلَتْ لِفِعْلِ مُضْمِرٍ، تَقْدِيرُهُ: وَفَعَلَ ذَلِكَ لِكِي تَبْتَغُوا<sup>(١)</sup>.  
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا﴾؛ أَي: نَصَبَ فِيهَا جِبَالًا  
 ثَوَابِتَ ﴿أَنْ تَمِيدَ﴾؛ أَي: لِئَلَّا تَمِيدَ.  
 وَقَالَ الزَّجَّاجُ: كَرَاهَةً أَنْ تَمِيدَ، يُقَالُ: مَادَ الرَّجُلُ يَمِيدُ مِيدًا؛ إِذَا  
 أُدِيرَ<sup>(٢)</sup> بِهِ<sup>(٣)</sup>.  
 وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمِيدُ: الْحَرَكَةُ وَالْمِيلُ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَمِيدُ فِي مَشِيَّتِهِ؛  
 أَي: يَتَكَفَّأُ<sup>(٤)</sup>.  
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْهَرَا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: وَجَعَلَ فِيهَا سُبُلًا؛ لِأَنَّ  
 مَعْنَى «أَلْقَى»: «جَعَلَ»<sup>(٥)</sup>. فَأَمَّا السُّبُلُ: فَهِيَ الطُّرُقُ. ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾؛  
 أَي: لِكِي تَهْتَدُوا<sup>(٦)</sup> إِلَى مَقَاصِدِكُمْ.  
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمَتْ﴾ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:  
 أَحَدُهَا: أَنَّهَا مَعَالِمُ الطُّرُقِ بِالنَّهَارِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ بِاللَّيْلِ، رَوَاهُ

(١) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٧٦).

(٢) في نسخة المعاني المطبوعة: دِيرَ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٢)، وفيه: والميد: الحركة والميل. ومنه يقال: فلان يَمِيدُ في مشيته: إِذَا تَكَفَّأَ.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٦) في (م): أَي: لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

العَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا النُّجُومُ أَيْضًا، مِنْهَا مَا يَكُونُ عَلَامَةً لَا يُهْتَدَى بِهِ، وَمِنْهَا مَا يُهْتَدَى بِهِ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالنَّخَعِيُّ.

وَالثَّلَاثُ: الْجِبَالُ، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي الْمَرَادِ بِالنَّجْمِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الثَّرَيَّا، وَبَنَاتُ نَعَشٍ<sup>(٣)</sup>، وَالْفَرْقَدَانِ<sup>(٤)</sup>، وَالْجُدْيِ، قَالَه السُّدِّيُّ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْجُدْيِ، وَالْفَرْقَدَانِ<sup>(٥)</sup>، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ١٨٥) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَعَلَّمَكُمُوهَا وَأَلْتَمِمْهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يَعْنِي بِالْعَلَامَاتِ: مَعَالِمَ الطَّرِيقِ بِالنَّهَارِ، وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ بِاللَّيْلِ. وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٥ / ١١٨) إِلَى ابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ مَرْدُوَيْهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢ / ٤٦٢).

(٣) بَنَاتُ نَعَشٍ: سَبْعَةُ كَوَاكِبَ؛ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا نَعَشٌ؛ لِأَنَّهَا مُرْبِعَةٌ، وَثَلَاثَةٌ بَنَاتُ نَعَشٍ؛ الْوَاحِدُ ابْنُ نَعَشٍ؛ لِأَنَّ الْكَوَاكِبَ مَذْكَرٌ فَيَذْكُرُونَهُ عَلَى تَذْكِيرِهِ، وَإِذَا قَالُوا: ثَلَاثُ أَوْ أَرْبَعُ، ذَهَبُوا إِلَى الْبَنَاتِ. انْظُرْ: الْمَحِيطُ فِي اللُّغَةِ (١٠ / ٤١٩) (نَوَّاءٌ)، وَالْأَزْمَنَةُ وَالْأَمَكَنَةُ (ص: ١٣٩ - ٥٤٧)، وَاللِّسَانُ (٧ / ٤٤٧٤) (نَعَشٌ).

(٤) الْفَرْقَدَانِ: نَجْمَانِ مُنِيرَانِ فِي بَنَاتِ نَعَشٍ، يَضْرِبُ بِهِمَا الْمَثَلُ فِي طَوْلِ الصَّحْبَةِ فِي التَّسَاوِيِ وَالتَّشَاكُلِ، وَقِيلَ: نَجْمَانِ فِي السَّمَاءِ لَا يَغْرِبَانِ وَلَكِنَّهُمَا يَطُوفَانِ بِالْجُدْيِ، وَقِيلَ: كَوَكَبَانِ فِي بَنَاتِ نَعَشٍ الصَّغَرَى. انْظُرْ: اللِّسَانُ (٦ / ٣٤٠٢) (فَرْقَدٌ)، وَجَنَى الْجَتَيْنِ فِي تَمْيِيزِ نَوْعِيِ الْمُتَنِينِ (ص: ٨٦).

(٥) فِي (م): أَنَّهُ الْفَرْقَدَانِ وَالْجُدْيِ.

والثالث: أنه الجدِّي وحده؛ لأنه أثبت النجوم كلها في مركزه، ذكره  
الماوردي<sup>(١)</sup>.

والرابع: أنه اسم جنس، والمراد جميع النجوم، قاله الزجاج<sup>(٢)</sup>.  
وقرأ الحسن، (والضحَّاك، وأبو المتوكل)<sup>(٣)</sup>، ويحيى بن وثاب:  
«وبالنجم» بضم النون وإسكان الجيم، وقرأ الجحدري: «وبالنجم» بضم  
النون والجيم، وقرأ مجاهد: «وبالنجوم» بواو على الجمع<sup>(٤)</sup>.

وفي المراد بهذا الإهداء قولان:

أحدهما: الإهداء إلى القبلة.

والثاني: إلى الطريق في السفر.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا  
تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ ﴿٩﴾  
[النحل: ١٧ - ١٩].

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ يعني: الأوثان، وإنما عبّر  
عنها بـ«مَنْ»؛ لأنهم نحلوها العقل والتمييز. ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يعني:  
المشركين، يقول: أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون؟

(١) النكت والعيون (٣/ ١٨٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٣).

(٣) ساقط من (م).

(٤) قراءات شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٢)، وشواذ القراءات؛  
للكرماني (ص: ٢٦٩)، والبحر المحيط (٥/ ٤٨٠).

قَالَ الْفَرَاءُ: وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ يَقُولَ: ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ مَعَ الْخَالِقِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥]، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: اشْتَبَهَ عَلَيَّ الرَّكِيبُ وَجْهَهُ<sup>(١)</sup>، فَمَا أَذْرِي مَنْ ذَا مِنْ ذَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا جَمَعُوا بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، صَلَحَتْ «مَنْ» فِيهِمَا جَمِيعًا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ قد فَسَّرْنَاهُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ [آيَة: ٣٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾؛ أَي: لِمَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ كُمْ فِي شُكْرِ نِعْمِهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ إِذْ لَمْ يَقْطَعْهَا عَنْكُمْ بِتَقْصِيرِ كُمْ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ رَوَى عَبْدُ الْوَارِثِ، [٤٥٠/ب] إِلَّا الْقَرَّازَ «يُسْرُونَ» وَ«يُعْلِنُونَ» بِالْيَاءِ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ أَمْ تُرَاتُّ عَيْنُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

(١) فِي (ر)، وَالْمَعَانِي لِلْفَرَاءِ: وَحْمَلَهُ. وَانْظُرْ: تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ (١٧ / ١٨٧)، وَالتَّفْسِيرَ الْبَسِيطَ؛ لِلْوَاحِدِي (١٣ / ٣٧).

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢ / ٩٨).

(٣) لَيْسَتْ فِي (ر)، وَ(س).

(٤) لَيْسَتْ فِي (س).

(٥) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ، قَرَأَ عَاصِمٌ فِي رِوَايَةِ هَبِيرَةَ وَالْقَوَّاسِ عَنْ حَفْصِ بْنِ الْيَاسِ فِيهِمَا، وَيُرْوَى عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ عَنْ أَبِي عَمْرٍو، وَهُوَ أَحَادٌ عَنْهُمْ. انْظُرْ: السَّبْعَةَ (ص: ٣٧١)، وَجَامِعَ الْبَيَانِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ (٣ / ١٢٧١)، وَالْمُسْتَتَبِرَ فِي الْقِرَاءَاتِ (ص: ٦٢٧)، وَتَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ (١٠ / ٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ قرأ عاصم: يَدْعُونَ، بالياء<sup>(١)</sup>.

[قوله تعالى]<sup>(٢)</sup>: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يعني: الأضنام. قال الفراء: ومعنى الأموات هاهنا: أنها لا روح فيها<sup>(٣)</sup>. قال الأخفش: وقوله: ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ تأكيد<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ «أَيَّانَ» بمعنى: متى.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنها الأضنام، عبر عنها كما يُعبر عن الأدميين.

قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى يبعث الأضنام لها أزواج ومعها شياطينها، فيتبرؤون من عبادتهم، ثم يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار<sup>(٥)</sup>.

والثاني: أنهم الكفار، لا يعلمون متى بعثهم، قاله مقاتل<sup>(٦)</sup>.

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) من (ر).

(٣) معاني القرآن (٢ / ٩٨).

(٤) معاني القرآن (٢ / ٤١٥).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٣ / ٥٩)، والتفسير البسيط (١٣ / ٣٩).

(٦) تفسير مقاتل (٢ / ٤٦٣).



﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۚ لَا جِرْمَ أَتَى اللَّهَ بِعِلْمٍ مَّا يَسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝٢٣﴾  
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝٢٤ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ۝٢٥ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَىٰ اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ كَافَّةً ۚ وَآتَاهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝٢٦ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَيْسَرُ وَالْأُولَىٰ أَعْيَبُ ۚ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝٢٧﴾ [النحل: ٢٢ - ٢٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ قد ذكرناه في سورة البقرة [آية: ١٦٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾؛ أي: بالبعث والجزاء ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾؛ أي: جاحدة لا تعرف التوحيد ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: ممتنعون من قبول الحق.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا جِرْمَ﴾ قد فسرناه في هود [آية: ٢٢]، ومعنى الآية: أنه يجازيهم بسرهم وعللهم؛ لأنه يعلمه. والمستكبرون: المتكبرون عن التوحيد والإيمان.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: ﴿مَّا يَسِرُّونَ﴾ حين بعثوا في كل طريق من يصد الناس عن رسول الله ﷺ، ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ حين أظهرُوا العداوة لرسول الله (١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يَغْنِي: الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ؟.

قَالَ الزَّجَّاجُ: «مَاذَا» بِمَعْنَى «مَا الَّذِي» وَ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ مَرْفُوعَةٌ عَلَى الْجَوَابِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: الَّذِي أَنْزَلَ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ؛ أَي: الَّذِي تَذْكُرُونَ أَنَّكُمْ أَنْتُمْ مُنْزَلٌ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ<sup>(١)</sup>.

وقد شرحنا معنى الأساطير في الأنعام.

قَالَ مُقَاتِلٌ: هُمُ الَّذِينَ بَعَثَهُمُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ فِي طُرُقِ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: إِنَّ مُحَمَّدًا سَاحِرٌ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي الْحَجْرِ فِي ذِكْرِ الْمُقْتَسِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ هَذِهِ لَامُ الْعَاقِبَةِ، وَقَدْ شَرَحْنَاهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَالْأَوْزَارُ: الْأَثَامُ، وَإِنَّمَا قَالَ: كَامِلَةً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُكْفَرْ مِنْهَا شَيْءٌ بِمَا يُصِيبُهُمْ مِنْ نَكْبَةٍ، أَوْ بَلِيَّةٍ، كَمَا يُكْفَرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ، ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أَي: أَنَّهُمْ أَضَلُّوهُمْ بِغَيْرِ دَلِيلٍ، وَإِنَّمَا حَمَلُوا مِنْ أَوْزَارِ الْإِتْبَاعِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا رُؤَسَاءَ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الضَّلَالَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(٣)</sup> فِي «مِنْ» وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا لِلتَّبَعِيضِ، فَهُمْ يَحْمِلُونَ مَا شَرُّهُمْ فِيهِ، فَأَمَّا مَا رَكِبَهُ أَوْلَئِكَ بِاخْتِيَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَزْيِينٍ هَؤُلَاءِ، فَلَا يَحْمِلُونَهُ، فَيَصِحُّ مَعْنَى التَّبَعِيضِ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ١٩٤).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٣ - ٤٦٤).

(٣) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٣/ ٤٤).

وَالثَّانِي: أَنَّ «مِنْ» مُؤَكَّدَةٌ، وَالْمَعْنَى: وَأَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ. ﴿٢٢﴾ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُّوكَ ﴿٢٣﴾؛ أَي: يئِسَ مَا حَمَلُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿٢٣﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٢٤﴾.

[٤٥١/أ]

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: يَغْنِي بِهِ: النَّمْرُودَ بْنَ كُنْعَانَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَنَى صَرْحًا طَوِيلًا. وَاخْتَلَفُوا فِي طُولِهِ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: خَمْسَةَ آلَافٍ ذِرَاعٍ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ طُولُهُ فَرَسَخَيْنِ<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>. قَالُوا: وَرَامَ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّمَاءِ لِيُقَاتِلَ أَهْلَهَا بِزَعْمِهِ.

وَمَعْنَى «الْمَكْرِ» هَاهُنَا: التَّدْبِيرُ الْفَاسِدُ.

وَفِي الْهَاءِ وَالْمِيمِ «مِنْ قَبْلِهِمْ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا لِلْمُقْتَسِمِينَ عَلَى عِقَابِ مَكَّةَ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّانِي: لِكُفَّارِ مَكَّةَ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿٢٤﴾ فَأَقْبَّ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴿٢٥﴾؛ أَي: مِنْ الْأَسَاسِ.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: أَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَأَلْقَتْ رَأْسَ الصَّرْحِ فِي الْبَحْرِ، وَخَرَّ عَلَيْهِمُ الْبَاقِي.

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٧١) من رواية الكلبي، وذكره أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٣٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٦).

(٢) في الأصل، و(س)، و(م): فرسخان، والمثبت من (ر).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٥).

قَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا سَقَطَ الصَّرْحُ، تَبَلَّلَتِ أَلْسُنُ النَّاسِ مِنَ الْفَزَعِ، فَتَكَلَّمُوا بِثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ لِسَانًا، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ «بَابِلَ»، وَإِنَّمَا كَانَ لِسَانُ النَّاسِ قَبْلَ ذَلِكَ بِالشَّرْيَانِيَةِ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا قَوْلُ مُزْدُودٍ؛ لِأَنَّ التَّبَلُّلَ يُوجِبُ الْاِخْتِلَاطَ وَالتَّكَلَّمَ بِشَيْءٍ غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ، فَأَمَّا أَنْ يُوجِبَ إِحْدَاثَ لُغَةٍ مُضْبُوطَةٍ الْحَوَاشِي؛ فَبَاطِلٌ، وَإِنَّمَا اللَّغَاتُ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

فَإِنْ قِيلَ: إِذَا كَانَ الْمَاكِزُ وَاحِدًا، فَكَيْفَ قَالَ: «الَّذِينَ» وَلَمْ يَقُلْ: «الَّذِي»؟  
فَعَنْهُ ثَلَاثَةُ أَجْوِبَةٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كَانَ الْمَاكِزُ مَلَكًا لَهُ أَتْبَاعٌ، فَأُذْخِلُوا مَعَهُ فِي الْوَصْفِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْعَرَبَ تُوقِعُ الْجَمْعَ عَلَى الْوَاحِدِ؛ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: خَرَجْتُ إِلَى الْبَصْرَةِ عَلَى الْبَغَالِ، وَإِنَّمَا خَرَجَ عَلَى بَغْلٍ وَاحِدٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ «الَّذِينَ» غَيْرُ مَوْقِعٍ عَلَى وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ، لَكِنَّهُ يُرَادُ بِهِ: قَدْ مَكَرَ الْجَبَّارُونَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَكَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ رُجُوعَ الْبَلَاءِ عَلَيْهِمْ، ذَكَرَ هَذِهِ الْأَجْوِبَةَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ، قَالَ: وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾، لِئَنَّهُ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا تَحْتَهُ؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، لَاحْتِمَالُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا تَحْتَهُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: سَقَطَ عَلَيْنَا الْبَيْتُ، وَخَرَّ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ١٩٢ - ١٩٣) مِنْ طَرِيقِ أَسْبَاطِ عَنِ السُّدِّيِّ، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٣٧).

عَلَيْنَا الْحَانُوتُ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْنَا الدَّارُ، وَلَيْسُوا تَحْتَ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَتْهُمْ أَلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ أَي: مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّهُمْ آمِنُونَ فِيهِ. قَالَ السُّدِّيُّ: أَخَذُوا مِنْ مَأْمَنِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: خَرَّ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنَ السَّمَاءِ<sup>(٣)</sup>. وَعَامَّةُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى مَا حَكَيْنَاهُ مِنْ أَنَّهُ بُنْيَانٌ سَقَطَ.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هَذَا مَثَلٌ، وَالْمَعْنَى: أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ، كَمَا هَلَكَ مَنْ هُدِمَ مَسْكَنُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ، فَخَرَّ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾؛ أَي: يَذَلُّهُمْ بِالْعَذَابِ. ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَخُمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: «شُرَكَائِيَ» الَّذِينَ بِهِمْزَةٌ وَفَتْحُ الْيَاءِ، وَقَالَ الْبَزْزِيُّ، عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ: «شُرَكَائِيَ»<sup>(٥)</sup>؛ مَثَلٌ: هِدَايَ، وَالْمَعْنَى: أَيْنَ شُرَكَائِيَ عَلَى زَعْمِكُمْ؟ هَلَّا دَفَعُوا عَنْكُمْ.

[٤٥١/ب]

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٩٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٩٤) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يقول: عذاب من السماء لما رأوه استسلموا وذلوا.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٢).

(٥) قراءات سبعة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧١ - ٣٧٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧).

﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ﴾؛ أي: تُخَالِفُونَ الْمُسْلِمِينَ فَتُعْبُدُونَهُمْ وَهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، وَقَرَأَ نَافِعٌ: «تُشَاقِقُونَ» بِكَسْرِ النُّونِ<sup>(١)</sup>، أَرَادَ: تُشَاقِقُونَنِي، فَحَذَفَ النُّونَ الثَّانِيَةَ، وَأَبْقَى الْكَسْرَةَ تَدْلُّ عَلَيْهَا، وَالْمَعْنَى: كُنْتُمْ تُنَازِعُونَنِي فِيهِمْ، وَتُخَالِفُونَ أَمْرِي لِأَجْلِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ﴾ فِيهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَتَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: الْحَفَظَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَالَه مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَتَتْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ.

فَأَمَّا «الْخِزْي» فَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ. وَ«السُّوءُ» هَاهُنَا: الْعَذَابُ.

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا سَلَامًا مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئِنْ مَتَّوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨ - ٢٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

قَالَ عِكْرِمَةُ: هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا بِمَكَّةَ أَقْرَبُوا بِالْإِسْلَامِ وَلَمْ يُهَاجِرُوا، فَأَخْرَجَهُمُ الْمُشْرِكُونَ كَرَهًا إِلَى بَدْرٍ، فَقُتِلَ بَعْضُهُمْ<sup>(٣)</sup>. وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧١)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٧)، وتفسير البغوي (٢/ ٦١١).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٩٥) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن

سُورَةُ النَّاسِ [آية: ٩٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَلَمْ يَأْتِ الْبَنَاتُ أَفْطًى﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: انْقَادُوا وَاسْتَسْلِمُوا، وَالسَّلَامُ الْاسْتِسْلَامُ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَهَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ يَتَبَرَّؤُونَ مِنَ الشَّرِّ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ وَهُوَ الشَّرُّ، فَتَرَدُّ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: «بَلَى». وَقِيلَ: هَذَا رَدُّ خِزْنَةِ جَهَنَّمَ عَلَيْهِمْ ﴿بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مِنَ الشَّرِّ وَلِتُكْذِبَ. ثُمَّ يُقَالُ لَهُمْ: ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ، وَقَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُ أَلْفَاظِ الْآيَةِ، [النساء: ٩٧] و[الحجر: ٤٤].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٠) جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) ﴿[النحل: ٣٠ - ٣٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

رَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ بَعَثُوا سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا إِلَى عِقَابٍ<sup>(٢)</sup> مَكَّةَ أَيَّامَ الْحَجِّ عَلَى طَرِيقِ النَّاسِ، فَفَرَّقُوهُمْ عَلَى كُلِّ

=دينار، عن عكرمة، قال: كان ناس بمكة أقروا بالإسلام ولم يهاجروا، فأخرج بهم كرها إلى بدر، فقتل بعضهم، فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٢) العقاب: جمع عقبة، والعقبة: طريق في الجبل وعرة.

عَقَبَةُ أَرْبَعَةِ رِجَالٍ، لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالُوا هُمْ: مَنْ أَتَاكُمْ مِنَ النَّاسِ يَسْأَلُكُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ فَلْيَقُلْ بَعْضُكُمْ: شَاعِرٌ، وَبَعْضُكُمْ: كَاهِنٌ، وَبَعْضُكُمْ: مجنونٌ، وَالْأَثَرُوهُ وَلَا يَرَاكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ، فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْنَا، صَدَقْنَاكُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى كُلِّ أَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ أَرْبَعَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَأَمَرُوا أَنْ يَكْذِبُواهُمْ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا مَرُّوا عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقَالُوا مَا قَالُوا، رَدَّ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، وَقَالُوا: كَذَبُوا، بَلْ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هَذَا الْخَيْرُ الَّذِي يَدْعُوا إِلَيْهِ؟ فَيَقُولُونَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا خَيْرًا﴾؛ أَي: أَنْزَلَ خَيْرًا، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الْخَيْرَ، فَقَالَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَحْسَنُوا الْعَمَلَ ﴿حَسَنَةٌ﴾؛ أَي: كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْجَنَّةُ، {وَقِيلَ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} وَهِيَ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ خَيْرِهَا وَطَاعَتِهِ فِيهَا، ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ يَعْنِي: الْجَنَّةَ ﴿خَيْرٌ﴾ مِنَ الدُّنْيَا.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْجَنَّةُ، قَالَهُ الْجُمْهُورُ. [٤٥٢/أ]

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: فِي الْكَلَامِ مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ الْآخِرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا ذُكِرَتْ أَوَّلًا، عُرِفَ مَعْنَاهَا آخِرًا، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ

(١) ذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٧٢).



المعنى: وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَاتُ عَدْنٍ<sup>(١)</sup>.

والثاني: أَنَّهَا الدُّنْيَا.

قَالَ الْحَسَنُ: وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ نَالُوا بِالْعَمَلِ فِيهَا ثَوَابَ الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ﴾ قد شرحنَاهُ فِي بَرَاءَةِ [آيَةِ: ٧٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نُنَاقِلُهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وَقَرَأَ حُمْزَةً: «يَتَوَفَّاهُمْ» بِيَاءٍ مَعَ

الْإِمَالَةِ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي مَعْنَى «طَيِّبِينَ» خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مُؤْمِنِينَ.

وَالثَّانِي: طَاهِرِينَ مِنَ الشَّرِّ.

وَالثَّالِثُ: زَاكِيَّةُ أَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ.

وَالرَّابِعُ: طَيِّبَةُ فَنَائِهِمْ، سَهْلُ خُرُوجِ أَرْوَاحِهِمْ.

وَالْخَامِسَةُ: طَيِّبَةُ أَنْفُسِهِمْ بِالْمَوْتِ، ثِقَّةٌ بِالثَّوَابِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَكُونُ هَذَا السَّلَامُ؟ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: عِنْدَ الْمَوْتِ.

(١) إيضاح الوقف والابتداء (٢/ ٧٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٨٧)، والبغوي في معالم التنزيل (٥/ ١٧).

(٣) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: يُسَلِّمُ عَلَيْهِ مَلَكُ الْمَوْتِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ الْقُرْظِيُّ: وَيَقُولُ لَهُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ،  
وَيُبَشِّرُهُ بِالْجَنَّةِ<sup>(٢)</sup>.  
وَالثَّانِي: عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: هَذَا قَوْلُ خَزَنَةِ الْجَنَّةِ هُمْ فِي الْآخِرَةِ يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ<sup>(٣)</sup>.  
﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾<sup>(٣٣)</sup> فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا  
عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾<sup>(٣٤)</sup> [النحل: ٣٣ - ٣٤].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٩٩)، من طريق أبي رجاء، عن محمد بن مالك، عن  
البراء، قال: قوله: ﴿ سَلِّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴾ قال: يسلم عليه عند الموت، وذكره  
مكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦ / ٣٩٨٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٧٦)  
إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٩٨) من طريق يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا  
ابن وهب، قال: أخبرني أبو صخر، أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول: إذا  
استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك فقال: السلام عليك ولي الله، الله يقرأ عليك  
السلام، ثم نزع بهذه الآية ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ ... إلى آخر الآية. وأخرجه  
أيضاً أبو الشيخ في العظمة (ص: ١٥٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣ / ٢١٧) من طريق أبي  
صخر به، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٢) من طريق يزيد بن أبي زياد عن محمد  
بن كعب، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن منده في  
كتاب الأحوال.

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٤٦٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ وقرأ حمزة، والكسائي: «يَأْتِيَهُم» بالياء<sup>(١)</sup>، وهذا تهديد للمشركين، وقد شرحناه في البقرة [آية: ٢١٠]، وآخر الأنعام.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قولان:

أحدهما: أمر الله فيهم، قاله ابن عباس.

والثاني: العذاب في الدنيا، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يريد: كفار الأمم الماضية، كذبوا كما كذب هؤلاء. ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالشرك ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾؛ أي: جزاؤها.

قال ابن عباس: جزاء ما عملوا من الشرك<sup>(٣)</sup>، ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ قد بيناه في الأنعام، والمعنى: أحاط بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَنَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا

(١) قراءة سبعة، انظر: التيسير (ص: ١٠٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٤٦٨).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٨٥)، بنحوه. وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٦١)،

والبسيط (١٣ / ٥٤).

كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ [النحل: ٣٥ - ٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ يعني: كفار مكة ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: الأصنام<sup>(١)</sup>؛ أي: لو شاء ما أشركنا ولا حرّمنا من دونه من شيء من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والحرث، وذلك أنه لما نزل: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] قالوا هذا على سبيل الاستهزاء، لا على سبيل الاعتقاد، وقيل: معنى كلامهم: لو لم يأمرنا بهذا ويردّه منا، لم نأته.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾؛ أي: من تكذيب الرّسل وتحريم ما أحلّ الله ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يعني: ليس عليهم إلا التبليغ، فأما الهداية، فهي إلى الله تعالى، وبين ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾؛ أي: كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾؛ أي: وحّدوه [٤٥٢/ب] ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وهو الشيطان ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾؛ أي: أرشده ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾؛ أي: وجبت في سابق علم الله تعالى، فأعلم الله عز وجل أنه إنما<sup>(٢)</sup> بعث الرّسل بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية.

﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: مُعْتَبِرِينَ بِأَنْبَاءِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ، ثُمَّ أَكَّدَ أَنَّ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ لا يهتدي، فقال: ﴿إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾؛ أي:

(١) ليست في (م).

(٢) في (س): لَمَّا.

إِنْ تَطْلُبْ هُدَاهُمْ بِجَهْدِكَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ ﴿٣٨﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «لَا يَهْدِي» بَرَفَعِ الْيَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ، وَالْمَعْنَى: مَنْ أَضَلَّهُ؛ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَخَزْزَرٌ، وَالْكِسَائِيُّ: «يَهْدِي» بِفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ <sup>(١)</sup>، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي ﴿يُضِلُّ﴾ أَنَّهَا بَضَمُّ الْيَاءِ وَكَسْرُ الضَّادِ، وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ، ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ <sup>(٢)</sup>.

أَحَدُهُمَا: لَا يَهْدِي مَنْ طَبَعَهُ ضَالًّا، وَخَلَقَهُ شَقِيًّا.

وَالثَّانِي: لَا يَهْدِي؛ أَي: لَا يَهْدِي مَنْ أَضَلَّهُ؛ أَي: مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ لَا يَهْدِي، فَيَكُونُ مَعْنَى يَهْدِي: يَهْدِي، تَقُولُ الْعَرَبُ: قَدْ هَدَيْ فُلَانٌ الطَّرِيقَ، يُرِيدُونَ: اهْتَدَى.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل: ٣٨ - ٤٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾.

سَبَبُ نَزْوِهَا: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ دَيْنٌ، فَاتَاهُ يَتَقَاضَاهُ، فَكَانَ فِيهَا تَكَلُّمٌ <sup>(٣)</sup> بِهِ: وَالَّذِي أَرْجُوهُ بَعْدَ الْمَوْتِ،

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) ذكرهما الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٥٧) بدون نسبة إليه.

(٣) في (س): يتكلم.

فَقَالَ الْمَشْرِكُ: وَإِنَّكَ لَتَزْعُمُ أَنَّكَ تُبْعَثُ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾... فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>، قَالَهُ أَبُو الْعَالِيَةِ. ﴿جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ مَفْسَّرٌ فِي الْمَائِدَةِ [آيَةُ: ٥٣]، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلَى﴾ رَدٌّ عَلَيْهِمْ. قَالَ الْفَرَّاءُ: وَالْمَعْنَى: ﴿بَلَى﴾ لَيَبْعَثْنَهُمْ ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا<sup>(٣)</sup> بِالْبَعْثِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: بَلَى يَبْعَثُهُمْ لِيُبَيِّنَ<sup>(٤)</sup> لَهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُعَلِّقًا<sup>(٥)</sup> بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ<sup>(٦)</sup>.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ جَمِيعُ النَّاسِ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْمَشْرِكُونَ، يُبَيِّنُ لَهُمْ بِالْبَعْثِ مَا خَالَفُوا الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٠٣)، مِنْ طَرِيقِ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ. وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ١١٨) إِلَى ابْنِ جَرِيرٍ، وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢ / ١٠٠).

(٣) فِي (م): تَعَلِّقًا.

(٤) فِي (ر): فَيُبَيِّنُ.

(٥) فِي (ر)، وَ(م): مُتَعَلِّقًا.

(٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣ / ١٩٨).

قَوْلُهُ نَعَالَى: ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾؛ أَي: فِيمَا أَقْسَمُوا عَلَيْهِ مِنْ نَفْيِ الْبَغْثِ. ثُمَّ أَخْبَرَ بِقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَغْثِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَخَمْزَةُ: «فَيَكُونُ» رَفْعًا، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَالْكِسَائِيُّ: «فَيَكُونُ» نَصْبًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ مَكِّيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ<sup>(٢)</sup>: مَنْ رَفَعَ، قَطَعَهُ مِمَّا<sup>(٣)</sup> قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: فَهُوَ يَكُونُ، وَمَنْ نَصَبَ؛ عَطَفَهُ عَلَى «يَقُولُ»، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، وَقَدْ فَسَّرْنَاهُ فِي الْبَقَرَةِ [آيَة: ١١٧].

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ سُمِّيَ الشَّيْءُ قَبْلَ وَجُودِهِ شَيْئًا؟.

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الشَّيْءَ وَقَعَ عَلَى الْمَعْلُومِ عِنْدَ اللَّهِ قَبْلَ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ مَا قَدْ عُوِينَ وَشُوْهِدَ.

[١/٤٥٣]

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٧).

(٢) أبو السككن مكي بن إبراهيم بن بشير بن فرقد البرجمي الحنظلي التميمي البلخي، ثقة ثبت، من الطبقة الخامسة، روى عن: أيمن بن نابل، ويزيد بن أبي عبيد، وبهر بن حكيم، والجعيد بن عبد الرحيم، وروى عنه: البخاري، والستة عن رجل عنه، وأحمد ابن حنبل، ويحيى بن معين، وبندار، ومحمد بن يحيى الذهلي. قال عنه الدار قطني: ثقة مأمون، وقال النسائي: ليس به بأس. توفي سنة (٢١٤هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٤٦٤ / ٥).

(٣) في (ر): عمًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾.

اِخْتَلَفُوا فِيْمَنْ نَزَلَتْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: بِلَالٌ، وَعَمَّارٌ، وَصُهَيْبٌ، وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ، وَعَايِشُ<sup>(١)</sup> وَجَبْرُ<sup>(٢)</sup> مَوْلِيَانِ لِقُرَيْشٍ، أَخَذَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فَجَعَلُوا يُعَذِّبُونَهُمْ، لِيَرُدُّوهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي جَنْدَلٍ بْنِ سُهَيْلٍ بْنِ عَمْرِو، قَالَهُ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَهُ قَتَادَةُ: وَمَعْنَى ﴿هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾: أَي: فِي طَلَبِ رِضَاهِ وَتَوَابِهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بِمَا نَالَ الْمَشْرُكُونَ مِنْهُمْ.

﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وَفِيهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لَنُنَزِّلَنَّهُمُ الْمَدِينَةَ، رَوَى هَذَا الْمُعْنَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ

(١) كَذَا فِي النُّسخِ الْخَطِيئَةِ، وَالصُّوَابُ: عَبَّاسٌ، هُوَ عَبَّاسٌ مَوْلَى حُوَيْطَبِ بْنِ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ. انْظُرْ: أَسَدُ الْغَابَةِ (٣/ ١٠٥)، وَالْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ (٣/ ٤٥٩).

(٢) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ الْخَطِيئَةِ، وَالصُّوَابُ: جَبْرِ، فَهُوَ جَبْرِ مَوْلَى كَثِيرَةَ بِنْتِ أَبِي سَفْيَانَ. انْظُرْ: الْكُشْفُ وَالْبَيَانُ (١٦/ ٤٦)، وَالْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ (١/ ٥٧١).

(٣) تَنْوِيرُ الْمُقْبَاسِ (ص: ٢٢٤)، وَذَكَرَهُ الثُّعْلُبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦/ ٤٦)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٣٢٢)، وَالْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٥/ ٢٠).





عبّاس<sup>(١)</sup>، وبه قال الحسن، والشَّعْبِيُّ<sup>(٢)</sup>، و قتادة، فيكون المعنى: لنبوئتهم دارًا حسنة وبلدة حسنة.

والثاني: لئلا يترزقهم في الدنيا الرزق الحسن، قاله مجاهد.

والثالث: النضر على العدو، قاله الضحاك.

والرابع: أنه ما بقي بعدهم من الناء الحسن، وصار لأولادهم من الشرف، ذكره الماوردي<sup>(٣)</sup>، وقد روي عنه عن مجاهد<sup>(٤)</sup>، فروى عنه ابن أبي نجيح أنه قال: ﴿لنبوئتهم في الدنيا حسنة﴾ قال: لسان صدق<sup>(٥)(٦)</sup>.

والخامس: أن المعنى: لتحسين إليهم في الدنيا، قال بغض أهل المعاني: فتكون على هذه الأقوال «لنبوئتهم» على سبيل الاستعارة، إلا على القول الأول.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْزَى الْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ قال ابن عباس: يعني: الجنة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: أهل مكة<sup>(٧)</sup>.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٢٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٠٥ - ٢٠٦) من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي، ومن طريق سعيد، عن قتادة.

(٣) النكت والعيون (٣ / ١٨٩).

(٤) ذكره النحاس في معاني القرآن (٤ / ٦٧).

(٥) في (ر): لسان صادق.

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٥٦٠).

(٧) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٦٣).

وَنُقِلَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -ؓ- أَنَّهُ كَانَ إِذَا أُعْطِيَ الرَّجُلَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَطَاءً، قَالَ: خُذْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ، هَذَا مَا وَعَدَكَ <sup>(١)</sup> اللَّهُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا ذُخِرَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَفْضَلُ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ <sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَثْنَى عَلَيْهِمْ وَمَدَحَهُمْ بِالصَّبْرِ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾؛ أَي: عَلَى دِينِهِمْ، لَمْ يَتْرَكُوهُ لِأَذَى نَالَهُمْ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ وَاثِقُونَ بِرَبِّهِمْ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَنَسْتَلُوا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ <sup>(٤٣)</sup> بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُوْنَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: لَمَّا أَنْكَرَ مُشْرِكُو قُرَيْشٍ بُرْهَانَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالُوا: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رُسُولُهُ بَشَرًا، فَهَلَّا بَعَثَ إِلَيْنَا مَلَكًا! فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الرُّسُلَ كَانُوا مِثْلَكَ آدَمِيِّينَ، إِلَّا أَنَّهُمْ يُوحِي إِلَيْهِمْ.

وَقَرَأَ حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «نُوحِي» بِالنُّونِ وَكُسْرِ الْحَاءِ <sup>(٣)</sup>. ﴿فَنَسْتَلُوا﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وَفِيهِمْ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

(١) فِي الْأَصْلِ: وَعَدَ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٠٦)، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٤٦)، وَالبَغْوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٥ / ٢٠)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ١١٨) إِلَى ابْنِ الْمُنْذِرِ.

(٣) قِرَاءَةُ سَبْعِيَّة، انْظُرْ: السَّبْعِيَّة؛ لِابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٣٧٣)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ١٣٧).

أحدها: أَنَّهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَهْلُ التَّوْرَةِ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّلَاثُ: أَهْلُ الْقُرْآنِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالرَّابِعُ: الْعُلَمَاءُ بِأَخْبَارِ مَنْ سَلَفَ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(١)</sup>.

[٤٥٣/ب]

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولًا مِنَ الْبَشَرِ.

وَالثَّانِي: لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ؛ جَائِزٌ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ كَفَرَ؛ لِأَنَّ

أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْعِلْمَ بِالسَّيْرِ مَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُم مِّنَ الْبَشَرِ، وَعَلَى

الثَّانِي إِنَّمَا يَسْأَلُ مَنْ آمَنَ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿فَسْتَلَوْا

أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَلَّمَانَ الْفَارَسِيَّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ فِي هَذِهِ «الْبَاءُ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرًا وَتَأْخِيرًا، تَقْدِيرُهُ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ إِلَّا رِجَالًا.

وَالثَّانِي: أَنَّ تَقْدِيرَ الْكَلَامِ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ أَرْسَلْنَاهُمْ

بِالْبَيِّنَاتِ. وَالزُّبُرُ: الْكُتُبُ. وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي آلِ عِمْرَانَ [آيَةَ: ١٨٤].

(١) النكت والعيون (٣/ ١٨٩).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٣)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ بِاجْمَاعِ الْمَفْسِّرِينَ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ<sup>(١)</sup>، وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي ذَلِكَ فَيَعْتَبِرُونَ.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ<sup>(٣)</sup> أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ<sup>(٤)</sup>﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾.

قَالَ الْمَفْسِّرُونَ: أَرَادَ: مُشْرَكِي مَكَّةَ. وَمَكْرُهُمُ السَّيِّئَاتِ: شُرْكُهُمْ وَتَكْذِيبُهُمْ، وَسُمِّيَ ذَلِكَ مَكْرًا؛ لِأَنَّ الْمَكْرَ فِي اللُّغَةِ: السَّغْيُ بِالْفَسَادِ<sup>(٥)</sup>، وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٍ، وَمَعْنَاهُ: يَنْبَغِي أَنْ لَا يَأْمَنُوا الْعُقُوبَةَ، وَكَانَ مُجَاهِدٌ يَقُولُ: عَنَى بِهَذَا الْكَلَامِ نَمْرُودَ بْنَ كَنْعَانَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: فِي أَسْفَارِهِمْ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٦)</sup>، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ<sup>(٧)</sup>.

وَالثَّانِي: فِي مَنَامِهِمْ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (س): وَمِنْ حَرَامٍ.

(٢) فِي (م): فِي الْفَسَادِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٤ / ٢٣٤) ط هَجْر.

(٤) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٢ / ٢٦٨)، وَالتَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢١٣) مِنْ طَرِيقِ

مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيلِهِمْ﴾ فِي أَسْفَارِهِمْ.

(٥) ذَكَرَهُ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيط (٦ / ٥٣٥).

والثالث: في ليلهم ونهارهم، قاله الضحَّاك، وابنُ جريج، ومقاتِلُ<sup>(١)</sup>.

والرابع: أنه جميع ما يتقلبون فيه، قاله الزجاجُ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: على تنقُصٍ، قاله ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، والضحَّاكُ.

قال ابنُ قُتيبة: التَّخَوُّفُ: التَّنْقُصُ، ومثله التَّخَوُّنُ. يُقال: تَخَوَّفَهُ

الدَّهْرُ<sup>(٣)</sup> وَتَخَوَّنَتْهُ؛ إِذَا نَقَصَتْهُ وَأَخَذَتْ مِنْ مَالِهِ وَجَسَمِهِ<sup>(٤)</sup>.

وقال الهيثمُ بنُ عديٍّ<sup>(٥)</sup>: التَّخَوُّفُ: التَّنْقُصُ، بِلُغَةٍ أَزْدُ شُنُوءَةٍ<sup>(٦)</sup>.

ثُمَّ فِي هَذَا التَّنْقِصِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ تَنْقُصٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، قَالَه<sup>(٧)</sup> الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٨)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠١).

(٣) في الأصل: الدهر، والمثبت من سائر النسخ.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٥) الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن، أبو عبد الرحمن الطائي، الكوفي المؤرخ، قال ابن معين وأبو داود: كذاب، قال البخاري: سكتوا عنه، والنسائي: متروك الحديث، توفي سنة (٢٠٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٠٣)، والجرح والتعديل (٩/ ٨٥).

(٦) ذكر ذلك عنه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢١٣)، وذكره أيضًا الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٥٠).

(٧) في (ر)، و(م): رواه.

(٨) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٣٤) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.



والثاني: أَخَذَ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ، رُوي عن ابنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا<sup>(١)</sup>.

والثالث: تَنْقُصُ أَمْوَالَهُمْ وَتُبَارِهِمْ حَتَّى يَهْلِكَهُمْ، قَالَ الزَّجَّاجُ<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أَنَّهُ التَّخَوُّفُ نَفْسُهُ. ثُمَّ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَأْخُذُهُمْ عَلَى خَوْفٍ أَنْ يُعَاقَبَ أَوْ يَتَجَاوَزَ، قَالَ قَتَادَةُ.

والثاني: أَنَّهُ يَأْخُذُ قَرْيَةً لِتَخَافَ الْقَرْيَةُ الْآخَرَى، قَالَ الضَّحَّاكُ.

وقَالَ الزَّجَّاجُ: يَأْخُذُهُمْ بَعْدَ أَنْ يُخَفِّفَهُمْ بِأَنْ يَهْلِكَ قَرْيَةً فَتَخَافَ الَّتِي

تَلِيهَا، فَعَلَى هَذَا، يَخَوِّفُهُمْ<sup>(٣)</sup> قَبْلَ هَلَاكِهِمْ، فَلَمْ يَتُوبُوا، فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّوٌفٌ رَحِيمٌ﴾ إِذْ لَمْ يَعَجَّلْ بِالْعُقُوبَةِ، وَأَمْهَلَ لِلتَّوْبَةِ. [٤٥٤/أ]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلَالَهُ عَنِ الِيمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿النحل: ٤٨ - ٥٠﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ: «أَوَلَمْ يَرَوْا» بِالْيَاءِ، وَقَرَأَ حُمْرَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «تَرَوْا» بِالتَّاءِ، وَاخْتَلَفَ

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٩٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (ص: ٢٠١).

(٣) في (ر)، و(س)، و(م): خوفهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (ص: ٢٠١).

عن عاصم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِن مَّا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ أراد من شيء له ظل، من جبل، أو شجر، أو جسم قائم. ﴿يَنْفَيْتُهَا﴾ قرأ الجماعة بالياء، وقرأ أبو عمرو، ويعقوب بالتاء<sup>(٢)</sup>. ﴿ظِلَّالَهُ﴾: وهو جمع ظل، وإنما جمع وهو مضاف إلى واحد؛ لأنه واحد يُراد به الكثرة<sup>(٣)</sup>؛ كقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣].

قال ابن قتيبة: ومعنى ﴿يَنْفَيْتُهَا ظِلَّالَهُ﴾: يدور ويرجع من جانب، إلى جانب، والقيء: الرُّجوع، ومنه قيل للظل بالعشي: فيء؛ لأنه فاء عن المغرب إلى المشرق<sup>(٤)</sup>.

قال المفسرون: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة، كان الظل قد أمك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، وإذا دنت للغروب كان على يسارك، وإنما وحد اليمين، والمراد به: الجمع، إيجازاً في اللفظ؛ كقوله تعالى: ﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، ودلت «الشَّمائل» على أن المراد به الجميع.

وقال الفراء: إنما وحد اليمين، وجمع الشَّمائل، ولم يقل: الشَّمال؛ لأنَّ كل ذلك جائز في اللغة، وأنشد [من البسيط]:

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٧٨).

(٢) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٤).

(٣) في (م): أراد به التكثير.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

الْوَارِدُونَ وَيَتِمُّ فِي ذَرَى سَيِّئاً قَدْ عَصَّ أَعْنَاقَهُمْ جِلْدُ الْجَوَامِيسِ<sup>(١)</sup>  
ولم يقل: جلود، ومثله [من الوافر]:

كُلُوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا .....<sup>(٢)</sup>

وإنما جاز التَّوْحِيدُ؛ لأنَّ أَكْثَرَ الْكَلَامِ يُوَاكِه بِهِ<sup>(٣)</sup> الْوَاحِدُ<sup>(٤)</sup>.

وقال غيره: اليمين راجعة إلى لَفْظِ مَا، وهو وَاحِدٌ، وَالشَّائِلُ رَاجِعَةٌ إِلَى الْمَعْنَى.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يَغْنِي<sup>(٥)</sup>: مُسْتَسْلِمَةٌ،  
مُنْقَادَةٌ<sup>(٦)</sup>، وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَضَلَّلْنَاهُمْ بِآلِفِهِمْ بِالْعُدُوِّ  
وَالْأَصَالِ﴾ [الرعد: ١٥].

(١) البيت لجريز من قصيدة له في هجاء تيم بن قيس من بكر بن وائل في ديوانه  
(ص: ٢٥٢)، والحجة للقراء السبعة (٤/ ٢١٧)، والمخصص: لابن سيده (١/ ٥٦)،  
والجليس الصالح الكافي (ص: ٣٧٥)، وبلا نسبة في معاني الفراء (١/ ٣٠٨)، والمذكر  
والمؤنث (٢/ ١٢٠)، والمقصود والمدود؛ للقيالي (١/ ٢٧٣).

(٢) البيت من الأبيات التي لا يعلم قائلها، وهو في معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٤٩)، وتفسير  
الطبري (١/ ٣٦١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٥/ ٩٣)، ومعاني القرآن للفراء (١/ ٣٠٧)،  
وإعراب القرآن؛ للنحاس (٤/ ٧٢)، والكتاب؛ لسيبويه (١/ ٢١٠)، وعجزة:  
..... \*\*\* فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ حَمِيصٌ

(٣) ليست في (س).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٠٢).

(٥) من الأصل فقط.

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).



وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ دَخِرُونَ﴾ قولان:

أحدهما: والكفار صاغرون.

والثاني: وهذه الأشياء داخرة مجبولة على الطاعة.

وقال الأخفش: إنما ذكر من ليس من الإنس؛ لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا الإنس في الفعل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾... الآية.

الساجدون على ضربين:

أحدهما: من يعقل، فسجوده عبادة.

والثاني: من لا يعقل، فسجوده بيان أثر الصنعة فيه، والخضوع الذي يدل على أنه مخلوق، هذا قول جماعة من العلماء، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر [من الطويل]:

بَجِيشٍ نَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ<sup>(٢)</sup>

(١) معاني القرآن (٢/ ٤١٦).

(٢) البيت لزيد الخيل في تفسير الطبري (٢/ ٢٤٢)، والمعاني الكبير (٢/ ٨٩٠)، والكامل (٢/ ٢٠١)، وبلا نسبة في الصناعتين (ص: ٢٨٦)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٢٩٥)، البلق: جمع أبلق، وهو الفرس المحجل، الحجرات: الناحية، الأكم: جمع أكمة، وهي تل أشد ارتفاعاً مما حوله ودون الجبل. يصف كثرة هذا الجيش وأن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: حَجَرَاتِهِ؛ أَي: جَوَانِبِهِ، يُرِيدُ أَنَّ حَوَافِرَ الْخَيْلِ قَدْ قَلَعَتِ الْأَكْصَمَ وَوُطِئَتْهَا حَتَّى خَشَعَتْ وَانْخَفَضَتْ<sup>(١)</sup>.

فَأَمَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ: فَأَلْحَقَهَا جَمَاعَةً بِمَنْ يَعْقِلُ؛ فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: سُجُودُهَا حَقِيقَةٌ، مَا مِنْهَا غَارِبٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَيَشْهَدُ لِقَوْلِ أَبِي الْعَالِيَةِ: حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ! تَدْرِي أَيْنَ ذَهَبَتِ الشَّمْسُ؟» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّمَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهَا عَزَّ وَجَلَّ فَتَسْتَأْذِنُ فِي الرَّجُوعِ فَيُؤْذَنُ لَهَا فَكَأَنَّهَا قَدْ قِيلَ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ إِلَى مَطْلَعِهَا فَذَلِكَ مُسْتَقَرُّهَا...» ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس: ٣٨] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) تَأْوِيلُ مُشْكِلِ الْقُرْآنِ (ص: ٢٣٦)،

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٨ / ٥٨٦) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ بَشَّارٍ، قَالَ: ثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، قَالَا ثَنَا عُرْفٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ الرِّيَّاحِيَّ يَقُولُ: مَا فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، إِلَّا يَقَعُ اللَّهُ سَاجِدًا حِينَ يَغِيبُ، ثُمَّ لَا يَنْصَرِفُ حَتَّى يُؤْذَنَ لَهُ، فَيَأْخُذُ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَزَادَ مُحَمَّدٌ: حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَطْلَعِهِ. وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ٣٤٨) إِلَى ابْنِ جَرِيرٍ وَعَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ.

(٣) صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ حَدِيثُ رَقْمِ (٣١٩٩)، وَمُسْلِمٌ حَدِيثُ رَقْمِ (١٥٩)، بَلْفَظٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا بِي ذَرٍّ حِينَ غَرِبَتِ الشَّمْسُ: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟»، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّمَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا يَقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾» [يس: ٣٨].

وَأَمَّا النَّبَاتُ وَالشَّجَرُ، فَلَا يَخْلُو سُجُودُهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:  
أحدها: أَنْ يَكُونَ سُجُودًا لَا نَعْلَمُهُ، وَهَذَا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُودِعُهُ فِيهَا.  
والثاني: أَنَّهُ تَفَيُّؤٌ ظِلَالِهِ.  
والثالث: بَيَانُ الصَّنْعَةِ فِيهِ.  
والرابع: الْإِنْقِيَادُ لِمَا سَخَّرَ لَهُ.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ إِنَّمَا أَخْرَجَ الْمَلَائِكَةَ مِنَ الدَّوَابِّ؛ لِخُرُوجِهِمْ  
بِالْأَجْنَحَةِ عَنْ صِفَةِ الدَّيْبِ.  
وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ١١ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا  
يُؤْمَرُونَ ﴿قَوْلَانِ﴾:  
أحدهما: أَنَّهُ مِنْ صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ خَاصَّةً، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ، وَمُقَاتِلٌ (١).  
والثاني: أَنَّهُ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْمَذْكُورَاتِ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.  
وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ قَوْلَانِ: ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْأَثَرِيِّ.  
أحدهما: أَنَّهُ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمٌ لِشَأْنِهِ، وَتَلْخِصُّهُ: يَخَافُونَ  
رَبَّهُمْ عَالِيًا رَفِيعًا عَظِيمًا.  
والثاني: أَنَّهُ حَالٌ، وَتَلْخِصُّهُ: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مُعْظَمِينَ لَهُ عَالِمِينَ بِعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴾ (٥١) وَلَمْ  
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ (٥٢) [النحل: ٥١ - ٥٢].

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾.

سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ دَعَا اللَّهَ فِي صَلَاتِهِ، وَدَعَا الرَّحْمَنَ،  
فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: أَلَيْسَ يُزْعَمُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ رَبًّا  
وَاحِدًا، فَمَا بَالُ هَذَا يَدْعُو رَبَّيْنِ اثْنَيْنِ؟! فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: ذَكَرُ الْاِثْنَيْنِ تَوَكِيدٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا ﴾ فِي الْمَرَادِ بِالَّذِينَ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْإِخْلَاصُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّانِي: الْعِبَادَةُ قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّلَاثُ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ، وَالْفَرَائِضُ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ.

وَالرَّابِعُ: الطَّاعَةُ، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي مَعْنَى<sup>(٤)</sup> «وَاصِبًا» أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: دَائِمًا، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ،

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٤) ليست في (م).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٠) إلى ابن جرير =



وَعِكْرَمَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَالصَّحَّاحُ، وَقَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَالشَّوْرِيُّ، وَاللُّغَوِيُّونَ،  
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ [مَنْ الْكَامِلُ]:

لَا أَتَبَغِي الْحَمْدَ الْقَلِيلَ بَقَاؤُهُ يَوْمًا بِذِمِّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ وَاصِبًا<sup>(١)</sup>  
قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُدَانُ لَهُ وَيُطَاعُ إِلَّا  
انْقَطَعَ ذَلِكَ عَنْهُ<sup>(٢)</sup> بِزَوَالِ أَوْ هَلَكَةِ، غَيْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ الطَّاعَةَ تَدُومُ لَهُ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: وَاجِبًا، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>. [١/٤٥٥]

وَالثَّلَاثُ: خَالِصًا، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

وَالرَّابِعُ: وَلَهُ الدِّينُ مُوَصَّبًا؛ أَي: مُتَعَبًا؛ لِأَنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ، وَهَذَا<sup>(٥)</sup> كَمَا  
تَقُولُ الْعَرَبُ: هُمْ نَاصِبٌ، أَي: مُنْصَبٌّ، قَالَ النَّابِغَةُ [مَنْ الطَّوِيلُ]:  
كَلِّبْنِي هِمًّا يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ<sup>(٦)</sup>

=وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) البيت لأبي الأسود في ديوانه (ص: ٣٧)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (١ / ٣٦١)، والنكت  
والعيون؛ للهاوردي (٣ / ١٩٣)، والكشف والبيان للثعلبي (١٦ / ٥٨).

(٢) في (م): انقطع عنه ذلك.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٢٣) من طريق يعلى بن النعمان، عن عكرمة، عن  
ابن عباس، في قوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ قال: واجبًا. وذكره النحاس في معاني القرآن  
(٤ / ٧٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٢٠) إلى ابن جرير والفريابي.

(٥) في (ر): وهو.

(٦) البيت للنابغة في ديوانه (ص: ٥٤)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (٢ / ١٨٤)، ومعاني=

ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَيُجَوِّزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَهُ الدِّينُ، وَالطَّاعَةُ، رَضِيَ الْعَبْدُ بِمَا يُؤَمِّرُ بِهِ وَسَهْلٌ عَلَيْهِ، أَوْ لَمْ يَسْهَلْ، فَلَهُ الدِّينُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ الْوَصَبُ، وَالْوَصَبُ، شِدَّةُ التَّعَبِ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانْتَهَمُ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النحل: ٥٣ - ٥٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: مَا حَلَّ بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ، مِّنْ صِحَّةٍ فِي جَسْمٍ، أَوْ سَعَةٍ فِي رِزْقٍ، أَوْ مَتَاعٍ مِّنْ مَّالٍ وَوَلَدٍ ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾<sup>(٣)</sup>، وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «فَمِنَ اللَّهِ» بِتَشْدِيدِ النُّونِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ الْأَسْقَامَ، وَالْأَمْرَاضَ، وَالْحَاجَةَ<sup>(٥)</sup>.

=القرآن؛ للفرأاء (٢/ ٣٢)، وتفسير الطبري (١٦/ ٥٢٠)، والكتاب؛ لسيبويه (٢/ ٢٠٧)،

وأما ابن السجري (٢/ ٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٦٧).

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيَّان في البحر المحيط (٦/ ٥٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٢٥) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: الضُّرُّ: السُّقْمُ.

قوله تعالى: ﴿فَالْيَهُ تَخَشَّرُونَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: تَخَشَّرُونَ: تَرْفَعُونَ أَصْوَاتَكُمْ إِلَيْهِ بِالِاسْتِغَاثَةِ، يُقَالُ: جَارَ يَجَارُ جُؤَارًا، وَالْأَصْوَاتُ مُبَيَّنَّةٌ عَلَى «فُعَالٍ» و«فَعِيلٍ»، فَأَمَّا «فُعَالٌ»؛ فَنَحْوُ: «الصُّرَاخُ» و«الْجُؤَارُ»<sup>(١)</sup>، وَأَمَّا «الْفَعِيلُ»؛ فَنَحْوُ: «الْعَوِيلُ» و«الزَّئِيرُ»، وَالْفُعَالُ أَكْثَرُ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ﴾ قال ابنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ أَهْلَ النِّفَاقِ<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ: يَعْنِي: الْكَفَّارَ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: لِيَكْفُرُوا بِأَنَّا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ، فَجَعَلُوا نِعْمَتَنَا سَبِيلًا إِلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [يونس: ٨٨] وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ «لِيَكْفُرُوا»؛ أَي: لِيَجْحَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ تَهَدَّدُ، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ.

(١) في (ر): الخوار.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٦٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (س)، و(م): نعمتنا.

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥).

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾  
 ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ  
 وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ  
 يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ [النحل: ٥٦ - ٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: الأوثان<sup>(١)</sup>.

وفي الذين لا يعلمون قولان:

أحدهما: أنهم الجاعلون، وهم المشركون، والمعنى: لما لا يعلمون لها ضراً ولا نفعاً، فمفعول العلم مخدوف، وتقديره: ما قلنا، هذا قول مجاهد، وقادة.

والثاني: أنها الأضنام التي لا تعلم شيئاً، وليس لها حس ولا معرفة، وإنها قال: يعلمون؛ لأنهم لما نحوها الفهم، أجراها مجرى من يعقل على زعمهم، قاله جماعة من أهل المعاني.

قال المفسرون: وهؤلاء مشركو العرب جعلوا الأوثانهم جزءاً من أموالهم؛ كالبحيرة والسائبة وغير ذلك مما شرخناه في الأنعام [آية: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ﴾ رجع عن الإخبار عنهم إلى الخطاب لهم، وهذا سؤال توبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾.

(١) في (س)، و(م): للأوثان.



قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: يَعْنِي: خُرَاعَةٌ وَكِنَانَةٌ، زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ ﴿سُبْحَنَهُ﴾؛ أَي: تَنْزَعُهُ عَمَّا زَعَمُوا. ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ يَعْنِي: الْبَنِينَ.  
قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: الْمَعْنَى: وَيَتَمَنَّوْنَ لِأَنْفُسِهِمِ الذُّكُورَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَى﴾؛ أَي: أَخْبِرَ أَنَّهُ قَدْ وُلِدَ لَهُ [٤٥٥/ب] بِنْتُ ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: أَي: مُتَغَيِّرٌ تَغَيَّرَ مُغْتَمٌّ، يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَ مَكْرُوهًا: قَدْ اسْوَدَّ وَجْهُهُ غَمًّا وَحُزْنًا<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾؛ أَي: يَكْظِمُ شِدَّةَ وَجْدِهِ، فَلَا يُظْهِرُهُ، وَقَدْ شَرَحْنَاهُ فِي سُورَةِ يُوسُفَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ﴾.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: هَذَا صَنِيعُ مُشْرِكِي الْعَرَبِ، كَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا ضَرَبَ امْرَأَتَهُ الْمَخَاضُ، تَوَارَى إِلَى أَنْ يَغْلَمَ مَا يُولَدُ لَهُ، فَإِنْ كَانَ ذَكَرًا؛ سُرَّ بِهِ، وَإِنْ كَانَتْ أُنْثَى، لَمْ يَظْهَرْ أَبَامًا يُدَبِّرُ كَيْفَ يَصْنَعُ فِي أَمْرِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَيْتِسْكُمُ عَلَى هَوٍ﴾ وَالْهَاءُ تَرْجِعُ إِلَى «مَا» فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ وَالْهُونُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الْهُوَانُ.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «عَلَى هَوَانٍ»<sup>(٢)</sup>.  
وَالدَّسُّ: إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، فِي الشَّيْءِ، وَكَانُوا يَذْفِنُونَ الْبَنَاتَ وَهِيَ حَيَّةٌ ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ إِذْ جَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ اللَّاتِي مَحَلُّهُنَّ مِنْهُنَّ هَذَا، وَنَسَبُوهُ إِلَى

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٥).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣).



الْوَلَدِ، وَجَعَلُوا لَأَنْفُسِهِمُ الْبَيْنِينَ.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾؛ أَي: صِفَةُ السَّوْءِ مِنْ اِخْتِيَاجِهِمْ إِلَى الْوَلَدِ، وَكَرَاهَتِهِمْ الْإِنَاثَ<sup>(١)</sup>؛ خَوْفَ الْفَقْرِ وَالْعَارِ، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾؛ أَي: الصِّفَةُ الْعُلْيَا مِنْ تَنْزُّهِهِ وَبِرَاءَتِهِ عَنِ الْوَلَدِ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾؛ أَي: بِشُرْكِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، كُلَّمَا وَجَدَ شَيْءٌ مِنْهُ<sup>(٢)</sup> أَوْخِذُوا بِهِ ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ يَعْنِي: الْأَرْضَ، وَهَذِهِ كُنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، غَيْرَ أَنَّهُ مَفْهُومٌ؛ لِأَنَّ الدَّوَابَّ إِنَّمَا هِيَ عَلَى الْأَرْضِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَنَى جَمِيعَ مَا يَدْبُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٣)</sup>.

(١) فِي (ر)، وَ(س)، وَ(م): لِلْإِنَاثِ.

(٢) فِي (ر)، وَ(س): مِنْهُمْ.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٣/ ٧٣) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فَاطِر: ٤٥] قَالَ: «قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ زَمَانُ نُوحٍ». وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٠/ ٤٨٦) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ إِلَّا مَا حَمَلَ نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ.



وقال السُّدِّيُّ: المعنى: لَأَقْحَطَ الْمَطَرُ فلم تَبْقَ دَابَّةٌ إِلَّا هَلَكَتْ<sup>(١)</sup>، وإلى نحوه ذهب مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أَنَّهُ أَرَادَ مِنَ النَّاسِ خَاصَّةً، قاله ابنُ جُرَيْجٍ.

والثالث: مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، قاله ابنُ السَّائِبِ، وهو اخْتِيَارُ الزَّجَّاجِ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤْخِرْهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو مَتَّهَى آجَالِهِمْ، وباقي الآية قد تقدّم.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ المعنى: ويحكمون له بما يكرهونه لأنفسهم، وهو البَنَاتُ، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ﴾ أي: تقول الكذب.

وقرأ أبو العالية، والنخعي، وابنُ أبي عبلة: «الْكُذْبُ» بضم الكاف والذال<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ فُسِّرَ ذَلِكَ الْكُذِبُ بقوله: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٤٠)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي في الآية يقول: إذا قحط المطر لم يبق في الأرض دابةٌ إلا ماتت.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٧٦).

(٤) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١١)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣).

أَحْدُهَا: أَتَى الْبَنُونَ، قَالَه مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَتَى الْجَزَاءُ الْحَسَنُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَه الزَّجَّاجُ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَتَى الْجَنَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ، قَالَ الْمَشْرُكُونَ: إِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَهُ حَقًّا، لَنَدْخُلَنَّهَا قَبْلَكُمْ، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قَدْ شَرَحْنَاهَا فِيمَا مَضَى.

[٤٥٦/أ] وَقَالَ الزَّجَّاجُ: «لَا» رَدُّ لِقَوْلِهِمْ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا وَصَفُوا «جَرَمَ» أَنْ هُمْ النَّارَ، الْمَعْنَى: جَرَمَ فَعْلُهُمْ؛ أَي: كَسَبَ فَعْلُهُمْ هَذَا ﴿أَنْ هُمْ النَّارَ وَأَنْهُمْ مُفْرَطُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وَفِيهَا<sup>(٤)</sup> أَرْبَعَةُ أَوْجِهٍ، قَرَأَ الْأَكْثَرُونَ: «مُفْرَطُونَ» بِسُكُونِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا<sup>(٥)</sup>.

وَفِي مَعْنَاهَا قَوْلَانِ:

أَحْدُهُمَا: مُتْرَكُونَ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٧).

(٣) المصدر السابق.

(٤) في (ر): وفيه.

(٥) قرأ نافع بكسر الراء وتخفيفها، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء، وتشديدها مع فتح الفاء، وقرأ الباقر: بفتح الراء وتخفيفها. انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٤).



وقال الفرّاء: مَنْسِيُونٌ فِي النَّارِ<sup>(١)</sup>.

والثاني: معجلون، قاله ابنُ عباسٍ أيضًا.

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: معجلونَ إلى النارِ<sup>(٢)</sup>.

قال الزّجاجُ: معنى «الْفَرْطِ» في اللّغة: المتقدّم، فمعنى «مُفَرِّطُونَ»: مُقَدِّمُونَ إلى النار، وَمَنْ فَرَّهَا «مُتْرَكُونَ» فهو كذلك أيضًا؛ أي: قد جعلوا مُقَدِّمِينَ إلى العذابِ أبدًا، متروكينَ فيه<sup>(٣)</sup>.

وقرأ نافعٌ، ومُجُوبٌ عن أبي عمرو، وقُتَيْبَةُ عن الكِسَائِيِّ: «مُفَرِّطُونَ» بسكُونِ الفاءِ وكسْرِ الرَّاءِ وتخفيفِها<sup>(٤)</sup>.

قال الزّجاجُ: ومعناها: أَتَمُّهُمْ أَفَرِّطُوا في معصيةِ الله<sup>(٥)</sup>.

وقرأ أبو جعفرٍ وابنُ أبي عُبَيْلَةَ: «مُفَرِّطُونَ» بفتحِ الفاءِ وتشديدِ الرَّاءِ وكسْرِها<sup>(٦)</sup>.

(١) معاني القرآن (٢/ ١٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٧).

(٤) قراءة سبعة، سبق ذكرها.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٨).

(٦) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٣)، ومعاني القرآن؛ للفرّاء (٢/ ١٠٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٣)، والمروني عن ابن أبي عُبَيْلَةَ والأعرج: بفتحِ الرَّاءِ مشدد، كما في شواذ الكرماني.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَعْنَاهَا: أَنَّهُمْ فَرَطُوا فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَعْمَلُوا فِيهَا  
لِلْآخِرَةِ، وَتُضَدِّقُ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ: ﴿بَحَسَرْتُنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنِّبِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>  
[الزمر: ٥٦].

وَرَوَى الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ عَامِرٍ: «مُفَرِّطُونَ» بَفَتْحِ الْفَاءِ وَالرَّاءِ  
وَتَشْدِيدِهَا<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَتَفْسِيرُهَا كَتَفْسِيرِ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، فَاْلْمُفَرِّطُ وَالْمُفَرِّطُ  
بِمَعْنَى [وَاحِدٍ]<sup>(٣)(٤)</sup>.

﴿ثُمَّ نَالَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَليَهُم  
الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(١٣)</sup> وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا  
فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ [النحل: ٦٣ - ٦٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نَالَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: هَذِهِ تَغْزِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾  
الْحَيِثُوهَ حَتَّى عَصَوْا وَكَذَّبُوا، ﴿فَهُمْ وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:  
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٥)</sup>، كَأَنَّهُمَا أَرَادَا:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٢٠٨ / ٣).

(٢) تعتبر انفراداً شاذة من رواية الوليد، وتروى عن أبي جعفر من العشرة، وقد ذكرت  
في المبسوط (ص: ٢٢٥)، والمبهج (ص: ٥٨٧)، والبستان (ص: ٦٤٦).

(٣) من (ر).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٢٠٨ / ٣).

(٥) تفسير مقاتل (٢ / ٤٧٥).

فَهُوَ وَلِيُّهُمْ يَوْمَ تَكُونُ لَهُمُ النَّارُ.

والثاني: أَنَّهُ الدُّنْيَا، فالمعنى: فهو موالِيهم في الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، قاله أبو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِّئَلْبَسْنَاهُمْ﴾ يعني: الكُفَّارَ<sup>(١)</sup> ﴿الَّذِي أَخْلَفُوا فِيهِ﴾؛ أي: مَا خَالَفُوا فِيهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالبُعْثِ وَالجَزَاءِ، فالمعنى: أنزلناه بيِّنَاتٍ لما وَقَعَ فِيهِ الإِخْتِلَافُ.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾<sup>(٦٥)</sup> وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُفْسِدُوا فِي بُطُونِهَا مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمِرٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ [النحل: ٦٥ - ٦٦].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؛ أي: بَعْدَ يُبْسِهَا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾؛ أي: يَغْتَبِرُونَ. قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّئَلَّا تُفْسِدُوا﴾.

قرأ أبو عمرو، وابنُ كثير، وحمزة، والكسائي: «تُسْقِيكُمْ» بضمَّ النون، ومثله في المؤمنين.

وقرأ نافع، وابنُ عامر، وأبو بكر عن عاصم: «تُسْقِيكُمْ» بفتح النون فيها<sup>(٢)</sup>. وقرأ أبو جعفر: «تَسْقِيكُمْ» بتاء مفتوحة<sup>(٣)</sup>، وكذلك في

(١) في (س): للكفار.

(٢) قراءة ثان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨).

(٣) قراءة عشرية، انظر: النشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٤)، وهي ضعيفة، كما في تفسير =

الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الْأَنْعَامِ، وَذَكَرْنَا مَعْنَى «الْعِبْرَةَ» فِي آلِ عِمْرَانَ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ «سَقَى» وَأَسْقَى فِي الْحَجَرِ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ فَقَالَ الْفَرَّاءُ: النَّعْمُ وَالْأَنْعَامُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، [٤٥٦/ب] وَهَمَّا جَمْعَانِ، فَرَجَعَ التَّذْكِيرُ إِلَى مَعْنَى «النَّعْم»؛ إِذْ كَانَ يُؤْدِي عَنِ الْأَنْعَامِ، أَتَشَدِّي بَعْضُهُمْ [مِنْ الرِّجْزِ]:

وَطَابَ أَلْبَانُ اللَّقَاحِ وَبَرَدُ<sup>(١)</sup>

فَرَجَعَ إِلَى اللَّبَنِ؛ لِأَنَّ اللَّبْنَ وَالْأَلْبَانَ فِي مَعْنَى، قَالَ: وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: أَرَادَ: نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِ<sup>(٢)</sup> مَا ذَكَرْنَا، وَهُوَ صَوَابٌ<sup>(٣)</sup>، أَتَشَدِّي بَعْضُهُمْ [مِنْ الرِّجْزِ]:

مِثْلُ الْفِرَاحِ تُنْقَتُ حَوَاصِلُهُ<sup>(٤)</sup>

=القرطبي (١٠ / ١٢٣).

(١) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفرّاء (١ / ١٢٩)، وتفسير الطبري (١٧ / ٢٣٨)، وتهذيب اللغة (٦ / ٦٥-٦٦)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١١٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢ / ٢٨١)، وقبله:

إِذَا رَأَيْتَ أَنْجُمًا مِنْ الْأَسَدِ  
جَبْهَتَهُ أَوْ الْخَرَاةَ وَالْكَتَدَ  
بَالَ سُهَيْلٍ فِي الْفَضِيخِ فَقَسَدَ

(٢) في (ر): البطون.

(٣) معاني القرآن (٢ / ١٠٩).

(٤) الرجز بلا نسبة في معاني القرآن؛ للفرّاء (٢ / ١٠٩)، وتفسير الطبري (١٧ / ٢٣٩)، والمحاسب؛ لابن جني (٢ / ١٥٢)، والبيان في إعراب القرآن (٢ / ٨٠٠)، والصاح؛ للجوهري (٤ / ٤٠).



وقال المبرد: هذا فاشٍ في القرآن؛ كقوله للشمس: ﴿هَذَا رَيِّ﴾ [الأنعام: ٧٨] يعني: هذا الشيء الطالع، وكذلك ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُلَيِّمَن﴾ [النمل: ٣٥-٣٦] ولم يقل: «جاءت»؛ لأن المعنى: جاء الشيء الذي ذكرنا<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبيدة: الهاء في «بطونه» للبغض، والمعنى: نسقيكم مما في بطون البغض الذي له لبن؛ لأنه ليس لكل الأنعام لبن<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن قتيبة: ذهب بقوله: ﴿تَمَتَّافٍ بِطُونِهِ﴾ إلى النعم، والنعم تُذكر وتؤنث<sup>(٣)</sup>.

والفرث: ما في الكرش، والمعنى: أن اللبن كان طعاماً، فخلص من ذلك الطعام دم، وبقي منه فرث في الكرش، وخلص من ذلك الدم.

﴿بَنَّا خَالِصًا سَابِغًا لِلشَّرِبِينَ﴾؛ أي: سهلاً في الشرب لا يشجى به شاربُه، ولا يغص. وقال بعضهم: سائغاً؛ أي: لا تعافه النفس وإن كان قد خرج من بين فرث ودم.

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: إذا استقر العلف في الكرش، طحنه، فصار أسفله فرثاً، وأغلاه دماً، وأوسطه لبناً، والكبد مُسلطة على هذه الأضناف الثلاثة، فيجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، ويبقى

(١) ذكر ذلك عن المبرد الواحد في التفسير الوسيط (٣/ ٧٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ١١٠).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٦٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٥).

الفرث في الكرشي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ [النحل: ٦٧] تقدير الكلام: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً، والعرب تضمّر ﴿مَا﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ [الإنسان: ٢٠]؛ أي: مائماً. والكناية في «منه» عائدة على «مَا» المضمرة.

وقال الأخفش: إنما لم يقل: منها؛ لأنه أضمر الشيء؛ كأنه قال: ومنها شيء تتخذون منه سكراً<sup>(٢)</sup>.

وفي المراد بالسكر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الخمر، قاله ابن مسعود، وابن عمر، والحسن، وسعيد ابن جبير، ومجاهد، وإبراهيم، ابن أبي ليلى، والزجاج<sup>(٣)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٤)</sup>.  
وروى عمرو بن سفيان، عن ابن عباس، قال: السكر: ما حرم من ثمرتها<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ١١٣) من رواية الكلبي عن أبي صالح.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤١٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٠٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٥).

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٧١)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٢٤١)، من طريق الأسود، عن عمرو بن سفيان، عن ابن عباس، قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قال: السكر: ما حرم من شرابه، والرزق الحسن: ما أحل من ثمرته.

قال هؤلاء المفسرون: وهذه الآية نزلت إذ كانت الخمرة مُباحة،  
ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وَمَنْ ذَكَرَ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ،  
سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ.

وَالثَّانِي: أَنَّ السَّكْرَ: الْخَلُّ، بَلُغَةُ الْحَبْشَةِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>،  
وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُوَ الْخَلُّ، بَلُغَةُ الْيَمَنِ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ «السَّكْرَ» الطَّعْمُ، يُقَالُ: هَذَا لَهُ سَكْرٌ؛ أَي: طَعْمٌ،  
وَأَنْشَدُوا [من الرجز]:

جَعَلْتُ عَيْبَ الْأَكْرَمِينَ سَكْرًا<sup>(٣)</sup>

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٤)</sup>: فَعَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ الْآيَةُ مُحْكَمَةٌ.

فَأَمَّا الرِّزْقُ الْحَسَنُ: فَهُوَ مَا أَحَلَّ مِنْهُمَا، كَالْتَّمَرِ، وَالْعِنَبِ، وَالزَّيْبِ، [أ/٤٥٧]  
وَالْحَلِّ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٤)، وعزاه السيوطي (٤ / ١٢٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.

(٢) انظر: نواسخ القرآن؛ للمصنف (٢ / ٤٩٤).

(٣) الرجز لجنبدل، كما في مجاز القرآن (١ / ٣٦٣)، وبلا نسبة في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٤٥)، وتفسير الطبري (١٧ / ٢٤٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٤ / ٨٣)، والكشف والبيان (١٦ / ٧٤)، والنكت والعيون (٣ / ١٩٨) ويروى:

جعلت أعراض الكرام سكرًا

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣٦٣).

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: ٦٨ - ٦٩].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ في هذا الوحي قولان:

أحدهما: أنه إلهام، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مجاهد<sup>(١)</sup>، والضحاك، ومقاتل<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنه أمر، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. وروى ابن مجاهد عن أبيه قال: أرسل إليها.

والنحل: زنابير العسل، وأحدثها: نحلة. «ويعرشون»: يجعلونه عريشا.

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يعرشون» بضم الراء<sup>(٤)</sup>، وهما لغتان، يقال: «يعرش» و«يعرش»؛ مثل: «يعكف»، و«يعكف»، ثم فيه قولان:

أحدهما: ما يعرشون من الكروم، قاله ابن زيد.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٢٢) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٤٧٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٤٨) من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾... الآية، قال: أمرها أن تأكل من الثمرات، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللاً.

(٤) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٢٩٢)، والتيسير؛ للداني (ص: ١١٣).

والثاني: أَنَّهَا سُقُوفُ الْبُيُوتِ، قَالَه الْفَرَّاءُ<sup>(١)</sup>.

وَنَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كُلُّ شَيْءٍ عَرْشٌ، مِنْ كَرْمٍ، أَوْ نَبَاتٍ، أَوْ سَقْفٍ؛ فَهُوَ عَرْشٌ، وَمَعْرُوشٌ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾: مِمَّا يَبْنُونَ لَهَا<sup>(٣)</sup> مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُتْلَقِي فِيهَا الْعَسَلُ، وَلَوْ لَا التَّسْخِيرُ، مَا كَانَتْ تَأْوِي إِلَيْهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَيُّ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَ«كُلِّ» هَاهُنَا لَيْسَتْ عَلَى الْعُمُومِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>(٤)</sup> [الْأَحْقَافُ: ٢٥].

قَالَ الزَّجَّاجُ: فَهِيَ تَأْكُلُ الْحَامِضَ وَالْمَرَّ، وَمَا لَا يُوصَفُ طَعْمُهُ، فَيَجِيلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذَلِكَ عَسَلًا<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلِيكَ سُبُلَ رَبِّكَ﴾ السُّبُلُ: الطُّرُقُ، وَهِيَ الَّتِي تُطَلَّبُ<sup>(٦)</sup> فِيهَا الرَّغْيُ. «وَالذُّلُلُ» جَمْعُ ذُلُولٍ.

وَفِي الْمَوْصُوفِ بِهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا السُّبُلُ، فَالْمَعْنَى: اسْأَلِيكَ السُّبُلَ مُذَلَّلَةً لَكَ، فَلَا يَتَوَعَّرُ

(١) معاني القرآن (٢/ ١٠٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٣) في (ر): لهم.

(٤) المصدر السابق.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٠).

(٦) في (ر): يطلب.

عليها مكانٌ سلكته، وهذا قولٌ مجاهدٍ، واختيارُ الزَّجَّاجِ<sup>(١)</sup>.

والثَّاني: أَنَّهَا النَّحْلُ، فالمعنى: إِنَّكَ مُدَلَّلَةٌ بِالتَّسْخِيرِ لِبَنِي آدَمَ، وهذا قولٌ قتادة، واختيارُ ابنِ قُتَيْبَةَ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ يعني: العسلُ ﴿تُخْلِفُ أَلْوَنُهُ﴾ قال ابنُ عَبَّاسٍ: مِنْهُ أَحْمَرٌ، وَأَبْيَضٌ، وَأَضْفَرُ<sup>(٣)</sup>.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿يَخْرُجُ﴾ مِنْ بُطُونِهَا، إِلَّا أَنَّهَا تُلْقِيهِ مِنْ أَفْوَاهِهَا، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿مِنْ بُطُونِهَا﴾؛ لِأَنَّهُ اسْتَحَالَتْ الْأَطْعِمَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْبُطْنِ، فَيَخْرُجُ كَالرَّيْقِ الدَّائِمِ الَّذِي يُخْرُجُ مِنْ فَمِ ابْنِ آدَمَ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ في هاءِ الكِنَايَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْعَسَلِ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>، وَبِهِ قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ.

وَقَدْ اخْتَلَفُوا، هَلِ الشِّفَاءُ الَّذِي فِيهِ يَخْتَصُّ بِمَرَضٍ دُونَ غَيْرِهِ، أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَامٌّ فِي كُلِّ مَرَضٍ.

(١) المصدر السابق.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٢٧)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ١٢٤).

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ٢١٠).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٥٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ العسل.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْعَسَلُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ<sup>(١)</sup>. وَقَالَ قَتَادَةُ: فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ مِنَ الْأَدْوَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي اسْتَطْلَقَ بَطْنَهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ، ثُمَّ أَتَى فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اسْتَطْلَاقًا، قَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا»... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: فَشَفِي<sup>(٣)</sup>، إِمَّا فِي الثَّلَاثَةِ، وَإِمَّا فِي الرَّابِعَةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «صَدَقَ اللَّهُ» [٤٥٧/ب] وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ<sup>(٤)</sup>. وَيَعْنِي: بِقَوْلِهِ: «صَدَقَ اللَّهُ»: هَذِهِ الْآيَةُ.

وَالثَّانِي: فِيهِ شِفَاءٌ لِلأَوْجَاعِ الَّتِي شَفَاؤُهَا فِيهِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: الْغَالِبُ عَلَى الْعَسَلِ أَنَّهُ يَعْمَلُ فِي الْأَدْوَاءِ، وَيَدْخُلُ فِي الْأَذْوِيَةِ، فَإِذَا لَمْ يُوَافِقْ أَحَادَ الْمَرْضَى: فَقَدْ وَافَقَ الْأَكْثَرِينَ، وَهَذَا كَقَوْلِ الْعَرَبِ: الْمَاءُ حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ نَرَى مَنْ يَقْتُلُهُ الْمَاءُ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ عَلَى الْأَغْلَبِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنَفِهِ (٦/ ١٢٧) بِلَفْظِهِ، وَالطَّبْرِيُّ (١٧/ ٢٥٠) بِلَفْظِهِ، وَذَكَرَهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ فِي بَحْرِ الْعُلُومِ (٢/ ٢٤٢)، وَانْظُرْ: تَفْسِيرَ الْبَغَوِيِّ (٥/ ٢٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٢٥٠) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ فِيهِ شِفَاءٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْأَدْوَاءِ.

(٣) فِي الْأَصْلِ: فَسَقِي، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (ر)، وَ(س)، وَ(م).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، حَدِيثَ (٥٦٨٤)، وَمُسْلِمٌ، حَدِيثَ (٢٢١٧) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ.

والثاني: أَنَّ الهَاءَ تَرْجِعُ إِلَى الْإِغْتِبَارِ. وَالشَّفَاءُ: بِمَعْنَى: الْهَدَى، قَالَ الضَّحَّاكُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزْدِلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾؛ أَي: أَوْجَدَكُمْ وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا ﴿ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ﴾ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَجَالِكُمْ، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزْدِلِ الْعُمُرِ﴾ وَهُوَ أَرْذَوُهُ، وَأَذْوَنُهُ، وَهِيَ حَالَةُ الْهَرَمِ.

وَفِي مِقْدَارِهِ مِنَ السَّنِينَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالثَّانِي: تِسْعُونَ سَنَةً، قَالَ قَتَادَةُ.

وَالثَّالِثُ: ثَمَانُونَ سَنَةً، قَالَ فَطْرُبُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾.

قَالَ الْفَرَّاءُ: لَكُمْ لَا يَعْقِلُ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي: حَتَّى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمِهِ بِالْأُمُورِ شَيْئًا، لِشِدَّةِ هَرَمِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: أَنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْبُرُ حَتَّى يَذْهَبَ عَقْلُهُ خَرَفًا، فَيَصِيرُ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَالِمًا جَاهِلًا؛ لِيَرِيكُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، كَمَا قَدَرَ عَلَى إِمَاتَتِهِ

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).



وَإِخْيَافِهِ، أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى نَقْلِهِ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى الْجَهْلِ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى عَطَاءٌ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ، الْمُسْلِمُ لَا يَزْدَادُ فِي طُولِ الْعُمُرِ وَالْبَقَاءِ إِلَّا كَرَامَةً عِنْدَ اللَّهِ وَعَقْلًا، وَمَعْرِفَةً<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ عِكْرِمَةُ: مَنْ قرَأَ الْقُرْآنَ لَمْ يُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ<sup>(٣)</sup>.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (النحل: ٧١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾.

يَعْنِي: فَضَّلَ السَّادَةَ عَلَى الْمَمَالِكِ ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا﴾ يَعْنِي: السَّادَةَ ﴿بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فَعَبَّرَتْ «مَا» عَنْ «مَنْ»؛ لِأَنَّهُ مُوَضِّعُ إِبْهَامٍ؛ تَقُولُ: مَا فِي الدَّارِ؟ فَيَقُولُ الْمُخَاطَبُ: رُجُلَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ.

وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّ الْمَوْلَى لَا يَرُدُّ عَلَى مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ مِنْ مَالِهِ حَتَّى يَكُونَ الْمَوْلَى وَالْمَمْلُوكُ فِي الْمَالِ سَوَاءً، وَهَذَا<sup>(٤)</sup> مَثَلُ ضَرْبِهِ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْأَضْنَامَ شُرَكَاءَ لَهُ، وَالْأَضْنَامَ مَلَكًا لَهُ؛ يَقُولُ: إِذَا

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٧٣)، والتفسير البسيط (١٣/ ١٢٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٥١١)، والبيهقي في الشعب (٢٧٠٦) من طريق عاصم الأحول، عن عكرمة، وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٨)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٢٧٠٦) من طريق عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٦٧) إلى ابن جرير وعبد بن حميد، من قول عكرمة.

(٤) في (ر): وهو.

لم يكن عبيدكم معكم في الملك سواء، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء، وترضون لي ما تأنفون لأنفسكم منه؟.

وروى العوفي عن ابن عباس، قال: لم يكونوا أشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟<sup>(١)</sup>.

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: نزلت في نصاري نجران حين قالوا: عيسى ابن الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَحْمَدُونَ﴾ قرأ أبو بكر عن عاصم: «يَحْمَدُونَ» بالتاء<sup>(٣)</sup>.

وفي هذه النعمة قولان:

أحدهما: حُجَّتُهُ وَهْدَايَتُهُ.

والثاني: فَضْلُهُ وَرِزْقُهُ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٥٢)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله:

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾

يقول: لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ فذلك قوله: ﴿أَفِينِعْمَةَ اللَّهِ يَحْمَدُونَ﴾.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٨٠ - ٨١).

(٣) قراءة سبعة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٤)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨).

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيَا الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٢ - ٧٤].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ يعني: النساء.

وفي معنى ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه خلق آدم، ثم خلق زوجته منه، قاله قتادة.

والثاني: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾؛ أي: من جنسكم من بني آدم، قاله ابن زيد.

وفي الحفدة خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الأصهار، أختان الرجل على بناته، قاله ابن مسعود، وابن عباس في رواية<sup>(١)</sup>، ومجاهد في رواية<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن جبيرة، والنخعي، وأنشدوا من ذلك [من الطويل]:

وَلَوْ أَنَّ نَفْسِي طَاوَعَتْنِي لِأُضْبَحَتْ لَهَا حَفْدٌ مِمَّا يُعَدُّ كَثِيرٌ  
وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ عَلَيَّ أَيْيَةٌ عِيُوفٌ لِأَصْهَارِ اللَّثَامِ قَذُورٌ<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٥٤) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن علي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَحَفْدَةً﴾ قال: الأصهار. وذكره ابن كثير في تفسيره (٤ / ٥٠٦) عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٢٤) إلى ابن أبي حاتم.

(٢) المروي عن مجاهد في معنى الحفدة: الأنصار والأعوان، أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٥٦).

(٣) البيتان بلا نسبة في النكت والعيون (٣ / ٢٠٢)، وأمالى القالي (٢ / ١٤٢)، ومحاضرات =

والثاني: أَنَّهُمُ الخَدَمُ، رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ، الْحَسَنُ<sup>(١)</sup>، وَطَاوُوسٌ وَعِكْرِمَةُ فِي رِوَايَةٍ، وَالضَّحَّاكُ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا الْقَوْلُ بِحَتْمِلٍ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ يُرَادُ بِالْخَدَمِ: الْأَوْلَادُ؛ فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنَّ الْأَوْلَادَ يَخْدُمُونَ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْحَفْدَةُ: الْخَدَمُ وَالْأَعْوَانُ، فَلِلمَعْنَى: هُمْ بَنُونَ، وَهُمْ خَدَمٌ<sup>(٣)</sup>.

وَأَصْلُ الْحَفْدِ: مَدَارَكَةُ الْخَطَرِ وَالْإِسْرَاعُ فِي الْمَشْيِ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ الْخَدَمُ هَذَا، فَقِيلَ لَهُمْ: حَفْدَةٌ، وَمِنْهُ يُقَالُ فِي دُعَاءِ الْوَتَرِ: «وَالَيْكَ نَسَمِي وَنَحْفِدُ»<sup>(٤)</sup>.

=الأدباء (٢/ ٢٢٩)، والبيت الأول في المذكر والمؤنث (١/ ٢١٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٧٠).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٦) عن مجاهد، والحسن.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٥٥ - ٢٥٧) عن الضحاك، وعكرمة.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٦).

(٤) أخرجه أبو داود في المراسيل (٨٩) من طريق عبد القاهر، عن خالد بن أبي عمران، قال: بينا رسول الله ﷺ يدعو... فذكره معضلاً به، وهذا إسناد ضعيف مع إعضاله، فعبد القاهر بن عبد الله، وأورده الذهبي في الميزان (٢/ ٦٤٢)، وقال: نكرة، ما روى عنه سوى معاوية بن صالح الحضرمي، وشيخه خالد بن أبي عمران، من أتباع التابعين، فحديثه معضل، انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٤٢)، ورواه ابن أبي شيبه (١٠/ ١٥٣)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٠) كلاهما من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من قوله، قال البيهقي: صحيح موصول. وقول البيهقي صحيح إن سلم من تدليس ابن جريج، فإنه عن عنه.

والثاني: أن يُراد بالخدم: المَالِيك؛ فيكون معنى الآية: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدة من غير الأزواج، ذكره ابن الأثير<sup>(١)</sup>.

والثالث: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>، وبه قال الضحاك.

والرابع: أنهم ولد الولد، رواه مجاهد عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

والخامس: أنهم كبار الأولاد، والبنون: صغارهم، قاله ابن السائب، ومقاتل.

قال مقاتل: وكانوا في الجاهلية تخدمهم أولادهم<sup>(٤)</sup>.

قال الزجاج: وحقيقة هذا الكلام أن الله تعالى جعل من الأزواج بنين، ومن يعاون على ما يحتاج إليه بسرعة وطاعة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد: من أنواع الثمار والحبوب والحيوان<sup>(٦)</sup>.

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٥٨) من طريق عطية العوفي.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٥).

(٤) تفسير مقاتل (٢ / ٤٧٧).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢١٣).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير الوجيز (ص: ٦١٣)، والتفسير البسيط (١٣ / ١٤٠).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَيَا بَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْأَصْنَامُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الشَّرِيكُ وَالصَّاحِبَةُ وَالْوَلَدُ، فَا لْمَعْنَى: يُصَدِّقُونَ أَنَّ اللَّهَ ذَلِكَ؟ قَالَهُ عَطَاءٌ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ الشَّيْطَانُ، أَمَرَهُمْ بِتَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ، فَصَدَّقُوا.

وَفِي الْمَرَادِبِ «نِعْمَةُ اللَّهِ» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا التَّوْحِيدُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: الْقُرْآنُ وَالرَّسُولُ.

وَالثَّلَاثُ: الْحَلَالُ الَّذِي أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَبْلُغُ لَهُم رِزْقًا﴾ [٤٥٨/ب]

وَفِي الْمَشَارِ إِلَى اللَّهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْأَصْنَامُ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: الْمَلَائِكَةُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ يَغْنِي: الْمَطَرُ {و} مِنْ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ النَّبَاتُ، وَالثَّمَرُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَيْئًا﴾.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٧٨).

قَالَ الْأَخْفَشُ: جَعَلَ «شَيْئًا» بَدَلًا مِنَ الرِّزْقِ<sup>(١)</sup>، وَالْمَعْنَى: لَا يَمْلِكُونَ رِزْقًا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾؛ أَي: لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَإِنَّمَا قَالَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ: «يَمْلِكُ»، وَفِي آخِرِهِ: «يَسْتَطِيعُونَ»؛ لِأَنَّ «مَا» فِي مَذْهَبٍ: جُمِعَ لَأَهْلِيهِمْ، فَوَحَّدَ «يَمْلِكُ» عَلَى لَفْظِ «مَا» وَتَوَحِيدَهَا، وَجُمِعَ فِي «يَسْتَطِيعُونَ» عَلَى الْمَعْنَى؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾<sup>(٢)</sup> [يونس: ٤٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾؛ أَي: لَا تُشَبِّهُوهُ بِخَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا، وَلَا يُشَبِّهُ شَيْءٌ، فَاْلْمَعْنَى: لَا تَجْعَلُوا لَهُ شَرِيكًا.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: يَعْلَمُ ضَرْبَ الْمَثَلِ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّانِي: يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّالِثُ: يَعْلَمُ خَطَأَ مَا تَضْرِبُونَ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ صَوَابَ ذَلِكَ مِنْ خَطْئِهِ.

وَالرَّابِعُ: يَعْلَمُ مَا كَانَ وَيَكُونُ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ قَدْرَ عَظَمَتِهِ حِينَ أَشْرَكْتُمْ بِهِ، وَنَسَبْتُمُوهُ إِلَى الْعَجْزِ عَنْ بَعْثِ خَلْقِهِ.

(١) معاني القرآن (٢ / ٤١٧).

(٢) معاني القرآن (٢ / ١١٠).

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٤٧٨).

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ آرِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥].

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾؛ أي: بَيَّنَّ شَبَهًا، فِيهِ بَيَانٌ لِّلْمَقْصُودِ<sup>(١)</sup>،  
وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ مَثَلٌ لِّلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ. فَالَّذِي ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾  
هُوَ الْكَافِرُ؛ لِأَنَّهُ لَا خَيْرَ عِنْدَهُ، وَصَاحِبُ الرِّزْقِ هُوَ الْمُؤْمِنُ، لِمَا عِنْدَهُ مِنَ  
الْخَيْرِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقِتَادَةَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ وَلِلْأَوْثَانِ؛ لِأَنَّهُ مَالِكُ كُلِّ  
شَيْءٍ، وَهِيَ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، هَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَالسُّدِّيِّ. وَذَكَرَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ  
هَذَا الْمَثَلَ ضَرَبَ بِقَوْمٍ<sup>(٢)</sup> كَانُوا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِيهِمْ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّ الْمَمْلُوكَ: أَبُو الْجَوَارِ، وَصَاحِبَ الرِّزْقِ الْحَسَنَ: سَيِّدُهُ  
هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ مُقَاتِلٌ: الْمَمْلُوكُ:  
أَبُو الْحَوَاجِرِ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمَمْلُوكَ: أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَصَاحِبَ الرِّزْقِ الْحَسَنَ:  
أَبُو بَكْرِ الصَّدِيقُ ؓ، قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ.

(١) فِي (ر)، وَ(م): الْمَقْصُودُ.

(٢) فِي (م): لِقَوْمٍ.

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٤ / ٩٤)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (١٦ / ٩٢ - ٩٣).

(٤) تفسير مقاتل (٢ / ٤٧٨). وفي الدر المنثور (٤ / ٢٣٥): أَبُو الْجَوَازِ.



فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ ولم يقل: يستويان؛ لأنَّ المراد: الجنس.

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: لفظُ «مَنْ» لفظُ تَوْحِيدٍ، ومغناها معنى الجمع، ولم يَقَعِ المَثَلُ بَعْدَ مُعَيَّنٍ، ومَالِكٍ مُعَيَّنٍ، لكن عني بهما جماعةٌ عبيدٍ، وقوم مَالِكُونَ، فلَمَّا فَارَقَ مِنْ تَأْوِيلِ الجمعِ، جَمَعَ عَائِدَهَا لِذَلِكَ.

وقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ أي: هو المستحقُّ للحمْدِ؛ لأنَّه المنعمُ، ولا نعمةٌ للأضنامِ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يغني: المشركينَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الحمدَ لله. قال العلماءُ: وصفَ أكثرهم [بذلك]<sup>(١)</sup>، والمراد: جميعُهُم.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زَجَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ قد فسرنا «البكم» في البقرة [آية: ١٨]. ومعنى ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾؛ أي: من [٤٥٩/أ] الكلام؛ لأنَّه لا يفهمُ ولا يفهم عنه.

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ قال ابنُ قُتَيْبَةَ: أي: ثَقُلَ عَلَى وَلِيِّهِ وَقَرَابَتِهِ<sup>(٢)</sup>.

وفيمَن أريدَ بهذا المَثَلِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، فَالْكَافِرُ هُوَ الْأَبْكَمُ، وَالَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ هُوَ الْمُؤْمِنُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٧).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٦٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٢٥) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

والثاني: أنها نزلت في عثمان بن عفان، هو الذي يأمر بالعدل، وفي مولى له كان يكره الإسلام وينهى عثمان عن النّفة في سبيل الله، وهو الأبكم، رواه إبراهيم بن يعلّى بن مينة<sup>(١)</sup> عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أنه مثل ضرب به الله تعالى لنفسه، وللوثن. فالوثن: هو الأبكم، والله تعالى: هو الأمر بالعدل، وهذا قول مجاهد، وقادة، وابن السائب، ومقاتل<sup>(٣)</sup>.

والرابع: أن المراد بالأبكم: أبي بن خلف، وبالأذي يأمر بالعدل: حمزة، وعثمان بن عفان، وعثمان بن مظعون، قاله عطاء.

فِيُخْرِجُ عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي مَعْنَى «مَوْلَاهُ» قَوْلَانِ:

أحدهما: أنه مولى حقيقة، إذا قلنا: إنه رجل من الناس.

(١) كذا في الأصول الخطية، وفي تفسير الطبري: أمية.

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ٦٠)، وفيهما: إبراهيم، عن عكرمة، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ٣٠٦)، وابن عساكر في تاريخه (٤٦/ ٢١٠-٢١١) من طرق عن حماد بن سلمة به، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٦٣)، من طريق إبراهيم، عن عكرمة، عن يعلّى بن أمية، عن ابن عباس، في قوله: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا﴾ قال: نزلت في رجل من قريش وعبدته. وفي قوله: ﴿مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ...﴾ إلى قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قال: هو عثمان بن عفان. قال: والأبكم الذي أينما يوجه لا يأت بخير، ذاك مولى عثمان بن عفان، كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكفيه المثونة، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه وينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما.

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٢٣٨).

والثاني: أنه بمعنى الولي، إذا قلنا: إنه الصنم، فالمعنى: وهو ثقل على وليه الذي يخدمه ويزينه.

ويُخرج في معنى «أينما يوجهه» قولان: إن قلنا: إنه رجل، فالمعنى: أينما يرسله. والتوجيه: الإرسال في وجه من الطريق.

وإن قلنا: إنه الصنم؛ ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أينما يدعوه، لا يُجيبه، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

والثاني: أينما يوجهه تأميله إياه ورجاه له، لا يأتيه ذلك بخير، فحذف التأميل، وخلفه الصنم؛ كقوله: ﴿مَا وَعَدْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]؛ أي: على السنة رُسلك.

وقرأ البزّي عن ابن محيصن «أينما توجّهه» بالتاء على الخطاب<sup>(٢)</sup>.

فأما قوله: ﴿لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ﴾ فإن قلنا: هو رجل، فإنما كان كذلك؛ لأنه لا يفهم ما يقال له، ولا يفهم عنه؛ إمّا لكفره وجحوده، أو لبكم به. وإن قلنا: إنه الصنم؛ فليكونه جامداً. ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ﴾؛ أي: هذا الأبكم ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو قادرٌ على التكلم، ناطقٌ بالحق.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٧).

(١) المصدر السابق.

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قد ذكرناه في آخر هود [آية: ١٢٣].

وَسَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ مَتَى السَّاعَةُ؟ فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ: الْمَرَادُ بِالْغَيْبِ هَاهُنَا: قِيَامُ السَّاعَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمَرُ السَّاعَةَ﴾ يَعْنِي: الْقِيَامَةَ ﴿إِلَّا كَلَمَحَ الْبَصَرِ﴾ وَاللَّمَحُ: النَّظَرُ سُرْعَةً، وَالْمَعْنَى: إِنَّ الْقِيَامَةَ فِي سُرْعَةٍ قِيَامِهَا وَبُعْثُ الْخَلَائِقِ كَلَمَحِ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: بَلْ هُوَ أَسْرَعُ<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: لَيْسَ [٤٥٩/ب] الْمَرَادُ أَنَّ السَّاعَةَ تَأْتِي فِي أَقْرَبِ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ، وَلَكِنَّهُ يَصِفُ سُرْعَةَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْإِتْيَانِ بِهَا مَتَى شَاءَ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٣٠٢).

(٢) تنوير المقياس (ص: ٢٢٨).

(٣) انظر: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/ ٢٨٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).



قرأ حمزة: «إِمَّهَاتِكُمْ» بكسر الألف والميم، وقرأ الكسائي بكسر الألف وفتح الميم، والباقون بضم الألف وفتح الميم<sup>(١)</sup>، وكذلك في «النور» و«الزمر» و«الطَّارِق»<sup>(٢)</sup> و«النَّجْم»، ولا خلاف بينهم في الابتداء بضمّ الهمزة.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمُ السَّمْعَ﴾ لفظه لفظ الواحد، والمراد به الجميع، وقد بينا علّة ذلك في أول البقرة [آية: ٧]. والأفئدة: جمع فؤاد. قال الزجاج: مثل: غراب وأغربة، ولم يجمع «فؤاد» على أكثر العدد، لم يقل فيه: «فئدان»؛ مثل غراب وغربان<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو عبيدة: وإنما جعل لهم السمع والابصار والأفئدة قبل أن يخرجهم، غير أن العرب تقدّم وتؤخّر، وأنشد [من البسيط]:

صَخْمٌ تَعْلُقُ أَشْنَاقُ الدِّيَاتِ بِهِ إِذَا الْمَوْؤُونُ أَمِرَتْ فَوْقَهُ حَمَلًا<sup>(٤)</sup>  
الشَّنَق: ما بين الفريصتين، والمؤون أعظم من الشنق، فبدأ بالأقلّ قبل الأعظم<sup>(٥)</sup>.

(١) قراءة سبعية، انظر: التيسير (ص: ٩٤).

(٢) من (ر) فقط.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

(٤) البيت للأخطل في مجاز القرآن (١/ ٣٦٥)، والأضداد (ص: ٣٠٦)، والشعر والشعراء (١/ ٤٧٦)، ومجالس ثعلب (ص: ٨٨)، والمعاني الكبير (٢/ ١٠٠٧)، وكتاب الأفعال (٢/ ٣٤٠).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٦٥).

قال المفسرون: ومقصود الآية: أن الله تعالى أبان نعمه عليهم حيث أخرجهم جهًا لا بالأشياء، وخلق لهم الآلات التي يتوصلون بها إلى العلم.

﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) ﴿[النحل: ٧٩].

قوله تعالى: ﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ قال الزجاج: هو الهواء البعيد من الأرض<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما يُمْسِكُهُنَّ عند قبض أجنحتهنَّ وبسطها أن يقعن على الأرض إلا الله، قاله الأكثرون.

والثاني: ما يُمْسِكُهُنَّ أن يرسلن الحجارة على شرار هذه الأمة، كما فعل بغيرهم، إلا الله، قاله ابن السائب.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨٠) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣) ﴿[النحل: ٨٠ - ٨٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾؛ أي: موضعًا تَسْكُنُونَ فِيهِ، وَهِيَ الْمَسَاكِينُ الْمَتَّخِذَةُ مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ تَسْتَرِ الْعُورَاتِ وَالْحَرَمَ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَشَبَ وَالْمَدَرَ وَالْآلَةَ الَّتِي بِهَا يُمَكِّنُ بِنَاءَ الْبَيْتِ وَتَسْقِيفُهُ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾: وَهِيَ الْقِبَابُ وَالْخِيَمُ الْمَتَّخِذَةُ مِنَ الْأَدَمِ ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾؛ أي: يَخَفُّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا ﴿يَوْمَ ظَعَنِكُمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو: «ظَعَنِكُمْ» بَفَتْحِ الْعَيْنِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَمْزُهُ، وَالْكِسَائِيُّ بِتَسْكِينِ الْعَيْنِ<sup>(١)</sup>، وَهُمَا لُغَتَانِ؛ كَالشَّعَرِ، وَالنَّهْرِ وَالنَّهْرِ، وَالْمَغْنَى: إِذَا سَافَرْتُمْ.

﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾؛ أي: لَا تَتَّقِلْ عَلَيْكُمْ فِي الْحَالَيْنِ. ﴿وَمِنْ أَصْوَابِهَا﴾ يَغْنِي: الضَّأَنَ ﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ يَغْنِي: الْإِبِلَ ﴿وَأَشْعَارِهَا﴾ يَغْنِي: الْمِعْزَ ﴿أَثَا﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: الْأَثَا: الْمَتَاعُ، لَا وَاحِدَ لَهُ، كَمَا أَنَّ الْمَتَاعَ لَا وَاحِدَ لَهُ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ: جَمْعُ الْمَتَاعِ: أَمْتِعَةٌ، وَلَوْ جَمَعْتَ الْأَثَا، لَقُلْتَ: ثَلَاثَةٌ أَثَّةٌ وَأُثْبٌ؛ مَثَلُ: (أَعْتَّةٌ وَعَثْتُ) لَا غَيْرَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْأَثَا: مَتَاعُ الْبَيْتِ مِنَ الْفُرْشِ وَالْأَكْسِيَةِ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَاحِدُ الْأَثَا: أَثَاةٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٨)، والسبعة (ص: ٣٧٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٧).

[أ/٤٦٠] وَقَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: قَدِ اثَّ يَثُّ اثًّا؛ إِذَا صَارَ ذَا اثَّاتٍ<sup>(١)</sup>. وَرُوي  
عَنِ الْخَلِيلِ أَنَّهُ قَالَ: أَصْلُهُ مِنَ الْكُثْرَةِ، وَاجْتِمَاعِ بَعْضِ الْمَتَاعِ إِلَى بَعْضٍ،  
وَمِنْهُ: شَعَرٌ أَثِثٌ<sup>(٢)</sup>.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَمَتَّعًا﴾ فَقِيلَ: إِنَّمَا جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِثَّاتِ، لِإِخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ.  
وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَى حِينٍ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْمَوْتُ، وَالْمَعْنَى: يَتَفَعَّلُونَ بِهِ إِلَى حِينِ الْمَوْتِ، قَالَهُ ابْنُ  
عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ [إِلَى] <sup>(٣)</sup> حِينَ الْبَلَى، فَالْمَعْنَى: إِلَى أَنْ يَبْلَى ذَلِكَ الشَّيْءُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٤)</sup>.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ أَي: مِمَّا يَقِيكُمْ حَرَّ  
الشَّمْسِ، وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ ظِلَالُ الْغَمَامِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: ظِلَالُ الْبُيُوتِ، قَالَهُ ابْنُ السَّائِبِ.

وَالثَّالِثُ: ظِلَالُ الشَّجَرِ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَالزَّجَّاجُ<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٥).

(٢) العين (٨/ ٢٥٣).

(٣) من (ر)، و(س)، و(م).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٥).



وَالرَّابِعُ: ظِلَالُ الشَّجَرِ وَالْجِبَالِ، قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ ظِلٌّ مِنْ حَائِطٍ، وَسَقْفٍ، وَشَجَرٍ، وَجَبَلٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَاتًا﴾؛ أَي: مَا يَكْنُكُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَهِيَ: الْغَيْرَانِ وَالْأَسْرَابُ. وَوَاحِدُ الْأَكْنَانِ «كِنٌّ» وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَى شَيْئًا وَسَرَّهُ فَهُوَ «كِنٌّ».

﴿وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ﴾: وَهِيَ الْقُمُصُ ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: الْبَرْدَ؛ لِأَنَّ مَا وَقَى مِنَ الْحَرِّ، وَقَى مِنَ الْبَرْدِ، وَأَنْشَدَ [مَنْ الْوَافِرُ]:

وَمَا أَذْرِي إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الْخَيْرَ أَتَيْهَا يَلِينِي<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَ الزَّجَّاجُ: إِنَّمَا خَصَّ الْحَرَّ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي مَكَانَاتِهِمْ<sup>(٣)</sup> أَكْثَرَ مُعَانَاةً لَهُ مِنَ الْبَرْدِ، وَهَذَا مَذْهَبُ عَطَاءِ الْخُرَاسَانِيِّ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يُرِيدُ الدَّرُوعَ الَّتِي يَتَّقُونَ بِهَا شِدَّةَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ فِي الْحَرْبِ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٢) البيت للمثقب العبدى، كما في المفضليات (ص: ٢٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٤ / ٢٧٩)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٥)، والانتصار للقرآن (٢ / ٥٧٥)، وتهذيب اللغة (١٥ / ٣٦٥)، والصناعتين (ص: ١٨٥).

(٣) الذي في المعاني؛ للزجاج: مكانهم.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٥٥).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ يُتَرِّعُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أَي: مَثَلَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ. ﴿يُتَرِّعُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ﴾ وَالْخِطَابُ لِأَهْلِ مَكَّةَ، وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ حِينَئِذٍ كُفَّارًا، وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُسْلِمِينَ، فَالْمَعْنَى: لَعَلَّكُمْ تَدُومُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَتَقُومُونَ بِحَقِّهِ.

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَأَبُو رَجَاءٍ: «لَعَلَّكُمْ تَسْلَمُونَ» بَفَتْحِ التَّاءِ وَاللَّامِ<sup>(١)</sup>، عَلَى مَعْنَى: لَعَلَّكُمْ إِذَا لَبِسْتُمُ الدَّرُوعَ تَسْلَمُونَ مِنَ الْجِرَاحِ فِي الْحَرْبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ وَهَذِهِ عِنْدَ الْمَفْسِّرِينَ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾.

وَفِي هَذِهِ النِّعْمَةِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الْمَسَاكِينُ، نِعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَفِي إِنْكَارِهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ وَرِثَتُهَا عَنْ آبَائِنَا.

رَوَى ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: نِعَمَ اللَّهُ: الْمَسَاكِينُ، وَالْأَنْعَامُ، وَسَرَايِلُ الثِّيَابِ، وَالْحَدِيدُ، يَعْرِفُهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ، ثُمَّ يُنْكِرُونَهُ<sup>(٢)</sup> بِأَنَّهُ يَقُولُوا:

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرمانى (ص: ٢٧٤).

(٢) في (س): ينكرونها.

هَذَا كَانَ لِأَبَائِنَا وَرِثَتَاهُ عَنْهُمْ، (رواه ابنُ أَبِي نَجِيحٍ) <sup>(١)</sup> عَنْ مُجَاهِدٍ <sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَوْلَا فَلَانٌ لَكَانَ كَذَا، فَهَذَا إِنكَارُهُمْ، قَالَه [٤٦٠/ب] عَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

وَالثَّلَاثُ: يَعْرِفُونَ أَنَّ النَّعْمَ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنْ يَقُولُونَ: هَذِهِ بِشَفَاعَةِ أَهْلِنَا، قَالَه ابْنُ السَّائِبِ، وَالْفَرَاءُ <sup>(٣)</sup> وَابْنُ قُتَيْبَةَ <sup>(٤)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّعْمَةِ هَاهُنَا: مُحَمَّدٌ ﷺ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ <sup>(٥)</sup>، ثُمَّ يُكْذِّبُونَهُ، وَهَذَا مَرْوِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَالسُّدِّيِّ <sup>(٦)</sup>، وَالزَّجَّاجِ <sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (ر): وَهَذَا.

(٢) تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ (ص: ٤٢٤)، وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٢٧٣) عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ قَالَ: هِيَ الْمَسَاكِنُ وَالْأَنْعَامُ وَمَا يَرْزُقُونَ مِنْهَا، وَالسَّرَابِيلُ مِنَ الْحَدِيدِ وَالثِّيَابُ، تَعْرِفُ هَذَا كِفَارُ قَرِيشٍ، ثُمَّ تَنْكِرُهُ بِأَن تَقُولَ: هَذَا كَانَ لِأَبَائِنَا، فَرَوَحُونَا إِيَّاهُ. وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤/ ١٢٧) إِلَى ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢/ ١١٢).

(٤) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٤٨).

(٥) هَذَا الْقَوْلُ أَوَّلُ الْأَقْوَالِ عِنْدَ الطَّبْرِيِّ (١٧/ ٢٧٤): «وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَةَ بَيْنَ آيَتَيْنِ كِلْتَاهُمَا خَبَرٌ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَمَّا بَعَثَ بِهِ، فَأَوَّلَى مَا بَيْنَهُمَا أَنْ يَكُونَ فِي مَعْنَى مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ. إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعْنَى يَدُلُّ عَلَى انْصِرَافِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَعَمَّا بَعْدَهُ، فَالَّذِي قَبْلَ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ <sup>(٨٢)</sup> يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴿وَمَا بَعْدَهُ: (وَيَوْمَ تَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وَهُوَ رَسُولُهَا...».

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٢٧٢ - ٢٧٣) مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ بَشَارٍ، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: ثَنَا سَفْيَانٌ، عَنِ السُّدِّيِّ ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

(٧) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ٢١٦).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: وَجَمِيعُهُمْ كُفَّارٌ<sup>(١)</sup>، فَذَكَرَ الْأَكْثَرَ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَمِيعُ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ﴾<sup>(٨٤)</sup> وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ<sup>(٨٥)</sup> وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ<sup>(٨٦)</sup> وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ<sup>(٨٧)</sup>﴾ [النحل: ٨٤ - ٨٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَشَاهِدُ كُلِّ أُمَّةٍ نَبِيُّهَا<sup>(٢)</sup> يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِتَضَدِّيقِهَا وَتَكْذِيبِهَا.

﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي الْإِعْتِذَارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ﴾؛ أَي: لَا يُطْلَبُ مِنْهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ؛ لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ تَكْلِيفٍ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾؛ أَي: أَشْرَكُوا ﴿الْعَذَابَ﴾ يَعْنِي: النَّارَ ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾ الْعَذَابُ ﴿وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ لَا يُؤَخَّرُونَ، وَلَا يُمَهَّلُونَ. ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ يَعْنِي: الْأَصْنَامَ الَّتِي جَعَلُوهَا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يَنْعَثُ كُلَّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِهِ؛ فَيَقُولُ الْمَشْرِكُونَ: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا﴾؛ أَي: نَعْبُدُ مِنْ دُونِكَ.

(١) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِي فِي التَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٣/ ٧٧)، وَالتَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٣/ ١٦٤)، وَالْمَاوَرِدِي فِي النِّكَتِ وَالْعَيُونِ (٣/ ٢٠٧).

(٢) فِي (م): مِنْهَا.

فَإِنْ قِيلَ: فَهَذَا مَعْلُومٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِمْ: ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾؟  
فَعَنَّهُ جَوَابَانِ:

أحدهما: أَنَّهُمْ لَمَّا كَتَمُوا الشَّرْكَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ عَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِصْمَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، وَإِنطَاقِ جَوَارِحِهِمْ، فَقَالُوا عِنْدَ مُعَايِنَةِ آلِهَتِهِمْ: ﴿رَبُّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾؛ أَي: قَدْ أَقْرَضْنَا بَعْدَ الْجَحْدِ، وَصَدَّقْنَا بَعْدَ الْكَذِبِ؛ التَّمَّاسًا لِلرَّحْمَةِ، وَفِرَارًا مِنَ الْغَضَبِ، فَكَأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِعْتِرَافِ بِالذَّنْبِ، لَا عَلَى وَجْهِ إِعْلَامٍ مَنْ لَا يَعْلَمُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا عِظَمَ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى قَالُوا: ﴿هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا﴾ تَقْدِيرًا أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ رَوْحٌ، وَأَنْ تُلْزِمَ الْأَضْنَامُ إِجْرَامُهُمْ، أَوْ بَعْضُ ذُنُوبِهِمْ؛ إِذْ كَانُوا يَدْعُونَ لَهَا الْعَقْلَ وَالتَّمْيِيزَ، فَأَجَابَتْهُمْ الْأَضْنَامُ بِمَا حَسَمَ طَمَعُهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾؛ أَي: أَجَابُوهُمْ وَقَالُوا لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمْ لَكَذِبُونَ﴾.

قَالَ الْفَرَّاءُ: رَدَّتْ عَلَيْهِمْ آلِهَتُهُمْ قَوْلَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: «فَأَلْقُوا»؛ أَي: قَالُوا لَهُمْ، تَقُولُ<sup>(٢)</sup>: أَلْقَيْتُ إِلَى فُلَانٍ كَذَا؛ أَي: قُلْتُ لَهُ<sup>(٣)</sup>.

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٢).

(٢) في (ر): يقال.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٦٦).

قَالَ الْعُلَمَاءُ: كَذَّبُوهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْأَضْنَامَ كَانَتْ جَهَادًا لَا تَعْرِفُ عَابِدِيهَا، فَظَهَرَتْ فَضِيحَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ؛ إِذْ عَبْدُوا مَنْ لَمْ يَعْلَمْ بِعِبَادَتِهِمْ، وَهَذَا<sup>(١)</sup> كَقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّامِعُ﴾ [المعنى: أَنَّهُمْ اسْتَسَلَّمُوا لَهُ].  
وَفِي الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ الْمَشْرُكُونَ، قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ.

ثُمَّ فِي مَعْنَى اسْتِسْلَامِهِمْ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ اسْتَسَلَّمُوا لَهُ بِالْإِقْرَارِ بِتَوْحِيدِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ. [٤٦١/١]

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ اسْتَسَلَّمُوا لِعَذَابِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ الْمَشْرِكُونَ وَالْأَضْنَامُ كُلُّهُمْ.

قَالَ الْكَلْبِيُّ: وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ اسْتَسَلَّمُوا لِلَّهِ مُنْقَادِينَ لِحُكْمِهِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [فيه قَوْلَانِ]:

أَحَدُهُمَا: بَطَلَ قَوْلُهُمْ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ.

وَالثَّانِي: ذَهَبَ عَنْهُمْ مَا زَيْنَ هُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّ اللَّهَ شَرِيكًا وَوَلَدًا.

(١) فِي (ر): وَذَلِكَ.

(٢) تَنْوِيرُ الْمَقْبَاسِ (ص: ٢٢٩) بَلَفَظَ: اسْتَسَلَّمُوا الْعَابِدُ وَالْمَعْبُودُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٣ / ١٦٨) بِنَفْسِ لَفْظِ التَّنْوِيرِ.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (٨٨) [النحل: ٨٨].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: منعوا الناس من طاعة الله والإيمان بمحمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ إنما نكّر العذاب الأول؛ لأنه نوع خاص لقوم بأعينهم، وعرف العذاب الثاني؛ لأنه العذاب الذي يُعَذَّب به أكثر أهل النار؛ فكان في شهرته بمنزلة النار في قول القائل: نعوذ بالله من النار، وقد قيل: إنما زيدوا هذا العذاب على ما يستحقونه من عذابهم؛ بصدّهم عن سبيل الله.

وفي صفة هذا العذاب الذي زيدوا أربعة أقوال:

أحدها: أنها عقارب كأمثال النخل الطوال، رواه مسروق عن ابن مسعود<sup>(٢)</sup>.  
والثاني: أنها حيات كأمثال الفيلة، وعقارب كأمثال البغال، رواه زرّ عن ابن مسعود<sup>(٣)</sup>.

(١) تنوير المقياس (ص: ٢٢٩)، وذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٧٨).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٧٩)، والطبري في تفسيره (١٧ / ٢٧٦)، والطبراني في الكبير (٩١٠٥)، والحاكم (٢ / ٣٥٥ - ٣٥٦) عن ابن عينة، وابن أبي شيبة (١٣ / ١٥٨)، وهناد في الزهد (٢٦٠) عن أبي معاوية وابن عينة، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله ﷺ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ قال: زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال.

(٣) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣ / ٧٨) (٥٢٦) من طريق أبي بكر الحارثي، أنا محمد بن حيان، نا عبد الرحمن بن محمد الرازي، نا سهل بن عثمان، حدثنا الحكم، =

والثالث: أنها خمسة أنهارٍ من صُفْرِ مُذابٍ تَسِيلُ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يُعَذَّبُونَ بِهَا؛ ثَلَاثَةٌ عَلَى مِقْدَارِ اللَّيْلِ، وَاثْنَانِ عَلَى مِقْدَارِ النَّهَارِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. والرَّابِع: أَنَّهُ الزَّمْهَرِيرُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

قَالَ الرَّجَّاجُ: يَخْرُجُونَ مِنْ حَرِّ النَّارِ إِلَى الزَّمْهَرِيرِ فَيَتَبَادَرُونَ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ إِلَى النَّارِ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ وَفِي الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمْ قَوْمُهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ. والثَّانِي: أُمَّتُهُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

وَنَمَّ الْكَلَامُ هَاهُنَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا﴾ قَالَ الرَّجَّاجُ: التَّبْيَانُ: اسْمٌ فِي مَعْنَى الْبَيَانِ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ فَقَالَ الْعُلَمَاءُ بِالْمَعَانِي: يَعْنِي<sup>(٤)</sup>: لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ؛ إِمَّا بِالنَّصِّ عَلَيْهِ، أَوْ بِالْإِحَالَةِ عَلَى مَا يُوجِبُ الْعِلْمَ؛ مِثْلُ بَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ.

= عن عاصم، عن زر، عن عبد الله، قال: زيدوا حيات كأمشال الفيلة وعقارب البغال الدلم، وقال أبو المنهال: إنهم يستغيثون بالنار فرارًا من تلك الأفاعي والعقارب وهربًا منها.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٦).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

(٤) ليست في (ر).



﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَنَّا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل: ٩٠ - ٩٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه شهادة أن لا إله إلا الله، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عباس<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنه الحق رواه الضحاك عن ابنِ عباس.

والثالث: أنه استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى، قاله سفيان بن عيينة.

والرابع: أنه القضاء بالحق، ذكره الماوردي<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله. وأخرجه أيضًا البيهقي في الأسماء والصفات (١ / ٢٧٢) (٢٠٦) من طريق عبد الله بن صالح به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٢٨) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) النكت والعيون (٣ / ٢٠٩).

قال أبو سليمان: العدل في كلام العرب: الإنصاف، وأعظم الإنصاف: الإعتراف للمُنعم بنعمته.

وفي المراد بالإحسان خمسة أقوال:

أحدها: أنه أداء الفرائض، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

والثاني: العفو، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: الإخلاص، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

والرابع: أن تعبد الله كأنك تراه، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>. [٤٦١/ب]

والخامس: أن تكون السريرة أحسن من العلانية، قاله سفيان بن عيينة.

فأما قوله تعالى: ﴿وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ فالمراد به: صلة الأرحام.

وفي الفحشاء قولان:

أحدهما: أنها الزنا، قاله ابن عباس.

والثاني: المعاصي، قاله مقاتل<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٧٩) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﴿وَالْإِحْسَانُ﴾ يقول: أداء الفرائض. وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٥٨٣) من طريق عبد الله بن صالح به.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ١٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ١٧٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢ / ٤٨٣).

وفي المنكر أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ الشَّرْكُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

والثاني: أَنَّهُ مَا لَا يُعْرِفُ فِي شَرِيعَةٍ وَلَا سُنَّةٍ.

والثالث: أَنَّهُ مَا وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ، ذَكَرَهُمَا ابْنُ السَّائِبِ.

والرَّابِع: أَن تَكُونَ<sup>(٢)</sup> عَلَانِيَةً، الْإِنْسَانُ أَحْسَنُ مِنْ سَرِيرَتِهِ قَالَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ.

فَأَمَّا ﴿وَالْبَغْيِ﴾ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الظُّلْمُ<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ فِي مَوَاضِعَ [البقرة: ١٧٣]، و[الأعراف: ٣٣]، و[يونس: ٢٣ / ٩٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُؤَدِّبُكُمْ<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْوَعْظِ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ، وَ﴿تَذَكَّرُوا﴾ بِمَعْنَى: تَتَعَبَّطُونَ.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هَذِهِ الْآيَةُ أَجْمَعُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ لِحَيْرٍ أَوْ لَشَرٍّ<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) في الأصل: يَكُونُ، وَالمُثَبَّتُ مِنْ سَائِرِ النُّسخِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٨٠) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَالْبَغْيِ﴾ يَقُولُ: الْكِبَرُ وَالظُّلْمُ.

(٤) انْظُرْ: تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢ / ٤٨٣).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٨٠)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٦٥٨) مِنْ طَرِيقِ الْحِجَّاجِ ابْنِ الْمُنْهَالِ بِهِ، وَالحَاكِمُ (٢ / ٣٥٦)، وَالبَيْهَقِيُّ فِي الشَّعْبِ (٢٤٤٠) مِنْ طَرِيقِ مَعْتَمِرِ ابْنِ سُلَيْمَانَ بِهِ، كَمَا أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٨٦٥٩ - ٨٦٦٠) مِنْ طَرِيقِ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ بِهِ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٤ / ١٢٨) إِلَى سَعِيدِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمُحَمَّدِ ابْنِ نَصْرِ فِي الصَّلَاةِ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

وقال الحسن: والله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله إلا جمعه، ولا تركت الفحشاء والمنكر والبغى شيئاً من معصية الله إلا جمعه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في حلف أهل الجاهلية، قاله مجاهد، وقادة.

والثاني: أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ.

قال المفسرون: العهد الذي يجب الوفاء به، هو الذي يحسن فعله، فإذا عاهد العبد عليه، وجب الوفاء به، والوعد من العهد.

﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد تغليظها وتشديدها بالعزم والعقد على اليمين، بخلاف لغو اليمين، وكذت الشيء تأكيداً، لغة أهل الحجاز، فأما أهل نجد، فيقولون: أكذته تأكيداً.

وقال الزجاج: يُقال: وكذت الأمر، وأكذت، لغتان جيدتان، والأصل الواو، والهمزة بدل منها<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٩٥) (١٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١٥٨) من طريق عاصم بن علي، حدثنا جويرية بن بشير الهجيمي، قال: سمعت الحسن، قرأ يوماً هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾... إلى آخرها، ثم وقف فقال: إن الله عز وجل جمع لكم الخير كله، والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل، والإحسان من طاعة الله شيئاً إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء، والمنكر والبغى، من معصية الله شيئاً إلا جمعه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ جَعَلْنَاهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾؛ أي: بالوفاء، وذلك أَنَّ مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ، فَكَانَتْهُ أَكْفَلَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ بِمَا حَلَفَ عَلَيْهِ.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي مَعْنَى «كَفِيلًا» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: شَهِيدًا، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّانِي: وَكِيلًا، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّلَاثُ: حَفِظًا، مَرَاعِيًا لِعَقْدِكُمْ، قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾.

قَالَ مُجَاهِدٌ: هَذَا فِعْلٌ نِسَاءٍ أَهْلِ نَجْدٍ، تَنْقُضُ إِحْدَاهُنَّ حَبْلَهَا، ثُمَّ تَنْفُسُهُ، ثُمَّ تَخْلُطُهُ بِالصُّوفِ فَتَعْزِلُهُ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ تُسَمَّى رَيْطَةَ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ، كَانَتْ إِذَا غَزَلَتْ، نَقَضَتْهُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ السَّائِبِ: اسْمُهَا «رَائِطَةُ»<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: اسْمُهَا: رَيْطَةُ بِنْتُ عَمْرِو الْمَرِيَّةِ، وَلَقَبُهَا: الْجَعْرَاءُ<sup>(٤)</sup>، وَهِيَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَكَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ، فَعَرَفُوهَا بِوَصْفِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا نَظِيرٌ فِي فِعْلِهَا

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٥٨٨).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٢٨٤).

(٣) تنوير المقباس (ص: ٢٩١) واسمها في مطبوع التنوير: رابطة، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ١٧٨) وفيه: رابطة.

(٤) في البحر المحيط: الجفراء.

[٤٦٢/أ] ذَلِك، كَانَتْ مُتَنَاهِيَةَ الْحُمُقِ، تَغْزِلُ الْغَزَلَ مِنَ الْقُطْنِ أَوْ الصُّوفِ فَتُحْكِمُهُ، ثُمَّ تَأْمُرُ جَارِيَتَهَا بِتَقْطِيعِهِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَانَتْ تَغْزِلُ هِيَ وَجَوَارِيهَا، ثُمَّ تَأْمُرُهُنَّ أَنْ يَنْقُضْنَ مَا غَزَلْنَ، فَضَرَبَهَا اللَّهُ مَثَلًا لِلنَّاقِضِي الْعَهْدِ. وَ«نَقَضْتُ» بِمَعْنَى: تَنْقُضُ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] بِمَعْنَى: وَيَنَادِي.

وَفِي الْمَرَادِ بِالْغَزْلِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْغَزْلُ الْمَعْرُوفُ، سِوَاءَ كَانَ مِنْ قُطْنٍ أَوْ صُوفٍ أَوْ شَعْرِ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْحَبْلُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مِنْ بَعْدِ إِبْرَامَ<sup>(٢)</sup>. وَقَوْلُهُ: ﴿أَنْكَأْنَا﴾؛ أَي: أَنْقَاضًا.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْأَنْكَأْتُ: مَا نَقُضَ مِنْ غَزْلِ الشَّعْرِ وَغَيْرِهِ. وَوَاحِدُهَا: نِكَثَ؛ يَقُولُ: لَا تَوَكَّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمُ الْإِيمَانَ وَالْعُهُودَ، ثُمَّ تَنْقُضُوا ذَلِكَ وَتَحْتَشُّوا [فِيهِ]<sup>(٣)</sup>، فَتَكُونُوا كَامْرَأَةٍ غَزَلَتْ وَنَسَجَتْ، ثُمَّ نَقَضَتْ ذَلِكَ النَّسِجَ، فَجَعَلَتْهُ أَنْكَأْنَا<sup>(٤)</sup>.

(١) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو حَيَّانَ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيط (٦ / ٥٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٨٤)، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشُورِ (٤ / ١٢٩) إِلَى عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ جَرِيرٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(٣) مِنْ (ر).

(٤) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (٢٤٨).

قوله تعالى: ﴿نَتَّخِذُوكَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمُ﴾؛ أي: دغلاً، ومكرًا، وخديعةً، وكلُّ شيءٍ دخله عيبٌ، فهو مذخولٌ، وفيه دخلٌ.

قوله تعالى: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ قال ابنُ قتيبة: المعنى: لأن تكونَ أُمَّةً، ﴿هِيَ أَرْبَى﴾؛ أي: هي أغنى ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>. وقال الزجاج: المعنى: بأن تكونَ أُمَّةً هي أكثرُ، يُقال: ربّا الشيء يُربُو: إذا كثر<sup>(٢)</sup>.

قال ابنُ الأثيري: قال اللغويون: «أزبى» أزيد عددًا.

قال مجاهد: كانوا يُحالفون الحلفاء فيجدون أكثرَ منهم وأعزَّ، فينقضون حلفَ هؤلاءٍ ويُحالفون أولئك، فنهوا عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال الفرّاء: المعنى: لا تغدروا بقومٍ لِقَلَّتِهم وكثرتُكم، أو قَلَّتِكم وكثرتِهم، وقد غرّزتموهم بالآيما<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ في هذه الهاءِ<sup>(٥)</sup> ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ترجعُ إلى الكثرة، قاله سعيدُ بنُ جبير، وابنُ السائب، ومقاتل<sup>(٦)</sup>.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٧).

(٣) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٤-٤٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٨٦)، من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ قال: كانوا يحالفون الحلفاء، فيجدون أكثرَ منهم وأعزَّ، فينقضون حلفَ هؤلاءٍ، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزَّ منهم، فنهوا عن ذلك. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٩) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١١٣).

(٥) في (ر): الآية.

(٦) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٥).

فيكون المعنى: إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمْ اللَّهُ بِالكَثْرَةِ، فَإِذَا كَانَ بَيْنَ قَوْمَيْنِ عَهْدٌ، وَكَثُرَ أَحَدُهُمَا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْسخَ الْعَهْدُ <sup>(١)</sup> الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَقْلَى.

فإن قيل: إذا كُنِيَ عن الكثرة، فهَلَّا قِيلَ بِهَا؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأَثَرِيِّ، بأنَّ الكثرةَ لَيْسَ تَأْنِيثُهَا حَقِيقًا، فَحُمِلَتْ عَلَى مَعْنَى التَّذْكِيرِ، كَمَا حُمِلَتِ الصَّبِيحَةُ عَلَى مَعْنَى الصَّبَاحِ. وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْعَهْدِ، فَإِنَّهُ لِدَلَالَةِ الْإِيمَانِ عَلَيْهِ، يَجْرِي مَجْرَى الْمَظْهَرِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ، ذَكَرَهُ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قد فسرناه في آخرِ هُودٍ [آية: ١١٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ صَرِيحٌ فِي تَكْذِيبِ الْقَدْرِيةِ، حَيْثُ أَصَافَ الْإِضْلَالَ وَالْهُدَايَةَ إِلَيْهِ، وَعَلَّقَهُمَا بِمَشِئَتِهِ.

﴿وَلَا تَنَحَّضُوا أَنْعَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) [النحل: ٩٤ - ٩٦].

(١) ليست في (ر).





قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَجِدُوا أَيْمَنَكُمْ دَخَلَ بَيْنَكُمْ﴾ هَذَا اسْتِثْنَاءٌ  
لِلنَّهْيِ عَنْ أَيْمَانِ الْحَدِيثَةِ.

﴿فَنَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هَذَا مَثَلٌ يُقَالُ لِكُلِّ [٤٦٢ / ب]  
مُبْتَلًى بَعْدَ عَافِيَةٍ، أَوْ سَاقِطٍ فِي وَرْطَةٍ بَعْدَ سَلَامَةٍ: زَلْتُ بِهِ قَدَمُهُ <sup>(١)</sup>.  
قَالَ مُقَاتِلٌ: نَاقِضُ الْعَهْدِ يَزُلُّ فِي دِينِهِ كَمَا تَزُلُّ قَدَمُ الرَّجُلِ بَعْدَ  
الِاسْتِقَامَةِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَهَذَا نَهْيٌ لِلَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ  
وَنَصْرَةِ الدِّينِ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَذُقُوا السَّوَاءَ﴾  
يَعْنِي: الْعُقُوبَةَ ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يُرِيدُ أَنَّهُمْ إِذَا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ  
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، صَدَّوْا النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ.  
وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يَعْنِي: فِي الْآخِرَةِ. ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ  
بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَشْرَوْا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ  
اللَّهِ ﷺ فِي أَرْضٍ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: «عِيدَانُ بْنُ أَشُوع» <sup>(٣)</sup> وَهُوَ صَاحِبُ الْأَرْضِ،

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٦٧).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٤٨٥).

(٣) عيدان بن أشوع - ع - هو ربيعة بن عيدان بن ذي العرف بن وائل الكندي، ويقال:  
الحضرمي، شهد فتح مصر، وله صحبة، وهو الذي تخاصم مع امرئ القيس في أرض  
إلى النبي - ع -. انظر: أسد الغابة (٢ / ٢٦٦)، والإصابة (٣ / ٥١).

وللآخر: «امرؤ القيس»<sup>(١)</sup> وهو المدعى عليه، فهم امرؤ القيس أن يحلف، فأخبره رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية<sup>(٢)</sup>.

وذكر أبو بكر الخطيب أن اسم صاحب الأرض «ربيعه بن عبدان»<sup>(٣)</sup>، وقيل: «عبدان» بفتح العين وياء معجمة باثنتين.

ومعنى الآية: لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عرضاً يسيراً من الدنيا، إن ما عند الله من الثواب على الوفاء هو خير لكم من العاجل.

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ﴾؛ أي: يفنى ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الآخرة ﴿بَاقٍ﴾ وقف بالياء ابن كثير في رواية عنه، ولا خلاف في حذفها في الوصل<sup>(٤)</sup>.

﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحزمة، والكسائي: «وَلَيَجْزِيَنَ» بالياء. وقرأ ابن كثير، وعاصم: «وَلَنَجْزِيَنَ» بالنون<sup>(٥)</sup>.

(١) امرؤ القيس بن عابس الكندي - صحابي، وفد إلى النبي - ﷺ - فأسلم وثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد من كندة، وكان شاعراً نزل الكوفة في أواخر عمره، وتوفي بها نحو سنة (٢٥هـ). انظر: الاستيعاب (١/ ١٩٤)، وأسد الغابة (١/ ١٣٧)، والأعلام (١١/ ٢).

(٢) أخرج القصة الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٣٣)، عن الأشعث، وذكرها السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٢٤٩)، الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٨٨)، وانظر: تنوير المقباس (ص: ٢٩٢)، والعجاب في بيان أسباب النزول (١/ ٤٥١).

(٣) الأسماء المهمة في الأنباء المحكمة (٦/ ٤٢٩).

(٤) روي عن قبل، ويعقوب: الوقف بالياء على (باقٍ) و(مفتري). انظر: الغيث؛ للصفاسي (ص: ٢٧٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ١٣٧).

(٥) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨).

ولم يَخْتَلَفُوا فِي ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ أَنَّهَا بِالنُّونِ، وَمَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ:  
وَلَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَىٰ أَمْرِهِ أَجْرَهُمْ <sup>(١)</sup> بِأَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي  
الدُّنْيَا، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [النحل: ٩٧].  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

فِي سَبَبِ نَزُولِهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ أَمْرَ الْقَيْسِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرُهُ أَقْرَبُ بِالْحَقِّ الَّذِي كَانَ هَمُّ أَنْ  
يُحْلِفَ عَلَيْهِ، فَتَرَلَّتْ فِيهِ (هَذِهِ الْآيَةُ) <sup>(٢)</sup>: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾، وَهُوَ  
إِفْرَارُهُ بِالْحَقِّ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّ نَاسًا مِّنْ أَهْلِ التَّوَارَةِ، وَأَهْلِ الْأَنْجِيلِ، وَأَهْلِ الْأَوْثَانِ،  
جَلَسُوا، فَتَفَاضَلُوا، فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾.

اِخْتَلَفُوا أَيْنَ تَكُونُ هَذِهِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا فِي الدُّنْيَا، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(٣)</sup>.

(١) لَيْسَتْ فِي (ر).

(٢) مِنَ الْأَصْلِ فَقَط.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٢٩٠) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ:  
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ يَعْنِي فِي الدُّنْيَا.

ثُمَّ فِيهَا لِلْمُفَسِّرِينَ تِسْعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا الْقَنَاعَةُ، قَالَهُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>، وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةٍ، وَالْحَسَنُ فِي رِوَايَةٍ<sup>(٢)</sup>، وَوَهْبُ بْنُ مُنْبَهٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا الرِّزْقُ الْحَلَالُ، رَوَاهُ أَبُو مَالِكٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الضَّحَّاكُ: يَأْكُلُ حَلَالًا وَيَلْبَسُ حَلَالًا<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهَا السَّعَادَةُ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>. [١/٤٦٣]

وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا الطَّاعَةُ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهَا رِزْقُ يَوْمٍ بِيَوْمٍ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالسَّادِسُ: أَنَّهَا الرِّزْقُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، قَالَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ.

وَالسَّابِعُ: أَنَّهَا حَلَاوَةُ الطَّاعَةِ، قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٩٠) من طريق أبي خزيمة سليمان التمار، عمن ذكره عن علي ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قال: القنوع.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٩٠)، من طريق أبي سعيد، عن الحسن البصري، قال: الحياة الطيبة: القناعة.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٨٩ - ٢٩٠) من طريق إسماعيل بن سميع، عن أبي مالك وأبي الربيع، عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٩٠) من طريق أبي روق، عن الضحاك، في قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قال: يأكل حلالاً ويلبس حلالاً.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٩١) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ قال: السعادة.

والثامن: العافية والكفاية.

والتاسع: الرضا بالقضاء ذكرهما الماوردئي<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنها في الآخرة، قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، وذلك إنما يكون في الجنة.

والثالث: أنها في القبر، رواه أبو غسان عن شريك<sup>(٢)</sup>.

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَكَاتٍ ءَايَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴿ النحل: ٩٨ - ١٠٢. ]

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: فإذا أردت القراءة فاستعِذ، ومثله: ﴿ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقوله: ﴿ إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ [المجادلة: ١٢]، ومثله في الكلام: إذا أكلت فقل: باسم الله، هذا قول عامة العلماء واللغويين.

(١) النكت والعيون (٣/ ٢١٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ١٩٠) عن السدي.

والثاني: أنه على ظاهره، وأن الاستعاذة بعد القراءة، روي عن أبي هريرة<sup>(١)</sup>، وداود.

والثالث: أنه من المقدم والمؤخر، فالمعنى: فإذا استعذت بالله فاقراً، قاله أبو حاتم السجستاني<sup>(٢)</sup>، والأول أصح.

### فصل

والاستعاذة عند القراءة سنة في الصلاة وغيرها.

وفي صفتها عن أحمد روايتان:

إحدهما: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها أبو بكر المروذي.

والثانية: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، إن الله هو السميع العليم، رواها حنبل<sup>(٣)</sup>. وقد بينا معنى «أعوذ» في أول الكتاب.

(١) أخرجه الشافعي في تفسيره (١ / ١٨٥) من طريق إبراهيم بن محمد، عن ربيعة بن عثمان، عن صالح بن أبي صالح: أنه سمع أبا هريرة وهو يؤم الناس رافعاً صوته: «ربنا إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم»، في المكتوبة، «وإذا فرغ من أم القرآن». وهذا الإسناد لا يحتج به، لأن إبراهيم بن محمد هو الأسلمي، وقد أجمع أهل النقل والحديث على ضعفه، ولم يؤثقه سوى الشافعي. قال أبو داود: كان قدرياً رافضياً مابوناً كل بلاء فيه، وصالح بن أبي صالح الكوفي ضعيف واه. انظر: التاريخ الكبير (١ / ٣٢٣) ترجمة (١٠١٣)، والكمال في ضعفاء الرجال (١ / ٣٥٣)، وتاريخ الإسلام (٤ / ٨٠٥)، وميزان الاعتدال (٣ / ٣٠١).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤ / ٥١٧).

(٣) انظر: الشرح الكبير (١ / ٥٢١).



وشرحنا اشتقاق الشيطان في البقرة: [آية: ١٤] والرجيم في آل عمران [آية: ٣٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

في المراد بالسلطان قولان:

أحدهما: أَنَّهُ التَّسْلُطُ.

ثُمَّ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ (مِنْ) <sup>(١)</sup> سُلْطَانٍ بِحَالٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ صَرَفَ سُلْطَانَهُ

عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ <sup>(٢)</sup>: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

[الحجر: ٤٢].

والثاني: لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ؛ لِإِسْتِعَاذَتِهِمْ مِنْهُ.

والثالث: لَيْسَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ لَا يُغْفَرُ.

والثاني: أَنَّهُ الْحُجَّةُ.

فَالْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُ حُجَّةٌ عَلَى مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ مَعْنَاهُ: يُطِيعُونَهُ.

وَفِي هَاءِ الْكِتَابَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ.

(١) من الأصل فقط.

(٢) في (م): لقوله.

والثاني: أنها ترجعُ إلى الشَّيْطَانِ، فالمعنى: وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ أَجْلِهِ مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ، وهذا كما يُقال: صَارَ فُلَانٌ بِكَ عَالِماً؛ أي: مِنْ أَجْلِكَ، هذا قولُ ابنِ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>.

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: المعنى: وَالَّذِينَ هُمْ بِإِشْرَاكِهِمْ إِنْ لَيْسَ فِي الْعِبَادَةِ، مُشْرِكُونَ بِاللَّهِ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [٤٦٣/ب]

سَبَبُ نُزُولِهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ يُنْزِلُ الْآيَةَ، فَيَعْمَلُ بِهَا مُدَّةً، ثُمَّ يَنْسُخُهَا، فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: وَاللَّهِ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا يَسْخَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَأْمُرُهُم الْيَوْمَ بِأَمْرٍ، وَيَأْتِيهِمْ غَدًا بِمَا هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

والمعنى: إِذَا نَسَخْنَا آيَةً بِآيَةٍ، إِمَّا نَسَخَ الْحُكْمَ وَالتَّلَاوَةَ، أَوْ نَسَخَ الْحُكْمَ مَعَ بَقَاءِ التَّلَاوَةِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ﴾ مِنْ نَاسِخٍ وَمُنْسُوخٍ، وَتَشْدِيدٍ وَتَخْفِيفٍ، فَهُوَ عَلِيمٌ بِالْمُضْلِحَةِ فِي ذَلِكَ ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾؛ أي: كَاذِبٌ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ.

والثاني: لَا يَعْلَمُونَ فَائِدَةَ النَّسْخِ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٤٨ - ٢٤٩).

(٢) انظر: البحر المحيط (٦ / ٥٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ١٩٥).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾ يَغْنِي: الْقُرْآنَ ﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾ يَغْنِي: جِبْرِيلَ. وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْإِسْمَ فِي الْبَقَرَةِ [آيَة: ٨٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾؛ أَي: مِنْ كَلَامِهِ ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ أَي: بِالْأَمْرِ الصَّاحِحِ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ فَيَزِدَّادُوا يَقِينًا. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٣ - ١٠٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ يَغْنِي: قُرَيْشًا ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾؛ أَي: آدِمِيٌّ، وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

وَفِي مَن أَرَادُوا بِهَذَا الْبَشَرِ تِسْعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كَانَ لِبْنِي الْمَغِيرَةِ غُلَامٌ يُقَالُ لَهُ «يَعِيشُ» يَقْرَأُ التَّوْرَةَ، فَقَالُوا: مِنْهُ يَتَعَلَّمُ مُحَمَّدٌ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، رَوَاهُ عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

(١) تفسیر الثوري (ص: ١٦٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٩٩)، وأخرجه المستغفري في الصحابة، كما في الإصابة (٦ / ٦٨٩) من طريق وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب، عن عكرمة، قال: كان النبي ﷺ يقرئ غلاماً لبني المغيرة أعجمياً، قال سفيان: أراه يقال له: يعيش، قال: فذلك قوله: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٣١) إلى ابن جرير.

وقال عكرمة في رواية: كَانَ هَذَا الْغُلَامُ لِبْنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ، وَكَانَ رُومِيًّا<sup>(١)</sup>.

والثاني: أَنَّهُ فَتَى كَانَ بِمَكَّةَ يُسَمَّى «بَلْعَامُ» وَكَانَ نَضْرَانِيًّا أَعْجَمِيًّا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُهُ، فَلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ دَخُولَهُ إِلَيْهِ وَخُرُوجَهُ، قَالُوا ذَلِكَ، رُوي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أَنَّهُ نَزَلَتْ فِي كَاتِبٍ كَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيُمْلِي عَلَيْهِ «سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فَيَكْتُبُ هُوَ: «عَزِيزٌ حَكِيمٌ» أَوْ نَحْوَ هَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ ذَلِكَ كَتَبْتَ فَهُوَ كَذَلِكَ»، فَافْتِنَ، وَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَكُلُّ ذَلِكَ إِلَيَّ فَأَكْتُبُ مَا شِئْتُ، رُوي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكره عنه أبو جعفر النحاس في معاني القرآن (٤ / ١٠٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ١٩٧)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٢٩٨ - ٢٩٩) من مسلم بن عبد الله الملائني، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة، وكان أعجمي اللسان، وكان اسمه بلعام، فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ حين يدخل عليه، وحين يخرج من عنده، فقالوا: إنما يعلمه بلعام، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبٍ مُبِينٌ﴾. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥ / ٤٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٣١) إلى ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٠١) من طريق ابن شهاب، قال: أخبرني سعيد بن المسيب: أَنَّ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ، إِنَّمَا افْتِنَ إِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ الْوَحْيَ، فَكَانَ يُمْلِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَمِيعٌ عَلِيمٌ» أَوْ «عَزِيزٌ حَكِيمٌ» وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ خَوَاتِمِ الْآيِ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْوَحْيِ، فَيَسْتَفْهَمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فيقول: أعزیز حَكِيم، أَوْ سَمِيعٌ عَلِيم، أَوْ عَزِيزٌ عَلِيم؟ فيقول رسول الله ﷺ: أَيُّ ذَلِكَ كَتَبْتَ فَهُوَ كَذَلِكَ، فَفْتَنَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَكُلُّ ذَلِكَ إِلَيَّ، فَأَكْتُبُ مَا شِئْتُ، وَهُوَ الَّذِي =

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ غُلَامٌ أُعْجِمِيٌّ لِامْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ: «جَابِرٌ»، وَكَانَ جَابِرٌ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَتَعَلَّمُ مِنْهُ، فَقَالَ الْمَشْرِكُونَ: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ مُحَمَّدٌ مِنْ هَذَا، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهُمْ عَنُوا سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ؛ وَفِيهِ بَعْدُ مِنْ جِهَةٍ أَنَّ سَلْمَانَ أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ، وَهَذِهِ [الآيَةُ] <sup>(١)</sup> مَكِّيَّةٌ.

وَالسَّادِسُ: أَنَّهُمْ عَنُوا [بِهِ] <sup>(٢)</sup> رَجُلًا حَدَّادًا كَانَ يُقَالُ لَهُ: «يُوحَنَسُ» النَّصْرَانِيَّ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالسَّابِعُ: أَنَّهُمْ عَنُوا [بِهِ] <sup>(٣)</sup> غُلَامًا لِعَامِرِ بْنِ الْحَضَرَمِيِّ، وَكَانَ يَهُودِيًّا أُعْجِمِيًّا، وَاسْمُهُ: «يَسَارٌ»، وَيُكْنَى: «أَبَا فَكِيهَةَ» قَالَهُ مُقَاتِلٌ <sup>(٤)</sup>. وَقَدْ رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ نَحْوُ هَذَا، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا.

وَالثَّامِنُ: أَنَّهُمْ عَنُوا غُلَامًا أُعْجِمِيًّا اسْمُهُ: «عَائِشُ» وَكَانَ مَمْلُوكًا لِحُوَيْطَبٍ، وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ <sup>(٥)</sup>، وَالزَّجَّاجُ <sup>(٦)</sup>.

[٤٦٤/أ]

= ذَكَرَ فِي سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ مِنَ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ. وَعَزَاهُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ

(٤/ ١٣١) إِلَى ابْنِ جُرَيْرٍ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ.

(١) مِنْ (ر).

(٢) مِنْ (ر).

(٣) مِنْ (ر).

(٤) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٤٨٧).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢/ ١١٣).

(٦) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ٢١٩).

وَالثَّاسِعُ: أَتَاهَا رَجُلَانِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ الْحَضْرَمِيُّ: كَانَ لَنَا عَبْدَانِ مِنَ أَهْلِ عَيْنِ التَّمْرِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: «يَسَارٌ» وَلِلْآخَرِ «جَبْرٌ» وَكَانَا يَصْنَعَانِ السُّيُوفَ بِمَكَّةَ، وَيَقْرَأَنِ الْإِنْجِيلَ، فَرَبَّمَا مَرَّ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَهُمَا يَقْرَأَنِ فَيَقِفُ يَسْتَمِعُ، فَقَالَ الْمَشْرُكُونَ: إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ مِنْهُمَا<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ؛ يَكُونُ الْبَشَرُ وَاقِعًا عَلَى اثْنَيْنِ، وَالْبَشَرُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، يُعَبَّرُ عَنْ اثْنَيْنِ، كَمَا يُعَبَّرُ «أَحَدٌ» عَنِ الْاِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَسَاثُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ: «يُلْحَدُونَ» بِضَمِّ الْيَاءِ وَكسْرِ الْحَاءِ، وَقَرَأَ حَمْزُهُ، وَالْكِسَائِيُّ: «يَلْحَدُونَ» بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْحَاءِ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا الْقِرَاءَةُ الْأُولَى: فَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «يُلْحَدُونَ»؛ أَي: يَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَعْلَمُهُ، وَأَصْلُ الْإِلْحَادِ: الْمِيلُ<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: «يُلْحَدُونَ» بِضَمِّ الْيَاءِ: يَغَرُّضُونَ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاكِمْ يَظْلَمِ﴾ [الحج: ٢٥]؛ أَي: بَاغِتِرَاضٍ، «وَيَلْحَدُونَ» بِفَتْحِ الْيَاءِ: يَمِيلُونَ<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٠٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١ / ٢٩١) (١٣٦).

(٢) في (ر)، و(س)، و(م): والجميع.

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٥)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٨)، وإتحاف فضلاء البشر؛ للدمياطي (ص: ٢٨٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) معاني القرآن (٢ / ١١٣)، ولغات القرآن (ص: ٧٠).

وقال الزَّجَّاج: يلحدون إليه؛ أي: يميلون القول فيه<sup>(١)</sup> أنه أعجمي<sup>(٢)</sup>.

قال ابن قتيبة: لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي، والأعجمي: الذي لا يفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً؛ والأعرابي: هو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ﴾ يعني: القرآن ﴿عَرَبِيٌّ﴾ قال الزَّجَّاج: أي: أن صاحبه يتكلم بالعربية<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ أي: الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله، كذبوا بها<sup>(٥)</sup>، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾؛ أي: أن الكذب نعت لازم لهم، وعادة من عاداتهم، وهذا رد عليهم إذ قالوا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١]، وهذه الآية من أبلغ الزجر عن الكذب؛ لأنه خص به من لا يؤمن.

(١) في (س): إليه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢١٩).

(٣) أدب الكاتب (ص: ٣٩ - ٤٠).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٠).

(٥) في (س): كذبوها.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فِتْنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ \* يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴿النحل: ١٠٦ - ١١١﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾.

قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ الْقُرَشِيِّ، وَمَقِيسِ ابْنِ صُبَابَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ بْنِ خَطْلٍ، وَطُعْمَةَ بْنِ أَبِي رِقٍ، وَقَيْسِ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَقَيْسِ بْنِ الْفَاكِهِ الْمَخْزُومِيِّ<sup>(١)</sup>.

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ فَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ نَزَلَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ نَزَلَ فِي عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، أَخَذَهُ الْمَشْرِكُونَ فَعَذَّبُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ، رَوَاهُ مُجَاهِدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٨).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٠٤) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ قال: ذُكِرَ لَنَا أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَمْرِ ابْنِ يَاسِرٍ، أَخَذَهُ بَنُو الْمَغِيرَةِ فَعَطَوْهُ فِي بَشَرٍ مِيمُونَ وَقَالُوا: أَكْفَرُ بِمُحَمَّدٍ، فَتَابَعَهُمْ عَلَى =

والثاني: أنه لما نزل قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ﴾...

إلى آخر الآيتين اللتين في سورة النساء [آية: ٩٦ - ٩٧] كتب بها المسلمون [٤٦٤/ب] الذين بالمدينة إلى من كان بمكة، فخرج ناس ممن أقر بالإسلام، فاتبعهم المشركون، فأذركوهم، فأكروهم<sup>(١)</sup> حتى أعطوا الفتنة، فنزل قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أنه نزل في عياش بن أبي ربيعة، كان قد هاجر فحلفت أمه ألا تستظل ولا تشبع من طعام حتى يرجع، فرجع إليها، فأكرهه المشركون حتى أعطاهم بعض ما يريدون، قاله ابن سيرين.

= ذلك وقلبه كاره، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾: أي من أتى الكفر على اختيار واستحباب، ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(١) ليست في (ر)، و(س).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٠٦ - ٣٠٧) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ قال ناس من أهل مكة آمنوا، فكتب إليهم بعض أصحاب النبي ﷺ بالمدينة، أن هاجروا، فإننا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنواهم وكفروا مكرهين، ففهم نزلت هذه الآية. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥ / ٤٦)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٣٢) إلى ابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

والرَّابِع: أَنَّهُ نَزَلَ فِي جَبْرِ، غُلَامِ ابْنِ الْحَضَرَمِيِّ، كَانَ يَهُودِيًّا فَأُسْلِمَ، فَضَرَبَهُ سَيِّدُهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ فَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمُ النَّفَرِ الْمَسْمُونِ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ<sup>(٢)</sup>.

فَأَمَّا التَّفْسِيرُ: فَاخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ﴾ فَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: جَوَابُهُمَا جَمِيعًا فِي قَوْلِهِ: ﴿فَعَلَيْتِهِمْ غَضَبٌ﴾، وَقَالَ الْبَصَرِيُّونَ: بَلْ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ مَرْفُوعٌ بِالرَّدِّ عَلَى ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ مَحذُوفًا، لَوْضُوحِ مَعْنَاهُ، تَقْدِيرُهُ: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، فَاللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبَانُ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾؛ أَي: سَاكِنٌ إِلَيْهِ رَاضٍ بِهِ. ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: مَنْ أَتَاهُ بِإِثَارٍ وَاخْتِيَارٍ<sup>(٤)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَنْ فَتَحَ لَهُ صَدْرُهُ بِالْقَبُولِ<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) البيان في غريب إعراب القرآن (٢/ ٨٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٠٤) بلفظ: من أتى الكفر على اختيار واستحباب.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).



وقال أبو عبيدة: المعنى: مَنْ تابَعْتُهُ نَفْسُهُ، وَانْبَسَطَ إِلَى ذَلِكَ، يُقَالُ: مَا يَنْشَرُحُ صَدْرِي بِذَلِكَ؛ أَي: مَا يَطِيبُ، وَجَاءَ قَوْلُهُ: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ عَلَى مَعْنَى الْجَمِيعِ؛ لِأَنَّ «مَنْ» تَقَعُ عَلَى الْجَمِيعِ<sup>(١)</sup>.

### فَصْلٌ

الإكراهُ عَلَى كَلِمَةِ الْكُفْرِ يُبِيحُ النَّطْقَ بِهَا.

وَفِي الْإِكْرَاهِ الْمُبِيحِ لِذَلِكَ عَنْ أَحْمَدَ وَابْتَانِ<sup>(٢)</sup>:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى بَعْضِ أَعْضَائِهِ التَّلَفَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أُمِرَ بِهِ.

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ التَّخْوِيفَ لَا يَكُونُ إِكْرَاهًا حَتَّى يَنَالَ بِعَذَابٍ، وَإِذَا ثَبَتَ جَوَازُ «التَّقِيَّةِ» فَلَا فَضْلَ أَلَّا يَفْعَلَ، نَصَّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، فِي أَسِيرِ خَيْرٍ بَيْنَ الْقَتْلِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، فَقَالَ: إِنْ صَبَرَ عَلَى الْقَتْلِ فَلَهُ الشَّرَفُ، وَإِنْ لَمْ يَصْبِرْ، فَلَهُ الرُّخْصَةُ، فَظَاهِرُ هَذَا الْجَوَازُ.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٨).

(٢) فِي الْمَعْنَى ١٢ / ٢٩٢ - ٢٩٤: مَنْ أَكْرَهَ عَلَى الْكُفْرِ، فَأَتَى بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ لَمْ يَصِرْ كَافِرًا وَهَذَا قَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ. وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَفَى لَأَمْتِي عَنِ الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ». وَلِأَنَّهُ قَوْلُ أَكْرَهَ عَلَيْهِ بَغِيرُ حَقٍّ فَلَمْ يَثْبِتْ حُكْمَهُ. لَكِنْ مِنَ الْأَفْضَلِ لَهُ أَنْ يَصْبِرَ وَلَا يَقُولَهَا وَإِنْ أَتَى ذَلِكَ عَلَى نَفْسِهِ لِمَا رَوَى خُبَابٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ قَبْلِكُمْ لِيَحْفَرَ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيَجْعَلُ فِيهَا، فَيَجَاءُ بِمَنْشَارٍ، فَيَوْضِعُ عَلَى شِقِّ رَأْسِهِ، وَيَشَقُّ بَاثْنَيْنِ، مَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيَمْشِطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ».

وَرَوَى عَنْهُ الْأَثَرُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ التَّقِيَةِ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ، فَقَالَ: إِنَّمَا التَّقِيَةُ فِي الْقَوْلِ. فظَاهِرُ هَذَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

فَأَمَّا إِذَا أَكْرَهَ عَلَى الزَّنا؛ لَمْ يَجُزْ لَهُ الْفِعْلُ، وَلَمْ يَصِحَّ إِكْرَاهُهُ، نَصٌّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ.

فَإِنْ أَكْرَهَ عَلَى الطَّلَاقِ؛ لَمْ يَقَعْ طَلَاقُهُ، نَصٌّ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، وَهُوَ قَوْلُ مَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يَقَعْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فِي الْمَشَارِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْغَضَبُ وَالْعَذَابُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ شَرْحُ الصَّدْرِ لِلْكُفْرِ. [٤٦٥/أ]

«وَاسْتَحَبُّوا» بِمَعْنَى: أَحَبُّوا الدُّنْيَا وَاخْتَارُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ﴾ أَي: وَبِأَنَّ اللَّهَ لَا يُرِيدُ هِدَايَتَهُمْ.

وَمَا بَعْدَ هَذَا قَدْ سَبَقَ شَرْحُهُ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ﴾

فَفِيهِ قَوْلَانِ:

(١) قَالَ الطُّوْفِيُّ فِي شَرْحِ الْمَخْتَصَرِ (١/ ٤٦٥) الْعَجَبُ مِنْ أَصْحَابِنَا يَرْجَحُونَ الْأَخْذَ بِالرَّخْصَةِ فِي الْفَطْرِ وَقَصْرِ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ مَعَ يَسَارَةِ الْخُطْبِ فِيهِمَا وَيَرْجَحُونَ الْعَزِيمَةَ فِيهَا بِأَنَّهُ عَلَى النَّفْسِ كَالْإِكْرَاهِ عَلَى الْكُفْرِ وَشَرْبِ الْخَمْرِ، فَإِذَا أَنْ يَرْجَحُوا الرِّخْصَةَ مَطْلَقًا أَوْ الْعَزِيمَةَ مَطْلَقًا، أَمَّا الْفَرْقُ فَمَا يَظْهَرُ لَهُ كَبِيرَةٌ فَائِدَةٌ أَه. وَانْظُرِ الْقَوَاعِدَ وَالْفَوَائِدَ الْأَصُولِيَّةَ (ص: ٤٩-١١٨)، وَالْمَغْنِي (٨/ ١٤٥-١٤٧).

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٤٨٩).

أحدهما: الغافلون عما يُراد بهم، قاله ابن عباس.

والثاني: عن الآخرة، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ﴾ قد شرحناها في هود.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنِّي بَعْدَ مَا قُتِلُوا﴾  
اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت فيمن كان يُفتن بمكة من أصحاب رسول الله ﷺ،  
رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: أن قوما من المسلمين خرجوا للهجرة، فلحقهم المشركون  
فأعطوهم الفتنة، فنزل فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ  
جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]، فكتب المسلمون إليهم بذلك،  
فخرجوا، وأدركهم المشركون فقاتلوهم حتى نجا من نجا وقتل من  
قتل، فنزلت فيهم هذه الآية، رواه عكرمة عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٠٧) من طريق عمرو بن دينار، عن عكرمة،  
عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا، وكانوا يستخفون بالإسلام،  
فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم، وقتل بعض، فقال المسلمون:  
كان أصحابنا هؤلاء مسلمين، وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفِتْنَةَ  
ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ﴾... إلى آخر الآية؛ قال: وكتب إلى من بقي بمكة من المسلمين هذه  
الآية لا عذر لهم، قال: فخرجوا فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه  
الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾... إلى  
آخر الآية، فكتب المسلمون إليهم بذلك، فخرجوا وأيسوا من كل خير، ثم نزلت =

والثالث: أنها نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان الشيطان قد أزلّه حتّى لحق بالكفار، فأمر به رسول الله ﷺ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله ﷺ، وهذا مزوي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وفيه بُعد؛ لأنّ هذا المشار إليه وإن كان قد عاد إلى الإسلام، فإن الهجرة انقطعت بالفتح.

والرابع: أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة، وأبي جندل بن سهيل بن عمرو، وعبد الله بن أسيد الثقفي، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

فأما قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا فُتِنُوا﴾ فقرأ الأكثرون: «فُتِنُوا» بضمّ الفاء وكسر التاء، على معنى: من بعد ما فتنهم المشركون عن دينهم. قال ابن عباس: فُتِنُوا بمعنَى: عُدُّوا<sup>(٢)</sup>.

وقرأ عبد الله بن عامر: «فُتِنُوا» بفتح الفاء والتاء<sup>(٣)</sup>، على معنى: من بعد ما فتنوا الناس عن دين الله، يُشير إلى مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ. وقال أبو علي: من بعد ما فتنوا أنفسهم بإظهار ما أظهرُوا لِلتَّقِيَّةِ؛ لأنَّ الرُّخْصَةَ لم تكن نزلت بعد<sup>(٤)</sup>.

=فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثَمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فكتبوا إليهم بذلك: إن الله قد جعل لكم مخرجاً، فخرجوا، فأدركهم المشركون فقاتلوهم، ثم نجا من نجا، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) تنوير المقباس (ص: ٢٣١).

(٣) قراءتان سبعيتان. انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ٧٩).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَاهِدُوا﴾؛ أي: قاتلوا مع رسول الله ﷺ ﴿وَصَبَرُوا﴾ على الدين والجهاد.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ في المكني عنها أربعة أقوال:

أحدها: الفتنه، وهو مذهب مقاتل<sup>(١)</sup>.

والثاني: الفعله التي فعلوها، قاله الزجاج<sup>(٢)</sup>.

والثالث: المجاهدة، والمهاجرة، والصبر.

والرابع: المهاجرة، ذكرهما واللذين قبلهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾

قال الزجاج: هو منصوب على أحد شيئين: إمّا على معنى: إن

ربك لغفور يوم تأتي، وإمّا على معنى: اذكر يوم تأتي<sup>(٣)</sup>. [٤٦٥/ب]

ومعنى ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾؛ أي: عنها. والمراد: أن كل إنسان يجادل

عن نفسه.

وقد روي عن عمر بن الخطاب ؓ أنه قال لكعب الأخبار: يا

كعب! خوفنا، فقال: إن لجهنم زفرة ما يبقى ملك مقرب، ولا نبي

مرسل إلا وقع جائئاً على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل الرحمن ليدي

بالخلة فيقول: «يارب! أنا خليلك إبراهيم لا أسألك إلا نفسي»، وإن

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٨٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢١).

تُضَدِّقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾<sup>(١)</sup>، وقد شرحنا معنى «الجدال» في هود [آية: ٣٢].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (النحل: ١١٢).

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ في هذه القرية قولان: أحدهما: أنها مكة، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح.

والثاني: أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخُبْزِ، فبعث الله عليهم الجوع حتى كانوا يأكلون ما يقعدون، قاله الحسن.

فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المدينة، فذلك على سبيل التَّمْثِيلِ، لا على وجه التَّفْسِيرِ.

وبيانه: ما روى سُلَيْمُ بْنُ عَتَرَ<sup>(٢)</sup>، قال: صدرنا من الحج مع حفصة،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٣ / ١٥٤ - ١٥٥)، وأحمد في الزهد (ص: ١٥١)، وأبو نعيم في الحلية (٥ / ٣٦٨ - ٣٦٩) بنحوه.

(٢) سليم بن عتر بن سلمة بن مالك بن عتر ابن وهب بن عوف بن معاوية بن الحارث بن أيدعان بن سعد بن نجيب أبو سلمة التَّجِيبِي المصري، قاضي مصر، كان يسمى الناسك لشدة عبادته، شهد خطبة عمر بالجالية. وروى عن عمر، وعلي بن أبي طالب، وأبي الدرداء، وحفصة أم المؤمنين، وأم الدرداء. توفي سنة (٨٠ هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٢ / ٨١٦).

وَعُثْمَانُ مُحْصُورٌ بِالْمَدِينَةِ، فَرَأَتْ رَاكِبَيْنِ فَسَأَلَتْهُمَا عَنْهُ، فَقَالَا: قُتِلَ، فَقَالَتْ:  
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لِلْقَرِيبَةِ، تَعْنِي: الْمَدِينَةَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ:  
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً﴾، تَعْنِي حَفْصَةَ: أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى  
قَانُونِ الْإِسْتِقَامَةِ فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ﴿فَكَفَرَتْ  
يَا نَعْمَ اللَّهُ﴾ عِنْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وَمَعْنَى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾؛ أَي: ذَاتَ أَمْنٍ يَأْمَنُ فِيهَا أَهْلُهَا أَنْ يَغَارَ  
عَلَيْهِمْ، ﴿مُطْمَئِنَّةٌ﴾؛ أَي: سَاكِئَةٌ بِأَهْلِهَا لَا يَخْتَاْجُونَ إِلَى الْإِنْتِقَالِ عَنْهَا  
لِخَوْفٍ أَوْ ضَيْقٍ.

وقد شرَحْنَا مَعْنَى الرَّغْدِ فِي الْبَقَرَةِ [آيَة: ٣٥ - ٥٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ أَي: يُجْلِبُ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ بَلَدٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ  
بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَكَفَرَتْ يَا نَعْمَ اللَّهُ﴾ بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ  
اللَّهِ ﷺ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٣١٠)، مِنْ طَرِيقِ نَافِعِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: ثَنِي عَبْدِ  
الرَّحْمَنِ بْنِ شَرِيحٍ، أَنَّ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنَ الْحَارِثِ الْحَضْرَمِيَّ، حَدَّثَ أَنَّهُ سَمِعَ مِشْرَحَ بْنَ  
عَاهَانَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ سَلِيمَ بْنَ نَمِيرٍ يَقُولُ: صَدَرْنَا مِنَ الْحَجِّ مَعَ حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ  
ﷺ، وَعُثْمَانُ مُحْصُورٌ بِالْمَدِينَةِ، فَكَانَتْ تَسْأَلُ عَنْهُ مَا فَعَلَ، حَتَّى رَأَتْ رَاكِبَيْنِ، فَأَرْسَلَتْ  
إِلَيْهِمَا تَسْأَلُهُمَا، فَقَالَا قُتِلَ فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا الْقَرِيبَةُ، تَعْنِي الْمَدِينَةَ  
الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ  
كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ يَا نَعْمَ اللَّهُ﴾ قَرَأَهَا، قَالَ أَبُو شَرِيحٍ: وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَغِيرَةِ  
عَمَّنْ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّهَا الْمَدِينَةُ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَكَفَرَتْ يَا نَعْمَ اللَّهُ﴾ يَقُولُ: فَكَفَرَ  
أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ بِأَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي أَنْعَمَ عَلَيْهَا.

وفي واحدٍ الأنعم قولان:

أحدهما: أَنَّ واحِدها «نُعم» قاله أبو عبيدة<sup>(١)</sup>، وابنُ قتيبة<sup>(٢)</sup>.

والثاني: «نعمّة» قاله الزجاج<sup>(٣)</sup>.

قال ابنُ قتيبة: ليس قولُ مَنْ قال: هو جمعُ «نعمّة» بشيء؛ لأنَّ «فِعْلَةً» لا تجمعُ على «أفْعَل» وإنَّما هو جمعُ «نُعم» يُقال: يومُ نُعم، ويومُ بُؤس، ويجمعُ «أنعمًا» و«أبؤسًا»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإَذِقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾.

وروى عبيدُ بنُ عَقيّل<sup>(٥)</sup>، وعبدُ الوارث عن أبي عمرو: «والخوف» بنصبِ الفاء<sup>(٦)</sup>.

وأصلُ الذَّوقِ إنَّما هو بالفَمِّ، وهذا استعارةٌ منه، وقد شرحنا هذا المعنى في آلِ عمرَانَ [آية: ١٠٦ - ١٨٥].

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٦٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

(٥) ابن عقيّل بن صبيح، أبو عمرو الهلالي البصري، راو ضابط صدوق، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، روى القراءة عنه خلف بن هشام، مات سنة سبع ومائتين. انظر: غاية النهاية (١/ ٤٩٦).

(٦) قراءة سبعية. انظر: السبعة في القراءات (ص: ٣٧٦)، والحجة للقراء السبعة (٥/ ٨٠).



وَأَنَّمَا ذَكَرَ اللَّبَاسَ هَاهُنَا تَجَوُّزًا، لَمَا يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَثَرِ الْجُوعِ  
وَالْخَوْفِ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلِبَاسُ الْقَوَى﴾ [الأعراف: ٢٦] وَذَلِكَ لَمَا يَظْهَرُ  
عَلَى الْمُتَّقِي مِنْ أَثَرِ التَّقْوَى.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِالْجُوعِ سَبْعَ سِنِينَ حَتَّى أَكَلُوا الْجِيفَ [٤٦٦/أ]  
وَالْعِظَامَ الْمُحْتَرَقَةَ.

فَأَمَّا الْخَوْفُ: فَهُوَ خَوْفُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ سَرَايَاهُ الَّتِي كَانَ  
يَبْعَثُهَا حَوْلَهُمْ. وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَرَجَ عَلَى الْقَرْيَةِ، وَالْمَرَادُ أَهْلُهَا،  
وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ يَعْنِي بِهِ: تَكْذِيبُهُمْ <sup>(١)</sup> لِرَسُولِ اللَّهِ  
ﷺ وَإِخْرَاجَهُمْ إِيَّاهُ وَمَا هُمُّوا بِهِ مِنْ قَتْلِهِ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾  
﴿[النحل: ١١٣]﴾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾  
يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ الْجُوعُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: الْقَتْلُ بِيَدِهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

قَالَ ابْنُ السَّائِبِ: ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ أَي: كَافِرُونَ <sup>(٢)</sup>.

(١) فِي (ر): بِتَكْذِيبِهِمْ.

(٢) تَنْوِيرُ الْمُقْبَاسِ (ص: ٢٣١).

﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ [النحل: ١١٤ - ١١٥].

قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ﴾ فِي الْمَخَاطِبِ بِهَذَا قَوْلَانِ:  
أحدهما: أَنَّهُم الْمُسْلِمُونَ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

والثاني: أَنَّهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ الْمُشْرِكُونَ، لَمَّا اشْتَدَّتْ مَجَاعَتُهُمْ، كَلَّمَ رُؤَسَاؤُهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: إِنْ كُنْتَ عَادَيْتَ الرِّجَالَ، فَمَا بَالُ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ؟ فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلنَّاسِ أَنْ يَحْمِلُوا الطَّعَامَ إِلَيْهِمْ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ<sup>(١)</sup>، وَذَكَرَ نَحْوَهُ الْفَرَّاءُ، وَهَذِهِ الْآيَةُ وَالَّتِي تَلِيهَا مَفْسَرَتَانِ فِي الْبَقَرَةِ [آية: ١٧٢ - ١٧٣].

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (١١٦) [النحل: ١١٦].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ ﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: اللَّامُ فِي «لَمَّا» بِمَعْنَى مِنْ أَجْلِ.

وَتَلْخِصُ الْكَلَامَ: وَلَا تَقُولُوا: هَذِهِ الْمَيْتَةُ حَلَالٌ، وَهَذِهِ الْبَحِيرَةُ حَرَامٌ؛ مِنْ أَجْلِ كَذِبِكُمْ، وَإِقْدَامِكُمْ عَلَى الْوَصْفِ، وَالتَّخَرُّصِ لِمَا لَا أَصْلَ لَهُ، فَجَرَتْ اللَّامُ هَاهُنَا مَجْرَاهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾

[العاديات: ٨]: أي: وإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ حُبِّ الْخَيْرِ، لَبَخِيلٌ «وَمَا» بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ، والكذب: مَنْصُوبٌ بـ «تَصِف».

والتَّلْخِيسُ: لَا تَقُولُوا لَوْ ضَفَّ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ: «الْكَذِبُ»<sup>(١)</sup>، قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ: هُوَ نَعْتُ الْأَلْسِنَةِ، وَهُوَ جَمْعُ كَذُوبٍ.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَالْمَعْنَى: أَنْ تَحْلِيلَكُمْ وَتَحْرِيمَكُمْ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى إِلَّا الْكَذِبَ.

وَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ إِلَى مَا كَانُوا يُحْلِلُونَ وَيُحَرِّمُونَ ﴿لَيَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَنْسِبُونَ ذَلِكَ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ أَمَرَنَا بِهَذَا.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾؛ أَي: مَتَاعُهُمْ بِهَذَا الَّذِي فَعَلُوهُ قَلِيلٌ.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا أَلْسُوءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ [النحل: ١١٨ - ١١٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يَعْنِي بِهِ مَا ذَكَرَ فِي الْأَنْعَامِ: [آيَة: ١٢٦]، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بِتَحْرِيمِنَا مَا حَرَّمَ عَلَيَّهِمْ، ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بِالْبَغْيِ وَالْمَعَاصِي.

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٦)، وتفسير ابن عطية (٣/ ٤٢٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ بِجَهَنَّمَ﴾ قد شرحناه في سورة النساء [آية: ١٧] وشرحناه في البقرة [آية: ١٦٠] التوبة والإصلاح، [٤٦٦/ب] وذكرنا معنى قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾ آنفاً.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٣٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٣١) وَأَتَيْنَتْهُ فِي الذَّنْبِ حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٢) [النحل: ١٢٠ - ١٢٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: هَذَا مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ: فُلَانٌ رَحْمَةٌ، وَفُلَانٌ عَلَامَةٌ، وَنَسَابَةٌ، يَقْصِدُونَ بِهِذَا التَّأْنِيثَ قُضْدَ التَّنَاهِي فِي الْمَعْنَى الَّذِي يَصِفُونَهُ، وَالْعَرَبُ قَدْ تَوَقَّعَ الْأَسْمَاءَ الْمُبْهَمَةَ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَعَلَى الْوَاحِدِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩]، وَإِنَّمَا نَادَاهُ جَبْرِيلُ وَخُذَهُ<sup>(١)</sup>.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي الْمَرَادِ بِالْأُمَّةِ هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْأُمَّةَ: الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالْفَرَاءُ<sup>(٢)</sup>، وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْمُؤْمِنُ وَخُذَهُ فِي زَمَانِهِ، رَوَى هَذَا الْمَعْنَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ.

(١) ذكر قول ابن الأثيري أبو حيان في البحر المحيط (٦ / ٦٠٩).

(٢) معاني القرآن (٢ / ١١٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).

والثالث: أنه الإمام الذي يُقتدى به، قاله قتادة، ومقاتل<sup>(١)</sup>، وأبو عبيدة<sup>(٢)</sup>، وهو في معنى القول الأول.

فأما القانت: فقال ابن مسعود: هو المطيع<sup>(٣)</sup>. وقد شرحنا «القنوت» في البقرة [آية: ١١٦ - ٢٣٨] وكذلك الحنيف [البقرة ١٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَرَبُّكَ﴾

قال الزجاج: أضلها: يكن، وإنما حذفت النون عند سيويه؛ لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنها إنما احتملت الحذف؛ لأنه اجتمع فيها كثرة الاستعمال، وأنها عبارة عن كل ما يمضي من الأفعال وما يستأنف، وأنها قد أشبهت حروف اللين في أنها تكون علامة كما تكون حروف اللين علامة، وأنها غنة تخرج من الأنف، فلذلك احتملت الحذف<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ﴾ انتصب بدلاً من قوله: ﴿أَمَةً قَانِتًا﴾ وقد ذكرنا واحد الأنعم أنفأ، وشرحنا معنى «الإجتباء» في الأنعام [آية: ٨٧].

(١) تفسير مقاتل (٢ / ٤٩٢).

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣٦٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٧٧)، والطبري في تفسيره (١٧ / ٣١٦ - ٢١٧)، من طريق سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود، عن الأمة القانت، قال: الأمة: معلم الخير، والقانت: المطيع لله ورسوله. وأخرجه الطبراني (٩٩٤٤) من طريق شعبة به، ورقم (٩٩٤٦) من طريق شعبة، عن مجالد وبيان أو أحدهما عن الشعبي به.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٢٢).

قَالَ مُقَاتِلٌ: وَالْمَرَادُ بِالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هَاهُنَا: الْإِسْلَامُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ فِيهَا سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الذِّكْرُ الْحَسَنُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: النَّبُوَّةُ، قَالَ الْحَسَنُ.

وَالثَّلَاثُ: لِسَانُ صِدْقٍ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

وَالرَّابِعُ: اجْتِمَاعُ الْمَلَلِ عَلَى وِلَايَتِهِ، فَكُلُّهُمْ يَتَوَلَّوْنَهُ وَيَرْضَوْنَهُ، قَالَ قَتَادَةُ.

وَالْخَامِسُ: أَنَّهَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ مَقْرُونَةٌ بِالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، قَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ.

وَالسَّادِسُ: الْأَوْلَادُ الْأَبْرَارُ عَلَى الْكِبَرِ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ<sup>(٢)</sup>. وَبَاقِي الْآيَةِ مُفَسَّرٌ فِي الْبَقَرَةِ [آيَةِ: ١٣٠].

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ مِلَّتُهُ: دِينُهُ.

وَفِيهَا أَمْرٌ بِاتِّبَاعِهِ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَمْرٌ بِاتِّبَاعِهِ فِي جَمِيعِ مِلَّتِهِ، إِلَّا مَا أَمَرَ بِتَرْكِهِ، وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٢).

(٢) الكشف والبيان (١٦/ ١٥٥).

والثاني: اتِّبَاعُهُ فِي التَّبَرُّؤِ مِنَ الْأَوْثَانِ، والتَّذَيُّنِ بِالْإِسْلَامِ، قَالَه أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبْرِيُّ<sup>(١)</sup>.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى جَوَازِ اتِّبَاعِ الْمُفْضُولِ؛ لِأَنَّ رَسُولَنَا أَفْضَلُ الرُّسُلِ، وَإِنَّمَا أَمْرٌ بِاتِّبَاعِهِ؛ لِسَبْقِهِ إِلَى الْقَوْلِ بِالْحَقِّ.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ أَقِيمَتِ مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ١٢٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾؛ أَي: إِنَّمَا فُرِضَ تَعْظِيمُهُ وَتَحْرِيمُهُ، وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَأَبُو حِنَوَةَ: «إِنَّمَا جَعَلَ» بَفَتْحِ الْجِيمِ وَالْعَيْنِ، «السَّبْتُ» بِنَصْبِ التَّاءِ<sup>(٢)</sup> ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ وَالْهَاءُ تَرْجِعُ إِلَى السَّبْتِ.

[١/٤٦٧]

وَفِي مَعْنَى اخْتِلَافِهِمْ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُمْ: تَفَرَّغُوا لِلَّهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، فَاعْبُدُوهُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَلَا تَعْمَلُوا فِيهِ شَيْئًا مِنْ صَنِيعِكُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: لَا نَبْتَغِي إِلَّا الْيَوْمَ الَّذِي فُرِغَ فِيهِ مِنَ الْخَلْقِ، وَهُوَ يَوْمُ السَّبْتِ، فَجُعِلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَشُدِّدَ عَلَيْهِمْ فِيهِ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير الطبري (١٧ / ٣٢٠).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٨)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٦)، والبحر المحيط (٦ / ٦١٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٢٢٩) عن الكلبي.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: لَمَّا أَمَرَهُمْ مُوسَى يَوْمَ الْجُمُعَةِ، قَالُوا: نَتَفَرَّغُ يَوْمَ السَّبْتِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ فِيهِ شَيْئًا، فَقَالَ: إِنَّمَا أَمَرْتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ أَخْبَارُهُمْ: انْتَهَوْا إِلَى أَمْرِ نَبِيِّكُمْ، فَأَبَوْا، فَذَلِكَ اخْتِلَافُهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مُوسَى حِرْصَهُمْ عَلَى السَّبْتِ، أَمَرَهُمْ بِهِ، فَاسْتَحْلَوْا فِيهِ الْمَعَاصِيَ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَى مُوسَى رَجُلًا يَحْمِلُ قَصَبًا يَوْمَ السَّبْتِ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَعَكَفَتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا<sup>(٢)</sup>.  
وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ»: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُوسَى بِالسَّبْتِ، وَنَسَخَ السَّبْتَ بِالْمَسِيحِ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ بَعْضُهُمْ اسْتَحْلَهُ، وَبَعْضُهُمْ حَرَّمَهُ، قَالَه قَتَادَةُ.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ مَعَ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، وَسَنَذَكُرُ هُنَاكَ السَّبَبَ.

فَأَمَّا السَّبِيلُ: فَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٣).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٠٢) (١٥٢٩٦) من طريق السدي، عن أبي مالك أو سعيد بن جبيرة قال: رأى موسى عليه السلام رجلاً يحمل قصباً يوم السبت، فضرَبَ عُنُقَهُ.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٨٢).

(٤) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٤).



وفي المراد ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها القرآن، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

والثاني: الفقه، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: النبوة، ذكره الزجاج<sup>(٢)</sup>.

وفي ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ قولان:

أحدهما: مواعظ القرآن، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: الأدب الجميل الذي يعرفونه، قاله الضحاك عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وَحَدِّ لَهُمْ﴾ في المشار إليه قولان:

أحدهما: أنهم أهل مكة، قاله أبو صالح.

والثاني: أهل الكتاب، قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: جادلهم بالقرآن.

والثاني: بـ «لا إله إلا الله» روي القولان عن ابن عباس.

والثالث: جادلهم غير فظ ولا غليظ، وألن لهم جانبك، قاله الزجاج<sup>(٤)</sup>.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٢).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٤٩٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٣).

وقال بعض علماء التفسير: وهذا منسوخٌ بآية السيف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ المعنى: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرُك فيهما بما فيه الصلاح.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٦٦) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٦٨﴾ [النحل: ١٢٦ - ١٢٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن رسول الله ﷺ أشرف على حمزة، فرآه صريعاً، فلم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه، فقال: «والله لأمثلن بسبعين منهم»، فنزل جبريل، والنبي ﷺ واقف، بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾... إلى آخرها، فصبر رسول الله ﷺ وكفر عن يمينه، قاله أبو هريرة<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٣ - ١٤)، والبزار في مسنده (٢/ ٣٢٦) كما في كشف الأستار، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٦١٤) من طريق عمرو بن عاصم، والبيهقي في الدلائل (٣/ ٢٨٨) من طريق عبد العزيز بن السري، و(٢/ ٢٨٩) من طريق حجاج بن المنهال، كلهم عن صالح المري به. قال ابن كثير: هذا إسناد فيه ضعيف؛ لأنَّ صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري: هو منكر الحديث. والآجري في الشريعة (٥/ ٢٢٤٣) رقم (١٧٢٥) من طريق بشر بن الوليد عن صالح المري، والبيهقي في الشعب (١٢/ ١٨٥) رقم (٩٢٥٣) من طريق الهيثم بن جميل عن صالح المري.

وقال ابن عباس: رأى رسول الله ﷺ حمزة قد شقَّ بطنه، وجُدعت [٤٦٧/ب] أذناه، فقال: «لَوْ لَا أَنْ تَحْزَنَ النِّسَاءُ، أَوْ تَكُونَ سُنَّةً بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ السَّبَاعِ وَالطَّيْرِ، وَلَا أَقْتُلَنَّ مَكَانَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ»، فنزل قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾... إلى قوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

= وأخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٥٦ - ١٥٧) رقم (٢٩٣٦) من طريق خالد بن خدّاش، وسعيد بن سليمان، والحاكم في المستدرک (٣/ ١٩٧) من طريق خالد بن خدّاش، كلاهما عن صالح المري به. وسكت عنه الحاكم، وقال الذهبي: صالح واه، سمعه منه خالد بن خدّاش، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١١٩)، وقال: رواه الطبراني والبخاري، وفيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٩) وعزاه إلى ابن سعد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل.

(١) أخرجه الدارقطني (٤/ ١١٨)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٤٠ - ٢٤١) عن البغوي به. وقال الدارقطني: لم يروه غير إسماعيل بن عياش، وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين. وأسند العقيلي عن الإمام أحمد قوله: هذا من حديث الحسن بن عمار، ليس هذا من حديث ابن أبي غنية، هو أتقى لله من أن يحدث مثل هذا. وقال في نصب الرأية (٢/ ٣١١): قد ورد مصرحاً فيه بالحسن بن عمار، كما رواه الإمام أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي في سننه عن الحسن بن عمار، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس... والحسن بن عمار متروك.

وأخرجه الطبراني في معجمه (١١٠٥١)، والبيهقي في سننه (٤/ ١٢) بإسناد آخر عن يزيد بن أبي يزيد، عن مقسم ومجاهد، عن ابن عباس بنحوه. ورواه ابن ماجه في سننه (١٥١٣) بهذا الإسناد. قال ابن الجوزي في التحقيق: ويزيد بن أبي زياد منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث، وتعقبه صاحب التنقيح: بأن ما حكاه عن البخاري والنسائي إنما هو في يزيد بن زياد، وأمّا راوي هذا الحديث، فهو الكوفي، ولا يقال فيه: ابن زياد، وإنما هو ابن أبي زياد، وهو مما يُكتب حديثه على لینه، وقد روى =

وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ يَوْمَئِذٍ: «لِئِنْ ظَفَرْتُ بِقَاتِلِ حُمْزَةٍ لَأُمَثِّلَنَّ بِهِ مُثْلَةً تَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ» وَكَانَتْ هِنْدُ وَآخَرُونَ مَعَهَا قَدْ مَثَّلُوا بِهِ، فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ أُصِيبَ مِنَ الْأَنْصَارِ يَوْمَ أُحُدٍ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ، وَمِنَ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ مِنْهُمْ حُمْزَةٌ، وَمَثَّلُوا بِقَتْلَاهُمْ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: لِئِنْ أَصَبْنَا مِنْهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، لَنَزِيدَنَّ عَلَى عَدَّتِهِمْ مَرَّتَيْنِ، فَتَرَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه أَبِي بَنْ كَعْبٍ<sup>(٢)</sup>.

= له مسلم مقروناً بغيره، وروى له أصحاب السنن، وقال أبو داود: لا أعلم أحداً ترك حديثه، وقد جعلهما -يعني ابن الجوزي- في كتابه الذي في الضعفاء واحداً وهو وهم. انظر: نصب الرابة؛ للزيلعي (٢/ ٣١٠).

(١) عزاه المصنف للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وأخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وأحمد (٥/ ١٣٥)، والحاكم (٢/ ٣٥٩-٣٥٨)، والنسائي في التفسير (٢٩٩)، وابن حبان (٤٨٧)، من حديث أبي بن كعب، وإسناده حسن لأجل الربيع بن أنس، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، وله شاهد مرسل، أخرجه الطبري (٢١٩٩٦) و(٢١٩٩٧) عن الشعبي مرسلًا، وله شاهد من مرسل عطاء بن يسار، أخرجه الطبري (٢١٩٩٨)، وآخر من مرسل قتادة برقم (٢١٩٩٩)، وآخر من مرسل ابن جريح برقم (٢٢٠٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٤٥) (١١٢١٥)، وأخرجه ابن حبان، (٢/ ٢٣٩) (٤٨٧)، وصححه الحاكم في المستدرک (٢/ ٣٥٩-٤٤٦)، ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير (٣/ ١٥٣) (٢٩٣٨)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد المسند (٢١٢٣٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٧٨) إلى النسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل. وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية وقال في الفتح (٧/ ٣٧٢): «وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً».

وَرَوَى أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: لَيْسَ أَمُكُنَّا اللَّهُ مِنْهُمْ، لَنُمَثِّلَنَّ بِالْأَحْيَاءِ<sup>(١)</sup> فَضْلًا عَنِ الْأَمْوَاتِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ. يَقُولُ: إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ، فَمَثِّلُوا بِالْأَمْوَاتِ، كَمَا مَثَّلُوا بِأَمْوَاتِكُمْ.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَإِنَّمَا سَمِيَ فَعَلَ الْمُشْرِكِينَ مُعَاقِبَةً وَهُمْ ابْتَدَوْا بِالْمَثَلَةِ، لِيَزْدُوجَ اللَّفْظَانِ، فَيُخَفَّ عَلَى اللِّسَانِ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

### فَضْلٌ

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ، هَلْ هَذِهِ الْآيَةُ مَنْسُوخَةٌ، أَمْ لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمَا نَزَلَتْ قَبْلَ {بِرَاءة} فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقَاتَلَ مَنْ قَاتَلَهُ، وَلَا يُبْدَأَ بِالْقِتَالِ، ثُمَّ نُسَخَ ذَلِكَ، وَأُمِرَ بِالْجِهَادِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ. فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى: ﴿وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ﴾ عَنِ الْقِتَالِ، ثُمَّ نُسَخَ هَذَا بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وَالثَّانِي: أَنَّهُمَا مُحْكَمَةٌ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ فَيَمَنْ ظَلِمَ ظُلْمًا، فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَنَالَ مِنْ ظَالِمِهِ أَكْثَرَ مِمَّا نَالَ الظَّالِمُ مِنْهُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَالثَّوْرِيُّ.

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى: وَلَيْنَ صَبَرْتُمْ عَنِ الْمَثَلَةِ، لَا عَنِ الْقِتَالِ.

(١) فِي (س.): بِالْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾؛ أَي: بتوفيقه ومعاونته. وهذا أمرٌ بالعزيمة.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ قولان:

أحدهما على كفار مكة إن لم يُسلموا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ولا تحزن على قتل أحد، فإنهم أفضوا إلى رحمة الله، ذكره علي بن أحمد النيسابوري<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلُكْ فِي ضَيْقٍ﴾.

قرأ الأكثرون بنصب الضاد، وقرأ ابن كثير: «في ضيق» بكسر الضاد هاهنا<sup>(٢)</sup>، وفي النمل: [آية: ٧٠].

قال الفراء: الضيق بفتح الضاد: ما ضاق عنه صدرُك، والضيق: ما يكون في الذي يضيق ويتسع؛ مثل: الدار والثوب وأشباه ذلك<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن قتيبة: الضيق: تخفيف ضيق؛ مثل: هين ولين، وهو إذا كان على هذا التأويل: صفة كآته قال: لَا تَلُكْ فِي أَمْرٍ ضَيِّقٍ مِنْ مَكْرِهِمْ.

قال: ويقال: مكانٌ ضَيِّقٌ وضَيِّقٌ، بمعنى واحد؛ كما يقال: رَطْلٌ ورَطْلٌ، وهذا أعجب إلي<sup>(٤)</sup>.

(١) التفسير البسيط (١٣ / ٢٣٦).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٣) معاني القرآن (٢ / ١١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٩).



فَأَمَّا مَكْرَهُمُ الْمَذْكُورَ هَاهُنَا؛ فَقَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هُوَ  
فَعْلُهُمْ وَعَمَلُهُمْ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ، وَأَحْسَنُوا فِيمَا  
أَمَرَهُمْ بِهِ، بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٣).







## سُورَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

### فَصْلٌ فِي نَزُولِهَا

هي مكيّةٌ في قولِ الجماعةِ، إلّا أنّ بعضهم يقول: فيها مدنيٌّ، فرُوي عن ابنِ عباسٍ أنّه قال: هي مكيّةٌ إلّا ثمانِ آياتٍ: من قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾... إلى قوله: ﴿نَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]، وهذا قولُ قتادة.

وقال مقاتلٌ: فيها من المدنيّ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ [الإسراء: ٧٦]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ نَبُنْتَكَ﴾ والتي تليها [الإسراء: ٧٤ - ٧٥]<sup>(٢)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> [الإسراء: ١].

قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ﴾ رُوي عن النبي ﷺ أنّه سُئِلَ عن تفسير: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، فقال: «تَنْزِيَهُ لِلَّهِ عَنْ كُلِّ سُوءٍ»<sup>(٣)</sup>، وقد ذكرنا هذا المعنى في البقرة [آية: ٣٢].

(١) في الأصل، و(ر): بصيرًا، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥١٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٣) عن موسى بن طلحة مرفوعًا، والطبراني في الدعاء (١٧٥١)، والحاكم في المستدرک (١/ ٦٨٠) (١٨٤٨)، والخطيب البغدادي في الكفاية في=

قَالَ الرَّجَّاجُ: وَأَسْرَى: بِمَعْنَى: سَيَّرَ عَبْدَهُ، يُقَالُ: أَسْرَيْتُ وَسَرَيْتُ؛ إِذَا سَرَّتَ لَيْلًا، وَقَدْ جَاءَتِ اللَّغَتَانِ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَيْلِ إِذَا بَرَّ﴾ [الفجر: ٤] (١).

وَفِي مَعْنَى التَّسْبِيحِ هَاهُنَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْعَرَبَ تُسَبِّحُ عِنْدَ الْأَمْرِ الْمَعْجَبِ، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَجَبَ الْعِبَادَ مِمَّا أَسَدَى (٢) إِلَى رَسُولِهِ مِنَ النِّعْمَةِ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ خَرَجَ مَخْرَجَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا حَدَّثَهُمْ بِالْإِسْرَاءِ، كَذَّبُوهُ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: تَنَزَّهَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ رَسُولًا كَذَّابًا. وَلَا خِلَافَ أَنَّ الْمُرَادَ بَعْدَهُ هَاهُنَا: مُحَمَّدٌ ﷺ.

= علم الرواية (ص: ٢٢٦) من طريق حفص بن سليمان ثنا طلحة بن يحيى، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٠٥) رقم (٥٩)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ٩٣) رقم (٥٣٥) من طريق جعفر بن سليمان، عن طلحة بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، عن أبيه، عن طلحة بن عبيد الله، قال: سألت نبي الله ﷺ، عن تفسيره سورة سبحان؛ قال: «تنزيه الله، عز وجل، عن كل سوء، نزه نفسه عنه»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٩٧-٩٨)، وقال رواه البزار، وفيه عبد الرحمن بن حماد الطلحي، وهو ضعيف بسبب هذا وغيره، وأورده الذهبي في الميزان (٢/ ٥٥٧) من رواية عبد الرحمن بن حماد الطلحي.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/ ١١٠) إلى الطبري والديلمي والخطيب في الكفاية من طرق عنه مرفوعًا، وله شاهد عن ابن عباس موقوفًا ذكره السيوطي أيضًا في الدر المنثور (١/ ١١٠) وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم والمحاملي في أماليه.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٢٥).

(٢) في (ر): أسرى.

وفي قوله: ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قولان:

أحدهما: أنه أُسري به من نفس المسجد، قاله الحسن، وقادة،  
ويُسندُه<sup>(١)</sup> حديثُ مالك بنِ صغصعة، وهو في الصحيحين: بينما أنا في  
الحطيم<sup>(٢)</sup> ورُبَّما قال: بغض الرواة: في الحجر.

والثاني: أنه أُسري به من بيت أم هانئ، وهو قول أكثر المفسرين،  
فعلى هذا يعني بالمسجد الحرام: الحرم. والحرم كله مسجد، ذكره القاضي  
أبو يعلى وغيره.

فأما ﴿الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ (فهو بيت المقدس، وقيل له)<sup>(٣)</sup>: الأقصى؛  
لبعد المسافة بين المسجدين. ومعنى ﴿بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾: ﴿أَنَّ اللَّهَ أَجْرَى حَوْلَهُ﴾<sup>(٤)</sup>  
الأنهار، وأثبت الثمار. وقيل: لأنه مقر الأنبياء، ومهبط الملائكة.

واختلف العلماء، هل دخل بيت المقدس، أم لا؟

فروى أبو هريرة أنه دخل بيت المقدس، وصلى فيه بالأنبياء، ثم  
عُرج به إلى السماء<sup>(٥)</sup>. وقال حذيفة بن اليمان: لم يدخل بيت المقدس ولم

(١) في الأصل، و(ر): ويشيده، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) في (ر): الحطم.

(٣) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٥) أخرجه مسلم (١٧٢)، والنسائي في الكبرى (١١٢٨٤)، وابن مندة في الإبان (٧٤٠) من طريق حجين بن المنشى به، وأخرجه أبو عوانة (١/ ١٣١)، وابن مندة (٧٤٠) من طريق أحمد بن خالد الوهبي به وأربعتهم عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون به، من حديث =

يَصِلُ فِيهِ، وَلَا نَزَلَ عَنِ الْبُرَاقِ حَتَّى عُرِجَ بِهِ<sup>(١)</sup>.

[٤٦٨/ب] فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ إِلَى هُنَالِكَ، وَالْمُعْرَاجَ كَانَ مِنْ هُنَالِكَ.

وقيل: إِنَّ الْحِكْمَةَ فِي ذِكْرِ ذَلِكَ، أَنَّهُ لَوْ أَخْبَرَ بِصُعودِهِ إِلَى السَّمَاءِ فِي بَدْءِ الْحَدِيثِ، لَأَشْتَدَّ إنْكَارُهُمْ [عَلَيْهِ]<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا أَخْبَرَ بِنَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَانَ لَهُمْ صِدْقُهُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَلَامَاتِ الصَّادِقَةِ، أَخْبَرَ بِمُعْرَاجِهِ.

= أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر، وقریش تسألني عن مسراي. فسألني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط. قال: فرفعه الله لي أنظر إليه. ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء. فإذا موسى قائم يصلي. فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة. وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي. أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي. وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي. أشبه الناس به صاحبكم -يعني نفسه- فحانت الصلاة فأمتهم. فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه. فالتفت إليه فبدأني بالسلام». واللفظ لمسلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٨ / ٣٢١)، والترمذي (٣٤١٤) كلاهما من طريق عاصم بن أبي النجود عن زُرٍّ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه به، وعاصم بن أبي النجود، هو ابن بهدلة، صدوق له أوهام، ولا يُقبل ما تفرد به من مرويات، ولم أجد من تابعه على روايته هذه، ثم إن متن الحديث فيه نكارة، ففيها أن رسول الله ﷺ لم يصل في بيت المقدس، وهو خلاف ما جاء في صحيح مسلم حديث رقم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ؓ: أَنَّهُ ﷺ ربط الدابة بالحلقة التي يربط فيها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلَّى فيه ركعتين.

(٢) من (س).

قوله تعالى: ﴿لِزَيِّنِي مِنْ أَيْنِنَا﴾ يعني: مَا رَأَى؛ أي: تلك اللَّيْلَةِ مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا النَّاسَ. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِقَالَةِ قُرَيْشٍ، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بِهَا. وقد ذكرنا في كتابنا المسمى بـ«الحدائق»<sup>(١)</sup> أحاديث المعراج، وكرهنا الإطالة هاهنا.

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ <sup>(٢)</sup> ذَرِيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا <sup>(٣)</sup> ﴿[الإسراء: ٢ - ٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ لما ذكر في الآية الأولى إكرام مُحَمَّدٍ ﷺ، ذكر في هذه كرامة موسى عليه السلام.

﴿وَالْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةَ. ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾؛ أي: دللناهم به على الهدى. ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا﴾ قرأ أبو عمرو: «يَتَّخِذُوا» بالياء، والمعنى: هديناهم لئلا يتخذوا. وقرأ الباقر بالتاء<sup>(٢)</sup>.

قال أبو علي: وهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغيبة؛ مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِيَّاكَ تَعْبُدُ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الحدائق (١ / ٢٢١).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٣) الحجة للقراء السبعة (٥ / ٨٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْلًا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: شَرِيكًا<sup>(١)</sup>. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: رَبًّا<sup>(٢)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: وَإِنَّمَا قِيلَ لِلرَّبِّ: وَكَيْلٌ؛ لِكِفَايَتِهِ وَقِيَامِهِ بِشَأْنِ عِبَادِهِ، مِنْ أَجْلِ أَنْ الْوَكِيلَ عِنْدَ النَّاسِ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ يُقُومُ بِشُؤْنِ أَصْحَابِهِ، وَتَفْقُدُ أُمُورِهِمْ، فَكَانَ الرَّبُّ وَكَيْلًا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، لَا عَلَى مَعْنَى اِرْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ الْمُوَكَّلِ وَانْحِطَاطِ أَمْرِ الْوَكِيلِ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ نِدَاءٌ: يَا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا<sup>(٤)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: مَنْ قَرَأَ: «أَلَا تَتَّخِذُوا» بِالتَّاءِ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: بَعْدَ الذُّرِّيَّةِ مُضْمَرٌ حُذِفَ اعْتِمَادًا عَلَى دَلَالَةِ مَا سَبَقَ<sup>(٥)</sup>. فَتَلْخِصْهُ: يَا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ لَا تَتَّخِذُوا وَكَيْلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يُسْتَغْنَى عَنِ الْإِضْمَارِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾؛ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى: اشْكُرُونِي كَشْكُرِهِ.

وَمَنْ قَرَأَ: «لَا يَتَّخِذُوا» بِالْيَاءِ؛ جَعَلَ النِّدَاءَ مَتَّصِلًا بِالْخَطَابِ، وَ«الذُّرِّيَّةَ» تَنْتَصِبُ بِالنِّدَاءِ، وَيَجُوزُ نَصْبُهَا بِالِاتِّخَاذِ عَلَى أَنَّهَا مَفْعُولٌ ثَانٍ. تَلْخِصُ الْكَلَامَ: أَنْ لَا يَتَّخِذُوا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَكَيْلًا. قَالَ قَتَادَةُ:

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٥٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٦٢) إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٢٦).

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٧ - ٨).

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٢٥٢)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٢٣٦) إلى ابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ قَالَ: هُوَ عَلَى النِّدَاءِ يَا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ.

(٥) البيان في غريب إعراب القرآن (٢ / ٨٦).

النَّاسُ كُلُّهُمْ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ أَنجَى اللَّهُ فِي تِلْكَ السَّفِينَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَوَجْهُ الْإِنْعَامِ عَلَى الْخَلْقِ بِهَذَا الْقَوْلِ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِي صُلْبٍ مِّنْ نَّجَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾ قَالَ سَلْمَانُ الْفَارَسِيُّ: كَانَ إِذَا أَكَلَ؛ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» (فَسَمَّاهُ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا)<sup>(٢)</sup>، وَإِذَا شَرِبَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup>. وَقَالَ غَيْرُهُ: كَانَ إِذَا<sup>(٤)</sup> لَبَسَ ثَوْبًا قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ».

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفِسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلَنَّ عَلُورًا كَبِيرًا ۝١ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٢ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٤ - ٦].

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٥٣) من طريق سعيد، عن قتادة ﴿ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ والناس كلهم ذرية من أنجى الله في تلك السفينة، وذكر لنا أنه ما نجا فيها يومئذ غير نوح وثلاثة بنين له، وامراته وثلاث نسوة، وهم: سام، وحام، ويافث؛ فأما سام: فأبو العرب؛ وأما حام: فأبو الحبش؛ وأما يافث: فأبو الروم.

(٢) هذه الجملة في (س) مؤخرة بعد قوله: لبس ثوبه، قال الحمد لله.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٥٤)، والحاكم في مستدركه (٢ / ٣٦٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧١)، وابن عساكر في تاريخه (١٧ / ٦٦٧)، والمحاملي في أماليه (٦٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٦٢) إلى الفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٤) في (س): إذا كان.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَخْبَرْنَا هُمْ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: قَضَيْنَا عَلَيْهِمْ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>. وَبِهِ قَالَ [٤٦٩/أ] قَتَادَةُ؛ فَعَلَى الْأَوَّلِ: تَكُونُ «إِلَى» عَلَى أَصْلِهَا، وَيَكُونُ الْكِتَابُ: التَّوْرَةُ، وَعَلَى الثَّانِي: تَكُونُ<sup>(٢)</sup> «إِلَى» بِمَعْنَى: «عَلَى»، وَيَكُونُ الْكِتَابُ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ يَغْنِي: أَرْضَ مِصْرَ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ بِالْمَعَاصِي وَمُخَالَفَةِ التَّوْرَةِ.

وَفِي مَنْ قَتَلُوهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفَسَادِ الْأَوَّلِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: زَكَرِيَّا، قَالَهُ السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ.

وَالثَّانِي: شَعِيَاءَ، قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ.

فَأَمَّا الْمَقْتُولُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفَسَادِ الثَّانِي: فَهُوَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا. قَالَ مُقَاتِلٌ: وَكَانَ بَيْنَ الْفَسَادَيْنِ مِائَتَا سَنَةً وَعِشْرَ سِنِينَ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا السَّبَبُ فِي قَتْلِهِمْ زَكَرِيَّا: فَإِنَّهُمْ اتَّهَمُوهُ بِمَرِيَمَ، وَقَالُوا: مِنْهُ حَمَلَتْ، فَهَرَبَ مِنْهُمْ، فَاِنْفَتَحَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فَدَخَلَ فِيهَا وَبَقِيَ مِنْ رِذَائِهِ هَذَبٌ، فَجَاءَهُمُ الشَّيْطَانُ فَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ، فَقَطَّعُوا الشَّجَرَةَ بِالْمِنْشَارِ وَهُوَ فِيهَا.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٥٦).

(٢) في (ر): يكون.

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٥٢١) وفيه: فكان بين الهلاكين، بدل: كان بين الفسادين.



وَأَمَّا السَّبَبُ فِي قَتْلِهِمْ «شُعَيْبًا»: فَهُوَ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ بِرِسَالَةٍ مِنَ اللَّهِ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمَعَاصِي.

وقيل: هُوَ الَّذِي هَرَبَ مِنْهُمْ فَدَخَلَ فِي الشَّجَرَةِ حَتَّى قَطَعُوهُ بِالْمِنْشَارِ، (وإنَّ زَكَرِيَّا) <sup>(١)</sup> مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ.

وَأَمَّا السَّبَبُ فِي قَتْلِهِمْ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، ففِيهِ قَوْلَانِ:  
أحدهما: أَنَّ مَلِكَهُمْ أَرَادَ نِكَاحَ امْرَأَةٍ لَا تَحِلُّ لَهُ، فَنَهَاها عَنْهَا يَحْيَى.  
ثُمَّ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهَا ابْنَةُ أَخِيهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: ابْنَتُهُ، قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ.

والثالث: أَنَّهَا امْرَأَةُ أَخِيهِ، وَكَانَ ذَلِكَ، لَا يَصْلَحُ عَنْدهُمْ، قَالَهُ الْحُسَيْنُ  
بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَام.

والرابع: ابْنَةُ امْرَأَتِهِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ.

وذكر أَنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ: أَنَّ مَلِكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ هَوِيَ بِنْتَ امْرَأَتِهِ،  
فَسَأَلَ يَحْيَى عَنْ نِكَاحِهَا، فَنَهَاها، فَحَنَقَتْ أُمُّهَا عَلَى يَحْيَى حِينَ نَهَاها أَنْ  
يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهَا، وَعَمِدَتْ إِلَى ابْنَتِهَا فَرَزَيْتَهَا وَأَرْسَلَتْهَا إِلَى الْمَلِكِ حِينَ جَلَسَ  
عَلَى شَرَابِهِ، وَأَمَرَتْهَا أَنْ تَسْقِيَهُ، وَأَنْ تَعْرِضَ لَهُ، فَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا،  
أَبَتْ حَتَّى يُؤْتَى بِرَأْسِ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا فِي طَسْتٍ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

(١) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

وَيَحْكُ سَلِينَ غَيْرَ هَذَا، فَقَالَتْ: مَا أُرِيدُ إِلَّا هَذَا، فَأَمَرَ، فَأَتَى بِرَأْسِهِ،  
وَالرَّأْسُ يَتَكَلَّمُ وَيَقُولُ: لَا تَحِلُّ لَكَ، لَا تَحِلُّ لَكَ<sup>(١)</sup>.

والقول الثاني: أَنَّ امْرَأَةَ الْمَلِكِ رَأَتْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ قَدْ  
أَعْطَى حُسْنًا وَجَمَالًا، فَأَزَادَتْهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَبَى، فَقَالَتْ لِابْنَتِهَا: سَلِي أَبَاكَ  
رَأْسَ يَحْيَى، فَأَعْطَاهَا مَا سَأَلَتْ، قَالَه الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ بِالسَّيْرِ: مَا زَالَ دُمُ يَحْيَى يَغْلِي حَتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي  
إِسْرَائِيلَ سَبْعُونَ أَلْفًا، فَسَكَنَ، وَقِيلَ: لَمْ يَسْكُنْ حَتَّى جَاءَ قَاتِلُهُ، فَقَالَ: أَنَا  
قَتَلْتُهُ، فَقَتِلَ، فَسَكَنَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنَعْلَنَ عَلُوًّا كَبِيرًا﴾ أَي: لَتَعْظُمَنَّ عَنِ الطَّاعَةِ وَلَتَبْغُنَّ.

[قَوْلُهُ تَعَالَى]<sup>(٢)</sup>: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾؛ أَي: عُقُوبَةُ أُولَى الْمَرَّتَيْنِ ﴿بَعَثْنَا﴾؛  
أَي: أَرْسَلْنَا ﴿عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا﴾ وَفِيهِمْ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ جَالُوتُ وَجُنُودُهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ.

وَالثَّانِي: «بُخْتَنْصَر»، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَاءُ [٤٦٩ / ب] <sup>(٣)</sup>،  
وَالزَّجَّاجُ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٧٢ - ٣٧٣)، وتاريخه (١ / ٥٨٩)، وذكره الثعلبي في  
الكشف والبيان (١٦ / ٢٦١).

(٢) من (م).

(٣) معاني القرآن (٢ / ١١٦).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٢٧).

والثالث: العماليقة، وكانوا كفاراً، قاله الحسن.

والرابع: سنحاريب، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: قوم من أهل فارس، قاله مجاهد.

وقال ابن زيد: سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف من ملوك فارس<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ أي: ذوي عددٍ وقوةٍ في القتال.

وفي قوله: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: مشوا بين منازلهم، قاله ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال مجاهد: يتجسسون أخبارهم، ولم يكن قتالاً<sup>(٢)</sup>. وقال الزجاج:

طافوا خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه؟ و«الجوس»: طلب الشيء باستقصاء<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في تفسيره (١٧ / ٣٥٧) من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان إفسادهم الذي يفسدون في الأرض مرتين: قتل زكريا ويحيى بن زكريا، سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكاً من ملوك فارس، من قتل زكريا، وسلط عليهم بختنصر من قتل يحيى.

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٦٨) من طريق ابن أبي نجیح، عن مجاهد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾ جند جاءهم من فارس يتجسسون أخبارهم، ثم ذكر نحوه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦٥) إلى ابن جرير وابن أبي شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٢٧).

وَالثَّانِي: قَتَلُوهُمْ بَيْنَ بُيُوتِهِمْ، قَالَه الْفَرَّاءُ<sup>(١)</sup>، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: عَاثُوا وَأَفْسَدُوا، يُقَالُ: جَاسُوا وَحَاسُوا، فَهُمْ يَجْوِسُونَ وَيَجْوِسُونَ؛ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، قَالَه ابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا الْخِلَالُ: فَهِيَ جَمْعُ خَلَلٍ: وَهُوَ الْإِنْفِرَاجُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ.

وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ: «خَلَلَ الدِّيَارِ» بَفَتْحِ الْخَاءِ وَاللَّامِ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ<sup>(٤)</sup>. ﴿وَكَاكَ وَعَدَا مَفْعُولًا﴾؛ أَي: لَا بَدَّ مِنْ كَوْنِهِ.

[قَوْلُهُ تَعَالَى]<sup>(٥)</sup>: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَي: أَظْفَرْنَاكُمْ بِهِمْ. وَالْكَرَّةُ، مَعْنَاهَا: الرَّجْعَةُ وَالِدَوْلَةُ، وَذَلِكَ حِينَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَعَادَ مُلْكُهُمْ إِلَيْهِمْ.

وَحَكَى الْفَرَّاءُ: أَنَّ رَجُلًا دَعَا عَلَى «بُخْتَنْصَرَ»، فَقَتَلَهُ اللَّهُ، وَعَادَ مُلْكُهُمْ إِلَيْهِمْ<sup>(٦)</sup>.

وَقِيلَ: غَزَا مَلِكُ بَابِلَ فَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي يَدِهِ مِنَ الْمَالِ وَالْأَسْرِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾؛ أَي: أَكْثَرَ عَدَدًا وَأَنْصَارًا مِنْهُمْ.

(١) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥١).

(٤) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس

(٢/ ٢٦٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص: ٣٥٥).

(٥) من (م).

(٦) معاني القرآن (٢/ ١١٦).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: النَّفِيرُ وَالنَّافِرُ وَاحِدٌ؛ كَمَا يُقَالُ: قَدِيرٌ وَقَادِرٌ، وَأَصْلُهُ: مَنْ يَنْفِرُ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْأُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۖ﴾ (٧) عَنِ رَبِّكُمْ أَنْ يَزَحَمَكُمْ<sup>(٢)</sup> وَإِنْ عُدْتُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۖ﴾ (٨) [الإسراء: ٧ - ٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾؛ أَي: وَقَلْنَا لَكُمْ: إِنْ أَحْسَنْتُمْ فَأَطَعْتُمْ اللَّهَ ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾؛ أَي: عَاقِبَةُ الطَّاعَةِ لَكُمْ ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بِالْفَسَادِ وَالْمَعَاصِي ﴿فَلَهَا﴾ وَفِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ بِمَعْنَى: فَاِلْيَهَا.

وَالثَّانِي: فَعَلَيْهَا.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾: جَوَابُ «فَإِذَا» مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ عَقُوبَةِ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ مِنْ إِفْسَادِكُمْ، بَعَثْنَاهُمْ لِيُسَوُّوْا وَجُوهَكُمْ، وَهَذَا الْفَسَادُ<sup>(٣)</sup>؛ هُوَ قَتْلُهُمْ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا، وَقَضْدُهُمْ قَتْلَ «عِيسَى» فَرُفِعَ، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُلُوكَ فَارِسَ وَالرُّومِ فَقَتَلُوهُمْ وَسَبَّوْهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِيَسْتَوْأُوا وَجُوهَكُمْ﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «لِيُسَوُّوْا» بِالْيَاءِ عَلَى الْجَمِيعِ وَالْهَمْزِ بَيْنَ الْوَاوَيْنِ، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَبْعُوثِينَ. وَقَرَأَ ابْنُ

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥١)

(٢) في (م) زيادة: (الثاني)، وهي مضروب عليها في الأصل، وليست في بقية النسخ.

عامر، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «لَيْسُو» عَلَى التَّوْحِيدِ<sup>(١)</sup>؛ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: فِيهِ وَجْهَانِ:

أحدهما: لَيْسُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

والثاني: لَيْسُوَ الْبَعْثُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ: «لَيْسُو» بِالنُّونِ<sup>(٣)</sup>، وَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِي مَنْ بَعَثَ عَلَيْهِمْ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ قَوْلَانِ:

أحدهما: بُخْتَنَصَّرَ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الرُّوَاةِ يَأْبَى هَذَا الْقَوْلَ، وَيَقُولُونَ: كَانَ بَيْنَ تَخْرِيبِ

«بُخْتَنَصَّرَ» بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَبَيْنَ مَوْلِدِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا زَمَانٌ طَوِيلٌ.

وَالثَّانِي: أَنْطَيَاخُوسُ الرُّومِيُّ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٤)</sup>.

وَمَعْنَى ﴿لَيْسْتُمْ وَأُجُوهَكُمْ﴾ أَي: لِيَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ الْحُزْنَ بِمَا يَفْعَلُونَ مِنْ قَتْلِكُمْ وَسَبِّكُمْ؛ وَخُصَّتِ الْمَسَاءَةُ بِالْأُجُوهِ، وَالْمُرَادُ: أَصْحَابُ الْأُجُوهِ، لَمَا يَبْدُو عَلَيْهَا مِنْ أَثَرِ الْحُزَنِ وَالْكَآبَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يَعْنِي: بَيْتَ الْمَقْدِسِ ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى ﴿وَلِيَسْتَبْرُوا﴾ أَي: لِيَدْمُرُوا وَيَحْرُبُوا.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: التيسير (ص: ١٣٩).

(٢) الحجة للقراء السبعة (٥ / ٨٦ - ٨٧).

(٣) قراءة سبعة، انظر: السبعة (ص: ٣٧٨)، والتيسير (ص: ١٣٩).

(٤) تفسير مقاتل (٢ / ٥٢٢).

قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ لِكُلِّ شَيْءٍ يَنْكَسِرُ مِنَ الزَّجَاجِ وَالْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ: تَبَرَّ. وَمَعْنَى ﴿مَاعَلُوا﴾؛ أَي: لِيَذْمُرُوا فِي حَالِ عُلُوِّهِمْ عَلَيْكُمْ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ هَذَا مِمَّا<sup>(٢)</sup> وَعِدُوا بِهِ فِي التَّوْرَةِ. وَ«عَسَىٰ» مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ، فَرَحَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ انتِقَامِهِ مِنْهُمْ، وَعَمَّرَ بِلَادَهُمْ، وَأَعَادَ نِعْمَهُمْ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً. ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ﴾ إِلَىٰ مَعْصِيَتِنَا ﴿عُدْنَا﴾ إِلَىٰ عُقُوبَتِكُمْ. قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا إِلَىٰ الْمَعْصِيَةِ، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُلُوكًا مِنْ مُلُوكِ فَارَسَ وَالرُّومِ. قَالَ قَتَادَةُ: ثُمَّ كَانَ آخِرَ ذَلِكَ أَنْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهُمْ فِي عَذَابٍ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُعْطُونَ<sup>(٣)</sup> الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: سَجَنًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يُحْصَرُونَ فِيهَا<sup>(٥)</sup>. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٢٨).

(٢) في (س): ما.

(٣) في (ر): فيعطون.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٢٩٠)، والطبري في تفسيره (١٧ / ٣٨٩) من طريق معمر، عن قَتَادَةَ، قَالَ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ فَعَادُوا، فَبَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَهُمْ يَعْطُونَ الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ.

(٥) تفسير مجاهد (ص: ٤٢٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٩٠) من طريق ابن أبي نجيب، عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿حَصِيرًا﴾ قَالَ: يُحْصَرُونَ فِيهَا. وَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ جَرِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ قَالَ: يُحْصَرُونَ فِيهَا.

محبسًا<sup>(١)</sup>. وقال الرَّجَّاجُ: «حَصِيرًا»: حبسًا، أخذ من قولك: حصرتُ الرَّجُلَ؛ إذا حبستُه، فهو محضورٌ، وهذا حصيره؛ أي: محبسه، والحصيرُ: المنسوجُ، سُمِّيَ حصيرًا؛ لأنه حُصِرَت طاقاته بغضها مع بغضٍ، ويُقال للجنب: حَصِيرٌ؛ لأنَّ بغضَ الأضلاعِ محضورٌ مع بغضٍ<sup>(٢)</sup>.

وقال ابنُ الأنباري: حَصِيرًا: بمعنى: حاصرة، فُصِرَ من حاصرة إلى حَصِيرٍ، كما فُصِرَ «مؤلم» إلى أليمٍ. والثاني: فراشًا ومهادًا، قاله الحسنُ.

قال أبو عبيدة: ويجوز أن يكونَ لهم جهنَّم<sup>(٣)</sup> مهادًا بمنزلةِ الحَصِيرِ، والحَصِيرُ: البساطُ الصَّغِيرُ<sup>(٤)</sup>.

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (١) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ [الإسراء: ٩ - ١٠].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

قال ابنُ الأنباري: «الَّتِي» وصفٌ للجمع، والمعنى: يهدي إلى الخِصَالِ الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ الخِصَالِ.

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٧١). وغريب القرآن (ص: ٢٥١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (١ / ٤٠٧).

(٣) في (م): تكون جهنم لهم. وفي (س): تكون لهم جهنم.

(٤) مجاز القرآن (١ / ٣٧١).



قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿أَنْ لَهُمْ﴾؛ أَي: بِأَنْ لَهُمْ ﴿أَجْرًا﴾ ﴿وَهُوَ الْجَنَّةُ﴾ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾؛ أَي: وَيُبَشِّرُهُم بِالْعَذَابِ لِأَعْدَائِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا فِي أَدَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعَجَّلَ اللَّهُ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الدُّنْيَا بِعِقَابِ الْكَافِرِينَ.

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ ﴿١١﴾ [الإسراء: ١١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَدْعُو فِي حَالِ الضَّجَرِ وَالْغَضَبِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ بِمَا لَا يَحِبُّ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ كَمَا يَدْعُو لِنَفْسِهِ بِالْخَيْرِ. ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ يَعَجَّلُ بِالْدُّعَاءِ بِالشَّرِّ عِنْدَ الْغَضَبِ وَالضَّجَرِ عَجَلَتَهُ بِالْدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ.

[٤٧٠/ب]

وَفِي الْمَرَادِ بِالْإِنْسَانِ هَاهُنَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ اسْمُ جَنْسٍ يُرَادُ بِهِ النَّاسُ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: آدَمُ، فَاكْتَفَى بِذِكْرِهِ مِنْ ذَكَرٍ وَلَدِهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَرِيِّ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: ﴿فَأَمَطَرَنَا حِجَارَةً

مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنفال: ٣٢]، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

(١) معاني القرن وإعرابه (٣/ ٢٢٩).

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٤).

وقال سلمان الفارسي: أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ آدَمَ رَأْسَهُ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى جَسَدِهِ كَيْفَ يُخْلَقُ، قَالَ: فَبَقِيََتْ رِجْلَاهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ! عَجِّلْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلَتُهُ تَفْصِيلًا﴾<sup>(١٢)</sup> [الإسراء: ١٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ﴾؛ أَي: عَلَامَتَيْنِ يَدُلَّانِ عَلَى قُدْرَةِ خَالِقِهِمَا. ﴿فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ آيَةَ اللَّيْلِ: الْقَمَرُ، وَمَحْوُهَا: مَا فِي بَعْضِ الْقَمَرِ مِنَ الْإِسْوَدَادِ، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي آخِرِينَ. وَالثَّانِي: آيَةُ اللَّيْلِ مُحِيطٌ بِالظُّلْمَةِ الَّتِي جَعَلْتَ مُلَازِمَةً لِلَّيْلِ؛ فَنُسِبَ الْمَحْوُ إِلَى الظُّلْمَةِ؛ إِذْ كَانَتْ تَمَحْوُ الْأَنْوَارَ وَتُبْطِلُهَا، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

وَيُرْوَى أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كَانَا فِي النُّورِ وَالضُّوءِ سَوَاءً، فَأَرْسَلَ اللهُ جَبْرِيلَ فَأَمَرَ جَنَاحَهُ عَلَى وَجْهِ الْقَمَرِ فَطَمَسَ عَنْهُ الضُّوءَ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٩٤) من طريق الحكم، عن إبراهيم، أن سلمان الفارسي، قال: أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ آدَمَ رَأْسَهُ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ وَهُوَ يُخْلَقُ، قَالَ: وَبَقِيََتْ رِجْلَاهُ؛ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ الْعَصْرِ قَالَ: يَا رَبِّ عَجِّلْ قَبْلَ اللَّيْلِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾. وأخرجه ابن عساكر (٧ / ٣٨٤) من طريق محمد بن المنثري به، وابن أبي شيبة (١٤ / ١١٠ - ١١١) عن محمد بن جعفر به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٦٦) إلى ابن جرير مختصراً.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ﴾ يعني: الشمس ﴿مُبْصِرَةً﴾ فيه ثلاثة أقوال: أحدها: مُنيرة، قاله قتادة.

قال ابن الأنباري: وإنما صلح وصف الآية بالإبصار على جهة المجاز؛ كما يقال: لعب الدهر بيني فلان.

والثاني: أن معنى «مُبْصِرَةٌ»<sup>(١)</sup>: مُبْصِرًا بها، قاله ابن قتيبة<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أن معنى «مُبْصِرَةٌ»: «مُبْصِرَةٌ»، فجرى «مُفْعِل» مجرى «مُفَعَّل»، والمعنى: أنها تُبْصِرُ النَّاسَ، أي: تُرِيهِمُ الْأَشْيَاءَ، قاله ابن الأنباري. ومعاني الأقوال تتقارب.

قوله تعالى: ﴿لَتُبْنَغُوا فُضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾؛ أي: لَتُبْصِرُوا كَيْفَ تَتَصَرَّفُونَ فِي أَعْمَالِكُمْ وَتَطْلُبُونَ رِزْقَكُمْ بِالنَّهَارِ ﴿وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ بمخو آية الليل، ولولا ذلك، لم يُعرفِ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، ولم يُتَبَيَّنِ الْعَدْدُ. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾؛ أي: مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ: ﴿فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ يَبْنَاهُ تَبْنَاءً لَا يُلْتَبَسُ مَعَهُ بَغِيرُهُ.

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا

﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كُتُبِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

(١) ليست في (ر).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ﴾ وَفَرَأَ ابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «وَكُلُّ» بَرَفَعِ اللَّامِ<sup>(١)</sup>. وَفَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبِيٌّ، وَالْحَسَنُ: ﴿الزَّمَنَةُ طَيْرُهُ﴾ بَيَاءٍ سَاكِنَةٍ مِنْ غَيْرِ أَلِفٍ<sup>(٢)</sup>.

### وَفِي الطَّائِرِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ شَقَاوُتُهُ وَسَعَادَتُهُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.  
قَالَ مُجَاهِدٌ: مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَفِي عُنُقِهِ وَرَقَةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا شَقِيٌّ، أَوْ سَعِيدٌ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: عَمَلُهُ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ<sup>(٤)</sup>، وَعَنِ الْحَسَنِ كَالْقَوْلَيْنِ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ مَا يُصِيبُهُ، قَالَهُ خَصِيفٌ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: حُظُّهُ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالْمَعْنَى فِيمَا أَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: أَنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ حُظًّا مِنْ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ قَدْ قَضَاهُ اللَّهُ [عَلَيْهِ]<sup>(٦)</sup>، فَهُوَ لَا زَمَّ عُنُقِهِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ:

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨).

(٢) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٣٩٨) من طريق الحسن بن عمرو الفقيمي، عن الحكم، عن مجاهد، في قوله: ﴿الزَّمَنَةُ طَيْرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ قال: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ١٦٧) إلى أبي داود في كتاب القدر وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) معاني القرآن (١ / ٢٤٢).

(٥) مجاز القرآن (١ / ٣٧٢).

(٦) من (م).

لِكُلِّ مَا لَزِمَ الْإِنْسَانَ: قَدْ لَزِمَ عُنُقَهُ، وَهَذَا لَكَ عَلَيَّ وَفِي عُنُقِي حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهُ، وَإِنَّمَا قِيلَ لِلْحَظِّ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ: «طَائِرٌ»؛ لِقَوْلِ الْعَرَبِ: [١/٤٧١] جَرَى لَهُ الطَّائِرُ بِكَذَا مِنَ الْخَيْرِ، وَجَرَى لَهُ الطَّائِرُ بِكَذَا مِنَ الشَّرِّ، عَلَى طَرِيقِ الْفَالِ وَالطَّيْرَةِ، فَخَاطَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا يَسْتَعْمَلُونَ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ الَّذِي يَجْعَلُونَهُ بِالطَّائِرِ، هُوَ الَّذِي يَلْزِمُهُ أَعْنَاقَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْأَضْلُ فِي هَذَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ، عَلِمَ الْمَطِيعَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، وَالْعَاصِي، فَكَتَبَ مَا عَلِمَهُ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَقَضَى سَعَادَةَ مَنْ عَلِمَهُ مُطِيعًا، وَشَقَاوَةَ مَنْ عَلِمَهُ عَاصِيًا، فَصَارَ لِكُلِّ مِنْهُمْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ عِنْدَ خَلْقِهِ وَإِنْشَائِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿الزَّمَنَةُ طَيْرٌ فِي عُنُقِهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُ مَا يَتَطَيَّرُ مِنْ مِثْلِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمَلُهُ، وَذِكْرُ الْعُنُقِ عِبَارَةٌ عَنِ اللَّزُومِ لَهُ، كَلُزُومِ الْقِلَادَةِ الْعُنُقَ مِنْ بَيْنِ مَا يُلْبَسُ، هَذَا قَوْلُ الرَّجَّاجِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: الْأَضْلُ فِي تَسْمِيَّتِهِمُ الْعَمَلَ طَائِرًا، أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَطَيَّرُونَ مِنْ بَعْضِ الْأَعْمَالِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُخْرِجْ لَهُ﴾ ﴿قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: «وَيُخْرِجُ» بَيَاءٌ مَضْمُومَةٌ وَفَتْحُ الرَّاءِ. وَقَرَأَ يَعْقُوبُ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ: بِالْيَاءِ مَفْتُوحَةٌ وَضَمُّ الرَّاءِ<sup>(٥)</sup>.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٢).

(٢) تهذيب اللغة (١٤ / ١١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٣٠).

(٤) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢ / ٣٢٥).

(٥) قراءتان عشريتان، انظر: النشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٠٦)، وإنحاف=

وقرأ قتادة، وأبو المتوكل: «ويُخْرِجُ» بياء مرفوعة وكسر الراء. وقرأ أبو الجوزاء، والأعرج: «وتُخْرِجُ» بتاء مفتوحة ورفع الراء<sup>(١)</sup>.

﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ وقرأ ابن عباس، وعكرمة، والضحاك: «كِتَابٌ» بالرفع. ﴿يَلْقَاهُ﴾ وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر: «يُلْقَاهُ» بضم الياء وتشديد القاف، وأمال حمزة، والكسائي القاف<sup>(٢)</sup>.

قال المفسرون: هذا كتابه الذي فيه ما عمل، وكان أبو السوار العدوي<sup>(٣)</sup> إذا قرأ هذه الآية قال: نشرتان وطية، أما ما حيث يا ابن آدم، فصحيفتك منشورة، فأمل فيها ما شئت، فإذا مت؛ طويت، ثم إذا بُعثت، نُشرت<sup>(٤)</sup>.

= فضلاء البشر؛ للديلمي (ص: ٢٨٢)، والكامل؛ للذهبي (ص: ٥٨٦).

(١) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرمانى (ص: ٢٧٨)، والكامل؛ للذهبي (ص: ٥٨٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢).

(٢) سبعة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٨)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦).

(٣) أبو السوار العدوي البصري، قيل: اسمه حسان بن حريث، وقيل بالعكس، روى له البخاري ومسلم والنسائي، ثقة من الثانية. انظر: تهذيب الكمال (٣٣/ ٣٩٢)، والتقريب ترجمة (٨١٥٢).

(٤) أخرجه الثعلبي بسنده في الكشف والبيان (١٦/ ٣٠٠ - ٣٠١) من طريق شعيب بن محمد قال: حدثنا مكّي بن عبدان، قال: حدثنا أحمد بن الأزهر، قال: حدثنا روح بن عباد؛ قال: حدثنا بسطام بن مسلم، قال: سمعتُ أبا التّياح يقول: سمعتُ أبا السوار العدويّ يقرأ هذه الآية، ثم قال: نشرتان وطية، أما ما حيث يا ابن آدم فصحيفتك منشورة، فأمل فيها ما شئت، ثم إذا مت طويت، ثم إذا بعثت نشرت.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ وقرأ أبو جعفر: «أقرأ» بتخفيف الهمزة<sup>(١)</sup>، وفيه إضمار، تقديره: فيقال له: اقرأ كتابك.  
 قَالَ الْحَسَنُ: يَفْرُوهُ أُمِّيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ أُمِّيٍّ، وَلَقَدْ عَدَلَ عَلَيْكَ مَنْ جَعَلَكَ حَسِيبَ نَفْسِكَ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي مَعْنَى ﴿حَسِيبًا﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مُحَاسِبًا.

وَالثَّانِي: شَاهِدًا.

وَالثَّالِثُ: كَافِيًا.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ حِسَابُهُ لِيَعْلَمَ عَدْلَ اللَّهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَرَى [وَجُوبَ]<sup>(٣)</sup> حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَاسْتِحْقَاقَهُ الْعُقُوبَةَ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُ إِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَيَفْضُلَ اللَّهُ، لَا بِعَمَلِهِ، وَإِنْ دَخَلَ النَّارَ فَيَذْنِبُهُ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿حَسِيبًا﴾، وَالنَّفْسُ مُؤَنَّثَةٌ؛ لِأَنَّهُ يَغْنِي بِالنَّفْسِ: الشَّخْصَ، أَوْ لِأَنَّهُ لَا عَلَامَةَ لِلتَّأْنِيثِ فِي لَفْظِ النَّفْسِ، فَشَبَّهَتْ بِالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨]<sup>(٤)</sup>، قَالَ الشَّاعِرُ [مَنْ الْمُتْقَارِبُ]:

(١) قراءة عشرية، انظر: النشر (٢/ ٣٠٦)، والمبسوط في القراءات العشر (ص: ١٠٤).

(٢) ذكر عنه ذلك السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨١).

(٣) من (سر)، و(م).

(٤) ذكر ذلك عنه أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٣).

..... وَلَا أَرْضُ أَبْقَلُ إِنْقَاهَا<sup>(١)</sup>

﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ  
أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) [الإسراء: ١٥].

قوله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ أي: له ثواب اهتدائه،  
وعليه عقاب ضلاله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ﴾؛ أي: نفس وازرة ﴿وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ قال ابن  
[٤٧٠/ب] عباس: إن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله  
تعالى: ﴿وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبيدة: والمعنى: ولا تأثم آثمة إنم أخرى<sup>(٣)</sup>. قال الزجاج:  
يُقال: وزر يزر، فهو وازر، وزرا، ووزرة، ومعناه: أثم إنم<sup>(٤)</sup>.

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي أحد الخلفاء الفُتَّاك، كما في مجاز القرآن (٢/ ٦٧)، والكتاب  
لسيبويه (٢/ ٤٦)، والأصول في النحو (٢/ ٤١٣)، والكمال؛ للمبرد (٢/ ٢٠٧)، وإيضاح  
الشواهد (١/ ٤٩٩)، ونسب للأعشى في التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٢٩١)، وتفسير  
الرازي (٣٠/ ٦٩٣) ولعله خطأ، وصدره:

فَلَا مُزَنَّةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا \*\*\* .....

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٠)، والتفسير البسيط (١٣/ ٢٨٢)،  
والبغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢١٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣١).



وَفِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ وَجْهَانِ:

أحدهما: أَنْ الْإِثْمَ لَا يُؤْخَذُ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ.

والثاني: أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ الْإِنْسَانُ بِالْإِثْمِ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ عَمَلُهُ، كَمَا قَالَ الْكُفَّارُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ومعنى ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾؛ أَي: حَتَّىٰ نُبَيِّنَ مَا بِهِ نَعَذِّبُ، وَمَا مِنْ أَجْلِهِ نَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

### فَضْلٌ

قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى: فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ لَا تَحِبُّ (عَقْلًا، وَإِنَّمَا تَحِبُّ) <sup>(١)</sup> بِالشَّرْعِ، وَهُوَ بَعْثُ الرُّسُلِ، وَأَنَّهُ لَوْ مَاتَ الْإِنْسَانُ قَبْلَ ذَلِكَ، لَمْ يُقَطَّعْ عَلَيْهِ بِالنَّارِ.

قَالَ: وَقِيلَ مَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَا يَعَذِّبُ فِي مَا طَرِيقُهُ السَّمْعُ إِلَّا بِقِيَامِ حُجَّةٍ السَّمْعِ مِنْ جِهَةِ الرُّسُولِ، وَلِهَذَا قَالُوا: لَوْ أَسْلَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَرْبِ فِي دَارِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَسْمَعْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَنَحْوِهَا، لَمْ يَلْزَمَهُ قَضَاءُ شَيْءٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ تَلْزَمَهُ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ حُجَّةِ السَّمْعِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ قِصَّةُ أَهْلِ قُبَاءَ حِينَ اسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ وَلَمْ يَسْتَأْنِفُوا، وَلَوْ أَسْلَمَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ وَلَمْ يَعْلَمْ بِفَرْضِ الصَّلَاةِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَأَى النَّاسَ يَصَلُّونَ فِي الْمَسَاجِدِ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، وَذَلِكَ دَعَاءُ إِلَيْهَا <sup>(٢)</sup>.

(١) مَا بَيْنَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ سَاقِطٌ مِنْ (ر).

(٢) انْظُرْ: الْفُرُوعَ وَتَصْحِيحَ الْفُرُوعِ (١٠ / ٢١٧)، وَأَحْكَامَ الْقُرْآنِ؛ لِلْجِصَاصِ (٥ / ١٧).

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَاهَا نَدَمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ ۝ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾ (الإسراء: ١٦ - ١٧).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ في سبب إرادته لذلك قولان: أحدهما: ما سبق لهم في قضائه من الشقاء. والثاني: عنادهم الأنبياء وتكذيبهم إياهم. قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ الأَنْشَرُونَ: «أَمَرْنَا» مُحْفَفَةً، على وزن فَعَلْنَا، وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه<sup>(١)</sup> من الأمر، وفي الكلام إضمار، تقديره: أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا بِالطَّاعَةِ، فَفَسَقُوا، هذا مذهب سعيد بن جبير. قال الزجاج: ومثله في الكلام: أَمَرْتُكَ فَعَصَيْتَنِي، فَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمَعْصِيَةَ مُخَالَفَةُ الْأَمْرِ<sup>(٢)</sup>.

والثاني: كثرنا يقال: أَمَرْتُ الشَّيْءَ وَأَمَرْتُهُ، أي: كثرته، ومنه قولهم: مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ؛ أي: كثيرة التناج، يقال: أَمَرَ بَنُو فُلَانٍ بِأَمْرٍ أَمْرًا؛ إذا كَثُرُوا، هذا قول أبي عبيدة<sup>(٣)</sup>، وابن قتيبة<sup>(٤)</sup>.

(١) ليست في (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٢).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٣).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٤٣).

والثالث: أَنَّ مَعْنَى أَمَرْنَا: أَمَرْنَا، يُقَالُ: أَمَرْتُ الرَّجُلَ، بِمَعْنَى، أَمَرْتُهُ، وَالْمَعْنَى: سَلَطْنَا مُتَرَفِّعًا بِالْإِمَارَةِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

وَرَوَى خَارِجَةُ عَنْ نَافِعٍ: «أَمَرْنَا» مَمْدُودَةٌ؛ مِثْلُ: آمَنَّا، وَكَذَلِكَ رَوَى حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ابْنِ كَثِيرٍ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَأَبِي رَزِينٍ، وَالْحَسَنِ، وَالضَّحَّاكِ، وَيَعْقُوبَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَهِيَ اللَّغَةُ الْعَالِيَةُ الْمَشْهُورَةُ، وَمَعْنَاهُ: كَثَرْنَا، أَيْضًا<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ مُجَاهِدٍ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو قَرَأَ: «أَمَرْنَا» مُشَدَّدَةً الْمِيمَ، وَهِيَ رِوَايَةُ أَبَانَ عَنْ عَاصِمٍ، وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي الْعَالِيَةِ، وَالنَّخَعِيِّ وَالْجَحْدَرِيِّ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى: جَعَلْنَا لَهُمْ أَمْرًا<sup>(٤)</sup>. [١/٤٧٢]

وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكَّلِ، وَأَبُو الْجَوْزَاءِ، وَابْنُ يَعْمُرَ: «أَمَرْنَا» بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، مَكْسُورَةً الْمِيمَ مَخْفَفَةً<sup>(٥)</sup>.

(١) قراءة عشرية من قراءة يعقوب، كما في النشر (٢/ ٣٠٦)، وانظر عزوها لروايتي نافع وأبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٣) قراءة شاذة، انظر رواية أبي عمرو في السبعة (ص: ٣٧٩)، وعن الباقيين في المحتسب (٢/ ١٦)، والكل في البحر المحيط (٧/ ٢٧).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٥) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٦).

فَأَمَّا الْمُتْرَفُونَ: فَهُمْ الْمُتَعَمُّونَ الَّذِينَ قَدْ أَبْطَرَتْهُمْ النِّعْمَةُ وَسِعَةُ  
الْعَيْشِ. وَالْمَفْسَّرُونَ يَقُولُونَ: هُمُ الْجَبَّارُونَ وَالْمَسْلُطُونَ وَالْمُلُوكُ<sup>(١)</sup>، وَإِنَّمَا  
خَصَّ الْمُتْرَفِينَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الرُّؤَسَاءُ، وَمَنْ عَدَاهُمْ تَبَعَ هُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ أَي: تَمَرَّدُوا فِي كُفْرِهِمْ؛ لِأَنَّ الْفِسْقَ فِي الْكُفْرِ:  
الْخُرُوجُ إِلَى أَفْحِشِهِ. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْفِسْقِ فِي الْبَقَرَةِ [آيَة: ٢٦ / ١٩٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ قَالَ مُقَاتِلٌ: وَجَبَ عَلَيْهَا الْعَذَابُ<sup>(٢)</sup>.  
وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى التَّنْمِيرِ فِي الْأَعْرَافِ [آيَة: ١٣٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ وَهُوَ<sup>(٣)</sup> جَمْعُ قُرْنٍ. وَقَدْ ذَكَرْنَا  
اخْتِلَافَ النَّاسِ فِيهِ فِي الْأَنْعَامِ [آيَة: ٦]، وَشَرَحْنَا مَعْنَى الْخَبِيرِ وَالْبَصِيرِ فِي  
الْبَقَرَةِ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: وَهَذِهِ الْآيَةُ تُخَوِّفُ لِكُفَّارِ<sup>(٤)</sup> مَكَّةَ<sup>(٥)</sup>.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ  
يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَذْخُورًا﴾<sup>(٨)</sup> وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ  
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا<sup>(٩)</sup> [الْإِسْرَاءُ: ١٨ - ١٩].

(١) ليست في (ر).

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٥٢٦).

(٣) في (ر): وهي.

(٤) في (م): لأهل.

(٥) المصدر السابق.



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ يَعْنِي: مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا، فَعَبَّرَ بِالنَّعْتِ عَنِ الْإِسْمِ ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: مِنَ الْبَسْطِ وَالتَّقْتِيرِ ﴿لَمَنْ نُرِيدُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: لِمَنْ نُرِيدُ هَلَكَتَهُ، قَالَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْفِرَازِيُّ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: لِمَنْ نُرِيدُ أَنْ نَعَجِّلَ لَهُ شَيْئًا، وَفِي هَذَا ذِمٌّ لِمَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا، وَبَيَانٌ أَنَّهُ لَا يَنَالُ مَعَ مَا يَقْصُدُهُ مِنْهَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ يَدْخُلُ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: هَذِهِ الْآيَةُ لِمَنْ لَا يُوقِنُ بِالْمَعَادِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى جَنَّتْهُمْ فِي الْبَقَرَةِ [آيَة: ٢٠٦] وَمَعْنَى يَضْلَاهَا فِي سُورَةِ النَّسَاءِ [آيَة: ١٠]، وَمَعْنَى مَذْمُومًا مَذْخُورًا فِي الْأَعْرَافِ [آيَة: ١٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ يَعْنِي: الْجَنَّةَ ﴿وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ أَي: عَمِلَ لَهَا الْعَمَلَ الَّذِي يَصْلُحُ لَهَا، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْأَعْمَالِ، ﴿فَأَوَّلَتْكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ أَي: مَقْبُولًا. وَشَكَرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ: ثَوَابُهُ إِيَّاهُمْ، وَثَنَّاؤُهُ عَلَيْهِمْ.

(١) تفسير الطبري (١٧ / ٤٠٩)، وأبو إسحاق الفيرازي: هو الإمام إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الكوفي، أحد الأعلام، روى عن عطاء بن السائب، وحيد الطويل، وعنه: الأوزاعي، والثوري، وهما من شيوخه، كان ثقة فاضلاً صاحب سنة وعزوه، كثير الحديث فقيهاً، أدب أهل الثغر وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، توفي سنة (١٨٥ هـ). انظر: تاريخ الإسلام (١٢ / ٥٤).

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ٤٠٩).

﴿ كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (٢٠) أَنْظِرْ  
كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (٢١) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ  
إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴾ (٢٢) [الإسراء: ٢٠ - ٢٢].

قوله تعالى: ﴿ كَلَّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ ﴾ قال الزجاج: «كلًا» منصوبٌ بـ«نُمِدُّ».  
و«هؤلاء»: بدلٌ من «كل»، والمعنى: نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاءٍ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ<sup>(١)</sup>.  
قال المفسرون: كَلَّا نُعْطِي مِنَ الدُّنْيَا، الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ، وَالْعَطَاءُ هَاهُنَا:  
الرِّزْقُ، وَالْمَحْظُورُ: الْمَنْعُوعُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الرِّزْقَ يُعْطَى الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ،  
وَالْآخِرَةُ لِلْمُتَّقِينَ خَاصَّةً. ﴿ أَنْظِرْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾  
وَفِيمَا فَضَّلُوا فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: الرِّزْقُ، (منهم مُقَلٌّ، ومنهم مُكَثِّرٌ).

والثاني: الرِّزْقُ<sup>(٢)</sup> وَالْعَمَلُ، فَمِنْهُمْ مَوْفِقٌ لِعَمَلٍ صَالِحٍ، وَمِنْهُمْ  
مَنْعُوعٌ<sup>(٣)</sup> مِنْ ذَلِكَ.

قوله تعالى: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْمَعْنَى  
عَامٌّ لَجَمِيعِ الْمَكْلُوفِينَ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٣).

(٢) ما بين الهلالين ساقط من (ر).

(٣) ليست في (ر).

والمُخْذُولُ: الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ، وَالْخِذْلَانُ: تَرْكُ الْعَوْنِ. قَالَ مُقَاتِلٌ:  
نَزَلَتْ حِينَ دُعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَلَّةِ آبَائِهِ<sup>(١)</sup>.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝٢٤﴾ زَيْكُمُ أَغْلَمُ بِمَا فِي نَفْسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝٢٥﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٥].

[٤٧٢/ب]

قَوْلُهُ نَعَالِي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾.

قَرَأَ<sup>(٢)</sup> ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَمَرَ رَبُّكَ<sup>(٣)</sup>.

وَنَقَلَ عَنْهُ الضَّحَّاكُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا هِيَ وَوَصَّىٰ رَبُّكَ فَالْتَصَقَتْ إِحْدَى الْوَاوَيْنِ بِالضَّادِ<sup>(٤)</sup>، وَكَذَلِكَ قَرَأَ أَبِي بَنْ كَعْبٍ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلِ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: وَوَصَّى<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٧).

(٢) في (س)، و(م): روى.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٣)، من طريق علي بن داود، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يقول: أمر. وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤١٤) من طريق هُشَيْمٍ، عن أبي إسحاق الكوفي، عن الضَّحَّاكِ بْنِ مَزَاحِمٍ أَنَّهُ قَرَأَهَا: (وَوَصَّىٰ رَبُّكَ) وقال: إنَّهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافًا. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧٠ - ١٧١) إلى ابن جرير ولأبي عبيد وابن المنذر. وأبو إسحاق الكوفي هو عبد الله بن ميسرة، ضعيفٌ، وهشيم، وإن كان ثقة إلا أَنَّهُ كثير التدليس، وقد عنعن هنا.

(٥) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني =

وهذا على خلافٍ ما انعقد عليه الإجماع<sup>(١)</sup>، فلا يلتفت إليه.

وقرأ أبو عمران، وعاصم الجحدري، ومعاذ القاري: «وقضاء ربك» بقاء وضاد بالمد والهمز والرفع وخفض اسم الرب<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الأثيري: هذا القضاء ليس من باب الحتم والوجوب، ولكنه من باب الأمر والفرض، وأصل القضاء في اللغة: قطع الشيء بإحكام وإتقان، قال الشاعر يرثي عمر [من الطويل]:

قَضَيْتَ أُمُورًا تَمَّ غَادَرَتَ بَعْدَهَا      بَوَائِقُ فِي أَكْثَامِهَا لَمْ تُفْتَقِ<sup>(٣)</sup>  
أراد: قطعتها محكمًا لها.

قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؛ أي: وأمر بالوالدين إحسانًا، وهو البر والإكرام، وقد ذكرنا هذا في البقرة [آية: ٨٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم<sup>(٤)</sup>، وابن عامر: «يبلغن» على التوحيد، وقرأ حمزة، والكسائي،

= (ص: ٢٧٩)، والبحر المحيط (٦ / ٢٥).

(١) في (ر): ما انعقد الإجماع عليه.

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩).

(٣) البيت للشماخ في ديوانه (ص: ٤٤٩)، وحياة الحيوان (٢ / ٤٨٨)، وتهذيب اللغة (١١ / ٢٢١)، وطبقات فحول الشعراء (١ / ١٣٣)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٣٤٣)، وزهر الآداب (٢ / ٩٦٨)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٤٨٦).

(٤) من (س)، و(م).





وخلَفُ: «يَبْلُغَانِ» عَلَى التَّنْيَةِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْفَرَاءُ: جُعِلَتْ «يَبْلُغَنَّ» فَعَلًا لِأَحَدِهِمَا وَكَرَّرَتْ عَلَيْهِمَا «كِلَاهُمَا». وَمَنْ قَرَأَ: «يَبْلُغَانِ» فَإِنَّهُ تَنَّى؛ لِأَنَّ الْوَالِدَيْنِ قَدْ ذُكِرَا قَبْلَ هَذَا، فَصَارَ الْفَعْلُ عَلَى عَدَدِهِمَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ عَلَى الِاتِّسَافِ<sup>(٢)</sup>؛ كَقَوْلِهِ: ﴿فَعْمُوا وَصَمُّوا﴾ [المائدة: ٧١]، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ فَقَالَ: ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَقُلْ لِّمِثْلٍ أُفٍّ﴾.

قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَهَمْزُهُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «أَفٌّ» بِالْكَسْرِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَيَعْقُوبُ، وَالْمُفَضَّلُ: «أَفٌّ» بِالْفَتْحِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «أَفٌّ» بِالْكَسْرِ وَالتَّنْوِينِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَرَأَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، وَابْنُ يَعْمَرَ: «أَفٌّ» بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ. وَقَرَأَ مُعَاذُ الْقَارِي، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ: «أَفًّا»؛ مِثْلُ: «تَعَسًّا»<sup>(٥)</sup>.

(١) قراءة سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩).

(٢) في (م): الاستئاف.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٢٠).

(٤) قراءات سبعية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٣٩)، وتفسير البغوي (٢/ ٦٧٦)، والنشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٦ - ٣٠٧).

(٥) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (٢/ ١٨)، ومختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٩).

وقرأ أبو عمران الجوني، وأبو السَّمالِ العدوي: «أُفَّ» بالرَّفْعِ مِنْ غَيْرِ تَنْوِينٍ مَعَ تَشْدِيدِ الْفَاءِ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْأَضْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو. وقرأ عِكْرَمَةُ، وأبو المتوكل، وأبو رجاء، وأبو الجوزاء: «أُفَّ» بِإِسْكَانِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا<sup>(١)</sup>.

وقال الأخفش: وهذا لأنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: أُفَّ لَكَ، عَلَى الْحِكَايَةِ، وَالرَّفْعُ قِيَحٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ بَعْدَهُ لَامٌ<sup>(٢)</sup>.

وقرأ أبو العالية، وأبو حُصَيْنِ الْأَسَدِيُّ: «أُفِّي» بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَبِإِثْبَاتِ يَاءٍ [مَمَالَةٍ]<sup>(٣)</sup>. وَرَوَى ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَرَأَهَا: «إِفَّ» بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ<sup>(٤)</sup>.

وقال الزَّجَّاجُ: فِيهَا سَبْعُ لُغَاتٍ: الْكَسْرُ بِلا تَنْوِينٍ، وَبِتَنْوِينٍ، وَالضَّمُّ بِلا تَنْوِينٍ، وَبِتَنْوِينٍ، وَالْفَتْحُ بِلا تَنْوِينٍ، وَبِتَنْوِينٍ، وَاللُّغَةُ السَّابِعَةُ لَا تَجُوزُ فِي الْقِرَاءَةِ: «أُفِّي» بِإِثْبَاتِ يَاءٍ، هَكَذَا قَالَ الزَّجَّاجُ<sup>(٥)</sup>.

وقال ابنُ الْأَثْبَارِيِّ: فِي «أُفَّ» عَشْرَةُ أَوْجِهٍ: «أُفَّ لَكَ»، بِفَتْحِ الْفَاءِ، [٤٧٣/أ] و«أُفَّ» بِكَسْرِهَا، و«أُفَّ»، و«أُفَّا لَكَ» بِالنَّصْبِ وَالتَّنْوِينِ عَلَى مَذْهَبِ الدُّعَاءِ؛ كَمَا تَقُولُ: وَيَلَّا لِلْكَافِرِينَ، و«أُفَّ لَكَ» بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ، وَهُوَ رَفْعٌ بِاللَّامِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، و«أُفِّهِ لَكَ» بِالْخَفْضِ وَالتَّنْوِينِ؛ تَشْبِيْهًا بِالْأَصْوَاتِ؛ كَقَوْلِكَ: صِهْ وَمِهْ، و«أُفَّهَا لَكَ»، عَلَى مَذْهَبِ الدُّعَاءِ

(١) قراءات شاذة، انظر المصادر السابقة.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٢).

(٣) من (س).

(٤) قراءتان شاذتان، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٧٩).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٤).

أَيْضًا، و«أُفِّي لَكَ» عَلَى الْإِضَافَةِ إِلَى النَّفْسِ، و«أُف لَكَ» بِسُكُونِ الْفَاءِ؛ تَشْبِيهَا بِالْأَدْوَاتِ؛ مِثْلُ: كَمْ، وَهَلْ، وَبَلْ، و«إِف لَكَ» بِكَسْرِ الْأَلِفِ<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ<sup>(٢)</sup>: وقرأتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللُّغَوِيِّ: قَالَ: وَتَقُولُ: «أُف مِنْهُ»، و«أُفَ»، و«أُفُ»، و«أُفِ»، و«أُفَا»، و«أُفْ»، و«أُفِّي» مُضَافٌ، و«أُفَهَا»، و«أُفَا» بِالْأَلِفِ، وَلَا تَقُلْ: «أُفِي» بِأَلْيَاءٍ فَإِنَّهُ خَطَأٌ.

فَأَمَّا مَعْنَى «أُفَّ» فَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ وَسَخُ الظُّفْرِ، قَالَه الْحَلِيلُ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّانِي: وَسَخُ الْأُذُنِ، قَالَه الْأَصْمَعِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّالِثُ: قُلَامَةُ الظُّفْرِ، قَالَه ثَعْلَبٌ<sup>(٥)</sup>.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ الْأُفَّ: الْإِخْتِقَارُ وَالِاسْتِصْغَارُ، مِنْ الْأُفْفِ، وَالْأُفْفُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الْقِلَّةُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثَبَارِيِّ أَيْضًا<sup>(٦)</sup>.

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٨١).

(٢) في (ر): قال، وليست في (س)، و(م).

(٣) العين (٨ / ٤١٠).

(٤) ذكر ذلك عنه الأصمعي (١٥ / ٤٢٢).

(٥) ذكر ذلك عنه ابن فارس في مجمل اللغة (ص: ٨٠).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٨٠)، وانظر: الغريبين في القرآن والحديث (١ / ٨٢).

والخامس: أن الأَفَّ: ما رفعته من الأرض من عودٍ أو قصبَةٍ، حكاة ابن فارس اللُّغوي<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ<sup>(٢)</sup>: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللُّغوي<sup>(٣)</sup> قال: معنى الأَفَّ: التَّنُّ، والتَّضَجُّرُ، وأصلها: نفخك الشيء يسقط عليك من ترابٍ ورمادٍ، وللمكان تريد إماطة الأذى عنه، فقلت لكل مستثقل.

قال الشيخ<sup>(٤)</sup>: وأما قولهم: «تَفَّ»، فقد جعلها قومٌ بمعنى «أَفَّ»، فروي عن أبي عبيد أنه قال: أضل الأَفَّ والتَّفَّ: الوسخ على الأصابع إذا فتلته<sup>(٥)</sup>.

وحكى ابن الأثيري فرقاً، فقال: قال اللُّغويون: أضل الأَفَّ في اللغة: وسخ الأذن، والتَّفَّ: وسخ الأظفار، فاستعملتهما العرب فيما يكره ويستقدر ويضجر منه<sup>(٦)</sup>.

وحكى الزجاج فرقاً آخر، فقال: قد قيل: إن «أَفَّ»: وسخ الأظفار، و«التَّفَّ»: الشيء الحقيق؛ نحو: وسخ الأذن، أو الشظية تؤخذ من الأرض، ومعنى «أَفَّ»: التَّنُّ<sup>(٧)</sup>.

(١) مجمل اللغة (ص: ٨٠).

(٢) في (ر): قال، وليست في (س)، و(م).

(٣) ليست في (م).

(٤) في (س): قلت، وفي (م): قال المصنف.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي (١٦ / ٣١٢).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ١٨٠).

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٣٤).

ومعنى الآية: لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما؛ إذا كبراً وأسنأ، فينبغي أن تتولى من خدمتهما؛ مثل الذي تولي من القيام بشأنك وخدمتك، ﴿وَلَا نَهَرُهُمَا﴾ أي: لا تكلمهما ضجراً صائحاً في وجوههما.

وقال عطاء بن أبي رباح: لا تنفض يدك عليهما<sup>(١)</sup>. يقال: نهزته أنهزته، نهراً، وانتهرته انتهاراً، بمعنى واحد.

وقال ابن فارس: نهزْتُ الرَّجُلَ وانتهرته؛ مثل: زجرته<sup>(٢)</sup>.

قال المفسرون: وإنما نهى عن أذاهما في الكبر، وإن كان منهيًا عنه على كل حالة<sup>(٣)</sup>؛ لأن حالة الكبر يظهر فيها منهما ما يضجر ويؤذي، وتكثر خدمتهما.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا﴾ أي: ليئنا لطيفاً أحسن ما تحمد. وقال سعيد بن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤١٧) من طريق محمد بن عبيد، قال: ثنا واصل الرقاشي، عن عطاء بن أبي رباح، في قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا نَهَرُهُمَا﴾ قال: لا تنفض يدك على والديك. يقال منه: نهزه ينهزه نهراً، وانتهره ينتهره انتهاراً. وعزاه السيوطي في الدر (٤ / ١٧١) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) مجمل اللغة (ص: ٨٤٥).

(٣) في (ر): حال.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤١٨) من طريق خزيمة بن عمران، عن أبي الهذاج التميمي، قال: قلت لسعيد بن المسيب: كل ما ذكر الله عز وجل في القرآن من بر الوالدين، فقد عرفته، إلا قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلَا كَرِيمًا﴾ ما هذا القول الكريم؟ فقال ابن المسيب: قول العبد المذنب للسيد الفظ. وعزاه السيوطي (٤ / ١٧١) إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾؛ أَي: أَلِزْهُمَا  
[٤٧٣/ب] جَانِبَكَ مُتَذَلِّلًا لَهُمَا مِنْ رَحْمَتِكَ إِيَّاهُمَا. وَخَفِضَ الْجَنَاحَ قَدْ شَرَحْنَاهُ فِي  
الْحَجَرِ [آيَة: ٨٨].

وَقَالَ عَطَاءٌ: جَنَاحُكَ: يَدَاكَ، فَلَا تَرْفَعُهَا عَلَى وَالِدَيْكَ<sup>(١)</sup>.  
وَالْجُمْهُورُ يَضْمُونَ الذَّالَ مِنَ «الذَّلِّ». وَقَرَأَ أَبُو رَزِينٍ، وَالْحَسَنُ، وَسَعِيدُ  
بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: بِكَسْرِ الذَّالِ<sup>(٢)</sup>.  
قَالَ الْفَرَّاءُ: الذَّلُّ: أَنْ تَتَذَلَّلَ لَهُمَا، مِنْ الذَّلِّ، وَالذُّلُّ: أَنْ تَتَذَلَّلَ وَلَسْتَ  
بَذَلِيلٍ فِي الْخَلْقَةِ<sup>(٣)</sup>، وَالذُّلُّ وَالذَّلَّةُ: مُضَدُّ الذَّلِيلِ، وَالذَّلُّ، بِالْكَسْرِ: مُضَدُّ  
الذَّلُولِ؛ مِثْلُ الدَّابَّةِ وَالْأَرْضِ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: مَنْ قَرَأَ «الذَّلَّ» بِكَسْرِ الذَّالِ، جَعَلَهُ بِمَعْنَى  
الذَّلِّ، بَضَمَ الذَّالِ، وَالَّذِي عَلَيْهِ كُبرَاءُ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الذَّلَّ؛ مِنْ الرَّجُلِ  
الذَّلِيلِ، وَالذَّلُّ مِنَ الدَّابَّةِ الذَّلُولِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾؛ أَي: مِثْلَ رَحْمَتِهِمَا إِيَّايَ فِي  
صَغَرِي حَتَّى رَبَّيْنِي، وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ الْمَطْلُوقَ نُسِخَ مِنْهُ  
الدُّعَاءُ لِأَهْلِ الشِّرْكِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

(١) سبق تخريجه.

(٢) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ١٨)، والكامل (ص: ٥٨٧).

(٣) في (م): الخدمة.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٢).



لِلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾، وَهَذَا الْمَعْنَى مُنْقُولٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَعِكْرَمَةُ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَلَا أَرَى هَذَا نَسْخًا عِنْدَ الْفُقَهَاءِ؛ لِأَنَّهُ عَامٌّ دَخَلَهُ التَّخْصِصُ، وَقَدْ ذَكَرَ قَرِيبًا مِمَّا قُلْتُهُ ابْنُ جَرِيرٍ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾؛ أَي: بِمَا تُضْمِرُونَ مِنَ الْبِرِّ وَالْعُقُوقِ، فَمَنْ بَدَرَتْ مِنْهُ بَادِرَةٌ وَهِيَ لَا يُضْمِرُ الْعُقُوقَ؛ غَفَرَ لَهُ ذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَادِقِينَ﴾؛ أَي: طَائِعِينَ لِلَّهِ، وَقِيلَ: بَارِئِينَ، وَقِيلَ: تَوَّابِينَ، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا﴾ فِي الْأَوَّابِ عَشْرَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْمُسْلِمُ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ التَّوَّابُ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: هُوَ التَّائِبُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ التَّوَّابُ الْمَقْلَعُ عَنْ جَمِيعِ مَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، يُقَالُ: قَذَّابٌ يُوْوبُ أَوْبًا؛ إِذَا رَجَعَ<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٢٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٤٢٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٧٤).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٣).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٥).

والثالث: أَنَّهُ الْمُسَبِّحُ، رَوَاهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.  
والرابع: أَنَّهُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ تَعَالَى، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.  
والخامس: أَنَّهُ الَّذِي يَذْكُرُ ذَنْبَهُ فِي الْخَلَاءِ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْهُ، قَالَه عُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ.

والسادس: أَنَّهُ الْمُقْبِلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَلْبِهِ وَعَمَلِهِ، قَالَه الْحَسَنُ.  
والسابع: الْمُصَلِّي، قَالَه قَتَادَةُ.

والثامن: هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، قَالَه ابْنُ الْمُنْكَدِرِ.  
والتاسع: الَّذِي يُصَلِّي صَلَاةَ الضُّحَى، قَالَه عَوْنُ الْعُقَيْلِيِّ.  
والعاشر: أَنَّهُ الَّذِي يُذْنِبُ سِرًّا وَيَتُوبُ سِرًّا، قَالَه السُّدِّيُّ.

﴿وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تُبْذِرْ بَنَدِيرًا﴾ (٦١) ﴿إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٧٧) ﴿وَمَا تَعْرَضْنَ عَنْهُمْ ابْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ (٢٨) ﴿[الإسراء: ٢٦ - ٢٨].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقُّهُ﴾ ﴿فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ قَرَابَةُ الرَّجُلِ مِنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ،  
والحسن؛ فعلى هذا في حقهم ثلاثة أقوال:

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٢٢) من طريق عطاء، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِكَ غَفُورًا﴾ قال: المسبحين.

(٢) أخرجه الطبري (١٧/ ٤٢٢) من طريق أبي صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّيْبِكَ غَفُورًا﴾ يقول: للمطيعين المحسنين.





أحدها: أَنْ الْمَرَادُ بِهِ: بِرُّهُمْ وَصِلَتُهُمْ.

والثاني: النَّفَقَةُ الْوَاجِبَةُ لَهُمْ وَقَتَ الْحَاجَةِ.

والثالث: الْوَصِيَّةُ لَهُمْ عِنْدَ الْوَفَاةِ.

والثاني: أَنَّهُمْ قَرَابَةُ الرَّسُولِ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ،  
وَالسُّدِّيُّ. فَعَلَى هَذَا، يَكُونُ حَقُّهُمْ: إِعْطَاؤُهُمْ مِنَ الْخُمْسِ، وَيَكُونُ [٤٧٤/أ]  
الْخِطَابُ لِلْوَلَاةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى: يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ: الصَّدَقَاتِ الْوَاجِبَةِ، يَعْنِي:  
الزَّكَاةَ، وَيُجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ الَّذِي يُلْزِمُهُ إِعْطَاؤُهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ إِلَيْهِ.

وَقِيلَ: حَقُّ الْمَسْكِينِ: مِنَ الصَّدَقَةِ، وَابْنُ السَّبِيلِ: مِنَ الصِّيَافَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ بَذِيرًا﴾ فِي التَّبْذِيرِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقٍّ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَوْ أَنْفَقَ الرَّجُلُ مَالَهُ كُلَّهُ فِي حَقٍّ، مَا كَانَ مُبْذَرًا، وَلَوْ  
أَنْفَقَ مُدًّا فِي غَيْرِ حَقٍّ، كَانَ مُبْذَرًا<sup>(١)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: التَّبْذِيرُ: النَّفَقَةُ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَنْحَرُ  
الْإِبْلَ وَتُبْذِرُ الْأَمْوَالَ تَطْلُبُ بِذَلِكَ الْفَخْرَ وَالشُّمْعَةَ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
بِالنَّفَقَةِ فِي وَجْهِهَا فَيَسِمًا يَقْرُبُ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٤٢٩) بِإِسْنَادٍ، وَالتَّحْلِي فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٣٢٤).

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣ / ٢٣٥).

والثاني: أنه الإسرافُ المتلفُ للمال، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

وقال أبو عبيدة: المبدّر: هو المسرفُ المفسدُ العائث<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾؛ لأنهم يوافقونهم فيما يدعونهم إليه، ويشاكلونهم في معصية الله، ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾؛ أي: جاحداً لنعمه. وهذا يتضمّن أن المسرفَ كفورٌ للنعم.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ في المشارِ إليهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم الذين تقدّم ذكرهم من الأقاربِ والمساكينِ وأبناء السبيل، قاله الأكثرون.

فعلى هذا في علة هذا الإغراض قولان:

أحدهما: الإغسار، قاله الجمهور.

والثاني: خوف إنفاقهم ذلك في معصية الله، قاله ابن زيد.

وعلى هذا في الرّحمة قولان:

أحدهما: الرزق، قاله الأكثرون.

والثاني: أنه الصّلاح والتّوبة، هذا على قول ابن زيد.

والثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: فإمّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ لتكذيبهم، قاله سعيد بن جبير.

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٣٩).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٧٤).

فَتَحْتَمِلْ إِذَا الرَّحْمَةُ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: انْتِظَارُ النَّصْرِ عَلَيْهِم.

وَالثَّانِي: الْهِدَايَةُ لَهُمْ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُمْ نَاسٌ مِنْ مُزِينَةٍ جَاؤُوا يَسْتَحْمِلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَا أَجِدُ مَا أَخْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَبَكَّوْا، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي خَبَابٍ، وَبِلَالٍ، وَعَمَّارٍ، وَمَهْجَعٍ<sup>(١)</sup>، وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ، كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَجِدُ مَا يُعْطِيهِمْ، فَيُغْرِضُ عَنْهُمْ وَيَسْكُتُ، قَالَه مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

فَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ وَالَّذِي قَبْلَهُ تَكُونُ الرَّحْمَةُ بِمَعْنَى الرِّزْقِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: لَيْنًا هَيِّنًا، وَهُوَ مِنَ الْيُسْرِ<sup>(٣)</sup>.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْعِدَّةُ الْحَسَنَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ.

(١) مَهْجَعُ بْنُ صَالِحٍ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وَيُقَالُ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَصَابَهُ سَبِيٌّ فَمَنْ عَلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ. وَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ الصَّفِينِ. لَا عَقَبَ لَهُ. انْظُرْ: الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (٣/ ٢٩٩)، وَالْإِسْتِيعَابُ (٤/ ١٤٨٦) تَرْجُمَةُ (٢٥٧٦).

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٥٢٩).

(٣) مَجَازُ الْقُرْآنِ (١/ ٣٧٥).

والثاني: أنه القول الجميل؛ مثل أن يقول: رَزَقَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ، قاله ابنُ زَيْدٍ؛ وهذا على ما تقدّم من قوله.

[٤٧٤/ب] والثالث: أنه المداراة لهم باللسان، على قول من قال: هُمُ الْمُشْرِكُونَ، قاله أبو سليمان الدمشقي؛ وعلى هذا القول، تحتل الآية النسخ.

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۚ إِنَّا رَبُّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝٢٠﴾ وَلَا تَقْلُوبُوا أُولَدَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَنِي نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمُ إِنَّا فَتَلَهُمْ كَمَا كَانَ خَطَاكُمُ كَبِيرًا ۝٢١﴾ [الإسراء: ٢٩ - ٣١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾.

سَبَبُ نُزُولِهَا: أَنَّ غُلَامًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّ أُمِّي تَسْأَلُكَ كَذًا وَكَذَا، قَالَ: مَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَيْءٌ، قَالَ: فَتَقُولُ لَكَ: اكْسِنِي قَمِيصَكَ، قَالَ: فَخَلَعَ قَمِيصَهُ فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، وَجَلَسَ فِي الْبَيْتِ حَاسِرًا، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٤) (٥٧٥) من طريق سليمان بن سفيان الجهني قال: حدثنا قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص، عن عبد الله قال: جاء غلام إلى رسول الله ﷺ - فقال: إن أمي تسألك كذا وكذا، فقال: "مَا عِنْدَنَا الْيَوْمَ شَيْءٌ"، قال: فتقول لك اكسني قميصك، قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسرًا، فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ۚ﴾... الآية. وإسناده ضعيف بسبب سليمان الجهني. انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٢٠٩) ترجمة رقم: (٣٤٧٠)، وبسبب قيس بن الربيع، انظر: تقريب التهذيب (٢/ ١٢٨) ترجمة رقم: (١٣٩)، ومعناه غريب كذلك. وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٧٦) إلى ابن جرير.



وَرَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَحْوَ هَذَا، فَرَادَ فِيهِ، فَأَذَنَ بِلَالٍ لِلصَّلَاةِ<sup>(١)</sup>،  
وَانْتَظَرُوهُ فَلَمْ يَخْرُجْ، فَشَغَلَ قُلُوبُ الصَّاحِبَةِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ، فَرَأَوْهُ  
عُرْيَانًا، فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>.

وَالْمَعْنَى: لَا تُمْسِكْ يَدَكَ عَنِ الْبَذْلِ كُلِّ الْإِمْسَاكِ حَتَّى كَأَنَّهَا مَقْبُوضَةٌ  
إِلَى عُقْبِكَ.

(١) هذا من أمارات ضعف هذا الأثر؛ لأنَّ السورة مكية، ولم يكن يؤذن للصلاة بمكة،  
بل بدأ الأذان بالمدينة كما ذكر الإمام البخاري رحمه الله في "صحيحه"، كتاب الأذان،  
باب بدء الأذان، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ يَكُونُ  
فَوْرًا لَا يَتَّقُونَ﴾ [المائدة: ٥٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال الحافظ ابن حجر: يشير بذلك إلى أن ابتداء الأذان كان بالمدينة؛ لأنَّ  
ابتداء الجمعة إنما كان بالمدينة، وحديث ابن عمر رضي الله عنهما في هذا الباب ظاهر  
في أن الأذان إنما شرع بعد الهجرة؛ لقوله: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون  
فيتحنيون الصلاة، ليس ينادى لها، فتكلموا يومًا في ذلك... الحديث (٦٠٤) عند  
البخاري، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٨٠)، وذكره الإمام مسلم أيضًا في  
الصحيح، كتاب الصلاة، باب بدء الأذان (٣٧٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٧) بدون إسناد، قال جابر بن عبد الله:  
بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعدًا فيما بين أصحابه أتاه صبي فقال: يا  
رسول الله إن أمي تستكسيك درعًا ولم يكن عند رسول الله - ﷺ - إلا قميصه، فقال  
للصبي: 'من ساعة إلى ساعة يظهر كذا، فعد إلينا وقتا آخر'، فعاد إلى أمه، فقالت  
قل له: أمي تستكسيك القميص الذي عليك، فدخل رسول الله - ﷺ - داره ونزع  
قميصه وأعطاه، وقعد عريانا، فأذن بلال للصلاة فانتظروه فلم يخرج، فشغل قلوب  
الصحابه، فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية. قال  
ابن حجر في الكافي الشاف (٩٩): لم أجده.

﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾: فِي الْإِعْطَاءِ وَالتَّفَقُّةِ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ تَلُومُ نَفْسِكَ وَيُلُومُكَ النَّاسُ.

﴿تَحْسُورًا﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: تَحْسِرُكَ الْعَطِيَّةُ وَتَقْطَعُكَ كَمَا يَحْسِرُ السَّفَرُ الْبَعِيرَ فَيَبْقَى مُنْقَطَعًا بِهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَحْسُورُ: الَّذِي قَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ فِي التَّعَبِ وَالْإِعْيَاءِ. فَالْمَعْنَى: فَتَقْعُدُ وَقَدْ بَلَغْتَ فِي الْحِمْلِ عَلَى نَفْسِكَ وَحَالِكَ حَتَّى صُرْتَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَدْ حُسِرَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى: وَهَذَا الْخَطَابُ أُرِيدَ بِهِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْخُرُ شَيْئًا لِيَعْدِ، وَكَانَ يُجُوعُ حَتَّى يَشُدَّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ، وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنْ فَضْلَاءِ الصَّحَابَةِ يُنْفِقُونَ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُونَ، فَلَمْ يَنْهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، لِصَحَّةِ يَقِينِهِمْ، وَإِنَّمَا نَهَى مَنْ خِيفَ عَلَيْهِ التَّحْسِرُ عَلَى مَا خَرَجَ مِنْ يَدِهِ، فَأَمَّا مَنْ وَثَّقَ بِوَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ غَيْرُ مُرَادٍ بِالْآيَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾؛ أَي: يَوْسَعُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَيُضَيِّقُ، ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ حَيْثُ أَجْرَى أَرْزَاقَهُمْ عَلَى مَا عَلِمَ فِيهِ صَلَاحَهُمْ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٦).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ﴾ قد فسّرناه في الأنعام [آية: ١٥١].  
 قوله تعالى: ﴿كَانَ خَطَاكُمُ كَثِيرًا﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو، وعاصم،  
 وحزرة، والكسائي: «خَطَا» مكسورة الحاء ساكنة الطاء مهموزة مقصورة.  
 وقرأ ابن كثير، وعطاء: «خَطَاء» مكسورة الحاء مندودة مهموزة.  
 وقرأ ابن عامر: «خَطَا» بنصب الحاء والطاء وبالهَمْزِ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ، وقرأ  
 أبو رزين كذلك، إلا أنه مدّ<sup>(١)</sup>.

وقرأ الحسن: وقتادة: «خَطَا» بفتح الحاء وسكون الطاء مهموز  
 مقصور. وقرأ الزهري، ومحمد بن قيس<sup>(٢)</sup>: «خَطَى» بكسر الحاء وتنوين  
 الطاء مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ وَلَا مَدٍّ<sup>(٣)</sup>.

قال الفراء: «الْخَطْءُ»: الإِثْمُ، وقد يكون في معنى خَطَاً؛ كما قالوا:  
 قَتَبْتُ وَقَتَبْتُ، وَحَذَرْتُ وَحَذَرْتُ، وَنَجَسْتُ وَنَجَسْتُ<sup>(٤)</sup>. وَالْخَطْءُ، وَالْخَطَاءُ،  
 وَالْخَطَا، ممدود؛ لغات. وقال أبو عبيدة: خَطِئْتُ وَأَخْطَأْتُ، لُغَتَانِ<sup>(٥)</sup>.

(١) قراءات سبعة، وعشرية، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٧٩)، والتيسير؛ للداني  
 (ص: ١٣٩ - ١٤٠)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٠٧).

(٢) هو محمد بن قيس، أبو صفوان الأعرج، المكي، المقرئ، روى عن مجاهد وعكرمة  
 وطائفة، وروى عنه: مالك، والسفيانان، توفي سنة (١٣٠ هـ). انظر: طبقات القراء  
 (١ / ٢٦٥)، وتقريب التهذيب (١ / ٢٠٣)، والخلاصة (١ / ٢٦٠).

(٣) قراءتان شاذتان، انظر: المحتسب (٢ / ١٩)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٢ / ١٢٣)، وشواذ  
 ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٤) معاني القرآن (٢ / ١٢٣).

(٥) مجاز القرآن (١ / ٣٧٦).

وقال أبو علي: قراءة ابن كثير: «خِطَاء»، يجوز أن تكون مصدر [٤٧٥/أ] خَاطَأَ وإن لم يُسمع خَاطَأَ، ولكن قد جاء ما يدل عليه<sup>(١)</sup>، أنشد أبو عبيدة<sup>(٢)</sup> [قوله]<sup>(٣)</sup> [من المتقارب]:

تَخَاطَطَاتِ النَّبْلُ أَخْشَاءُ .....<sup>(٤)</sup>

وقال الأنخفش: خَطِيئٌ يَخْطَأُ بمعنى: أذنب، وليس بمعنى: أخطأ؛ لأن أخطأ: فيما لم يصنعه عمداً<sup>(٥)</sup>، تقول فيما أتيتُه عمداً: خَطِئْتُ، وفيما لم تتعمده<sup>(٦)</sup>: أَخْطَأْتُ<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن الأنباري: الخِطْءُ: الإثم، يُقال: قد خَطِئَ يَخْطَأُ: إذا أثم، وأخطأ يَخْطِئُ: إذا فارق الصواب. وقد شرحنا هذا في سورة<sup>(٨)</sup> يوسف عند قوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ [آية: ٩١].

(١) الحجة للقراء السبعة (٥ / ٩٦ - ٩٧).

(٢) مجاز القرآن (٢ / ٥).

(٣) من (ر).

(٤) صدر بيت لأوفي بن مطر المازني، كما في سمط اللآلي في مجاز القرآن (٢ / ٥)، وشرح أمالي القالي (١ / ٤٦٥)، وشرح أبيات المغني (٧ / ٤١)، وبلا نسبة في الديباج لأبي عبيدة (ص: ٥)، والحجة للقراء السبعة (٥ / ٩٧)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٤٩٤)، وعجزة:

..... \*\*\* وَوَحَرَ يَوْمِي فَلَمْ أَعْجَلِ

(٥) في (ر): عدأ.

(٦) في (ر): يتعمده.

(٧) معاني القرآن (٢ / ٤٢٢).

(٨) ليست في (س).



﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٣٣) [الإسراء: ٣٢ - ٣٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ وقرأ أبو رزين، وأبو الجوزاء، والحسن: بالمد<sup>(١)</sup>.

قال أبو عبيدة: وقد يمد الزنا في كلام أهل نجد<sup>(٢)</sup>، قال الفرزدق [من الطويل]:

أَبَا حَاضِرٍ مَنْ يَزْنِ يُعْرِفُ زَنَاؤُهُ وَمَنْ يَشْرِبِ الْخُرْطُومَ يُصْبِحُ مُسَكَّرًا<sup>(٣)</sup>  
وقال أيضًا [من الكامل]:

أَخْضَبْتَ فِعْلَكَ لِلزَّنائِ وَلَمْ يَكُنْ<sup>(٤)</sup> يَوْمَ اللَّقَاءِ لِتَخْضِبِ الْأَبْطَالَ<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر [من الكامل]:

..... كَمَا كَانَ الزَّنائُ فَرِيضَةَ الرَّجَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرمانى (ص: ٢٨٠).

(٢) مجاز القرآن (١ / ٣٧٧).

(٣) البيت له في مجاز القرآن (١ / ٣٧٧)، والصحاح (٢ / ٦٨٨)، ومقاييس اللغة (٣ / ٢٦)، والمخصص (٥ / ١٥) بلفظ: (أبا خالد).

(٤) في (س)، و(م): تكن.

(٥) البيت بلا نسبة في مجاز القرآن (١ / ٣٧٧).

(٦) البيت للتباغة الجعدي في ديوانه (ص: ٣٥)، وشرح أبيات سيوبه (٢ / ١٥٤)، ووسط اللآلي (١ / ٣٦٨)، ولسان العرب (٣ / ١٨٧٥) (زني)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ =

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قد ذكرناه في الأنعام [آية: ١٥١].

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا﴾

قال الزجاج: الأجود إذغام الدال مع الجيم، والإظهار جيد بالغ، إلا أن الجيم من وسط اللسان، والدال من طرف اللسان، والإدغام جائز؛ لأن حروف وسط اللسان تقرب من حروف طرف اللسان. ووليّه: الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه، فإن لم يكن له <sup>(١)</sup> ولي، فالسلطان وليّه <sup>(٢)</sup>.

وللمفسرين في السلطان قولان:

أحدهما: أنه الحجة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه الوالي، والمعنى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا﴾ ينصره وينصفه في حقه، قاله ابن زيد.

(وفي قوله) <sup>(٣)</sup>: ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: «فَلَا يُسْرِفُ» بالياء. وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي: بالتاء <sup>(٤)</sup>.

= للفرء مجاز القرآن (١ / ٣٧٨)، تأويل مشكل القرآن (ص: ١٢٦)، وتفسير الطبري (٣ / ٣١٢)، وصدره:

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا نَقُولُ كَمَا \*\*\* .....

(١) ليست في (س).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٣٧).

(٣) في (س): قوله، وفي (م): قوله تعالى.

(٤) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٥).

وَفِي الْمَشَارِإِ إِلَيْهِ بِالْآيَةِ<sup>(١)</sup> قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ وَلِيُّ الْمُقْتُولِ.

وَفِي الْمَرَادِ بِإِسْرَافِهِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يَقْتُلَ غَيْرَ الْقَاتِلِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَقْتُلَ اثْنَيْنِ بِوَاحِدٍ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ بُنْ جُبَيْرٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنْ يَقْتُلَ أَشْرَفَ مَنْ الَّذِي قُتِلَ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالرَّابِعُ: أَنْ يُمَثَّلَ قَالَ قَتَادَةُ.

وَالْخَامِسُ: أَنْ يَتَوَلَّى هُوَ قَتَلَ الْقَاتِلِ دُونَ السُّلْطَانِ، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْإِشَارَةَ إِلَى الْقَاتِلِ الْأَوَّلِ. وَالْمَعْنَى: فَلَا يُسْرِفُ الْقَاتِلُ بِالْقَتْلِ تَعَدِّيًا وَظُلْمًا، قَالَ مُجَاهِدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾؛ أَي: مُعَانًا عَلَيْهِ.

وَفِي هَاءِ الْكِنَايَةِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْوَلِيِّ، فَاْلْمَعْنَى: أَنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا بِتَمَكُّينِهِ مِنَ الْقَوَدِ، قَالَ قَتَادَةُ وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْمُقْتُولِ، فَاْلْمَعْنَى: أَنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا بِقَتْلِ قَاتِلِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

(١) فِي (م): فِي الْآيَةِ.

(٢) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣ / ٢٣٧).

والثالث: أنَّها ترجعُ إلى الدَّم، فالمعنى: أن دمَ المقتولِ كان منصُورًا؛ أي: مَطْلُوبًا به.

والرَّابع: أنَّها ترجعُ إلى القتلِ، ذكرَ القولَينِ الفراءُ<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ  
كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>(٣٦)</sup> وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا  
<sup>(٣٥)</sup> وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا  
<sup>(٣٦)</sup> ﴿[الإسراء: ٣٤ - ٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ قد شرحناه في الأتعام [آية: ١٥٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ وهو عامٌ فيما بينَ العبدِ وبينَ ربِّه،  
وفيمَا بينَهُ وبينَ النَّاسِ.

قال الزَّجَّاجُ: كُلُّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ فَهُوَ مِنَ الْعَهْدِ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَانَ مَسْئُولًا﴾ قال ابنُ قُتَيْبَةَ: أي: مَسْئُولًا عَنْهُ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾؛ أي: أَمْتُوهُ وَلَا تَبْخَسُوا مِنْهُ.

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾.

(١) معاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٢) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٢٣٨)، وعبارته في النسخة المطبوعة: وَالْعَهْدُ كُلُّ مَا عَاهَدَ  
اللَّهُ عَلَيْهِ، وكل ما بينَ العبادِ مِنَ المَوَائِقِ فَهِيَ عُهُود.

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٤٦).

فيه خمس لغات:

أحدها: قُسطاسٌ بضم القاف وسينين، وهذه قراءة ابن كثير، ونافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وأبي بكر عن عاصم هاهنا، وفي الشعراء [آية: ١٨٢].

والثانية: كذلك، إلا أن القاف مكسورة، وهذه قراءة حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم<sup>(١)</sup>. قال الفرّاء: هما لغتان<sup>(٢)</sup>.

والثالثة: قُسطاَض، بصادتين<sup>(٣)</sup>.

والرابعة: قُسطاسٌ، بصاد قبل الطاء وسين بعدها، وهاتان مزويتان عن حمزة<sup>(٤)</sup>.

والخامسة: قُسطان، بالنون.

قال الشيخ<sup>(٥)</sup>: قرأتُ على شيخنا أبي منصور اللغوي عن ابن دريد قال: القُسطاسُ: الميزانُ، روميّ معرّب، ويُقال: قُسطاسٌ، وقِسطاسٌ<sup>(٦)</sup>.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٠)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٠).

(٢) لغات القرآن (ص: ٨٠).

(٣) رواية (قسطاص) هي رواية عبيد الله بن موسى العبسي، عن حمزة، كما في شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٠).

(٤) رواية (قسطاس) هي رواية الأعشى عن شعبة، كما في جامع البيان؛ للداني (٣/ ١٠٢٤)، وزاد الأشموني عنه، والكامل؛ للهنلي (ص: ٥٠٧)، وزاد أنها رواية قبل، وعزاها مكّي في الهداية (٦/ ٤١٩٩) للأعمش عن أبي بكر.

(٥) قوله: (قال الشيخ) ليس في (ر)، و(س)، و(م).

(٦) المعرب من الكلام الأعجمي (ص: ٢٩٩).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾؛ أَي: ذَلِكَ الْوَفَاءُ خَيْرٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ،  
﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾؛ أَي: عَاقِبَةٌ فِي الْجَزَاءِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

قَالَ الْفَرَّاءُ: أَصْلُ «تَقْفُ» مِنَ الْقِيَافَةِ؛ وَهِيَ تَتَّبِعُ الْأَثَرَ، وَفِيهِ لُغَتَانِ:  
قَفَا يَقْفُو، وَقَافَ يَقُوفُ، وَأَكْثَرُ الْقُرَّاءِ يُجْعَلُونَهَا مِنْ قَفَوْتُ، فَيُحَرِّكُ الْفَاءَ  
إِلَى الْوَاوِ وَيَجْزِمُ الْقَافَ؛ كَمَا تَقُول: لَا تَدْعُ<sup>(١)</sup>.

وَقَرَأَ مُعَاذُ الْقَارِيءُ: «لَا تَقْفُ»<sup>(٢)</sup>؛ مِثْلُ: تَقْلُ؛ وَالْعَرَبُ تَقُولُ: قَفْتُ  
أَثَرَهُ، وَقَفَوْتُ، وَمِثْلُهُ: عَاثَ وَعَثَى، وَقَاعَ الْجَمَلَ النَّاقَةَ وَقَعَا؛ إِذَا رَكِبَهَا<sup>(٣)</sup>.  
قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ قَرَأَ بِأَسْكَانِ الْفَاءِ وَضَمِّ الْقَافِ؛ مِنْ قَافَ يَقُوفُ،  
فَكَأَنَّهُ مَقْلُوبٌ مِنْ قَفَا يَقْفُو، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ؛ تَقُولُ: قَفَوْتُ الشَّيْءَ أَقْفُوهُ  
قَفْوًا؛ إِذَا تَبِعْتُ أَثَرَهُ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: «لَا تَقْفُ»؛ أَي: لَا تُتَّبِعْهُ الظُّنُونُ وَالْحَدَسَ، وَهُوَ مِنَ  
الْقَفَاءِ مَأْخُودٌ، كَأَنَّكَ تَقْفُو الْأُمُورَ؛ أَي: تَكُونُ فِي أَقْفَائِهَا وَأَوَاخِرِهَا تَتَعَقَّبُهَا.  
وَالْقَائِفُ: الَّذِي يَعْرِفُ الْآثَارَ وَيَتَّبِعُهَا، فَكَأَنَّهُ مَقْلُوبٌ عَنِ الْقَافِ<sup>(٥)</sup>.

(١) لغات القرآن (ص: ٨٢)، ومعاني القرآن (٢/ ١٢٣).

(٢) قراءة شاذة، عزاها الكرمانى في شواذ القراءات (ص: ٢٨٠) إلى الكلبي، وانظر: شواذ  
ابن خالويه (ص: ٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للفراء.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٣٩).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٥).

وللمفسرين في المراد به أربعة أقوال:

أحدها: لا ترم أحدا بما ليس لك به علم، رواه العوفي عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.  
والثاني: لا تقل رأيت ولم تر ولا سمعت ولم تسمع، رواه عثمان بن  
عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس، وبه قال قتادة<sup>(٢)</sup>.

والثالث: لا تشرك بالله شيئا، رواه عطاء أيضا عن ابن عباس.

والرابع: لا تشهد بالزور، قاله محمد بن الحنفية.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ أُولَئِكَ﴾.

قال الزجاج: إنما قال: ﴿كُلُّ﴾، ثم قال: ﴿كَانَ﴾؛ لأن كلا في لفظ  
الواحد، وإنما قال: ﴿أُولَئِكَ﴾ لغير الناس؛ لأن كل جمع أشرت إليه من الناس  
وغيرهم من الموات، تشير إليه بلفظ: «أُولَئِكَ»<sup>(٣)</sup>، قال جرير [من الكامل]:

دُمَّ الْمَنَازِلُ بَعْدَ مَنَزِلَةِ اللَّوَى      وَالْعَيْشُ بَعْدَ أُولَئِكَ الْيَّامِ<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٤٧) من طريق العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿كُلُّ﴾ ولا  
نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ يقول: لا ترم أحدا بما ليس لك به علم.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٤٧) من طريق معمر، عن قتادة ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ  
بِهِ عِلْمٌ﴾ قال: لا تقل رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٣٩).

(٤) البيت في ديوانه (ص: ٤٥٢)، وفيه: (الأقوام) بدل: (الأيام)، وورد بهذه الرواية في معاني  
القرآن؛ للأخفش (٢ / ٦١٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٤٠)، و«تفسير الماوردي»  
(٣ / ٢٤٤)، و«ابن الجوزي» ٥ / ٣٥، وورد بلا نسبة في تفسير الطبري (١٧ / ٤٤٩)،  
والثعلبي (١٦ / ٣٣٨)، وتفسير ابن عطية (٦ / ٢٠٦)، والمفصل في صنعة الإعراب  
(ص: ١٨٠)، والعقد الفريد (١ / ٣٣٩)، واللوى: اسم وادٍ من أودية بني سُلَيْم.

[٤٧٦/أ] قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: الْإِشَارَةُ إِلَى الْجَوَارِحِ الْمَذْكُورَةِ، يُسْأَلُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا إِذَا اسْتَعْمَلَهَا، وَفِي هَذَا زَجْرٌ عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ، وَالِاسْتِمَاعُ إِلَى مَا يَجْرُمُ، وَالْعَزْمُ عَلَى مَا لَا يَجُوزُ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٣٧) [الإسراء: ٣٧].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ﴿وَقَرَأَ الضَّحَّاكُ، وَابْنُ يَعْمُرَ: «مَرَحًا»<sup>(١)</sup> بَكْسَرِ الرَّاءِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْأَخْفَشُ: وَالْكَسْرُ أَجْوَدُ؛ لِأَنَّ «مَرَحًا» اسْمُ الْفَاعِلِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَكِلَاهُمَا فِي الْجَوْدَةِ سَوَاءٌ، غَيْرَ أَنَّ الْمُضَدَّ أَوْكَدُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ؛ (تَقُولُ: جَاءَ زَيْدٌ رَكْضًا، وَجَاءَ زَيْدٌ رَاكِضًا، فَرَكْضًا أَوْكَدُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ)<sup>(٤)</sup>؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى تَوْكِيدِ الْفِعْلِ. وَتَأْوِيلُ الْآيَةِ: لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَخْتَالًا فَخُورًا<sup>(٥)</sup>. وَالْمَرْحُ: الْأَشْرُ وَالْبَطَرُ. وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: الْمَرْحُ شِدَّةُ الْفَرَحِ<sup>(٦)</sup>.

(١) ليست في (س).

(٢) قراءة شاذة، انظر: شواذ ابن خالويه (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٤).

(٤) ما بين الهلالين ساقط من (س).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٦) مجمل اللغة (ص: ٨٢٩).



قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لن تقطعها إلى آخرها.

والثاني: لن تنفذها وتنقبها.

قال ابن عباس: لن تخرق الأرض بكبرك، ولن تبلغ الجبال طولا بعظمتك<sup>(١)</sup>.

قال ابن قتيبة: والمعنى: أنه<sup>(٢)</sup> لا ينبغي للعاجز<sup>(٣)</sup> أن يندخ ويستكبر<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو:

«سَيِّئَةً» منونا غير مضاف، على معنى: كان خطيئة؛ فعلى هذا يكون قوله:

﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ إشارة إلى المنهي عنه من المذكور فقط.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «سَيِّئُهُ» مضافا مذكرا

مرفوعا<sup>(٥)</sup>، فتكون لفظة ﴿كُلُّ﴾ يُشار بها إلى جميع<sup>(٦)</sup> ما تقدم ذكره<sup>(٧)</sup>.

وكان أبو عمرو لا يرى هذه القراءة.

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٣/ ١٠٨)، والتفسير البسيط (١٣/ ٣٣٥)، وأخرجه

الطبري (١٧/ ٤٥٠) من طريق معمر، عن قتادة ﴿وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قال: لا تمش

في الأرض فخرًا وكبرًا، فإن ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك.

(٢) ليست في (م).

(٣) في (ر)، والمطبع من غريب القرآن: للفاجر.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٥).

(٥) ليست في (م).

(٦) في (م): سائر.

(٧) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة (ص: ٣٨٠)، والإتحاف (ص: ٣٥٧).

قَالَ الزَّجَّاجُ: وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ أَبِي عَمْرٍو؛ لِأَنَّ فِي هَذِهِ الْأَقَاصِيصِ سَيِّئًا، وَحَسَنًا وَذَلِكَ أَنَّ فِيهَا الْأَمْرَ بِرِ الْوَالِدَيْنِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَالْوَفَاءَ بِالْعَهْدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَحْسَنُ مِنْ قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ السَّيِّئَةَ<sup>(١)</sup>. وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ<sup>(٢)</sup>: تَدَبَّرْتُ الْآيَاتِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ فَوَجَدْتُ فِيهَا أُمُورًا حَسَنَةً<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: مَنْ قَرَأَ «سَيِّئَةً» رَأَى أَنَّ الْكَلَامَ انْقَطَعَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لَا حُسْنَ فِيهِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يُشِيرُ إِلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، ﴿مِنَ الْحِكْمَةِ﴾؛ أَي: مِنَ الْأُمُورِ الْمُحْكَمَةِ وَالْأَدَبِ الْجَامِعِ لِكُلِّ خَيْرٍ. وَقَدْ سَبَقَ مَعْنَى الْمَذْهُورِ.

﴿أَفَاصْفَنُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِزَاعًا لِّتَقُولُوا قَوْلًا عَظِيمًا﴾ [الإسراء: ٤٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَاصْفَنُكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِ﴾.

قَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ الرَّحْمَنِ<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٠).

(٢) في الأصل، و(س): عبيد، والمثبت من (ر)، و(م).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨٠).

(٤) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١٠٢).

(٥) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣١).



وقال أبو عبيدة: ومعنى ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾: اختصكم<sup>(١)</sup>. وقال المفضل: أخلصكم<sup>(٢)</sup>.

وقال الزجاج: أختار لكم صفوة الشيء<sup>(٣)</sup>. وهذا توبيخ للكفار، والمعنى: أختار لكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاختصكم بالأعلى وجعل لنفسه الأدنى؟.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤١].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ معنى التّصريف هاهنا: التّبيين، وذلك أنّه إنّما يُصَرِّفُ القولَ لِيُبَيِّنَ.

[٤٧٦/ب]

وقال ابن قتيبة: «صَرَّفْنَا» بمعنى: وجَّهْنَا، وهو من قولك: صَرَفْتُ إِلَيْكَ كَذَا؛ أي: عدَلْتُ بِهِ إِلَيْكَ<sup>(٤)</sup>، وشَدَّدَ لِلتَّكْثِيرِ؛ كما تقول: فَتَحْتُ الْأَبْوَابَ.

قوله تعالى: ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «لِيَذَكَّرُوا» مُشَدَّدًا<sup>(٥)</sup>. وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «لِيَذَكَّرُوا» مُخَفَّفَةً<sup>(٦)</sup>، وكذلك قرؤوا في الفرقان [آية: ٥٠].

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٠).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٣٩)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٠٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤١).

(٤) في (م): إليك كذا.

(٥) في (م): مشدد.

(٦) في (س): مخففاً، والقراءتان سبعيتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٠).

والتَّذَكُّرُ: الإِتْعَاظُ والتَّذَبُّرُ. ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تَصْرِيفُنَا وَتَذَكُّرُنَا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَنْفِرُونَ مِنَ الْحَقِّ وَيَتَّبِعُونَ الْبَاطِلَ <sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ <sup>(٤٢)</sup> سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا <sup>(٤٣)</sup> نَسِجَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَنْسِجُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَنْفَعُهُمْ نَسِيجُهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا <sup>(٤٤)</sup> ﴿[الإِسْرَاءُ: ٤٢ - ٤٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «تَقُولُونَ» بِالتَّاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «يَقُولُونَ» بِالْيَاءِ <sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: لَابْتَغَوْا سَبِيلًا إِلَى مَمْنَعَتِهِ وَإِزَالَةِ مُلْكِهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّانِي: لَابْتَغَوْا سَبِيلًا إِلَى رِضَاهُ؛ لِأَنَّهُمْ دُونَهُ، قَالَهُ قَتَادَةُ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَمَا يَقُولُونَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «يَقُولُونَ» بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ حُمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ: بِالتَّاءِ <sup>(٣)</sup>.

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٣٤٢)، والتفسير الوسيط (٣ / ١٠٨).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، واليسير؛ للداني (ص: ١٤٠).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر المصدر السابق.



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَسْبِخُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ﴾ ﴿قَرَأَ أَبُو عَمْرِو، وَحُمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «تُسَبِّحُ» بِالتَّاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «يُسَبِّحُ» بِالْيَاءِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَإِنَّمَا حُسِنَتِ الْيَاءُ هَاهُنَا؛ لِأَنَّهُ عَدَدٌ قَلِيلٌ، وَإِذَا قَلَّ الْعَدَدُ مِنَ الْمُؤَنَّثِ وَالْمَذْكَرِ؛ كَانَتِ الْيَاءُ فِيهِ أَحْسَنَ مِنَ التَّاءِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْمُؤَنَّثِ الْقَلِيلِ: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠]، وَقَالَ فِي الْمَذْكَرِ: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾<sup>(٢)</sup> [التوبة: ٥].

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْمَرَادُ بِهَذَا التَّسْبِيحِ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ﴿إِنْ» بِمَعْنَى: «مَا».

وَهَلْ هَذَا عَلَى إِطْلَاقِهِ، أَمْ لَا؟ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُهُ حَتَّى الثُّوبُ وَالطَّعَامُ وَصَرِيرُ الْبَابِ، قَالَه إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ.  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ عَامٌّ يُرَادُ بِهِ الْخَاصُّ.

ثُمَّ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ الرُّوحُ، قَالَه الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ كُلُّ ذِي رُوحٍ، وَكُلُّ نَامٍ مِنْ شَجَرٍ أَوْ نَبَاتٍ.

(١) قراءتان سبعيتان، انظر: انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨١)، وتفسير البغوي

(٢) (٦٨٤ / ٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٠٧).

(٢) معاني القرآن (٢ / ١٢٤).

قَالَ عِكْرِمَةُ: الشَّجَرَةُ تُسَبِّحُ، وَالْأُسْطُوَانَةُ لَا<sup>(١)</sup> تُسَبِّحُ<sup>(٢)</sup>.

وَجَلَسَ الْحَسَنُ عَلَى طَعَامٍ فَقَدَّمُوا الْخَوَانَ، فَقِيلَ لَهُ: أَيْسَبِّحُ هَذَا الْخَوَانَ؟، فَقَالَ: قَدْ كَانَ يُسَبِّحُ مَرَّةً<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ لَمْ يُغَيَّرْ عَنْ حَالِهِ، فَإِذَا تَغَيَّرَ انْقَطَعَ تَسْبِيحُهُ.

رَوَى خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ عَنِ الْمُقَدَّامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: إِنَّ الثُّرَابَ يُسَبِّحُ<sup>(٤)</sup> مَا لَمْ يَبْتَلْ، فَإِذَا ابْتَلَّ تَرَكَ التَّسْبِيحَ، وَإِنَّ الْوَرَقَةَ لَتُسَبِّحُ<sup>(٥)</sup> مَا دَامَتْ عَلَى الشَّجَرَةِ، فَإِذَا سَقَطَتْ تَرَكَتِ التَّسْبِيحَ، وَإِنَّ الثُّوبَ لَيُسَبِّحُ مَا دَامَ جَدِيدًا، فَإِذَا تَوَسَّخَ تَرَكَ التَّسْبِيحَ<sup>(٦)</sup>.

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ الْخَطِيئَةُ، وَفِي الْمَصَادِرِ بَدُون (لَا).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٤٥٥)، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ وَاضِحٍ، قَالَ: ثَنَا الْحَسَنِ، عَنْ يَزِيدٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ قَالَ: الشَّجَرَةُ تَسْبِيحُ، وَالْأُسْطُوَانَةُ تَسْبِيحُ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْهَوَاتِفِ (ص: ١٢١)، رَقْم (١٤٥) مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ وَاضِحٍ بِهِ، وَعَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٥ / ٢٩١) إِلَى أَبِي حَاتِمٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْهَوَاتِفِ (ص: ١٢١) رَقْم (١٤٣) مِنْ طَرِيقِ أَبِي ثَمِيلَةَ، عَنْ جَرِيرِ أَبِي الْخَطَّابِ الْعَدَوِيِّ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ الْحَسَنِ عَلَى خَوَانَ فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ: يَسْبَحُ هَذَا الْخَوَانَ؟ قَالَ: «قَدْ كَانَ يُسَبِّحُ مَرَّةً». وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٤٥٦) مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ وَاضِحٍ وَزَيْدِ بْنِ حَبَابٍ، قَالَا ثَنَا جَرِيرُ أَبُو الْخَطَّابِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ وَمَعَهُ الْحَسَنُ فِي طَعَامٍ، فَقَدَّمُوا الْخَوَانَ، فَقَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ: يَا أَبَا سَعِيدٍ يَسْبَحُ هَذَا الْخَوَانَ: فَقَالَ: «كَانَ يُسَبِّحُ مَرَّةً».

(٤) فِي (م): لَيْسَبِحُ.

(٥) فِي (م): تَسْبِيحُ.

(٦) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٣٤٧) (١٧٠٥) مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ =

فَأَمَّا تَسْبِيحَ الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ فَمَعْلُومٌ، وَتَسْبِيحُ الْحَيَوَانِ غَيْرِ النَّاطِقِ  
فَجَائِزٌ<sup>(١)</sup> أَنْ يَكُونَ بِصَوْتِهِ، وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بِدَلَالَتِهِ عَلَى صَانِعِهِ. [٤٧٧/أ]

وَفِي تَسْبِيحِ الْجَمَادَاتِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَسْبِيحٌ لَا يَعْلُمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ خُضُوعُهُ وَخُشُوعُهُ لِلَّهِ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ دِلَالَتُهُ عَلَى صَانِعِهِ، فَيُوجِبُ ذَلِكَ تَسْبِيحَ مُبْصَرِهِ.

فَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ تَسْبِيحٌ حَقِيقَةٌ، كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾  
لِجَمِيعِ الْخَلْقِ.

وَإِنْ قُلْنَا: إِنَّهُ دِلَالَتُهُ عَلَى صَانِعِهِ، كَانَ الْخِطَابُ لِلْكَفَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَدِلُّونَ،  
وَلَا يَغْتَبِرُونَ. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْحَلِيمِ وَالْغَفُورِ فِي [سُورَةِ] <sup>(٢)</sup> الْبَقَرَةِ [آيَةِ: ٢٢٥].

= بن أحمد الخزاعي، قال: حدثنا بقية بن الوليد، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن  
معدان، عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه، قال: إن التراب ليسبح ما لم يتبل، فإذا ابتل  
ترك التسبيح، وإن الخرزة لتسبح ما لم ترفع عن موضعها، فإذا رفعت تركت التسبيح،  
وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فإذا سقطت تركت التسبيح، وإن الماء ليسبح  
ما دام جاريًا، فإذا ركذ ترك التسبيح، وإن الوحش إذا صاحت سبحت، وإذا سكنت  
تركت التسبيح، وإن الثوب ليسبح ما دام جديدًا، فإذا وسخ ترك التسبيح، وإن الثوب  
الخلق لينادي في أول النهار: اللهم اغفر لمن نقاني. والإسناد فيه الخزاعي يخطئ  
ويخالف، وفيه أيضًا بقية كثير التدليس. وذكره البغوي في معالم التنزيل (٥/ ٩٦) بلفظ  
قريب من لفظ الثعلبي، بتقديم وتأخير فيه.

(١) في الأصل، و(ر)، و(س): جائز، والمثبت من (م).

(٢) من (م).

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ۝١٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ، وَلَوُا عَلَى أَذْنُرِهِمْ نُفُورًا ۝١٦﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ۚ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ۝١٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝١٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُقْنًا آءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝١٩﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٢٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيَضْحَكُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝٢١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ۚ وَتَنْظُرُونَ أَنْ لَيْسَ لَكُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢٢﴾ [الإسراء: ٤٥ - ٥٢].

قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّ الْحِجَابَ: هُوَ الْأَكِنَّةُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، قَالَه قَتَادَةُ.

والثاني: أَنَّهُ حِجَابٌ يَسْتُرُهُ فَلَا تَرَوْنَهُ.

وقيل: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ كَانُوا يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ.

قال الكلبي: وَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو جَهْلٍ، وَأُمُّ جَمِيلٍ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ، فَحَجَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَنْ أَبْصَارِهِمْ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَكَانُوا يَأْتُونَهُ وَيَمُرُّونَ بِهِ، فَلَا يَرَوْنَهُ<sup>(١)</sup>.

والثالث: أَنَّهُ مَنَعُ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمْ عَنْ أَذَاهُ، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ<sup>(٢)</sup>.

(١) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٣٤٦)، والتفسير الوسيط (٣ / ١١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٤٣).





وفي معنى ﴿مَسْتُورًا﴾ قولان:

أحدهما: أنه بمعنى: سَاتِر.

قال الزجاج: وهذا قول أهل اللغة<sup>(١)</sup>. قال الأخفش: وقد يكون الفاعل في لفظ المفعول؛ كما تقول: إنك مشؤوم علينا، وميمون علينا، وإنما هو شائم ويامن؛ لأنه من «شأمهم» و«يمنهم»<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أن المعنى: حجاباً مستوراً عنكم لا ترونه، ذكره الماوردي<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الأثيري: إذا قيل: الحجاب: هو الطبع على قلوبهم، فهو مستور عن الأبصار، فيكون مستوراً باقياً على لفظه.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ قد شرحناه في [سورة]<sup>(٤)</sup> الأنعام [آية: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ يعني: قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن ﴿وَلَوْ أَعْلَىٰ أَذْنِهِمْ﴾ قال أبو عبيدة: أي: على أعقابهم، ﴿نُفُورًا﴾ وهو: جمع نافر، بمنزلة قاعد وقعود، وجالس وجلوس<sup>(٥)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٢٤٦).

(٤) من (م).

(٥) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).



وقال الزَّجَّاجُ: تَحْتَمِلُ مَذْهَبَيْنِ:

أحدهما: المصدر؛ فيكون المعنى: وَلَوْ نَافِرِينَ نَفُورًا.

والثاني: أن يكون نفورًا جمع نافر<sup>(١)</sup>.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الشَّيَاطِينُ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: أنَّهم المشركون، وهذا مذهبُ ابنِ زَيْدٍ.

قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾.

قال المفسرون: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عليًا -عليه السلام- أن يتخذَ طعامًا ويدعو إليه أشرافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، ففعل ذلك، ودخلَ عليهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى التَّوْحِيدِ، وكانوا يَسْتَمِعُونَ ويقولون فيما بينهم: هو ساحرٌ، هو مسحورٌ<sup>(٢)</sup>، (فتزلت هذه الآية)<sup>(٣)</sup>: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾؛ أي: يَسْتَمِعُونَهُ، والباءُ<sup>(٤)</sup> زائدةٌ.

[٤٧٧/ب] ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ قال أبو عبيدة: هي مصدرٌ من ناجيتُ واسمٌ منها، فوصفَ القومُ بها، والعربُ تفعل ذلك؛ كقولهم: إنَّها هُمُ<sup>(٥)</sup>

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٣).

(٢) ذكر ذلك الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٣٥١)، والتفسير الوسيط (٣/ ١١١).

(٣) ليست في (ر).

(٤) في (ر): التاء.

(٥) في (م): هو.

عَذَابٌ، وَأَنْتُمْ غَمٌّ، فَجَاءَتْ فِي مَوْضِعٍ مُتَنَاجِينَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى: وَإِذْ هُمْ ذَوُو نَجْوَى، وَكَانُوا يَسْتَمِعُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ بَيْنَهُمْ: هُوَ سَاحِرٌ، وَهُوَ مُسْحُورٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ الْقَوْلِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ يعني: أولئك المشركون<sup>(٣)</sup> ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما تَتَّبِعُونَ<sup>(٤)</sup> ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾.

وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّهُ الَّذِي سُحِرَ فَذُهِبَ بِعَقْلِهِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: مَخْدُوعًا مَغْرُورًا، قَالَه مُجَاهِدٌ.

والثالث: لَهُ سِحْرٌ، أَي: رِثَّةٌ؛ وَكُلُّ دَابَّةٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ بَشَرٍ يَأْكُلُ فَهُوَ: مُسْحُورٌ وَمُسَحَّرٌ؛ لِأَنَّ لَهُ سِحْرًا، قَالَ لَبِيدٌ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ<sup>(٥)</sup>

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٤٣).

(٣) في (س): المشركين.

(٤) في (ر)، و(س): يتبعون.

(٥) البيت للبيد في تفسير الطبري (١٧ / ٤٦٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٤٣)، ومسائل

نافع بن الأزرق (ص: ٧٦)، ومجاز القرآن (١ / ٣٨١)، والعين (٣ / ١٣٥)، والزاهر؛

للأنباري (١ / ٢٠٦)، والبيان والتبيين (١ / ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤).

وقال امرؤ القيس [من الوافر]:

أَرَانَا مُرْصِدِينَ لِأَمْرِ غَيْبٍ      وَتُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ<sup>(١)</sup>  
 أي<sup>(٢)</sup>: نُغْذَى؛ لَأَنَّ أَهْلَ السَّاءِ لَا يَأْكُلُونَ، فَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا. فعلى  
 هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى: إِنَّ تَتَبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا لَهُ سَحَرٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ كَخَلْقِكُمْ،  
 وَلَيْسَ بِمَلَكٍ وَهَذَا قَوْلُ أَبِي عُيَيْدَةَ<sup>(٣)</sup>.

قال ابن قتيبة: والقول قول مجاهد؛ [أي: مخدوعًا]<sup>(٤)</sup>؛ لَأَنَّ السَّحَرَ  
 حِيلَةٌ وَخَدِيعَةٌ، وَمَعْنَى قَوْلِ لَبِيدٍ: «السَّحَرِ»: المَعْلَلُ، وقول امرئ القيس:  
 «وَتُسَحَّرُ»؛ أي: نُعْلَلُ، وَكَأَنَّا نُخْدَعُ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: سَحَرْتَنِي بِكَلامِكَ؛  
 أي: خَدَعْتَنِي، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ  
 أَرَادُوا رَجُلًا ذَارِئَةً، لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَثَلٌ ضَرَبُوهُ، فَلَمَّا أَرَادُوا مَخْدُوعًا - كَأَنَّهُ  
 بِالْخَدِيعَةِ سَحَرٌ - كَانَ مَثَلًا ضَرَبُوهُ، وَكَأَنَّهُمْ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ قَوْمًا يُعْلَمُونَهُ  
 وَيَخْدَعُونَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) البيت لأمرئ القيس؛ كما في غريب القرآن؛ لابن قتيبة (ص: ٢٥٦)، والعين (٣/ ١٣٥)،  
 وجمهرة اللغة (١/ ٥١١)، والبيان والتبيين (١/ ١٦٧)، والفاخر (ص: ١٦٤)، وجمهرة  
 أشعار العرب (ص: ١٦)، والزاهر (١/ ٧٩)، والصناعتين (ص: ١١١) بلفظ: (مُؤْضِعِينَ)  
 بدل: (مُرْصِدِينَ).

(٢) في (ر): قوله أي.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨١).

(٤) من (م).

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٦).



قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَمَعْنَى ﴿صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ يَنْتَوَالِكَ الْأَشْبَاهَ، حِينَ<sup>(١)</sup> شَبَّهُواكَ بِالسَّاحِرِ وَالشَّاعِرِ وَالْمَجْنُونِ ﴿فَضَلُّوا﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لَا يَجِدُونَ سَبِيلًا إِلَى تَصْحِيحِ مَا يَعْيِبُونَكَ بِهِ.

وَالثَّانِي: لَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا إِلَى الْهُدَى؛ لِأَنَّا طَبَعْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وَالثَّلَاثُ: لَا يَأْتُونَ سَبِيلَ الْحَقِّ؛ لِثِقَلِهِ عَلَيْهِمْ؛ وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ: لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى فَلَانٍ، يَعْنُونَ: أَنَا مُبْغِضٌ لَهُ، فَنَظَرِي إِلَيْهِ يَثْقُلُ، ذَكَرَهُنَّ ابْنُ الْأَثَرِيِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: «أَيْذَا» بِهَمْزَةٍ، ثُمَّ يَأْتِي بِيَاءٍ سَاكِنَةٍ مِنْ غَيْرِ مَدٍّ. {أَيْنَا} مِثْلُهُ، وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ. وَكَذَلِكَ رَوَى قَالُونَ عَنْ نَافِعٍ، إِلَّا أَنْ نَافِعًا كَانَ لَا يَسْتَفْهِمُ فِي «أَيْنَا»، كَانَ يَجْعَلُ الثَّانِي خَبْرًا فِي كُلِّ الْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ مَذْهَبُ الْكِسَائِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ يَهْمِزُ الْأُولَى هَمْزَتَيْنِ.

وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَهَمْزَةٌ بِهَمْزَتَيْنِ فِي الْحَرْفَيْنِ جَمِيعًا. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «إِذَا كُنَّا» [٤٧٨/أ] بِغَيْرِ اسْتَفْهَامٍ بِهَمْزَةٍ وَاحِدَةٍ «أَيْنَا» بِهَمْزَتَيْنِ يُمَدُّ بَيْنَهُمَا مَدَّةٌ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفْنَا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ التَّرَابُ، وَلَا وَاحِدَ لَهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الدَّقَاقِ وَالْحُطَامِ، قَالَهُ الْفَرَّاءُ<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ مَذْهَبُ مُجَاهِدٍ.

(١) فِي (م): حَتَّى.

(٢) كُلُّهَا قُرَآءَاتُ سَبْعِيَّةٍ، انْظُرْ: السَّبْعِيَّةُ؛ لِابْنِ مُجَاهِدٍ (ص: ٣٨١)، وَالنَّشْرُ (١/ ٣٧٢).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢/ ١٢٥).

والثاني: أَنَّهُ الْعِظَامُ مَا لَمْ تَتَحَطَّمْ، وَالرُّفَاتُ: الْحُطَامُ، قَالَ أَبُو عُيَيْدَةَ<sup>(١)</sup>.  
وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الرُّفَاتُ: التَّرَابُ. وَالرُّفَاتُ: كُلُّ شَيْءٍ حُطِمَ وَكُسِرَ،  
و﴿خَلَقًا جَدِيدًا﴾ فِي مَعْنَى مُجَدَّدًا<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ خَلَقْنَا مَتَاعًا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:  
أَحَدُهَا: أَنَّهُ الْمَوْتُ، قَالَهُ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْحَسَنُ، وَالْأَكْثَرُونَ.  
وَالثَّانِي: أَنَّهُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.  
وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ<sup>(٣)</sup> مَا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ، مِنْ كُلِّ مَا اسْتَعْظَمُوهُ مِنْ  
خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَهُ قَتَادَةُ.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قِيلَ هُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾ وَهُمْ لَا يَقْدُرُونَ  
عَلَى ذَلِكَ؟

فَعَنَّهُ جَوَابَانِ:

أَحَدُهُمَا: إِنْ قَدِرْتُمْ عَلَى تَغْيِيرِ<sup>(٤)</sup> حَالَاتِكُمْ، فَكُونُوا حِجَارَةً أَوْ أَشَدَّ  
مِنْهَا، فَإِنَّا نُمِيتُكُمْ، وَنُنْفِذُ أَحْكَامَنَا فِيكُمْ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُكَ لِلرَّجُلِ:  
اصْعَدْ إِلَى السَّمَاءِ فَإِنِّي لَأَحِقُّكَ.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٨٢).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) في (م): تَغْيَرٌ.

وَالثَّانِي: تَصَوَّرُوا أَنْفُسَكُمْ حِجَارَةً أَوْ أَصْلَبَ مِنْهَا، فَإِنَّا سَنُبِيدُكُمْ،  
قَالَ الْأَخْوَصُ [مِن الطَّوِيل]:

إِذَا كُنْتَ عِزْهَاءَ عَنِ اللَّهْوِ وَالصَّبَى فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدًا<sup>(١)</sup>  
معناه: فتصوّر نفسك حجراً، وهؤلاء قومٌ اعترفوا أنّ الله خالقهم،  
وجحدوا البعث، فأعلموا أنّ الذي ابتداءً خلقهم هو الذي يُحييهم.  
قوله تعالى: ﴿فَسَيَنْفِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قَالَ قتادة: يُحَرِّكُونَهَا تَكْذِيبًا  
وَاسْتَهْزَاءً<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْفَرَّاءُ: يُقَالُ أَنْغَضَ رَأْسَهُ؛ إِذَا حَرَّكَهُ إِلَى فَوْقَ وَإِلَى أَسْفَلَ<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْمَعْنَى: يُحَرِّكُونَهَا، كَمَا يُحَرِّكُ الْآيِسُ مِنَ الشَّيْءِ وَالْمُسْتَبْعِدُّ  
لَهُ رَأْسَهُ، يُقَالُ: نَغَضْتُ سِنْتَهُ؛ إِذَا تَحَرَّكَتْ<sup>(٤)</sup>.

(١) البيت للأخوص في كتاب الألفاظ؛ لابن السكيت (ص: ٣٩٨)، والشعر والشعراء  
(١ / ٥١٠)، وأمالى الزجاجي (ص: ٧٥)، وزهر الآداب (٢ / ٤٠٦)، والحماسة البصرية  
(١ / ١٢٧)، وبلا نسبة في المخصص (١٦ / ١٧٥)، والخصائص (١ / ٢٢٩)، والمحکم  
والمحيط (١ / ١١٨)، وأساس البلاغة (٢ / ١١٥) (عزه)، في «اللسان» العزهاة: هو  
الذي لا يقرب النساء. وفيه انقباض وإعراض. وصخرة جلمد: شديدة مجتمعة صلبة.  
(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١ / ٣٧٩) عن معمر به، والطبري في تفسيره (١٧ / ٤٦٧)  
من طريق ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿فَسَيَنْفِضُونَ  
إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قال: يحركون رؤوسهم.

(٣) معاني القرآن (٢ / ١٢٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ يَغْنُونُ الْبَغْثَ ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾؛ أَي: هُوَ قَرِيبٌ. ثُمَّ بَيَّنَّ مَتَى يَكُونُ؟ فَقَالَ: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يَغْنِي: مِنْ الْقُبُورِ بِالنِّدَاءِ الَّذِي يُسْمِعُكُمْ، وَهُوَ النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ أَي: تُجِيبُونَ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: يَقُومُ إِسْرَافِيلُ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ يَدْعُو أَهْلَ الْقُبُورِ فِي قَرْنٍ، فيَقُولُ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، وَأَيَّتُهَا اللَّحُومُ الْمَتَمَرِّقَةُ، وَأَيَّتُهَا الشُّعُورُ الْمَتَفَرِّقَةُ، وَأَيَّتُهَا الْعُرُوقُ الْمَتَقَطَّعَةُ، اخْرُجُوا إِلَى فَضْلِ الْقِصَاصِ<sup>(١)</sup> لْتَجْزُوا بِأَعْمَالِكُمْ، فَيَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، فَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي مَعْنَى ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أَزْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: بِأَمْرِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ زَيْدٍ.  
وَالثَّانِي: يُخْرِجُونَ مِنَ الْقُبُورِ وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ مَعْنَى ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بِمَعْرِفَتِهِ، وَطَاعَتِهِ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

قَالَ الرَّجَّاجُ: تَسْتَجِيبُونَ مُقَرَّرِينَ أَنَّهُ خَالِقُكُمْ<sup>(٣)</sup>.

وَالرَّابِعُ: تَحْيِيُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا بِحَمْدِ أَنْفُسِكُمْ، ذَكَرَهُ الْمَاورِدِيُّ<sup>(٤)</sup>. [٤٧٨/ب]

(١) فِي (س)، وَ(م): الْقِضَاءُ.

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٥٣٥).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ٢٤٥).

(٤) النِّكَتُ وَالْعِيُونُ (٣/ ٢٤٩).



قوله تعالى: ﴿رَتُّنُونِ إِن لَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في هذا الظن قولان:

أحدهما: أنه بمعنى اليقين.

والثاني: أنه على أصله.

وأين يظنون أنهم لَبِثُوا قَلِيلًا؟ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بين النَّفَخَتَيْنِ، ومقداره أربعون سنة، ينقطع في ذلك العذاب عنهم، فيرون لبثهم في زمان الراحة قليلاً، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: في الدنيا، لعلمهم بطول اللبث في الآخرة، قاله الحسن.

والثالث: في القبور، قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

فعلى هذا إنما قصر اللبث في القبور عندهم؛ لأنهم خرجوا إلى ما هو أعظم عذاباً من عذاب القبور.

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية<sup>(٢)</sup> خطاب للمؤمنين؛ لأنهم يجيبون المنادي وهم يحمدون الله على إحسانه إليهم، ويستقلون مدة اللبث في القبور؛ لأنهم كانوا غير معذبين.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٥).

(٢) ليست في (س).

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن المشركين كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكّة، بالقول والفعل، فشكّوا ذلك إلى رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، فنزلت هذه الآية. قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن رجلاً من الكفار شتم عمر بن الخطاب، فهم به عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>. والمعنى: وقُلْ لِعِبَادِي المؤمنين يقولوا الكلمة التي هي أحسن.

واختلفوا فيمن يُقال<sup>(٣)</sup> له<sup>(٤)</sup> هذه الكلمة على قولين:

أحدهما: أنّهم المشركون. قال الحسن: تقول له: يَهْدِيكَ اللهُ<sup>(٥)</sup>. وما ذكرنا من سبب نزول الآية يؤيد هذا القول.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٨)، والتفسير البسيط (١٣ / ٣٦٥)، والتفسير الوسيط (٣ / ١١٢) من رواية الكلبي.

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٥٣٥)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٢٤٩).

(٣) في (م): تقال.

(٤) في (ر): لهم.

(٥) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٣٦١)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٣٦٦)، والتفسير الوسيط (٣ / ١١٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٥ / ٩٩).

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ أَمَرُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ بِتَحْسِينِ خِطَابِ الْمُشْرِكِينَ  
قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِهِمْ، ثُمَّ نُسِخَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بِآيَةِ السَّيْفِ.  
وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْمُسْلِمُونَ، قَالَهُ ابْنُ جَرِيرٍ<sup>(١)</sup>.

وَالْمَعْنَى: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنَ  
الْمَحَاوَرَةِ وَالْمَخَاطَبَةِ.

وَقَدْ رَوَى مُبَارَكٌ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَنْ يَقُولَ لَهُ  
مِثْلُ قَوْلِهِ، وَلَكِنْ يَقُولُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَيَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْأَخْفَشُ: وَقَوْلُهُ: ﴿يَقُولُوا﴾؛ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وَقَدْ شَرَحْنَا ذَلِكَ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ [آيَة: ٣١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾؛ أَي: يُفْسِدُ مَا بَيْنَهُمْ. وَالْعَدُوُّ  
الْمُبِينُ: الظَّاهِرُ الْعَدَاوَةِ.

(١) تفسير الطبري (١٧ / ٤٦٩).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٦٩) من طريق خلاد بن أسلم، قال: ثنا النضر،  
قال: أخبرنا المبارك، عن الحسن في هذه الآية ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قال:  
التي هي أحسن، لا يقول له مثل قوله يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك. وذكره  
مكي في الهداية (٦ / ٤٢٢٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣٠١) إلى ابن جرير.

(٣) معاني القرآن (٢ / ٤٢٥).

﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ فيمن خُوطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون.

ثُمَّ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: ﴿ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ فيُنَجِّيكم من أهل مَكَّةَ، و﴿ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ فيُسَلِّطُهُم عليكم، رواه أبو صالح عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

والثاني: ﴿ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ بالتَّوْبَةِ، {أو يُعَذِّبْكُمْ} بالإِقَامَةِ على الذُّنُوبِ، قاله الحسن.

والثاني: أنهم المشركون.

ثُمَّ في معنى الكلام قولان: [٤٧٩/١]

أحدهما: ﴿ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ فيُهْدِيكم للإيمان، ﴿ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ فيُمِيتْكم على الكفر، قاله مقاتل<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أنه لما نزل القحط بالمشرِكين فقالوا: ﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [الدخان: ١٢]، قال الله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ﴾ من الذي يؤمن، ومن الذي لا يؤمن، ﴿ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ ﴾ فيكْشِفُ القحط عنكم ﴿ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ﴾ فيتركه عليكم، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

(١) تنوير المقباس (ص: ٢٣٨)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٣٦٢) من رواية الكلبي.

(٢) تفسير مقاتل (٢ / ٥٣٦).

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَ«أَوْ» هَاهُنَا دَخَلَتْ لِسَعَةِ الْأَمْرَيْنِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى،  
وَأَنَّهُ لَا يُرَدُّ عَنْهُمَا، فَكَانَتْ مُلْحَقَةً بِ«أَوْ» الْمُبِيحَةِ فِي قَوْلِهِمْ: جَالِسِ الْحَسَنَ،  
أَوْ ابْنَ سِيرِينَ، يَعْنُونَ: قَدْ وَسَّعْنَا لَكَ الْأَمْرَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: كَفِيلًا تُوْخَذُ<sup>(٢)</sup> بِهِمْ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.  
وَالثَّانِي: حَافِظًا وَرَبًّا، قَالَه الْفَرَّاءُ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: كَفِيلًا يَهْدِيهِمْ، وَقَادِرًا عَلَى إِصْلَاحِ قُلُوبِهِمْ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.  
وَذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى أَنَّ هَذَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيط (٦٨ / ٧).

(٢) فِي (س): يُوْخَذُ.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآن (٢ / ١٢٥).

(٤) ذَكَرَ هَذَا الْقَوْلَ ابْنُ حَزْمٍ فِي نَاسِخِهِ (ص: ٣٤٥)، قَالَ الْمَصْنِفُ فِي كِتَابِ نَوَاسِخِ الْقُرْآنِ

(ص: ٣٩٢): لِلْمَفْسِّرِينَ فِي مَعْنَى الْوَكِيلِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: كَفِيلًا تُوْخَذُ بِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -.

وَالثَّانِي: حَافِظًا وَرَبًّا، قَالَه الْفَرَّاءُ.

وَالثَّلَاثُ: كَفِيلًا يَهْدِيهِمْ وَقَادِرًا عَلَى إِصْلَاحِ قُلُوبِهِمْ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

وَعَلَى هَذَا الْآيَةِ مُحْكَمَةٌ، وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ: أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَلَيْسَ

بِصَحِيحٍ. وَقَالَ النُّحَاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ (ص: ١٣٦ - ١٣٧): لَا يَحْسُنُ نَسْخُ هَذَا؛

لَأَنَّهُ خَبَرٌ، وَالْمَعْنَى الصَّحِيحُ أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - لَيْسَ حَفِيفًا عَلَى مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ بِحِفْظِ

أَعْمَالِهِ، إِنَّمَا هُوَ دَاعٍ وَمُنْذِرٌ وَمُبَلِّغٌ - وَمِثْلُهُ فِي الْاِخْتِلَافِ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ

عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ وَ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ كُلُّهُ مُحْكَمٌ غَيْرُ مَنْسُوخٍ.

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأنه خالقهم، فهدى من شاء، وأضل من شاء، وكذلك فضل بعض النبيين على بعض، وذلك عن حكمة منه وعلم، فخلق آدم بيده، ورفع إدريس، وجعل الذرية لنوح، واتخذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليما، وجعل عيسى روحًا، وأعطى سليمان ملكًا جسيمًا، ورفع محمدًا ﷺ فوق السموات، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

ويجوز أن يكون المفضلون أصحاب الكتب؛ لأنه ختم الكلام بقوله: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ وقد شرحنا معنى الزبور في سورة النساء [آية: ١٦٣].

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾<sup>(١)</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٦ - ٥٧].

قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ في سبب نزولها قولان: أحدهما: أن نفرًا من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجن والنفر من العرب لا يشعرون، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، روي عن ابن مسعود<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧١٤)، من طريق عمرو بن علي، حدثنا يحيى، حدثنا سفيان، حدثني سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله ﷺ ﴿إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: «كان ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء»

والثاني: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَيَقُولُونَ: هِيَ تَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ اللَّهِ، فَلَمَّا ابْتُلُوا بِالْقُحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، قِيلَ لَهُمْ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَالْمَعْنَى: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أَتَاهُمْ آلَهُةٌ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ لَهُ إِلَى غَيْرِكُمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾.

فِي الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ بـ «أُولَئِكَ» ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَتَاهُمُ الْجِنُّ الَّذِينَ أَسْلَمُوا.

وَالثَّانِي: الْمَلَائِكَةُ. وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ الْقَوْلَيْنِ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُمُ الْمَسِيحُ<sup>(٢)</sup>، وَالْمَلَائِكَةُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَفِي مَعْنَى «يَدْعُونَ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَعْبُدُونَ؛ أَي: يَدْعُوهُمْ آلَهُةً، وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ بِمَعْنَى يَتَضَرَّعُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي طَلَبِ الْوَسِيلَةِ.

=بدينهم، وأخرجه أيضًا مسلم (٣٠٣٠) من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا حسين، عن قتادة، عن عبد الله بن معبد الزماني، عن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ قال: نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون، فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٦).

(٢) في الأصل زيادة كلمة: وعزير، وضرب عليها، وليست في سائر النسخ الخطية.

[٤٧٩/ب] وعلى هذا يكون قوله: «يَدْعُونَ» راجعاً إلى «أُولَئِكَ»، ويكون قوله: «يَبْتَغُونَ» تماماً للكلام.

وعلى القول الأول: يكون «يَدْعُونَ» راجعاً إلى المشركين، ويكون قوله: «يَبْتَغُونَ» وصفاً لـ «أُولَئِكَ» مُستأنفاً.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبد الرحمن: «تَدْعُونَ» بالتاء<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ الأَثَرِيِّ: فعلى هذا الفعلُ مُردودٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ﴾، ومن قرأ: «يَدْعُونَ» بالياء، قال: العربُ تنصرفُ من الخطابِ إلى الغيبةِ إذا أُمِنَ اللَّبْسُ. ومعنى «يَدْعُونَ»: يَدْعُوهُمْ أَلَهَةً. وقد فسّرنا معنى الوسيلةِ في المائدة [آية: ٣٥].

وفي قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قولان - ذكرهما الزَّجَّاجُ -:

أحدهما: أن يكون «أَيُّهُمْ» مرفوعاً بالإبتداء، وخبره: «أَقْرَبُ»، ويكون المعنى: يطلبون الوسيلةَ إلى ربِّهم، ينظرون أيُّهم أقرب إليه فيتوسَّلون إلى الله به<sup>(٢)</sup>.

والثاني: أن يكون ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدلاً من الواوِ في ﴿يَبْتَغُونَ﴾، فيكون المعنى: يبتغي أيُّهم هو أقرب الوسيلة إلى الله؛ أي: يتقرَّب إليه بالعمل الصَّالح. بلغ.

(١) قراءة شاذة، انظر عزوها في مختصر الشواذ (ص: ٧٩)، وشواذ القراءات؛ للكرمانى (ص: ٢٨١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٦).



﴿وَلَنْ مِنْ قَرِيبٍ إِلَّا نَخْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَيْكَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٥٨﴾ [الإسراء: ٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ قَرِيبٍ إِلَّا نَخْنُ مُهْلِكُوهَا﴾ ﴿٥٨﴾ «إِنْ» بمعنى: «مَا»، والقرية الصالحة هلاكها بالموْت، والعاصية بالعذاب، والكتاب: اللوح المحفوظ، والمسطور: المكتوب.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ ﴿٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ ﴿٥٩﴾ سبب نزولها فيه <sup>(١)</sup> قولان:

أحدهما: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمُ الصِّفَا ذَهَبًا، وَأَنْ يُنْحِيَ عَنْهُمْ الْجِبَالَ فَيَزْرَعُوا، فَقِيلَ لَهُ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي بِهِمْ لَعَلَّنَا نَجْتَبِي مِنْهُمْ، وَإِنْ شِئْتَ نُؤْتِيهِمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أَهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، قَالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فنزلت هذه الآية، رواه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ <sup>(٢)</sup>.

(١) في (س): في سبب نزولها.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٣٣)، والنسائي في الكبرى (١١٢٢٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٤٧٦ - ٤٧٧)، والحاكم في مستدركه (٢ / ٣٦٢)، والبزار (٢٢٢٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢ / ١٥٥)، والضياء في المختارة (١٠ / ٧٩ - ٨٠) من طريق جرير، عن الأعمش، عن جعفر بن إياس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ، أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، وأن ينحي الجبال عنهم، فيزرعوا، فقيل له: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْتَأْنِي بِهِمْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ نُؤْتِيَهُمُ الَّذِي سَأَلُوا، فَإِنْ كَفَرُوا أَهْلِكُوا كَمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، قَالَ: «لَا، بَلْ أَسْتَأْنِي بِهِمْ» فأنزل الله عز=

والثاني: قد ذكرناه عن الزُّبَيْرِ في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَ سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١]. ومعنى الآية: وما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين، يعني: أن هؤلاء سألوا الآيات التي استوجب بتكذيبها الأولون العذاب، فلم تُرسلها<sup>(١)</sup> لئلا يكذب بها هؤلاء، فيهلكون<sup>(٢)</sup> كما هلك أولئك، وسنة الله في الأمم إذا سألوا الآيات ثم كذبوا بها عذبهم. قوله تعالى: ﴿وَأَنبَأْنَا نُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً﴾.

قال ابن قتيبة: أي: بينة، يُريد: مُبْصِرًا بها<sup>(٣)</sup>. قال ابن الأنباري: ويجوز أن تكون «مُبْصِرَةً»، ويصلح أن يكون المعنى: مبصرٌ مُشاهدوها، فنسب إليها فعل غيرها تجوزًا، كما يقال: لا أرينك هاهنا، فأدخل حرفَ النهي على غيرِ المنهي عنه؛ إذ المعنى: لا تحضر هاهنا، حتى إذا جئت لم أرك فيه.

ومن قرأ: «مُبْصِرَةً» بفتح الميم والصَّادِ<sup>(٤)</sup>، فمعناه: المبالغة في وصف الناقة بالتيان؛ كقولهم: الولدُ مجنونةٌ.

= وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآبَأْنَا نُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً﴾. وقال البزار: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه صحيح إلا من هذا الوجه.

(١) في (م): يرسلها.

(٢) كذا في الأصل، و(س)، وفي (م): فيهلكوا.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥٧).

(٤) قراءة شاذة عزها الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٨٢) إلى قتادة، وهي في مختصر الشواذ (ص: ٨٠) بلا ضبط.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَجَحَدُوا بِهَا<sup>(١)</sup>. وَقَالَ [أ/٤٨٠] الْأَخْفَشُ: بِهَا كَانَ ظَلَمَهُمْ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾؛ أَي: نُخَوِّفُ الْعِبَادَ لِيَتَّعِظُوا.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي الْمَرَادِ بِهِذِهِ الْآيَاتِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْمَوْتُ الدَّرِيعُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالثَّانِي: مُعْجَزَاتُ الرُّسُلِ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى تَخْوِيفًا لِلْمُكَذِّبِينَ.

وَالثَّالِثُ: آيَاتُ الْإِنْتِقَامِ تَخْوِيفًا مِنَ الْمَعَاصِي.

وَالرَّابِعُ: تَقَلُّبُ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِ مِنْ صَغَرٍ إِلَى شَبَابٍ، ثُمَّ إِلَى كُهُولَةٍ، ثُمَّ إِلَى مَشَيْبٍ؛ لِيَعْتَبَرَ بِتَقَلُّبِ أَحْوَالِهِ فَيَخَافُ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ، ذَكَرَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةَ الْمَآوِرِدِي، وَنَسَبَ [الْقَوْلَ] (٣) الْأَخِيرَ مِنْهَا إِلَى إِمَامِنَا أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّهْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٦٠].

(١) تنوير المقياس (ص: ١٣٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٣) من (م).

(٤) النكت والعيون (٣/ ٢٥٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالنَّاسِ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالنَّاسِ، يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ، أَنْ يَفْتَحَهَا لِرَسُولِهِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَحَاطَتْ قُدْرَتُهُ بِالنَّاسِ، فَهُمْ فِي قَبْضَتِهِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّلَاثُ: حَالُ بَيْنِكَ وَبَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَقْتُلُوكَ، لِتُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ فِي هَذِهِ الرُّيَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا رُؤْيَا عَيْنٍ، وَهِيَ مَا رَأَى لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْعَجَائِبِ وَالْآيَاتِ.

رَوَى عِكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ رَأَاهَا لَيْلَةً أُسْرِيَ بِهِ<sup>(٢)</sup>، وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ الْحَسَنُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَمَسْرُوقٌ، وَالنَّخَعِيُّ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو مَالِكٍ، وَأَبُو صَالِحٍ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَابْنُ زَيْدٍ فِي آخَرِينَ.

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى الْفِتْنَةِ: الْإِخْتِبَارُ، فَإِنَّ قَوْمًا آمَنُوا بِمَا قَالَ، وَقَوْمًا كَفَرُوا.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٨٨٨)، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٠٢) (١٥٨٢)، والإمام أحمد في مسنده (١٩١٦).

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: الْمُخْتَارُ فِي هَذِهِ الرَّؤْيَةِ أَنْ تَكُونَ يَقْظَةً، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: رَأَيْتُ فَلَانًا رُؤْيَةً، وَرَأَيْتُهُ رُؤْيَا، إِلَّا أَنَّ الرَّؤْيَةَ يَقُلُّ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْمَنَامِ، وَالرُّؤْيَا يَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْمَنَامِ، وَيَجُوزُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي الْمَعْنَيْنِ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا رُؤْيَا مَنَامٍ.

ثُمَّ فِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ قَدْ أَرَى أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ، هُوَ وَأَصْحَابُهُ، وَهُوَ يَوْمِئِذٍ بِالْمَدِينَةِ، فَعَجَّلَ قَبْلَ الْأَجَلِ، فَرَدَّهُ الْمَشْرِكُونَ، فَقَالَ أَنَسٌ: قَدْ رُدَّ، وَكَانَ حَدَّثَنَا أَنَّهُ سَيَدْخُلُهَا، فَكَانَ رَجُوعُهُمْ فَتَنَهُمْ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

وَهَذَا لَا يُنَافِي حَدِيثَ الْمَعْرَاجِ؛ لِأَنَّ هَذَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمَعْرَاجَ كَانَ بِمَكَّةَ، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ: وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى وَجْهِ الزِّيَادَةِ فِي الْإِخْبَارِ لَنَا أَنَّ الْمَشْرِكِينَ بِمَكَّةَ افْتَنُوا بِرُؤْيَا عَيْنِهِ، وَالْمَنَافِقِينَ بِالْمَدِينَةِ افْتَنُوا بِرُؤْيَا نَوْمِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ أَرَى بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْمَنَابِرِ، فَسَاءَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا الدُّنْيَا يُعْطَوْنَهَا، فَسَرَّيْ عَنْهُ. فَالْفِتْنَةُ هَاهُنَا: الْبَلَاءُ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٨٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٠) إلى

ابن جرير وابن مردويه.

[٤٨٠/ب] جُدْعَانُ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ<sup>(١)</sup>، وَإِنْ كَانَ مِثْلُ هَذَا لَا يَصَحُّ، وَلَكِنْ قَدْ ذَكَرَهُ عَامَّةُ الْمَفْسِّرِينَ.

وَرَوَى ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْمَسِيْبِ قَالَ: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمًا عَلَى مَنَابِرَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ نَزَلَ: ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْءَانِ﴾، قَالَ: وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾: إِلَّا بَلَاءٌ لِلنَّاسِ.

قَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: فَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ الشَّجَرَةَ رِجَالٌ رَأَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنَامِهِ يَضَعُدُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ؛ اخْتَجَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ يُكْنَى بِهَا عَنِ الْمَرْأَةِ لِتَأْنِيثِهَا، وَعَنِ الْجَمَاعَةِ لِاجْتِمَاعِ أَغْصَانِهَا. قَالُوا: وَوَقَعَتِ اللَّعْنَةُ بِهِؤُلَاءِ الَّذِينَ كُنَى عَنْهُمْ بِالشَّجَرَةِ.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَفِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا وَالشَّجَرَةَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ.

وَفِي هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا شَجَرَةُ الزُّقُومِ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وَبِهِ

(١) أَخْرَجَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٣٨٠)، وَابِيهْقِي فِي الدَّلَائِلِ (٦ / ٥٠٩)، مِنْ طَرِيقِ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْتَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: رَأَى بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْمَنَابِرِ فَسَاءَ ذَلِكَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا الدُّنْيَا يَعْطُونَهَا فَسَرِي عَنْهُ، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قَالَ: بَلَاءٌ لِلنَّاسِ. الْأَثَرُ ضَعِيفٌ لِأَجْلِ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، وَفَرَطُ تَشْيِيعِ الْمَأْمُونِ، وَكَانَ دَاعِيَةً لِبِدْعَتِهِ، وَفِيهِ أَيْضًا أَبُو صَالِحٍ مُخْتَلَفٌ فِيهِ. وَعِزَّاهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرَرِ الْمَشْهُورِ (٥ / ٣١٠) إِلَى ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ مَرْدُوَيْهِ وَابِيهْقِي فِي الدَّلَائِلِ وَابْنِ عَسَاكِرِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ حَدِيثَ رَقْمِ (٣٨٨٨)، وَرَقْمِ (٤٧١٦)، وَرَقْمِ (٦٦١٣)، وَطَبْرِي فِي =

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَعِكْرَمَةُ وَمُسْرُوقٌ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالْجُمْهُورُ.  
 وَقَالَ مُقَاتِلٌ: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى شَجَرَةَ الزُّقُومِ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا  
 مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنَّ مُحَمَّدًا يُخَوِّفُكُمْ بِشَجَرَةِ الزُّقُومِ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّارَ  
 تَحْرِقُ الشَّجَرَ؟ وَمُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّ النَّارَ تُنْبِتُ الشَّجَرَ، فَهَلْ تَذَرُونَ مَا الزُّقُومُ؟  
 فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ: إِنَّ الزُّقُومَ بِلِسَانِ بَرَبِرٍ: التَّمَرُ وَالزُّبْدُ، فَقَالَ أَبُو  
 جَهْلٍ: يَا جَارِيَةُ! ابْغَيْنَا تَمْرًا وَزُبْدًا، فَجَاءَتْهُ بِهِ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: تَزَقَّمُوا  
 مِنْ هَذَا الَّذِي يُخَوِّفُكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا  
 طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (١).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كَانَتْ فَتْنَتُهُمْ بِالرُّؤْيَا قَوْلُهُمْ: كَيْفَ يَذْهَبُ إِلَى بَيْتِ  
 الْمَقْدِسِ، وَيَرْجِعُ فِي لَيْلَةٍ؟ وَبِالشَّجَرَةِ قَوْلُهُمْ: كَيْفَ يَكُونُ فِي النَّارِ شَجَرَةٌ؟ (٢)

وَلِلْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى الْمَلْعُونَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الْمَذْمُومَةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: الْمَلْعُونُ أَكَلُهَا، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ.

وَقَالَ: إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرٌ لَعْنِهَا، فَفِيهِ لَعْنُ أَكْلِهَا، قَالَ:  
 وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ طَعَامٍ مَكْرُوهٍ وَضَارٍّ مَلْعُونٌ (٣).

= تفسيره (١٧ / ٤٨٤).

(١) تفسير مقاتل (٢ / ٥٣٩)، وذكره الماوردي في النكت والعيون (٥ / ٥١)، والثعلبي في  
 الكشف والبيان (٢٢ / ٣٥١)، والبغوي في معالم التنزيل (٧ / ٤٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٤٨).

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿فِي الْقُرْآنِ﴾ فَاَلْمَعْنَى: الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ مَذْكُورَةٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿١٣﴾ طَعَامُ الْأَثَمِ ﴿١٤﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٤].

وَالثَّالِثُ: أَنَّ مَعْنَى «الْمَلْعُونَةُ»: الْمَبْعَدَةُ عَنْ مَنَازِلِ أَهْلِ الْفَضْلِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ هِيَ الَّتِي تَلْتَوِي عَلَى الشَّجَرِ، يَعْنِي: الْكُشُوثَى، وَهَذَا مَرْوِيٌّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا <sup>(١)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الشَّجَرَةَ كِنَايَةً عَنِ الرِّجَالِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنُحِيقُهُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مَفْعُولٌ «نُحِيقُهُمْ» مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: وَنُحِيقُهُمُ الْعَذَابَ <sup>(٢)</sup>، ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾، أَي: فَمَا يَزِيدُهُمُ التَّخْوِيفُ ﴿إِلَّا أَطْفَيْنَا﴾، وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الطُّغْيَانِ فِي الْبَقَرَةِ [آيَة: ١٥]، وَذَكَرْنَا هُنَاكَ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١].

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٤٨٧) مِنْ طَرِيقِ أَبُو كَرِيبٍ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي فَدِيكٍ، عَنْ ابْنِ أَبِي ذُئْبٍ، عَنْ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ حَدَّثَهُ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ، أَرْسَلَهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: هِيَ هَذِهِ الشَّجَرَةُ الَّتِي تَلْوِي عَلَى الشَّجَرَةِ، وَتَجْعَلُ فِي الْمَاءِ، يَعْنِي الْكُشُوثَى. وَأَخْرَجَهُ الثَّلَبِيُّ أَيْضًا فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٣٨٣).

(٢) الْبَيَانُ فِي غَرِيبِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ (٢ / ٩٣).



قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ءَاسْجُدْ﴾ قَرَأَهُ الْكُوفِيُّونَ: بِهَمْزَتَيْنِ. وَقَرَأَهُ الْبَاقُونَ:

بِهَمْزَةٍ مُطَوَّلَةٍ؛ وَهَذَا اسْتِفْهَامُ إِنكَارٍ، يَعْني بِهِ: لَمْ أَكُنْ لِأَفْعَلْ<sup>(١)</sup>. [٤٨١/أ]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: طِينًا مَنْصُوبٌ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: التَّمْيِيزُ، الْمَعْنَى: لَمَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ.

وَالثَّانِي: عَلَى الْحَالِ، الْمَعْنَى: أَنْشَأْتَهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ مِنْ طِينٍ.

وَلَفْظُ: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ جَاءَ هَاهُنَا بِغَيْرِ حَرْفٍ عَطْفٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى:

قَالَ: أَلَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا، وَ«أَرَأَيْتَكَ»، وَهِيَ فِي مَعْنَى: أَخْبِرْنِي،  
وَالْكَافُ ذُكِرَتْ فِي الْمَخَاطَبَةِ تَوْكِيدًا، وَالْجَوَابُ مَحْذُوفٌ.

وَالْمَعْنَى: أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَمْ كَرَّمْتَهُ عَلَيَّ، وَقَدْ خَلَقْتَنِي

مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ؟! فَحُذِفَ هَذَا؛ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو:

«أَخَّرْتَنِي» بِيَاءٍ فِي الْوَصْلِ. وَوَقَفَ ابْنُ كَثِيرٍ بِالْيَاءِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ،  
وَعَاصِمٌ، وَخَمْزَةً، وَالْكِسَائِيُّ، بِغَيْرِ يَاءٍ فِي وَضْلٍ وَلَا فِي وَقْفٍ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَأَحْنَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لَا أُسْتَوْلِيَنَّ عَلَيْهِمْ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْفَرَّاءُ<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: الإقناع (ص: ١٦٧)، والنشر (٢/ ٣٠٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٤٩).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٢٧).

والثاني: لأُضِلَّهَمْ، قاله ابنُ زَيْدٍ.

والثالث: لَأَسْتَأْصِلَنَّهُمْ؛ يُقال: اخْتَنَكَ الجَرَادُ مَا عَلَى الْأَرْضِ: إِذَا أَكَلَهُ؛ وَاخْتَنَكَ فُلَانٌ مَا عِنْدَ فُلَانٍ مِنَ الْعِلْمِ؛ إِذَا اسْتَقْصَاهُ، فَاِلْمَعْنَى: لَأَقْوِدَنَّهُمْ كَيْفَ شِئْتُ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ قُتَيْبَةَ<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ عِلْمَ الْغَيْبِ. فَقَدْ أَجَبْنَا عَنْهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ [آية: ١١٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا قَلِيلًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ عَصَمَهُمْ<sup>(٢)</sup>.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَ﴾ هَذَا اللَّفْظُ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى<sup>(٣)</sup> إِنْظَارَهُ؛ ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ﴾ أَي: تَبِعَ أَمْرَكَ مِنْهُمْ، يَعْنِي: ذُرِّيَّةَ آدَمَ. وَالْمَوْفُورُ: الْمَوْفِرُ.  
قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقال: وَفَرْتُ مَالَهُ عَلَيْهِ، وَوَفَرْتُهُ، بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ<sup>(٤)</sup>.  
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: اسْتَخِفَّ، وَمِنْهُ تَقُولُ: اسْتَفْزَرَنِي فُلَانٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٢) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٣٨٨)، والتفسير الوسيط (٣ / ١١٥).

(٣) ليست في (م).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٨).

(٥) المصدر السابق.

وَفِي الْمَرَادِ بَصَوْتُهُ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ كُلُّ دَاعٍ دَعَا إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: أَنَّهُ الْغِنَاءُ وَالْمَزَامِيرُ، قَالَ مُجَاهِدٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أَي: صَخَّ ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ وَاخْتَلَفُوا عَلَيْهِم بِالْإِغْوَاءِ<sup>(١)</sup>؛ يُقَالُ: أَجْلَبَ الْقَوْمُ وَجَلَبُوا: إِذَا صَاحُوا.

وَقَالَ الرَّجَاجُ: الْمَعْنَى: أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ<sup>(٢)</sup> مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ مَكَايِدِكَ؛ فَعَلَى هَذَا تَكُونُ الْبَاءُ زَائِدَةً<sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَالرَّجُلُ: الرَّجَالَةُ؛ يُقَالُ: رَاجِلٌ وَرَجُلٌ؛ مَثَلُ: تَاجِرٌ وَتَجَرٌ، وَصَاحِبٌ وَصَحْبٌ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُلُّ خَيْلٍ تَسِيرُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَكُلُّ رَجُلٍ يَسِيرُ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ قَتَادَةُ: إِنَّ لَهُ خَيْلًا وَرَجُلًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (ر)، وَ(م): بِالْإِغْوَاءِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: عَلَيْهِمْ كُلٌّ، وَضُرِبَ عَلَيْهَا، وَلَيْسَتْ فِي سَائِرِ النُّسخِ.

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ٢٥٠).

(٤) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٥٨).

(٥) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ السَّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَشْهُورِ (٥/ ٣١٢) وَعَزَاهُ إِلَى الْفَرِيَّابِيِّ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنِ مَرْدُوَيْهِ.

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٤٩١)، وَذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦/ ٣٨٧)، وَابْنُ الْغُبَوِيِّ فِي مَعَالِمِ التَّرْزِيلِ (٥/ ١٠٥).

وَرَوَى حَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «بِخَيْلِكَ وَرَجَلِكَ» بِكسْرِ الْجِيمِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي رَزِينٍ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ<sup>(١)</sup>.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يُقَالُ: رَجُلٌ رَجُلٌ: لِلرَّاحِلِ، وَيُقَالُ: جَاءَنَا حَافِيًا رَجُلًا<sup>(٢)</sup>.

وَقَرَأَ ابْنُ السَّمِيعِ، وَالْجَحْدَرِيُّ: «بِخَيْلِكَ وَرُجَالِكَ» بِرَفْعِ الرَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْجِيمِ مَفْتُوحَةً وَبِالْفِ بَعْدَهَا<sup>(٣)</sup>.

[٤٨١/ب] وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَأَبُو الْجُوزَاءِ، وَعِكْرَمَةُ: «وَرِجَالِكَ» بِكسْرِ الرَّاءِ وَتَخْفِيفِ الْجِيمِ مَعَ الْفِ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا مَا كَانُوا يُحَرِّمُونَهُ مِنْ أَنْعَامِهِمْ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>.  
وَالثَّانِي: الْأَمْوَالُ الَّتِي أُصِيبَتْ مِنْ حَرَامٍ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

(١) قراءة سبعة، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٣)، التيسير (ص: ١٤٠).

(٢) النوادر (ص: ١٤٩).

(٣) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٢)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٢).

(٤) قراءة شاذة، انظر: مختصر الشواذ (ص: ٨٠)، والبحر المحيط (٧/ ٨٠)، ونقلها الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٧٨) بلا نسبة.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٩٣) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوَّلَادِ﴾ قال: الأموال: ما كانوا يحرمون من أنعامهم. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣١٢) إلى ابن جرير وابن مردويه.



والثالث: الَّتِي أَنْفَقُوهَا فِي مَعَاصِي اللَّهِ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

والرابع: مَا كَانُوا يَذْبَحُونَ لِأَهْلِيهِمْ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ.

فَأَمَّا مَشَارَكَتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الْأَوْلَادِ، فَبَيْنَهَا أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُمْ أَوْلَادُ الزَّنا، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، وَبِهِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَالضَّحَّاكُ.

والثاني: الْمُؤُودَةُ مِنْ أَوْلَادِهِمْ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

والثالث: أَنَّهُ تَسْمِيَةُ أَوْلَادِهِمْ عِيْدًا لِأَوْثَانِهِمْ؛ كَعَبْدِ شَمْسٍ، وَعَبْدِ الْعُزَّى، وَعَبْدِ مَنْافٍ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

والرابع: مَا مَجَّسُوا وَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا، وَصَبَّغُوا مِنْ أَوْلَادِهِمْ غَيْرَ صَبْغَةِ الْإِسْلَامِ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدُّهُمْ﴾ قَدْ ذَكَرْنَاهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ﴾... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ [النساء: ١٢٠].

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧ / ٤٩٤) مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قَالَ: أَوْلَادُ الزَّنا. وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ (٥ / ١٠٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٤٩٤) مِنْ طَرِيقِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قَالَ: مَا قَتَلُوا مِنْ أَوْلَادِهِمْ، وَأَتَوْا فِيهِمُ الْحَرَامَ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٤٩٥) مِنْ طَرِيقِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ قَالَ: مَشَارَكَتُهُ إِيَّاهُمْ فِي الْأَوْلَادِ، سَمَوْا عَبْدَ الْحَرِثِ وَعَبْدَ شَمْسٍ وَعَبْدَ فُلَانٍ.

وهذه الآية لفظها لفظ الأمر، ومعناها التهديد، ومثلها في الكلام أن تقول للإنسان: اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك.

قال الزجاج: إذا تقدم الأمر نهى عما يؤمر به، فمعناه: الوعيد والتهديد<sup>(١)</sup>؛ تقول للرجل: لا تدخل<sup>(٢)</sup> هذه الدار؛ فإذا حاول أن يدخلها؛ قلت: ادخلها وأنت رجل، فليست تأمره بدخولها، ولكنك توعدّه وتهدّده؛ ومثله: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقد نهوا أن يعملوا بالمعاصي<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن الأنباري: هذا أمرٌ معناه التهديد، تقديره: إن فعلت هذا عاقبتك وعذبتك، فنقل إلى لفظ الأمر عن الشرط؛ كقوله عز وجل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قد شرّخناه في الحجر [آية: ٤٢].

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ قال الزجاج: كفى به وكيلًا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس<sup>(٤)</sup>.

(١) في (م): التهديد والوعيد.

(٢) في (م): لا تدخلنّ.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

(٤) المصدر السابق.

﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٦٦ ﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا بَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۝٦٧ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ۝٦٨ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ، بِئِيعًا ۝٦٩ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ ﴾ [الإسراء: ٦٦ - ٧٠].

قوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ ﴾؛ أي: يُسِيرُهَا. قَالَ الزَّجَّاجُ: يُقَالُ: زَجَّيْتُ الشَّيْءَ؛ أي: قَدَّمْتُهُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾؛ أي: فِي طَلَبِ التَّجَارَةِ.

وَفِي ﴿ مِنْ ﴾ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَمَّا زَائِدَةٌ.

وَالثَّانِي: أَمَّا لِلتَّبْعِيضِ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْمَفْعُولَ مُحذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ الرِّزْقَ وَالْخَيْرَ، ذَكَرَهُنَّ ابْنُ الْأَثَرِيِّ.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ هَذَا الْخِطَابُ خَاصٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ خَاطَبَ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ﴾ يَعْنِي: خَوْفَ الْغَرَقِ

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٥١).

﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ﴾؛ أي: يضلُّ مَنْ تَدْعُونَ<sup>(١)</sup> مِنَ الْآلِهَةِ، إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى. وَقِيلَ<sup>(٢)</sup>: ضَلَّ بِمَعْنَى: غَابَ، يُقَالُ: ضَلَّ الْمَاءُ فِي اللَّبَنِ؛ إِذَا غَابَ. وَالْمَعْنَى: أَنْتُمْ أَخْلَصْتُمْ الدُّعَاءَ لِلَّهِ، وَنَسِيتُمْ الْإِنْدَادَ.

وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ: «ضَلَّ مَنْ يَدْعُونَ» بِالْيَاءِ.

[٤٨٢/أ] ﴿فَلَمَّا تَخَضَّعُوا لِلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِخْلَاصِ ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ يَعْنِي: الْكَافِرَ ﴿كَفُورًا﴾ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ.

﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنَ الْبَحْرِ ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو: «نَخْسِفَ بِكُمْ»، «أَوْ تُرْسِلَ»، «أَنْ تُعِيدَكُمْ»، «فَتُرْسِلَ» «فَتُغْرِقَكُمْ» بِالنُّونِ فِي الْكُلِّ. وَقَرَأَ نَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحُمْرَةُ، وَالْكَسَائِيُّ، بِالْيَاءِ فِي الْكُلِّ<sup>(٣)</sup>.

وَمَعْنَى ﴿نَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾؛ أَي: نُغَيِّبُكُمْ<sup>(٤)</sup> وَنُذْهِبُكُمْ فِي نَاحِيَةِ الْبَرِّ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ حُكْمِي نَافِذٌ فِي الْبَرِّ نَفُودَهُ فِي الْبَحْرِ.

﴿أَوْ تُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ الْحَاصِبَ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَه قَتَادَةُ.

(١) فِي (م): يَدْعُونَ.

(٢) فِي (م): وَيُقَالُ.

(٣) انْظُرْ: التَّيْسِيرَ (ص: ١٤٠).

(٤) فِي (ر): يَغْيِبُكُمْ.





والثاني: أَنَّهُ الرِّيحُ العاصِفُ تَحْصِبُ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(١)</sup>، وَأَنشَدَ  
الْفَرَزْدَقُ<sup>(٢)</sup> [ مِنْ البسيط ]:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمَالَ الرِّيحِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ<sup>(٣)</sup> كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَشُورٍ<sup>(٤)</sup>  
وقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الحَاصِبُ: الرِّيحُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَحْصِبُ؛ أَي:  
تَرْمِي بِالْحَصْبَاءِ؛ وَهِيَ الْحَصَى الصَّغَارُ<sup>(٥)</sup>.

وقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: قَالَ اللُّغَوِيُّونَ: الحَاصِبُ: الرِّيحُ الَّتِي فِيهَا  
الْحَصَى، وَإِنَّمَا قَالَ فِي الرِّيحِ: حَاصِبًا وَلَمْ يَقُلْ: حَاصِبَةً؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ لَزِمَ  
الرِّيحَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مَذْكَرٌ تَنْتَقِلُ إِلَيْهِ فِي حَالٍ، فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِمْ: حَائِضٌ  
لِلْمَرْأَةِ، حِينَ لَمْ يَقُلْ: رَجُلٌ حَائِضٌ.

قَالَ: وَفِيهِ جَوَابٌ آخَرُ، وَهُوَ أَنَّ نَعْتَ الرِّيحِ عَرِيٌّ<sup>(٦)</sup> مِنْ عَلَامَةِ التَّائِيثِ،  
فَأَشْبَهَتْ بِذَلِكَ أَسْمَاءَ الْمَذْكَرِ، كَمَا قَالُوا: السَّمَاءُ أَمْطَرُ، وَالْأَرْضُ أَثْبَت.

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٨٥).

(٢) في (س)، و(م): للفرزدق.

(٣) في الأصل، و(ر): كحاصب، والمثبت من (س)، و(م).

(٤) البيت للفرزدق؛ كما في تفسير الثعلبي (٦ / ١٤٤)، ومجاز القرآن (١ / ٣٨٥)، وتفسير  
الطبري (٢٠ / ٣٦)، والكامل؛ للمبرد (٣ / ٤٥)، والنكت والعيون؛ للهاوردي  
(٣ / ٤٧٢)، ونديف القطن: قطع القطن المتناثرة، يريد البرد، شبهه بنديف القطن في  
اللون.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٦) ليست في (ر).

والثالث: أَنَّ الحَاصِبَ: التُّرَابُ الَّذِي فِيهِ حُصْبَاءٌ، قَالَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾؛ أَي: مَانِعًا وَنَاصِرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾؛ أَي: فِي الْبَحْرِ ﴿نَارَةً أُخْرَى﴾؛ أَي: مَرَّةً أُخْرَى، وَالْجَمْعُ تَارَاتٍ. ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: هِيَ الَّتِي تَقْصِفُ كُلَّ شَيْءٍ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: الْقَاصِفُ: [الرَّيْحُ الَّتِي] تَقْصِفُ الشَّجَرَ؛ أَي: تَكْسِرُهُ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَيُغْفِرْكُمْ﴾ وَقَرَأَ أَبُو الْمُتَوَكَّلِ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَشَيْبَةُ، وَرُؤَيْسٌ: «فَغُفِّرْكُمْ» بِالتَّاءِ، وَسُكُونِ الْغَيْنِ، وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ<sup>(٤)</sup>. وَقَرَأَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، وَأَيُّوبُ: «فَيُغْفَرْكُمْ» بِالْيَاءِ، وَفَتْحِ الْغَيْنِ، وَتَشْدِيدِهَا<sup>(٥)</sup>. وَقَرَأَ أَبُو رَجَاءٍ مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ بِالتَّاءِ<sup>(٦)</sup>.

﴿بِمَا كَفَرْتُمْ﴾؛ أَي: بِكُفْرِكُمْ حِينَ نَجَوْتُمْ فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥١).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٣٨٥).

(٣) من (م).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٥) قراءة عشرية، انظرها في النشر (٢/ ٣٠٨)، ولمجاهد في البحر المحيط (٧/ ٨٣).

(٦) في (س): وتشديد الراء.

(٧) هي قراءة أبي عمرو من رواية السوسي على قاعدته، انظر: التيسير (ص: ٢٢)، وانظر عزو القراءة الثانية في الكامل؛ للهذلي (ص: ٥٨٨)، والنشر (٢/ ٣٠٨)، وزاد ابن مقسم وقتادة، والكل في البحر المحيط (٧/ ٨٣).



لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِعًا ﴿٦٦﴾ قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: أَي: مَنْ يَتَّبِعُنَا <sup>(١)</sup> بدمائكم؛ أَي: يُطَالِبُنَا <sup>(٢)</sup>.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: رِيحُ الْعَذَابِ أَرْبَعٌ: اثْنَانِ فِي الْبَرِّ، وَاثْنَانِ فِي الْبَحْرِ، فَالَّتَانِ فِي الْبَرِّ: الصَّرَصْرُ، وَالْعَقِيمُ، وَالَّتَانِ فِي الْبَحْرِ: الْعَاصِفُ، وَالْقَاصِفُ <sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾؛ أَي: فَضَّلْنَاهُمْ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: وَ«كَرَّمْنَا» أَشَدُّ مِبَالِغَةٍ مِنْ «أَكْرَمْنَا» <sup>(٤)</sup>.

وَالْمُفَسِّرِينَ فِيمَا فَضَّلُوا بِهِ أَحَدَ عَشَرَ قَوْلًا:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ فَضَّلُوا عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ غَيْرَ طَائِفَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: جَبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، وَمَلَكَ الْمَوْتِ، وَأَشْبَاهِهِمْ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَرَادُ: الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، وَيَكُونُ تَفْضِيلُهُمْ بِالْإِيمَانِ. [أ/٤٨٢]

(١) فِي (م): يَتَّبِعُ.

(٢) غَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٥٩).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي الْمَطَرِ وَالرَّعْدِ (ص: ١٦٣) (١٧٤)، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ (٤ / ١٣٢٩) مِنْ طَرِيقِ خُلَافِ بْنِ خُلَيْفَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: "الرِّيحُ اثْنَانِ: أَرْبَعٌ مِنْهَا عَذَابٌ، وَأَرْبَعٌ مِنْهَا رَحْمَةٌ، فَأَمَّا الْعَذَابُ مِنْهَا: فَالْقَاصِفُ، وَالْعَاصِفُ، وَالْعَقِيمُ، وَالصَّرَصْرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ مَحْصَاتٍ﴾ [فَصَلَتْ: ١٦] قَالَ: مَشُومَاتٌ، وَأَمَّا رِيحُ الرَّحْمَةِ: فَالْناشِرَاتُ، وَالْمُبَشِّرَاتُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَالذَّارِيَاتُ."

(٤) مَجَازُ الْقُرْآنِ (١ / ٣٨٦).

والثاني: أن سائر الحيوان يأكل بفيه، إلا ابن آدم فإنه يأكل بيده، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس<sup>(١)</sup>.

وقال بغض المفسرين: المراد بهذا التفصيل: أكلهم بأيديهم، ونظافة ما يقتاتونه؛ إذ الجن يقتاتون العظام والروث.

والثالث: فُضِّلُوا بالعقل، روي عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

والرابع: بالنطق والتمييز، قاله الضحاك.

والخامس: بتعديل القامة وامتدادها، قاله عطاء.

والسادس: بأن جعل محمدا ﷺ منهم، قاله محمد بن كعب.

والسابع: فُضِّلُوا بالمطاعم واللذات في الدنيا، قاله زيد بن أسلم.

والثامن: بحسن الصورة، قاله يمان.

والتاسع: بتسليطهم على غيرهم من الخلق، وتسخير سائر الخلق لهم، قاله محمد بن جرير<sup>(٣)</sup>.

والعاشر: بالأمر والنهي، ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧٧ / ٥) مختصرا، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣٩٢ / ١٦)، والماوردي في النكت والعيون (٢٥٧ / ٣) منسوبا للكلبي، والواحدي في التفسير البسيط (٤٠١ / ١٣)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٥٠ / ٤) إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٣٩٢ / ١٦).

(٣) تفسير الطبري (٥٠١ / ١٧).

(٤) النكت والعيون (١١٤ / ٦).

والْحَادِي عَشَرَ: بَأْنَ جُعَلَتِ اللَّحَى لِلرِّجَالِ، وَالذَّوَائِبُ لِلنِّسَاءِ،  
ذِكْرُهُ التَّلْعَبِيُّ<sup>(١)</sup>.

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أُطْلِقَ ذِكْرُ الْكَرَامَةِ عَلَى الْكُلِّ، وَفِيهِمُ الْكَافِرُ الْمَهَانُ؟.

فَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحدهما: أَنَّهُ عَامَلَ الْكُلَّ مُعَامَلَةَ الْمَكْرَمِ بِالنَّعَمِ الْوَافِرَةِ.

والثَّانِي: أَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، أَجْرَى الصِّفَةَ عَلَى  
جَمَاعَتِهِمْ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ عَلَى أَكْبَادٍ رَطْبَةٍ، وَهِيَ: الْإِبِلُ، وَالْخَيْلُ،  
وَالْبِغَالُ، وَالْحَمِيرُ، {وَوْ فِي {الْبَحْرِ} عَلَى أَعْوَادٍ يَابِسَةٍ، وَهِيَ: السُّفُنُ.  
﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: الْحَلَالُ.

والثَّانِي: الْمُسْتَطَابُ فِي الذَّوْقِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ عَلَى لَفْظِهِ، وَأَنْتُمْ لَمْ يُفْضَلُوا عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّكُمْ فُضِّلْتُمْ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ غَيْرَ طَائِفَةٍ  
مِنَ الْمَلَائِكَةِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: بَلِ الْمَلَائِكَةُ أَفْضَلُ.

(١) الكشف والبيان (١٦ / ٣٩٣).

والثاني: [أنَّ] <sup>(١)</sup> معناه: وفضلناهم على جميع من <sup>(٢)</sup> خلقنا. والعرب قد نضع الأكثر والكثير في موضع الجمع؛ كقوله: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣].

وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن أكرم على الله عز وجل من الملائكة الذين عنده» <sup>(٣)</sup>.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْعِمٍّ فَمَنْ أَوْقَى كِتَابَهُ، يَمِينُهُ، فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلُمُونَ فِتِيلًا﴾ <sup>(٧١)</sup> وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا <sup>(٧٢)</sup> [الإسراء: ٧١ - ٧٢].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ قال الزجاج: هو منصوب على معنى: اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمْعِمٍّ﴾، والمراد به: يوم القيامة <sup>(٤)</sup>. وقرأ الحسن البصري: «يوم يدعو» بالياء «كُلَّ» بالنصب. وقرأ أبو عمران الجوني: «يَوْمَ يُدْعَى» بياء مرفوعة، وفتح العين، وبعدها ألف، «كُلَّ» بالرفع <sup>(٥)</sup>.

(١) من (س)، و(م).

(٢) في (س)، و(م): من.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤) من طريق أبي المهزم عن أبي هريرة مرفوعاً بنحوه. وأخرجه البيهقي في الشعب (٣١١ / ١) (١٥٠) من رواية حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة موقوفاً. وهو ضعيف لضعف أبي المهزم، قال عنه في التقريب (ص: ٦٧٦) ترجمة (٨٣٩٧): متروك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٥٣).

(٥) قراءتان شاذتان، انظرهما في المحتسب (٢ / ٢٢)، ومختصر الشواذ (ص: ٨٠)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٢).

وفي المراد بِأَمَامِهِمْ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ رَئِيسُهُمْ، قَالَه أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَى عَنْهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ: إِمَامٌ هُدَى أَوْ إِمَامٌ ضَلَّالَةٌ<sup>(١)</sup>.

والثاني: عَمَلُهُمْ، رَوَاهُ عَطِيَّةٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ.

والثالث: نَبِيُّهُمْ، قَالَه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، [٤٨٣ / أ] وَمُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ.

والرابع: كِتَابُهُمْ قَالَه عِكْرَمَةُ، وَمُجَاهِدٌ فِي رِوَايَةٍ. ثُمَّ فِيهِ قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّهُ كِتَابُهُمُ الَّذِي فِيهِ أَعْمَالُهُمْ، قَالَه قَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

والثاني: كِتَابُهُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِمْ، قَالَه الضَّحَّاكُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ يُقَالُ: يَا مُتَّبِعِي مُوسَى، يَا مُتَّبِعِي عِيسَى، يَا مُتَّبِعِي مُحَمَّدٍ؛ وَيُقَالُ: يَا مُتَّبِعِي رُؤَسَاءِ الضَّلَالَةِ. وَعَلَى الثَّانِي: يَا مَنْ عَمِلَ كَذَا

(١) تفسير سفيان الثوري (ص: ١٧٤)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤١١)، والتفسير البسيط (٣ / ١١٨)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٣٥١) إلى ابن شيبه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٠٢) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْيَمِهِمْ﴾ قال: الإمام: ما عمل وأملى، فكتب عليه، فمن بعث متقياً لله جعل كتابه يمينه، فقرأه واستبشر، ولم يظلم فتياً، وهو مثل قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا بِالْإِمَامِ مُبِينٍ﴾ والإمام: ما أملى وعمل.

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٥٤٢).

وكذا. وعلى الثالث: يا أُمَّةَ مُوسَى، يا أُمَّةَ عِيسَى، يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ. وعلى الرابع: يا أَهْلَ التَّوْرَةِ، يا أَهْلَ الْإِنْجِيلِ، يا أَهْلَ الْقُرْآنِ، أَوْ يَا صَاحِبَ الْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ عَمَلٌ كَذَا وَكَذَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَفْرُغُونَ كِتَابَهُمْ﴾ معناها: يَفْرُغُونَ حَسَنَاتِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾؛ أَي: لَا يَنْقُصُونَ مِنْ ثَوَابِهِمْ بِقَدْرِ الْفَتِيلِ، وَقَدْ بَيَّنَّاهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ [آيَةُ: ٤٩].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ: «أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» مَفْتُوحَتِي الْمِيمِ. وَقَرَأَ حُمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ بِكَسْرِ الْمِيمَيْنِ. وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو: «فِي هَذِهِ أَعْمَى» بِكَسْرِ الْمِيمِ، «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» بَفَتْحِهَا<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْمَشَارِ إِلَيْهَا بـ «هَذِهِ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الدُّنْيَا، قَالَه مُجَاهِدٌ.

ثُمَّ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَى عَنْ مَعْرِفَةِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، فَهُوَ عَمَّا وَصَفَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

(١) قراءات سبعة، انظرها في: السبعة (ص: ٣٨٣)، والتيسير (ص: ١٤٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (١/ ٢٤٤) (٢٦) من طريق أبي روق، عن الضَّحَّاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ثم قال: ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ يقول: مَنْ كَانَ فِي=



والثاني: مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَى بِالْكَفْرِ، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى؛ لِأَنَّهُ فِي الدُّنْيَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، وَفِي الْآخِرَةِ لَا تُقْبَلُ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

والثالث: مَنْ عَمِيَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ عَنِ الَّذِي عُيِّبَ عَنْهُ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ أَشَدَّ عَمَى.

والرابع: مَنْ عَمِيَ عَنْ نِعَمِ اللَّهِ الَّتِي بَيَّنَّهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزِيحُ لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿تَقْضِيلاً﴾ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى عَنْ رِشَادِهِ وَصَلَاحِهِ، ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

والخامس: مَنْ كَانَ فِيهَا أَعْمَى عَنِ الْحُجَّةِ، [فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى عَنِ الْجَنَّةِ]<sup>(١)</sup>، قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الْوَرَّاقُ.

والثاني: أَنَّهَا النَّعْمُ. ثُمَّ فِي الْكَلَامِ قَوْلَانِ:

أحدهما: مَنْ كَانَ أَعْمَى عَنِ النَّعْمِ الَّتِي تُرَى وَتُشَاهَدُ، فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي لَمْ تُرَ أَعْمَى، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

والثاني: مَنْ كَانَ أَعْمَى عَنْ مَعْرِفَةِ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ النَّعْمِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ وَلَمْ يُؤَدِّ شُكْرَهَا، فَهُوَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِمَّا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ أَعْمَى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

=الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي من خلق السماء والأرض والجبال والبحار والناس والدواب، وأشبه هذا، فهو عما وصفت له في الآخرة ولم يره أعمى وأضل سبيلاً يقول: وأبعد حجة"، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤١٤).

(١) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٤٠٣).

قال أبو علي الفارسي: ومعنى قوله: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾؛ أي: أشدَّ عمى؛ لأنه كان في الدنيا يُمكنُه الخروجُ عن عماءه بالاستِدلال، ولا سبيلَ له في الآخرة إلى الخروجِ من عماءه. وقيلَ معنى العمى في الآخرة: أنه لا يَهْتَدِي إلى طريقِ الثَّوابِ، وهذا كُلُّه من عمى القلب<sup>(١)</sup>.

[٤٨٣/ب] فإن قيل: لم قال: ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ ولم يقل: أشدَّ عمى؛ لأنَّ العمى خلقه بمنزلة الحمرة، والزرق، والعرب تقول: ما أشدَّ سوادَ زيد، وما أبين زرقه عمرو، وكلما يقولون: ما أسودَ زيداً، وما أزرَقَ عمراً؟ فالجواب: أن المراد بهذا العمى عمى القلب، وذلك يترايد ويحدثُ منه شيءٌ بعد شيءٍ، فيخالف الخلق اللازمة التي لا تزيد؛ نحو: عمى العين، والبياض، والحمرة، ذكره ابنُ الأثيري.

﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره. وإذا لا تأخذوك خيلاً (٧٣) ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً (٧٤) إذا لذقتك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً (٧٥) وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثوك خلفك إلا قليلاً (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لستتنا تحويلاً (٧٧)﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٧].

(١) الحجة للقراء السبعة (٥/ ١١٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: متعنا باللات سنة، وحرّم واديننا كما حرّمت مكة، فأبى ذلك، فأقبلوا يكثرون مسألتهم، وقالوا: إننا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن خشيت أن تقول<sup>(١)</sup> العرب: أعطيتهم ما لم نعطنا، فقل: الله أمرني بذلك؛ فأمسك رسول الله ﷺ عنهم، وداخلهم الطمع، فنزلت هذه الآية، رواه عطاء عن ابن عباس<sup>(٢)</sup>.  
وروى عطية عن ابن عباس أنهم قالوا: أجلنا سنة، ثم نسلم ونكسر أضنامنا، فهم أن يؤجلهم، فنزلت هذه الآية<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا تكف عنك إلا بأن تلّم بالهتّا، ولو بأطراف أصابعك، فقال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَيَّ لَوْ فَعَلْتُ

(١) في (م): يقول.

(٢) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٥١٠-٥١١) من طريق موسى بن إسماعيل، قال حدثنا حماد، عن الكلبي، والعسكري في الأوائل (ص: ١٠٥) من طريق الجوهري، قال: حدثنا بن سلمة، عن الكلبي أيضًا. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٠٨) عن ابن عباس، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٨٩)، والتفسير البسيط (١٣/ ٤١٩) بلا سند - منقطعة - عن عطاء، عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٠٧) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خِيلًا﴾ وذلك أن ثقيف كانوا قالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله أجلنا سنة حتى يهتدي لاهتنا، فإذا قبضنا الذي يهتدي لاهتنا أخذناه، ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم، وأن يؤجلهم، فقال الله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَنَّكَ لَقَدْ كُنْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا﴾، والأثر ضعيف من الطريقتين؛ طريق العوفي وعطاء، ولا يخفى طريق الكلبي.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَكَارَةٌ؟» فَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا بَاطِلٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُطَنَّ بِرُسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا مَا ذَكَرْنَا عَنْ عَطِيَّةٍ مِنْ أَنَّهُ هَمَّ أَنْ يُنْظَرَهُمْ سَنَةً، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ فِي حَقِّهِ وَفِي حَقِّ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ رَوَوْا عَنْهُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ قُرَيْشًا خَلَوْا بِرُسُولِ اللَّهِ لَيْلَةً إِلَى الصَّبَاحِ يُكَلِّمُونَهُ وَيُفَحِّمُونَهُ، وَيَقُولُونَ: أَنْتَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى كَادَ يُقَارِبُهُمْ فِي بَعْضِ مَا يُرِيدُونَ، ثُمَّ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه قَتَادَةُ<sup>(٢)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧ / ٥٠٦)، مِنْ طَرِيقِ يَعْقُوبَ الْقُمِّيِّ، عَنْ جَعْفَرٍ، عَنْ سَعِيدٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، فَمَنْعَتْهُ قُرَيْشٌ، وَقَالُوا: لَا نَدْعُهُ حَتَّى يَلِمَ بَأَهْتِنَا، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، وَقَالَ: مَا عَلَيَّ أَنْ أَلِمَ بِهَا بَعْدَ أَنْ يَدْعُونِي أَسْتَلِمَ الْحَجَرَ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَهَا كَارَةٌ، فَأَبَى اللَّهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيَقْتُولَنَّكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾... الْآيَةُ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ حَمِيدٍ - مُحَمَّدُ بْنُ حَمِيدِ بْنِ حَيَّانٍ - أَحَدِ حِذَاقِ الْكَذِبِ، كَانَ يَأْخُذُ أَحَادِيثَ النَّاسِ فَيَقْلِبُ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَكَانَ يَرْكَبُ الْأَسَانِيدَ... وَكَانَ يَحْدُثُ بِهَا لَمْ يَسْمَعْهُ. انْظُرْ: تَذَكُّرَةُ الْحِفَاطِ (٢ / ٤٩١)، وَتَهْذِيبُ التَّهْذِيبِ (٩ / ١٢٩)، وَمِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ (٣ / ٥٣٠).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧ / ٥٠٧)، مِنْ طَرِيقِ بَشَرَ، قَالَ: ثَنَا يَزِيدٌ، قَالَ: ثَنَا سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ذَكَرَ لَنَا أَنَّ قُرَيْشًا خَلَوْا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى الصَّبَاحِ يَكَلِّمُونَهُ وَيُفَحِّمُونَهُ وَيَسُودُونَهُ وَيَقَارِبُونَهُ، وَكَانَ فِي قَوْلِهِمْ أَنْ قَالُوا: إِنَّكَ تَأْتِي بِشَيْءٍ لَا يَأْتِي بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، فَمَا زَالُوا يَكَلِّمُونَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَقَارِبَهُمْ، ثُمَّ مَنَعَهُ اللَّهُ وَعَصَمَهُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرَكُّنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾، وَذَكَرَهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ فِي بَحْرِ الْعُلُومِ (٢ / ٣٢٣)، وَالتَّعْلِبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٤٠٦)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٢٩٧).

وَالرَّابِعُ: أَنَّهُمْ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اطْرُدْ عَنْكَ سُقَاطُ النَّاسِ، وَمَوَالِيَهُمْ، وَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ رَائِحَتُهُمْ رَائِحَةُ الضَّأْنِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الصُّوفَ، حَتَّى نُجَالِسَكَ وَنَسْمَعَ مِنْكَ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ إِسْلَامُهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ <sup>(١)</sup>، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ؛ قَالَ: وَمَعْنَى الْكَلَامِ: كَادُوا يَفْتِنُونَكَ، وَدَخَلْتَ إِنْ وَاللَّامُ لِلتَّوَكُّيدِ <sup>(٢)</sup>.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾؛ لِأَنَّ فِي إِعْطَائِهِمْ مَا سَأَلُوا مُخَالَفَةً لِحُكْمِ الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنَفْتِرِي﴾؛ أَي: لِنَخْتَلِقَ ﴿عَلَيْنَا غَيْرُهُ﴾؛ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: قُل: اللَّهُ أَمَرَنِي بِذَلِكَ، ﴿وَإِذَا﴾؛ لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ ﴿لَا تَخْذُوكَ خَلِيلًا﴾؛ أَي: وَأَلُوكَ وَصَافُوكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ﴾ عَلَى الْحَقِّ؛ لِعِصْمَتِنَا إِيَّاكَ ﴿لَفَذَكَّتْ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾؛ أَي: هَمَمْتَ وَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى مُرَادِهِمْ ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [٤٨٤/أ] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَذَلِكَ حِينَ سَكَتَ عَنْ جَوَابِهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِنَيْتِهِ <sup>(٣)</sup>.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣١٨) إلى ابن أبي حاتم عن جبير بن نفير رضي الله عنه: أَنَّ قَرِيشًا أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ كُنْتَ أُرْسِلْتَ إِلَيْنَا فَاطْرُدِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ مِنْ سُقَاطِ النَّاسِ وَمَوَالِيهِمْ؛ لَنَكُونَ نَحْنُ أَصْحَابُكَ، فَرَكَنَ إِلَيْهِمْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: ﴿وَلِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾.

(٢) معاني القرآن وإعراجه (٣ / ٢٥٤).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤٢٠)، والتفسير الوسيط (٣ / ١٢٠).

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: الفعلُ في الظاهرِ للنبيِّ ﷺ، وفي الباطنِ للمُشْرِكِينَ، وتقديرُهُ: لَقَدْ كَادُوا يَرْكِنُونَكَ إِلَيْهِمْ، وَيَنْسَبُونَ إِلَيْكَ مَا يَشْتَهُونَهُ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَنَسَبَ الْفِعْلَ إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ عِنْدَ أَمْنِ اللَّبَسِ؛ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِلرَّجُلِ: كَذَتَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ الْيَوْمَ، يُرِيدُ: كَذَتَ تَفْعَلُ فَعَلًا يَقْتُلُكَ غَيْرُكَ مِنْ أَجْلِهِ؛ فَهَذَا مِنَ الْمَجَازِ وَالِاتِّسَاعِ وَشَبِيهَ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وقولُ الْقَائِلِ: لَا أَرَيْنَكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ (١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ﴾ الْمَعْنَى: لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ الشَّيْءَ الْقَلِيلَ ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ أَي: ضِعْفَ عَذَابِ الْحَيَاةِ ﴿وَضِعْفَ﴾ عَذَابِ ﴿الْمَمَاتِ﴾، وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ [مِن الْكَامِلِ]:

وَاسْتَبَّ بِعَذَابِكَ يَا كَلِيبُ الْمَجْلِسُ (٢)

أَي: أَهْلُ الْمَجْلِسِ.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ: ضِعْفَ عَذَابِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٣). وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) ذكر ذلك عنه مكيُّ في الهداية إلى بلوغ النهاية (٦ / ٤٣٥٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧ / ٩٠).

(٢) البيت للمهلhel أخِي كَلِيب؛ كما في الأمالي؛ لأبي علي (١ / ٩٥)، وديوان المعاني (٢ / ١٧٦)، والحماسة بشرح التبريزي (ص: ٣٨٥)، والصناعتين (ص: ٢٠٣)، والكمال؛ للمبرد (١ / ٢٥١)، والعقد الفريد (٣ / ٢٥٠)، وصدرة:

نَبَّهْتُ أَنَّ النَّارَ بِعَذَابِكَ أَوْقَدَتْ \*\*\* .....

واستب القوم: تسابوا. يريد أنه كان لا توقد مع ناره نار لعظم ناره وعمومه بالإطعام، وأنه كان لهيبته لا يتساب الناس في مجلسه.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٠٩)، من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، =

﴿مَغْضُومًا، وَلَكِنَّهُ تَخْوِيفٌ لِأَمَّتِهِ؛ لئَلَّا يَرْكَنَ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ فِي سَبَبِ نَزْلِهَا:

قَوْلَانِ:

أحدهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَسَدَتْهُ الْيَهُودُ عَلَى مَقَامِهِ بِالْمَدِينَةِ، وَكَرِهُوا قُرْبَهُ، فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! أَنْبِيَّ أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ!» قَالُوا: فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هِذِهِ بَأَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنْ أَرْضُ الْأَنْبِيَاءِ الشَّامُ، فَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَأَنْتِ الشَّامُ، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: هُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ يَشْخَصَ عَنِ الْمَدِينَةِ، فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>.

=قوله: ﴿إِذَا لَادَقْتَكَ يَضَعُفَ الْحَيَوةَ وَيَضَعُفَ أَلَمَاتٍ﴾ يعني: ضعف عذاب الدنيا والآخرة. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٣١٩) إلى ابن جرير.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥١٠) من طريق محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: زعم حضرمي أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبي ﷺ: إِنَّ أَرْضَ الْأَنْبِيَاءِ أَرْضُ الشَّامِ، وَإِنْ هَذِهِ لَيْسَتْ بَأَرْضِ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾. وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢ / ٣٢٤)، والثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٤١١)، والبغوي في معالم التنزيل (٥ / ١١٢) من رواية الكلبي.

(٢) ذكره السيوطي الدر المنثور (٥ / ٣٢٠) وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْكُنُونَ الشَّامَ فَمَا لَكَ وَالْمَدِينَةَ فَهَمَّ أَنْ يَشْخَصَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ... الْآيَةُ.

وقال عبد الرحمن بن غنم: لما قالت له اليهود هذا: صدق ما قالوا، وغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك، نزلت هذه الآية<sup>(١)</sup>.

والثاني: أنهم المشركون أهل مكة هموا بإخراج رسول الله ﷺ من مكة، فأمره الله بالخروج، وأنزل هذه الآية إخباراً عما هموا به، قاله الحسن، ومجاهد.

وقال قتادة: هم أهل مكة بإخراجه من مكة، ولو فعلوا ذلك ما نُظِرُوا، ولكن الله كفَّهم عن إخراجه حتى أمره بالخروج<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٤١٢) من طريق روح بن عبادة، قال: حدثنا عبد الحميد بن بهرام، قال: حدثنا شهر بن حوشب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه أن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم! إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام، فإنها أرض المحشر والمنشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله ﷺ ما قالوا، فغزا غزوة تبوك، لا يريد بذلك إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى عليه آية من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك ومماتك ومنها تبعث. وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٩٨)، والحافظ ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٩ / ٥٠) نقلاً عن البيهقي بطريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بلفظ المصنف، ثم قال ابن كثير: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح، فإن النبي ﷺ - لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾، ولقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وغزاها ليقنص ويتقمم من قتل أهل مؤتة من أصحابه.

(٢) أخرجه الطبري (١٧ / ٥١٠) من طريق بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ =





وَقِيلَ: مَا لَبِثُوا بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ بَيِّدِرٍ.

فَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ، الْيَهُودُ، وَالْأَرْضُ: الْمَدِينَةُ. وَعَلَى الثَّانِي: هُمْ الْمُشْرِكُونَ، وَالْأَرْضُ: مَكَّةُ. وَقَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الْإِسْتِفْزَازِ آنفًا [الإسراء: ٦٤]، وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا: الْقَتْلُ، لِيُخْرِجُوهُ مِنَ الْأَرْضِ كُلِّهَا؛ رُويَ عَنِ الْحَسَنِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلْفَكَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو بَكْرِ عَنِ عَاصِمٍ: «خِلْفَكَ». وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ، وَهَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «خِلَافِكَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْأَخْفَشُ «خِلَافَكَ» فِي مَعْنَى «خِلْفَكَ»<sup>(٢)</sup>. [٤٨٤/ب]

وَالْمَعْنَى: لَا يَلْبُثُونَ بَعْدَ خُرُوجِكَ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أَي: لَوْ أَخْرَجُوكَ لَأَسْتَأْصَلْنَاهُمْ بَعْدَ خُرُوجِكَ بِقَلِيلٍ، وَقَدْ جَازَاهُمُ اللَّهُ عَلَى مَا هُمُّوَابِهِ، فَقَتَلَ صَنَادِيدَ الْمُشْرِكِينَ بَيِّدِرٍ، وَقَتَلَ مِنَ الْيَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَأَجَلَى النَّصِيرِ. وَقَالَ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ: مَعْنَى الْكَلَامِ: لَا يَلْبُثُونَ عَلَى خِلَافِكَ وَمُخَالَفَتِكَ، فَسَقَطَ حَرْفُ الْخَفْضِ.

= إِلَّا قَلِيلًا ﴿﴾ وَقَدْ هَمَّ أَهْلُ مَكَّةَ بِإِخْرَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَلَوْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمَا تَوَطَّنُوا، وَلَكِنْ اللَّهُ كَفَّهُمْ عَنْ إِخْرَاجِهِ حَتَّى أَمَرَهُ، وَلَقَلَّمَا مَعَ ذَلِكَ لَبِثُوا بَعْدَ خُرُوجِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ يَوْمَ بَدْرٍ.

(١) قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، انْظُرْ: السَّبْعَةُ؛ لَابْنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٣٨٣)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ١٤١).

(٢) ذَكَرَ ذَلِكَ عَنْهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٣/ ٤٢٥).

وقرأ أبو رزين، وأبو المتوكل: «خَلَّافُكَ» بضم الخاء، وتشديد اللام، ورفع الفاء<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا﴾.

قال الفراء: نَصَبَ السُّنَّةَ عَلَى الْعَذَابِ الْمُضْمَرِ؛ أي: يُعَذَّبُونَ كُسْتِنَا فَيَمَنْ أَرْسَلْنَا<sup>(٢)</sup>. وقال الأخفش: المعنى: سَنَهَا سُنَّةً<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاج: انتَصَبَ بِمَعْنَى: «لَا يَلْبَثُونَ»، وتأويله: إِنَّا سَنَنَّا هَذِهِ السُّنَّةَ فَيَمَنْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ أَنَّهُمْ إِذَا أَخْرَجُوا نَبِيَّهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، لَمْ يَلْبَثِ الْعَذَابُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ [الإسراء: ٧٨ - ٨١].

قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾؛ أي: أَدِّهَا ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾؛ أي: عِنْدَ دُلُوكِهَا.

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ فِي اللَّامِ قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا بِمَعْنَى «فِي».

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرمانى (ص: ٢٨٣)، والبحر المحيط (٦/ ٦٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٢٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٤٢٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

والثاني: أُنْهَا مُؤَكَّدَةٌ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿رَدِّفْ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢].

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: دُلُّوكُهَا: مِنْ عِنْدِ زَوَالِهَا إِلَى أَنْ تَغِيبَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مِثْلُهَا وَقْتُ الظَّهِيرَةِ دُلُّوكُ، وَمِثْلُهَا لِلْغُرُوبِ دُلُّوكُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: مَعْنَى الدُّلُّوكِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: الزَّوَالُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلشَّمْسِ إِذَا زَالَتْ نَصَفَ النَّهَارِ: دَالِكَةٌ، وَإِذَا أَفَلَتْ: دَالِكَةٌ؛ لِأَنَّهَا فِي الْحَالَتَيْنِ<sup>(٣)</sup> زَائِلَةٌ<sup>(٤)</sup>.

وَلِلْمُفَسِّرِينَ فِي الْمَرَادِ بِالدُّلُّوكِ هَاهُنَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ زَوَالُهَا نَصَفَ النَّهَارِ.

رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ شَاءَ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَطَعِمُوا<sup>(٥)</sup> عِنْدِي، ثُمَّ خَرَجُوا حِينَ زَالَتِ الشَّمْسُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: «اخْرُجْ يَا أَبَا بَكْرٍ» فَهَذَا حِينَ<sup>(٦)</sup> دَلَّكَتِ الشَّمْسُ<sup>(٧)</sup>؛ وَهَذَا قَوْلُ

(١) مجاز القرآن (١ / ٣٨٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٥٥).

(٣) في (م): الحالين.

(٤) تهذيب اللغة (١٠ / ٦٩).

(٥) في (س)، و(م): فطعموا.

(٦) في (م): حيث.

(٧) أخرجه الطبري (١٧ / ٥١٨) من طريق محمد بن أبي ليلي، عن رجل، عن جابر بن عبد الله، قال: دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي، ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ فقال: "اخرج يا أبا بكرٍ قَدْ دَلَّكَتِ الشَّمْسُ"، =

ابن عمر، وأبي بَرَزَةَ، وأبي هُرَيْرَةَ، والحسن، والشَّعْبِيّ، وسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وأبي العَالِيَةِ، ومُجَاهِدٌ، وَعَطَاءٌ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْأَزْهَرِيِّ.

قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: لَتَكُونَ الْآيَةُ جَامِعَةً لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَقِمِ الصَّلَاةَ مِنْ وَقْتِ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ، فَيَدْخُلُ فِيهَا الْأُولَى، وَالْعَصْرُ، وَصَلَاتَا غَسَقِ اللَّيْلِ؛ وَهُمَا الْعِشَاءُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَقَرَأَ أَنْ أَفْجَرِ﴾، فَهَذِهِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ<sup>(١)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ غُرِبُهَا، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالنَّخَعِيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كَالْقَوْلَيْنِ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: وَرَأَيْتُ الْعَرَبَ تَذْهَبُ فِي الدُّلُوكِ إِلَى غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ<sup>(٢)</sup>، وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ قُتَيْبَةَ، قَالَ: لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: ذَلِكَ النَّجْمُ<sup>(٣)</sup>؛ إِذَا غَابَ؛ قَالَ ذُو الرُّمَةِ [مَنْ الطَّوِيلُ]:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا نُجُومٌ وَلَا بِالْأَفَلَاتِ الدَّوَالِكِ<sup>(٤)</sup>

=والإسناد ضعيف؛ لإيهام شيخ ابن أبي ليلى، وقد أخرجه الطبري أيضًا من طريق

الأسود بن قيس، عن نبيح العنزى، عن جابر بن عبد الله به، بنحوه، ونبيح مجهول.

(١) تهذيب اللغة (١٠ / ٦٩).

(٢) معاني القرآن (٢ / ١٢٩).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٥٩).

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه (٣ / ١٧٣٤)، ومجاز القرآن (١ / ١٩٩)، وتفسير الطبري

(١١ / ٤٨٥)، وكتاب الأفعال؛ للسر قسطنطي (١ / ٩٢)، والأزمنة والأمكنة؛ للمرزوقي، =

وتَقُولُ فِي الشَّمْسِ: دَلَكْتَ بَرَّاحٌ<sup>(١)</sup>، يُرِيدُونَ: غَرَبْتَ، وَالنَّاظِرُ قَدْ وَضَعَ كَفَّهُ عَلَى حَاجِبِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، قَالَ الشَّاعِرُ [مِنْ الرِّجَزِ]: [٤٨٥/أ]

وَالشَّمْسُ قَدْ كَادَتْ تَكُونُ دَنْفًا

أَذْفَعُهَا بِالرَّاحِ كَي تَزْخَلَفَا<sup>(٢)</sup>

فَسَبَّهَهَا بِالْمَرِيضِ<sup>(٣)</sup> الدَّنْفِ؛ لِأَنَّهَا قَدْ هَمَّتْ بِالْغُرُوبِ كَمَا قَارَبَ الدَّنْفُ الْمَوْتَ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا مِنْ تَحْتِ الْكَفِّ لِيَعْلَمَ كَمْ بَقِيَ لَهَا إِلَى أَنْ تَغِيبَ، وَيَتَوَقَّى الشُّعَاعَ بِكَفِّهِ.

فَعَلَى هَذَا الْمَرَادُ بِهِذِهِ الصَّلَاةِ: الْمَغْرِبُ. فَأَمَّا غَسَقُ اللَّيْلِ: فَهُوَ ظِلَامُهُ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الْمَرَادِ بِالصَّلَاةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِغَسَقِ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: الْعِشَاءُ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

= (ص: ٢٩٢)، وَالْكَشْفُ وَالْبَيَانُ (١٦ / ٤١٦)، وَتَفْسِيرُ الْمَاورِدِي (٢ / ١٣٧)، مَصَابِيحُ:

يَعْنِي الْإِبِلُ تَصْبَحُ فِي مَبَارِكِهَا. وَالْأَفْلَاتُ: الْغَائِبَاتُ، يُقَالُ: أَفَلَ النُّجْمُ: إِذَا غَابَ، وَالدَّوَالِكُ: يُقَالُ: دَلَكْتَ: إِذَا غَابَتْ أَوْ دَنَتْ لِلْمَغِيبِ.

(١) بَرَّاحُ يَفْتَحُ الْبَاءَ: اسْمٌ لِلشَّمْسِ، وَمَنْ كَسَرَ الْبَاءَ فَإِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ يَضَعُ النَّازِرُ كَفَّهُ عَلَى حَاجِبِهِ مِنْ شُعَاعِهَا لِيَنْظُرَ.

(٢) الرِّجَزُ فِي دِيَوَانِ الْعِجَاجِ (ص: ٨٢)، وَمَجَازُ الْقُرْآنِ (١ / ٣٨٨)، وَكِتَابُ الْأَلْفَاظِ؛ لِابْنِ السَّكَيْتِ (ص: ٢٨٥)، وَغَرِيبُ الْقُرْآنِ (ص: ٢٦٠)، وَتَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (١٧ / ٥١٧)، وَيُقَالُ لِلشَّمْسِ إِذَا مَالَتْ لِلْمَغِيبِ وَزَالَتْ عَنْ كِبِدِ السَّمَاءِ نِصْفَ النَّهَارِ: قَدْ تَزَحَلَفَتْ.

(٣) فِي (م): بِالْمَرِيضِ فِي.

(٤) فِي (س)، وَ(م): فَظْلَامُهُ.

والثاني: المغرب، قاله ابن عباس.

قال القاضي أبو يعلى: فيحتمل أن يكون المراد بيان وقت المغرب؛ أنه من غروب الشمس إلى غسق الليل.

والثالث: المغرب والعشاء، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَقَرَأَ الْفَجْرَ﴾ (المعنى: وأقم قراءة الفجر)<sup>(١)</sup>.

قال المفسرون: المراد به: صلاة الفجر. قال الزجاج: وفي هذا فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة، حين سُميت الصلاة قُرْآنًا<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «تَشْهَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ قال ابن عباس: فصل بالقرآن<sup>(٤)</sup>. قال مجاهد، وعلقمة، والأسود: التَّهَجُّدُ بَعْدَ النَّوْمِ<sup>(٥)</sup>.

(١) ساقط من (ر).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢/ ٤٧٤)، والترمذي في جامعه (٣١٣٥)، وابن ماجه في سننه (٦٧٠)، والنسائي في التفسير (٣١٣)، والحاكم (١/ ٢١١) كلهم من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٣٧)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢١).

(٥) أخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٤).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: تَهَجَّدْتُ: سَهَرْتُ<sup>(١)</sup>، وَهَجَّدْتُ: نِمْتُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: التَّهَجُّدُ هَاهُنَا بِمَعْنَى: التِّيَقُّظُ وَالسَّهَرُ، وَاللُّغَوِيُّونَ يَقُولُونَ: هُوَ مِنْ حُرُوفِ الْأَضْدَادِ؛ يُقَالُ لِلنَّائِمِ: هَاجِدٌ وَمُتَهَجِّدٌ، وَكَذَلِكَ لِلسَّاهِرِ، قَالَ النَّابِغَةُ [من الكامل]:

وَلَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ      عَبْدَ إِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَهَجِّدٍ  
لَرَأَى لِيَهْجَتَهَا وَحُسْنَ حَدِيثِهَا      وَلِحَالِهِ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ<sup>(٣)</sup>  
يَعْنِي بِالتَّهَجُّدِ: السَّاهِرِ<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ لَبِيدٌ [من الرمل]:

قَالَ هَجَّدَنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى .....<sup>(٥)</sup>

(١) في الأصل، و(ر): سررت، والمثبت من (س)، و(م).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦٠).

(٣) البيتان للنابغة؛ كما في جمهرة أشعار العرب (ص: ٧٦)، والشعر والشعراء (١/ ١٦٠)، والأضداد؛ لابن الأنباري (ص: ٥٢)، وزهر الآداب (١/ ٥١)، والعمدة في محاسن الشعر (١/ ٢٦٣)، الصرورة: الذي لم يأت النساء، وقال ابن الأعرابي: الذي لم يبرح من مكانه، يريد من صومعته.

(٤) الأضداد (ص: ٥٢)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٦٦).

(٥) البيت في ديوانه (ص: ٩٢)، ومجاز القرآن (١/ ٣٨٩)، وأدب الكاتب (ص: ٤٥٦)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٣/ ٢٥٦)، والزاهر (٢/ ٦٧)، والمذكر والمؤنث (١/ ٤٣١)، وعجزه:

\*\*\* ..... وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَا الدَّهْرُ غَفْلَ

البيت يصف صديقاً له غلبه النعاس في السفر؛ لأنه يتعود المشقة والابتدال. وخنا الدهر شدائده ومشقاته، وقبله:

وَمَجُودٍ مِنْ صَبَابَاتِ الْكُرَى \*\*\* عَاطِفِ النَّمْرُوقِ صَدَقِ الْمَبْتَدَلِ

أي: نَوْمًا.

وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: الْمَتَهَجَّدُ: الْقَائِمُ إِلَى الصَّلَاةِ مِنَ النَّوْمِ. وَقِيلَ لَهُ:  
مَتَهَجَّدٌ لِإِلْقَائِهِ الْهُجُودَ عَنْ نَفْسِهِ؛ كَمَا يُقَالُ: تَحَرَّجَ وَتَأَنَّمَ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَافِلَةٌ لَكَ﴾ النَّافِلَةُ فِي اللُّغَةِ: مَا كَانَ زَائِدًا عَلَى الْأَصْلِ.

وَفِي مَعْنَى هَذِهِ الزِّيَادَةِ فِي حَقِّهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا زَائِدَةٌ فِيمَا فُرِضَ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: فَرِيضَةٌ عَلَيْكَ،  
وَكَانَ قَدْ فُرِضَ عَلَيْهِ قِيَامُ اللَّيْلِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهَا زَائِدَةٌ عَلَى الْفُرْضِ، وَلَيْسَتْ فَرْضًا، فَاَلْمَعْنَى: تَطَوُّعًا وَفَضِيلَةً.

قَالَ أَبُو أَمَامَةَ، وَالْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ: إِنَّهَا النَّافِلَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةً<sup>(٢)</sup>.

(١) تهذيب اللغة (٦/ ٢٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٥٣٤ - ٥٣٤) (٢٢١٩٦)، يزيد بن هارون، أخبرنا  
سليم بن حيان، حدثنا أبو غالب قال: سمعت أبا أمامة يقول: "إذا وضعت الطهور  
مواضعه قعدت مغفورًا لك، فإن قام يصلي كانت له فضيلة وأجر، وإن قعد قعد  
مغفورًا له". فقال له رجل: يا أبا أمامة أرايت إن قام فصلى أتكون له نافلة؟ قال:  
"لا. إنما النافلة للنبي ﷺ. كيف تكون له نافلة وهو يسعى في الذنوب والخطايا؟  
تكون له فضيلة وأجرًا"، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٠٦٢) من طريق محمد بن  
عبد الملك الواسطي، عن يزيد بن هارون، بهذا الإسناد، وأخرجه الطيالسي بنحوه  
(١١٣٥) من طريق حماد بن سلمة، عن أبي غالب البصري، به. وأخرجه مرفوعًا أبو  
يعلى في مسنده، كما في إتحاف الخيرة (٧٥٦) و(٨٥٩٣)، والطبراني في الكبير (٨٠٦٣) من  
طريق حسين بن واقد المروزي، عن أبي غالب، به. ولم يذكر الطبراني في روايته سؤال  
الرجل لأبي أمامة، وأخرجه الطبري (١٧/ ٥٢٥) الأعمش، عن شمر عن عطية، عن  
شهر، به.=



قَالَ مُجَاهِدٌ: وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَمَا زَادَ عَلَى فَرْضِهِ فَهُوَ نَافِلَةٌ لَهُ وَفَضِيلَةٌ، وَهُوَ لِغَيْرِهِ كَفَّارَةٌ<sup>(١)</sup>.

وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ صَلَاةَ اللَّيْلِ كَانَتْ فَرْضًا عَلَيْهِ فِي الْإِبْتِدَاءِ، ثُمَّ رُخِّصَ لَهُ فِي تَرْكِهَا، فَصَارَتْ نَافِلَةً.

[٤٨٥/ب]

وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ فِي هَذَا قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: يُقَارِبُ مَا قَالَهُ مُجَاهِدٌ، فَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَنَفَّلَ لَا يَقْدِرُ لَهُ أَنْ يَكُونَ بِذَلِكَ مَاجِيًا لِلذُّنُوبِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَغَيْرُهُ إِذَا تَنَفَّلَ كَانَ رَاجِيًا، وَمَقْدَرًا مَحْوِ السَّيِّئَاتِ عَنْهُ بِالتَّنَفُّلِ، فَالْنَافِلَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ زِيَادَةٌ عَلَى الْحَاجَةِ، وَهِيَ لِغَيْرِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهَا، وَمَأْمُولٌ بِهَا دَفْعُ الْمَكْرُوهِ<sup>(٢)</sup>.

وَالثَّانِي: أَنَّ النَافِلَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأُمَّتِهِ، وَالْمَعْنَى: وَمِنْ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدُوا<sup>(٣)</sup> بِهِ نَافِلَةً لَكُمْ، فَخُوطِبَ النَّبِيُّ ﷺ بِخُطَابِ أُمَّتِهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبَةٌ، وَمَعْنَى ﴿يَبْعَثَكَ﴾ يُقِيمَكَ ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ وَهُوَ الَّذِي يَحْمَدُهُ لِأَجْلِهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْمَوْقِفِ.

= وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الطَّبْرِيُّ (١٧ / ٥٢٥) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: النَافِلَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَاصَّةٌ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ.

(١) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ.

(٢) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (١٧ / ٢٥٢).

(٣) فِي (س): فَتَهَجَّدُ.

## وفيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ الشَّفَاعَةُ لِلنَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَحُذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَابْنُ عُمَرَ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْحَسَنُ، وَهِيَ رِوَايَةُ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ.

والثاني: يُجْلِسُهُ عَلَى الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. رَوَى أَبُو وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، وَقَالَ: يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ<sup>(١)</sup>، وَكَذَلِكَ رَوَى الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>، وَلَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ<sup>(٣)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ رَبَّ آدَخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ بَفَتْحِ الْمِيمِ فِي «مُدْخَلَ» وَ«مُخْرَجٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الثعلبي (١٦ / ٤٤٧ - ٤٤٨) بسنده عن أبي همام الوليد بن شجاع، عن علي بن جعفر، عن المسعودي، عن عاصم، عن وائل، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه الخلال في السنة (١ / ٢٥١) (٢٩٥)، من طريق محمد بن عقبة الشيباني، وأحمد بن الفرغ الطائي، قالوا: ثنا عبادة بن أبي روق، قال: سمعت أبي يحدث، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾، قال: «يقعده على العرش».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦ / ٣٠٥) (٣١٦٥٢)، من طريق ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد، ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: «يقعده على العرش»، والخلال في السنة من طريق أبي بكر بن أبي شيبة، به.

(٤) هي قراءة شاذة، عزاها لابن أبي عبله وأبي حيوة الكرماني في شواذ القراءات (ص: ٢٨٣)، وللثلاثة في الدر المصون (٧ / ٤٠١)، وعزاها للحسن الثعلبي (٦ / ١٢٧)، ولعلي وأبي في مختصر الشواذ (ص: ٨١)، وقال الطبري (٨ / ٢٥٩): لم يبلغنا عن أحد أَنَّهُ قَرَأَ بِهَا.

قَالَ الرَّجَّاجُ: الْمَذْخُلُ، بَضَمٌ الْمَيْمِ: مُصَدَّرُ أَذْخَلْتُهُ مُذْخَلًا، وَمَنْ قَالَ: «مَذْخَلَ صِدْقٍ»، فَهُوَ عَلَى أَذْخَلْتُهُ، فَدَخَلَ مَذْخَلَ صِدْقٍ، وَكَذَلِكَ شَرَحُ «مُخْرَجٍ» مِثْلُهُ<sup>(١)</sup>.

وَالْمُفَسِّرِينَ فِي الْمَرَادِ بِهَذَا الْمَذْخَلِ وَالْمُخْرَجِ أَحَدَ عَشَرَ قَوْلًا:

أَحَدُهَا: أَذْخَلَنِي الْمَدِينَةَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرَجَنِي مِنْ مَكَّةَ مُخْرَجَ صِدْقٍ، رَوَى أَبُو ظَبْيَانَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ، فَتَزَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>.

وَالِىَ هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ الْحَسَنُ فِي رِوَايَةٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ.

وَالثَّانِي: أَذْخَلَنِي الْقَبْرَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرَجَنِي مِنْهُ مُخْرَجَ صِدْقٍ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

وَالثَّالِثُ: أَذْخَلَنِي الْمَدِينَةَ، وَأَخْرَجَنِي إِلَى مَكَّةَ، يَعْنِي: لِفَتْحِهَا، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٤١٧)، (١٩٤٨)، والترمذي (٣١٣٩)، والطبري في تفسيره (١٧/ ٥٣٣)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٢٦٥) (٢٩٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٨/ ٣٢) (١٧٧٩٥).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٥٣) عن عطية العوفي عن ابن عباس.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٥٣) من رواية الكلبي.

والرَّابِع: أَذْخَلَنِي مَكَّةَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرَجَنِي مِنْهَا مُخْرَجَ صِدْقٍ، فَخَرَجَ مِنْهَا أَمْنًا مِنَ الْمَشْرِكِينَ، وَدَخَلَهَا ظَاهِرًا عَلَيْهَا يَوْمَ الْفَتْحِ، قَالَ الضَّحَّاكُ. والخامس: أَذْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقِ الْجَنَّةِ، وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَوَاهُ قَتَادَةُ عَنِ الْحَسَنِ<sup>(١)</sup>.

والسَّادس: أَذْخَلَنِي فِي النُّبُوَّةِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَخْرَجَنِي مِنْهَا مُخْرَجَ صِدْقٍ، قَالَه مجاهدٌ، يَعْنِي: أَخْرَجَنِي مِمَّا يَجِبُ عَلَيَّ فِيهَا.

والسَّابع: أَذْخَلَنِي فِي الْإِسْلَامِ، وَأَخْرَجَنِي مِنْهُ، قَالَه أَبُو صَالِحٍ؛ يَعْنِي: مِنْ أَدَاءِ مَا وَجَبَ عَلَيَّ فِيهِ إِذَا جَاءَ الْمَوْتُ.

والثَّامن: أَذْخَلَنِي فِي طَاعَتِكَ، وَأَخْرَجَنِي مِنْهَا؛ أَي: سَالِمًا غَيْرَ مُقْصَّرٍ<sup>(٢)</sup> فِي أَدَائِهَا، قَالَه عطاءٌ.

والتَّاسع: أَذْخَلَنِي الْغَارَ، وَأَخْرَجَنِي مِنْهُ، قَالَه مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ.

والعَّاشِر: أَذْخَلَنِي فِي الدِّينِ، وَأَخْرَجَنِي مِنَ الدُّنْيَا وَأَنَا عَلَى الْحَقِّ، ذَكَرَهُ الزَّجَّاجُ<sup>(٣)</sup>.

والْحَادِي عَشَرَ: أَذْخَلَنِي مَكَّةَ، وَأَخْرَجَنِي إِلَى حُنَيْنٍ، ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشْقِيُّ.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٣٥)، من طريق الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: قال الحسن: ﴿أَذْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: الْجَنَّةَ وَ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(٢) في (ر): مقتصد.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٥٧).

وَأَمَّا إِضَافَةُ الصَّدَقِ إِلَى الْمَدْخَلِ وَالْمُخْرَجِ، فَهُوَ مَذْحُ هُما. وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا الْمَعْنَى فِي سُورَةِ يُونُسَ [آيَة: ٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾؛ أَي: مِنْ عِنْدِكَ ﴿سُلْطَنًا﴾ وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ التَّسَلُّطُ عَلَى الْكَافِرِينَ بِالسَّيْفِ، وَعَلَى الْمُنَافِقِينَ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّلَاثُ: الْمُلْكُ الْعَزِيزُ الَّذِي يُقَهَّرُ<sup>(١)</sup> بِهِ الْعُصَاةَ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَقَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ: وَقَوْلُهُ: ﴿نَصِيرًا﴾ يُجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى مُنْصَرًّا<sup>(٢)</sup>، وَيُضْلَحُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ نَاصِرًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْحَقَّ الْإِسْلَامَ، وَالْبَاطِلَ الشِّرْكَ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْحَقَّ الْقُرْآنَ، وَالْبَاطِلَ الشَّيْطَانَ، قَالَهُ قَتَادَةُ.

وَالثَّلَاثُ: أَنَّ الْحَقَّ الْجِهَادَ، وَالْبَاطِلَ الشِّرْكَ، قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجٍ.

وَالرَّابِعُ: الْحَقُّ عِبَادَةُ اللَّهِ، وَالْبَاطِلُ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٣)</sup>.

(١) فِي (ر)، وَ(س): تَقَهَّرَ.

(٢) فِي (س): مَنْصُورًا.

(٣) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢/ ٥٤٧).

ومعنى «زَهَقَ»: بطل واضمحَلَّ، وكُلُّ شيءٍ هلك وبطل؛ فقد زَهَقَ. وزَهَقَتْ نفسه: تَلَفَتْ.

وروى ابنُ مسعودٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ مَكَّةَ وحولَ البَيْتِ ثلاثمائة وستونَ صنماً، فجَعَلَ يَطْعُنُهَا، ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف قلتم: إنَّ زَهَقَ بمعنى: بطل، والباطلُ موجودٌ مغمولٌ عليه عندَ أهله؟

فالجوابُ: أنَّ المرادَ من بطلانه وهلكته: وضوحُ عِيه، فيكونُ هالِكًا عندَ المتدبِّرِ الناظرِ.

﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قوله تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ ﴿مِنْ﴾ هاهنا لبيان الجنس، فجميعُ القرآنِ شِفَاءٌ.

وفي هذا الشِّفَاءِ ثلاثةُ أقوالٍ:

أحدها: شِفَاءٌ مِنَ الضَّلَالِ، لما فيه مِنَ الهدى.

والثاني: شِفَاءٌ مِنَ السَّقَمِ، لما فيه مِنَ البركة.

والثالث: شِفَاءٌ مِنَ الْبَيَانِ لِلْفَرَائِضِ وَالْأَحْكَامِ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٤٧٢٠).

وفي الرَّحْمَةِ قَوْلَانِ:

أحدهما: النِّعْمَةُ.

والثاني: أَنَّهُ<sup>(١)</sup> سَبَبُ لِلرَّحْمَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ يَغْنِي: الْمُشْرِكِينَ ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾؛ لَأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِهِ، فَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَوَاعِظِهِ، فَتَزِيدُ خَسَارَاتِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾<sup>(٣)</sup> قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا<sup>(٤)</sup> [الإسراء: ٨٣ - ٨٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْإِنْسَانُ هَاهُنَا: الْكَافِرُ، وَالْمَرَادُ بِهِ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: وَهَذَا الْإِنْعَامُ: سِعَةُ الرِّزْقِ، وَكُشْفُ الْبَلَاءِ.

﴿وَنَسَى بِجَانِبِهِ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: «وَنَاسَى» عَلَى وَزْنِ «نَعَى» بَفَتْحِ النُّونِ وَالْهَمْزَةِ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: «نَاءً»<sup>(٦)</sup>؛ مَثَلُ: «نَاعَ»<sup>(٧)</sup>. وَقَرَأَ الْكَسَائِيُّ، وَخَلَفٌ عَنْ سُلَيْمٍ عَنْ حَمْزَةَ: «وَنَاءً» بِإِمَالَةِ النُّونِ وَالْهَمْزَةِ. وَرَوَى خَلَادٌ عَنْ سُلَيْمٍ: «نَيْسَى» بَفَتْحِ النُّونِ

(١) فِي (ر): أَنْ.

(٢) فِي (س): فَيَزِيدُ خَسَارَهُمْ. وَفِي (م): فَيَزِيدُ خَسَارَاتِهِمْ.

(٣) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٣ / ٤٥٤)، وَالتَّفْسِيرِ الْوَسِيطِ (٣ / ١٢٤).

(٤) قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ، انْظُرْ: السَّبْعَةُ (ص: ٣٨٤)، وَالتَّيْسِيرُ (ص: ١٤١) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

ذَكْوَانَ خَاصَّةً، وَكَذَا فِي النَّشْرِ (٢ / ٣٠٨)، وَزَادَ أَبَا جَعْفَرٍ.

(٥) فِي (م): بَاغَ.

[٤٨٦/ب] وكسرِ الهمزة<sup>(١)</sup>، والمعنى: تَبَاعَدَ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ النَّعْمِ، وَقِيلَ: تَعَظَّمَ وَتَكَبَّرَ. ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾؛ أَي: نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ وَالْفَقْرُ ﴿كَانَ يَتُوسَا﴾؛ أَي: قَنُوطًا شَدِيدَ الْيَأْسِ، لَا يَرْجُو فَضْلَ اللَّهِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: عَلَى نَاحِيَّتِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: الشَّاكِلَةُ: النَّاحِيَّةُ، وَالْجَدِيلَةُ، وَالطَّرِيقَةُ، سَمِعْتُ بَعْضَ الْعَرَبِ يَقُولُ: وَعَبْدُ الْمَلِكِ إِذْ ذَاكَ عَلَى جَدِيلَتِهِ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى جَدِيلَتِهِ، يُرِيدُ: عَلَى نَاحِيَّتِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: عَلَى نَاحِيَّتِهِ وَخَلِيقَتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: عَلَى خَلِيقَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ، وَهُوَ مِنَ الشَّكْلِ، يُقَالُ: لَسْتُ عَلَى شَكْلِي، وَلَا شَاكِلَتِي<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: عَلَى طَرِيقَتِهِ، وَعَلَى مَذْهَبِهِ<sup>(٥)</sup>.

وَالثَّانِي: عَلَى نِيَّتِهِ؛ قَالَهُ الْحَسَنُ، وَمُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ.

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر؛ للدِّمَاطِي (ص: ٢٨٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٣٠).

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٨٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٦٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٧).



وَقَالَ اللَّيْثُ: الشَّائِكَةُ مِنَ الْأُمُورِ: مَا <sup>(١)</sup> وَافَقَ فاعِلُهُ <sup>(٢)</sup>.

والثالث: على دينه، قاله ابنُ زيد.

وتحرير المعنى: أن كلَّ واحدٍ يَعْمَلُ على طَرِيقَتِهِ الَّتِي تُشَاكِلُ أَخْلَاقَهُ،  
فَالْكَافِرُ يَعْمَلُ مَا يُشَبِّهُ طَرِيقَتَهُ مِنَ الْإِعْرَاضِ عِنْدَ النَّعَمِ، وَالْيَأْسِ عِنْدَ  
الشَّدَةِ، وَالْمُؤْمِنُ يَعْمَلُ مَا يُشَبِّهُ طَرِيقَتَهُ مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرِ  
عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَاللَّهُ يُجَازِي الْفَرِيقَيْنِ.

وذكر أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: أن هذه الآية منسوخة بقوله  
تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وليس بشيء.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا

﴾ [الإسراء: ٨٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن رسولَ الله ﷺ مرَّ بناسٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالُوا: سَأَلُوهُ عَنِ  
الرُّوحِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تَسْأَلُوهُ، فَيَسْتَقْبِلُكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ. فَاتَّاهُ نَفَرٌ  
مِنْهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ: مَا تَقُولُ فِي الرُّوحِ؟ فَسَكَتَ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ  
الْآيَةُ، قَالَه ابنُ مسعودٍ <sup>(٣)</sup>.

(١) ليست في (ر).

(٢) ذكر ذلك عنه الأزهري في تهذيب اللغة (٢ / ١٩١٦)، والواحدي في التفسير البسيط  
(١٣ / ٤٥٩)، والتفسير الوسيط (٣ / ١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٧٢١)، و(٧٢٩٧)، ومسلم (٢٧٩٤)، والترمذي (٣١٤١).

والثاني: أَنَّ الْيَهُودَ قَالَتْ لِقُرَيْشٍ: سَلُّوا مُحَمَّدًا عَنْ ثَلَاثٍ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْ اثْنَتَيْنِ وَأَمْسَكَ عَنِ الثَّالِثَةِ فَهُوَ نَبِيٌّ؛ سَلُّوهُ عَنْ فِتْيَةٍ فَقَدُّوْا، وَسَلُّوهُ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَسَلُّوهُ عَنِ الرُّوحِ. فَسَأَلُوهُ عَنْهَا فَفَسَّرَ لَهُمْ أَمْرَ الْفِتْيَةِ، فِي الْكَهْفِ وَفَسَّرَ لَهُمْ قِصَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَأَمْسَكَ عَنْ قِصَّةِ الرُّوحِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، رَوَاهُ عَطَاءٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْمَرَادِ بِالرُّوحِ هَاهُنَا سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الرُّوحُ الَّذِي يَحْيَا بِهِ الْبَدَنُ، رَوَى هَذَا الْمَعْنَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي مَا هِيَ الرُّوحُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا هَلِ الرُّوحُ النَّفْسُ، أَمْ هُمَا شَيْئَانِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ اخْتِلَافِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا بُرْهَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَخَذُوهُ عَنِ الطَّبِّ وَالْفَلَاسِفَةِ؟

فَأَمَّا السَّلَفُ؛ فَإِنَّهُمْ أَمْسَكُوا عَنْ ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الْقَوْمَ سَأَلُوا عَنِ الرُّوحِ فَلَمْ يُجَابُوا، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ، وَالرَّسُولُ حَيٌّ، عَلِمُوا أَنَّ السُّكُوتَ عَمَّا لَمْ يُحِطْ بِحَقِيقَةِ عِلْمِهِ أَوَّلَى.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٥٩٢ - ٥٩٣) مَطْوَلًا مِنْ طَرِيقِ عَكْرَمَةَ، وَابِيهْفِي فِي الدَّلَائِلِ (٢/ ٢٧٠) مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْبَسِيطِ (١٣/ ٤٦٠) مِنْ رِوَايَةِ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧/ ٥٤٣) مِنْ طَرِيقِ الْعَوْفِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: أن المراد بهذا الروح ملكٌ من الملائكة على خلقه هائلة،  
رُوي عن عليٍّ عليه السلام، وابنِ عباسٍ، ومقاتِلٍ<sup>(١)</sup>.

والثالث: أن الروح خلقٌ من خلق الله عزَّ وجلَّ صورُهُم على صورِ  
بنِي آدَمَ، رواه مجاهدٌ عن ابنِ عباسٍ<sup>(٢)</sup>. [٤٨٧/أ]

والرابع: أنه جبريلُ عليه السلام، قاله الحسنُ، وقتادةٌ.

والخامس: أنه القرآن، رُوي عن الحسنِ أيضًا.

والسادس: أنه عيسى بنُ مريمَ، حكاه الماورديُّ<sup>(٣)</sup>.

قال أبو سليمان الدمشقيُّ: قد ذكرَ الله تعالى الروحَ في مواضعٍ من  
القرآن، فغالبُ ظنِّي أن الناقِلينَ نقلُوا تفسيرَهُ من موضِعِهِ إلى موضِعٍ لا  
يليقُ به، وظنُّوه مثله، وإنما هو الروحُ الَّذي يحيى به ابنُ آدَمَ.

وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾؛ أي: من عملِهِ الَّذي منع أن يعرفه أحدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ في المخاطِبِينَ بهذا قولان:

أحدهما: أنَّهم اليهودُ، قاله الأكثرُونَ.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٧).

(٢) تفسير مجاهد (ص: ٦٩٦)، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢١٨) (٧٧٩)،  
وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (١٦/ ٤٦٩).

(٣) النكت والعيون (٣/ ٢٧٠).

والثاني: أنهم جميعُ الخلق، علمُهم قليلٌ بالإضافة إلى علمِ الله عزَّ وجلَّ، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف الجمعُ بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]؟

فالجواب: أن ما أُوتيه النَّاسُ من العلم وإن كان كثيرًا، فهو بالإضافة إلى علمِ الله قليلٌ.

﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾<sup>(٨٦)</sup>  
إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٦ - ٨٧].

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

قال الزجاج: المعنى: لو شئنا لمحوناه من القلوبِ والكتبِ، حتى لا يوجد له أثر<sup>(٢)</sup>.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾؛ أي: لا تجد من يتوكل علينا في ردِّ شيءٍ منه ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ هذا استثناءٌ ليس من الأول، والمعنى: لكن الله رحيمٌ فأثبت ذلك في قلبك وقلوبِ المؤمنين.

وقال ابنُ الأثيري: المعنى: لكن رحمةً من ربِّك تمنعُ من أن تُسَلَبَ القرآن، فكان<sup>(٣)</sup> المشركون قد خاطبوا نساءَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ في الرجوعِ إلى

(١) النكت والعيون (٣/ ٢٧١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٨).

(٣) في (س)، و(م): وكان.

دين آبائهم، فهددهم الله عز وجل بسلب النعمة، فكان ظاهر الخطاب للرسول، ومعنى التهديد للأمة<sup>(١)</sup>.

وقال أبو سليمان: ثم لا تجد لك به؛ أي: بما نفعله بك، من إذهاب ما عندك وكيلاً يدفعنا عما<sup>(٢)</sup> نريده بك.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: يسرى على القرآن في ليلة واحدة، فيجيء جبريل من جوف الليل، فيذهب به من صدورهم ومن بيوتهم، فيضبحون لا يقرؤون آية ولا يحسنونها<sup>(٣)</sup>.

ورد أبو سليمان الدمشقي صحة هذا الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً»<sup>(٤)</sup>، وحديث ابن مسعود مروي من طرق حسنة، فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أراد بالعلم ما سوى القرآن، فإن العلم ما يزال ينقرض حتى يكون رفع القرآن آخر الأمر.

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾.

(١) ذكر ذلك عنه أبو حيان (٧ / ١٠٨).

(٢) في (س): ممّا.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٨٠ - ٥٩٨١)، والطبري في تفسيره (١٧ / ٥٤٦)، والطبراني في الكبير (٩ / ١٤١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥ / ٣٦٥) (١٧٥)، والحاكم (٤ / ٥٠٤)، والبيهقي في الشعب (٢٠٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

قَالَ الْمَفْسُورُونَ: هَذَا تَكْذِيبٌ لِلنَّصْرِ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: لَوْ شِئْنَا لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا. وَالْمِثْلُ الَّذِي طُلِبَ مِنْهُمْ: كَلَامٌ لَهُ نَظْمٌ كَنَظْمِ الْقُرْآنِ، فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ. وَالظَّهِيرُ: الْمَعِينُ.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾<sup>(١)</sup> وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا<sup>(٢)</sup> أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجِرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا<sup>(٣)</sup> أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا<sup>(٤)</sup> أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرْهُبٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا<sup>(٥)</sup>﴾ [الإسراء: ٨٩ - ٩٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في هذه السُّورَةِ [الإسراء: ٤١]، والمعنى: مِنْ كُلِّ مَثَلٍ<sup>(١)</sup> مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي تَكُونُ<sup>(٢)</sup> بِهَا الْإِعْتِبَارُ<sup>[٤٨٧/ب]</sup> ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ بِعَيْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أَي: جُحُودًا لِلْحَقِّ وَإِنْكَارًا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾.

سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا: أَنَّ رُؤَسَاءَ قُرَيْشٍ؛ كَعْتَبَةَ، وَشَيْبَةَ، وَأَبِي جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالنَّصْرَ بْنَ الْحَارِثِ، فِي آخِرِينَ، اجْتَمَعُوا عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذَرُوا فِيهِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ: إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدِ اجْتَمَعُوا لِيُكَلِّمُوكَ،

(١) فِي (ر): شَيْءٌ.

(٢) فِي (س)، وَ(م): يَكُونُ.

فجاءهم سريعاً، وكان حريصاً على رُشدِهِمْ، فقالوا: يا مُحَمَّدُ!، إنا والله لا نعلمُ رجلاً من العربِ أَدْخَلَ على قومِهِ ما أَدْخَلْتَ على قومِكَ؛ لقد شَتَمْتَ الآباءَ، وعَبَتِ الدِّينَ، وسَفَّهْتَ الأحلامَ، وفَرَّقْتَ الجماعةَ، فإن كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بهذا لِتَطْلُبَ بِهِ<sup>(١)</sup> مالا، جعلنا لك من أموالنا ما تكونُ بِهِ أَكْثَرُنا مالا، وإن كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا، سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، وإن كَانَ هَذَا الرَّئِيسُ الَّذِي يَأْتِيكَ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ، بذلنا أموالنا في طَلَبِ الطُّبِّ لَكَ حَتَّى نُبْرِثَكَ مِنْهُ، أو نُعَذِّرَ فَيْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي [مَا جِئْتُكُمْ بِهِ]<sup>(٢)</sup>، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوه عَلَيَّ، أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ». قالوا: يَا مُحَمَّدُ! فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا مَا عَرْضْنَا، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَضْيَقُ بِلَادًا وَلَا أَشَدَّ عَيْشًا مِنَّا، سَلْ لَنَا رَبَّكَ يُسَيِّرْ لَنَا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا، وَيُجَرِّي لَنَا أَنْهَارًا، وَيَبْعَثَ مَن مَضَى مِن آبَائِنَا، وَلِيَكُنْ فِيمَنْ يَبْعَثُ لَنَا مِنْهُمْ قُصِيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا صَدُوقًا، فَنَسْأَلُهُمْ<sup>(٣)</sup> عَمَّا تَقُول: أَحَقُّ هُوَ؟ فَإِنْ فَعَلْتَ صَدَقْنَاكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بِهِذَا بُعِثْتُ، وَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ». قالوا: فَسَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ لَكَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ، وَسَلِّهِ أَنْ يَجْعَلَ لَكَ جَنَانًا، وَكُنُوزًا، وَقُصُورًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ تُغْنِيكَ. قَالَ: «مَا أَنَا بِالَّذِي لَيْسَ أَلْ

(١) ليست في (م).

(٢) من (م).

(٣) كذا في النسخ الخطية، وفي المطبوع: فنسأله.

رَبَّهُ<sup>(١)</sup> هَذَا». قالوا: فَسُقِطَ<sup>(٢)</sup> عَلَيْنَا السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ أَنْ<sup>(٣)</sup> رَبِّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ. فَقَالَ: «ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى ﴿تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: لَا أُوْمِنُ لَكَ حَتَّى تَتَّخِذَ إِلَى السَّمَاءِ سُلَّمًا، وَتَرْفِيَ فِيهِ وَأَنَا أَنْظُرُ، وَتَأْتِيَ بِنُسْخَةٍ مَنْشُورَةٍ مَعَكَ، وَنَقْرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ لَكَ، فَاَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَزِينًا لِمَا رَأَى مِنْ مُبَاْعَدَتِهِمْ إِيَّاهُ، فَاَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾... الْآيَاتِ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ﴾ قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَابْنُ عَابِرٍ: «حَتَّى تُفَجِّرَ» بَضْمُ التَّاءِ، وَفَتْحُ الْفَاءِ، وَتَشْدِيدُ الْجِيمِ مَعَ الْكُسْرَةِ. وَقَرَأَ عَاصِمٌ، وَخَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ: «حَتَّى تُفْجِرَ» بَفَتْحِ التَّاءِ، وَتَسْكِينِ الْفَاءِ، وَضَمَّ الْجِيمِ مَعَ التَّخْفِيفِ<sup>(٥)</sup>. فَمَنْ ثَقَلَ؛ أَرَادَ كَثْرَةَ الْإِنْفِجَارِ مِنَ الْيَنْبُوعِ، وَمَنْ خَفَفَ، فَلَانَ الْيَنْبُوعَ وَاحِدًا.

(١) وَأَشَارَ نَاسِخُ الْأَصْلِ إِلَى نَسْخَةٍ فِيهَا: أَسْأَلُ رَبِّي. وَهِيَ نَسْخَةٌ (س).

(٢) فِي (م): فَاسْقَطَ.

(٣) فِي (م): بِأَنْ.

(٤) تَفْسِيرُ الطَّبْرِيِّ (١٧ / ٥٥٦).

(٥) قَرَأَتَانِ سَبْعَتَانِ، انْظُرْ: السَّبْعَةُ؛ لَا بِنِ مَجَاهِدٍ (ص: ٣٨٤)، وَالتَّيْسِيرُ؛ لِلدَّانِي (ص: ١٤١)، وَالنَّشْرُ فِي الْقَرَاءَاتِ الْعَشْرِ؛ لَا بِنِ الْجَزْرِيِّ (٢ / ٣٠٨).



فَأَمَّا الِيبْتُوْعُ: فهو عينٌ ينبعُ الماءُ منها؛ قال أبو عبيدة: هو يفعلول،

[٤٨٨/أ]

مِنْ نَبَعِ الْمَاءِ؛ أي: ظهر وفار<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ﴾؛ أي: بُستانٌ ﴿فَلَفَجِرَ الْأَنْهَارُ﴾؛ أي:

تفتَحُها وتُجْرِها ﴿خِلَالَهَا﴾؛ أي: وسطَ تلك الجنة.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ﴾ وقرأ مجاهدٌ، وأبو مجلز، وأبو رجاء،

ومُحَمَّدٌ، والجحدريُّ: «أَوْ تَسْقُطُ» بفتح التاء، ورفع القاف «السَّمَاءُ» بالرفع<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِسْفًا﴾ قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحزرة، والكسائيُّ:

«كِسْفًا» بتسكين السين في جميع القرآن إلا في الروم [آية: ٤٨] فإنهم حرَّكوا

السين. وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: بتخريك السين في الموضعين،

وفي باقي القرآن بالتسكين. وقرأ ابنُ عامرٍ هاهنا بفتح السين، وفي باقي

القرآن بتسكينها<sup>(٣)</sup>.

قال الزجاجُ: مَنْ قرأ «كِسْفًا» بفتح السين؛ جعلها جمعَ كِسْفَةٍ،

وهي: القطعةُ، وَمَنْ قرأ «كِسْفًا» بتسكين السين؛ فكأَنَّهُمْ قالوا: أسقطها

طبقاً علينا؛ واشتقاقه من كَسَفْتُ الشَّيْءَ؛ إِذَا غَطَّيْتَهُ، يَغْنُون: أسقطها علينا

قطعةً واحدةً<sup>(٤)</sup>.

(١) مجاز القرآن (١/ ٣٩٠).

(٢) قراءة شاذة، مختصر الشواذ؛ لابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣).

(٣) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٥ - ٣٨٦)، والتيسير؛ للداني

(ص: ١٤٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٣٠٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٥٩).

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: مَنْ سَكَنَ قَالَ: تَأْوِيلُهُ: سَتْرًا وَتَغْطِيَةً؛ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ؛ إِذَا غَطَّاهَا مَا يُحُولُ بَيْنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا وَبَيْنَ أَنْوَارِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيلًا﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: عَيَانًا، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ قَتَادَةُ، وَابْنُ جُرَيْجٍ، وَمُقَاتِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَعْنَاهُ: مُقَابَلَةٌ؛ أَي: مُعَايَنَةٌ، وَأَنْشَدَ لِلأَعْشَى [مِنْ الطَّوِيلِ]:

نُصَاحِيكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَبِيلُهَا<sup>(٢)</sup>

أَي: قَابِلَتْهَا<sup>(٣)</sup>. وَيُرْوَى: وَجَّهَتْهَا، يَعْنِي بَدَلَ: يَسْرَتُهَا.

وَالثَّانِي: كَفِيلًا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَاخْتَارَهُ الْفَرَّاءُ، قَالَ: الْقَبِيلُ، وَالْكَفِيلُ، وَالزَّعِيمُ، سَوَاءٌ؛ تَقُولُ: قَبِلْتُ، وَكَفَلْتُ، وَزَعَمْتُ<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٤٩)، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢/ ٣١٥) (١٦٢٥)، من طريق معمرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيلًا﴾، قَالَ: «عَيَانًا».

(٢) البيت في ديوانه (ص: ١٧٧)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٠)، وحامسة البحر (ص: ٩٢)، وتفسير الطبري (١٧/ ٥٥٢)، وفي رواية الشاهد: «أصالحكم» بالهمزة بدل النون، يقول: لَنْ أَصَاحِبَكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِ جَنَائِكُمْ وَبِعِيْكُمْ، وَتَصْرُخُوا صَرْخَةَ الْحُبْلَى حِينَ تَعِينُهَا الْقَابِلَةُ فِي الْمَخَاضِ. وَيَسْرَتُهَا: سَهَلَتْ وَلَادَتَهَا وَأَعَانَتْهَا فِيهَا.

(٣) مجاز القرآن (١/ ٣٩١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣١).

والثالث: قَبِيلَةٌ قَبِيلَةٌ، كُلُّ قَبِيلَةٍ عَلَى حَدِيثِهَا، قَالَه الْحَسَنُ، وَمُجَاهِدٌ.

فَأَمَّا الزُّخْرَفُ؛ فالمرادُ بِهِ الذَّهَبُ، وقد شَرَحْنَا أَصْلَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فِي

يُونُسَ [آية: ٢٤]، وَتَرْقَى: بِمَعْنَى: تَصْعَدُ؛ يُقَالُ: رَقِيتُ أَزْقَى رَقِيًّا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كِتَابًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى فُلَانٍ بَنِ فُلَانٍ، يُضْبَحُ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَقْرَؤُهُ<sup>(١)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ قَرَأَ نَافِعٌ، وَعَاصِمٌ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ: «قُلْ». وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ: «قَالَ»، وَكَذَلِكَ هِيَ فِي مَصَاحِفِ أَهْلِ مَكَّةَ وَالشَّامِ<sup>(٢)</sup>، ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾؛ أَي: أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَيْسَتْ فِي قُوَى الْبَشَرِ.

فَإِنْ قِيلَ: لَمْ اقْتَصَرَ عَلَى حِكَايَةِ قَالُوا مِنْ غَيْرِ إِضْاحِ الرَّدِّ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ لَمَّا خَصَّهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ فَلَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِمْ عِجْزُهُمْ، فَكَانَ يَقُولُ: قَدْ أَوْضَحْتُ لَكُمْ بِمَا سَبَقَ مِنَ الْآيَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَى بُبُوتِي، وَمِنْ ذَلِكَ التَّحْدِيِّ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَأَمَّا عِتْنُكُمْ فَلَيْسَ فِي وَسْعِي، وَلَا تَهْمُ الْخُوضِ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَلَمْ يَسْأَلُوهُ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ، فَرَدَّ قَوْلَهُمْ بِكَوْنِهِ بَشَرًا، فَكَفَى ذَلِكَ فِي الرَّدِّ.

(١) تفسير مجاهد (ص: ٤٤٢)، وأخرجه الطبري (١٧ / ٥٥٤).

(٢) قراءتان سبعيتان، انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٨٥ - ٣٨٦)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٤٢)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢ / ٣٠٩).

﴿وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ (١١)  
 قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَلَكًا رَسُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا  
 بَصِيرًا ﴿١٦﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة<sup>(١)</sup>.

[٤٨٨/ب] قال المفسرون: ومعنى الآية: وما منعهم من الإيمان ﴿إِذْ جَاءَهُمُ  
 الْهُدَىٰ﴾ وهو البيان والإرشاد في القرآن ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾؛ أي: إلا قولهم  
 في التعجب والإنكار: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾؟ وفي الآية اختصار، تقديره:  
 هَلَّا بَعَثَ [الله]<sup>(٢)</sup> ملكًا رسولًا، فأجيبوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ  
 لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾؛ أي: مستوطنين الأرض.  
 ومعنى الطمأنينة: السكون؛ والمراد من الكلام أن رسول كل جنس ينبغي  
 أن يكون منهم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ قد فسّرناه في الرعد [آية: ٤٣]  
 ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ قال مقاتل: حين اختص الله محمدًا بالرسالة<sup>(٣)</sup>.

(١) تنوير المقباس (ص: ٣٠٥)، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤٨٤)، والتفسير  
 الوسيط (٣ / ١٢٨).

(٢) من (م).

(٣) تفسير مقاتل (٢ / ٥٥١).

﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا ۖ ذُقُوا ذُقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ السَّاعِدُونَ﴾ (٩٤)  
 ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ هُمُ الْكَافِرِينَ ۖ أَتَىٰ عَلَى الْغَالِيَةِ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ۚ إِنَّ كُنَّا عِزًّا ۖ لَمْ نُؤْتِكُمْ آيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرِينَ﴾ (٩٥)  
 ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٩٦)  
 ﴿قُلْ لَّوِ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَنُ قَتُورًا﴾ (٩٧) [الإسراء: ٩٧ - ١٠٠].

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ قرأ نافع، وأبو عمرو وبالياء في الوصل، وحذفاها في الوقف. وأثبتها يعقوب في الوقف، وحذفها الأكثرون في الحالتين<sup>(١)</sup>.

«مَنْ يَهْدِ اللَّهُ» قال ابن عباس: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ هُدَاهُ ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ﴾ يهدوهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:  
 أحدها: أَنَّهُ يُمَشِّهِمْ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ.

وشاهده ما روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» من حديث أنس بن مالك أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ

(١) في (س): الحالين.

(٢) انظر: السبعة؛ لابن مجاهد (ص: ٣٤٩)، والتيسير؛ للداني (ص: ١٢٩)، والنشر في القراءات العشر؛ لابن الجزري (٢/ ٢٩٥).

(٣) ذكر ذلك عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٣/ ٤٨٦)، والتفسير الوسيط (٣/ ١٢٩).

الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي أَمْسَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

والثاني: أَنَّ الْمَعْنَى: وَنَحْشُرُهُمْ مَسْحُورِينَ عَلَى وَجْهِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

والثالث: نَحْشُرُهُمْ مُسْرِعِينَ مُبَادِرِينَ، فَعَبَّرَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَلَى وَجْهِهِمْ﴾ عَنِ الْإِسْرَاعِ، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: قَدْ مَرَّ الْقَوْمُ عَلَى وَجْهِهِمْ؛ إِذَا أَسْرَعُوا، قَالَ ابْنُ الْأَثَرِيِّ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عُمَيَّا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: عُمَيَّا لَا يَرُونَ شَيْئًا يَسْرُهُمْ، وَبُكْمًا لَا يَنْطِقُونَ بِحُجَّةٍ، وَصُمًّا لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا يَسْرُهُمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ فِي رِوَايَةٍ: عُمَيَّا عَنِ النَّظَرِ إِلَى مَا جَعَلَ اللَّهُ<sup>(٢)</sup> لِأَوْلِيَائِهِ، وَبُكْمًا عَنِ مُحَاطَبَةِ اللَّهِ، وَصُمًّا عَمَّا مَدَحَ بِهِ أَوْلِيَائِهِ، وَهَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ.

والثاني: أَنَّ هَذَا الْحَشْرَ فِي بَعْضِ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْحَشْرِ الْأَوَّلِ.

قَالَ مُقَاتِلٌ: هَذَا يَكُونُ حِينَ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فَيَصِيرُونَ عُمَيَّا بُكْمًا صُمًّا لَا يَرُونَ وَلَا يَسْمَعُونَ وَلَا يَنْطِقُونَ بَعْدَ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح البخاري (٤٧٦٠)، وصحيح مسلم (٢٨٠٦).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (م).

(٣) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥١).

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَي: سَكَنْتَ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: وَذَلِكَ أَنَّهَا تَأْكُلُهُمْ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَيْئًا وَصَارُوا فَحْمًا وَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا تَأْكُلُهُ؛ سَكَنْتَ، فَيُعَادُونَ خَلْقًا جَدِيدًا، فَتَعُودُهُمْ.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: يُقَالُ: خَبَتْ النَّارُ؛ إِذَا سَكَنَ لَهَبُهَا، فَالْلهَبُ يَسْكُنُ، وَالْجَمْرُ يَغْمَلُ، فَإِنْ سَكَنَ اللَّهُبُ، وَلَمْ يَطْفَأِ الْجَمْرُ؛ قِيلَ: خَدَتْ تَحْمُدُ حُمُودًا، فَإِنْ طَفِئَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ، قِيلَ: هَمَدَتْ تَهْمِدُ هُمُودًا<sup>(٢)</sup>.

وَمَعْنَى ﴿زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾: نَارًا تَسْعَرُ؛ أَي: تَتَلَهَّبُ، وَمَا بَعْدَ هَذَا قَدْ سَبَقَ تَفْسِيرُهُ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾؛ أَي: عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَأَرَادَ بـ «مِثْلَهُمْ» أَيَّاهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ مِثْلَ الشَّيْءِ مُسَاوِي لَهُ، فَجَازَ أَنْ يُعْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: مِثْلُكَ لَا يَفْعَلُ هَذَا؛ أَي: أَنْتَ، [٤٨٩/أ] وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وَقَدْ تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿مِثْلَهُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَجَعَلْ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ بِغْنِي: أَجَلَ الْبُعْثِ ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾؛ أَي: جُحُودًا بِذَلِكَ الْأَجَلِ.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: لَوْ تَمْلِكُونَ أَنْتُمْ، قَالَ الْمُتَمَلِّمُسُ [من الطويل]:

وَلَوْ غَيْرُ أَخْوَالِي أَرَادُوا نَقِصَتِي نَصَبْتُ هُمْ فَوْقَ الْعَرَائِنِ مِيسَمًا<sup>(٣)</sup>

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٦١)، من طريق علي بن داود، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ قال: سكنت.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٦١).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ٢٩)، والأصمعيات (ص: ٢٤٥)، ومختارات ابن الشجري =

المعنى: لو أَرَادَ غَيْرُ أَخَوَالِي<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الخزائنِ قولان:

أحدهما: خَزَائِنُ الْأَرْزَاقِ.

والثاني: خَزَائِنُ النَّعَمِ؛ فيخرجُ في الرَّحْمَةِ قولان:

أحدهما: الرِّزْقُ.

والثاني: النَّعْمَةُ.

وتخريصُ الكلام: لو ملكْتُم ما يملكه الله عزَّ وجلَّ لأَمْسَكْتُم عَنِ  
الْإِنْفَاقِ خَشْيَةَ الْفَاقَةِ.

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ يغني: الْكَافِرَ ﴿فَقْتُورًا﴾؛ أي: بِخَيْلٍ مُنْسَكًا؛ يُقال:  
قَتَرَ يَقْتِرُ، وَقَتَرَ يَقْتِرُ؛ إِذَا قَصَرَ فِي الْإِنْفَاقِ.

وقال الماوردي: لو ملكَ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ خَزَائِنِ اللَّهِ تَعَالَى؛  
لما جَادَ كَجُودِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَمْرَيْنِ:

أحدهما: أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُمِسِكَ مِنْهُ لِنَفَقَتِهِ وَمَنْفَعَتِهِ.

= (ص: ١٢٢)، والخزانة (١٠ / ٥٩)، وبلا نسبة في الكامل (١ / ٢٧٩)، والمقتضب  
(٣ / ٧٧)، وتذكرة النحاة (ص: ٤٩٠)، وفي الديوان وجميع المصادر: «جعلت» بدل:  
«نصبت»، «نقيصتي»: «تنقصي». والعرايين: جمع عَرْنَيْن؟ وهو أعلى قصبه الأنف.  
ميسمًا: الميسم: هو الآلة التي يوسم بها، ومقصوده: أَسْمُهُمْ على العرايين؛ أي:  
أهجوهم هجاءً يبقى أثره في وجوههم ويلزمهم لزوم الميسم للأنف.  
(١) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٢٦٢).



والثاني: أَنَّهُ يَخَافُ الْفَقْرَ، وَاللَّهُ تَعَالَى مُنْزَعٌ فِي جُودِهِ<sup>(١)</sup> عَنِ الْحَالَيْنِ<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ انْكَارَ فِرْعَوْنَ آيَاتِ مُوسَى؛ تَشْبِيهَا بِحَالِ هَؤُلَاءِ الْمَشْرُكِينَ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ﴾ وَفِيهَا قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا بِمَعْنَى الْمَعْجَزَاتِ وَالذَّلَالَاتِ.

ثُمَّ اتَّفَقَ جَمْهُورُ الْمَفْسِّرِينَ عَلَى سَبْعِ آيَاتٍ مِنْهَا، وَهِيَ: يَدُهُ، وَالْعَصَا، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْآيَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهَا لِسَانُهُ وَالْبَحْرُ الَّذِي فُلِقَ لَهُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>؛ يَغْنِي بِلِسَانِهِ: أَنَّهُ كَانَ فِيهِ عُقْدَةٌ فَحَلَّهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ.

وَالثَّانِي: الْبَحْرُ وَالْجَبَلُ الَّذِي نُتِقَ فَوْقَهُمْ، رَوَاهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

وَالثَّلَاثُ: السَّنُونُ وَنَقْصُ الثَّمَرَاتِ، رَوَاهُ عِكْرَمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>،

(١) فِي (ر): وَجُودِهِ.

(٢) النكت والعيون (٣/ ٢٧٦).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧/ ٥٦٤)، مِنْ طَرِيقِ عَطِيَّةِ الْعَوْفِيِّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ يَبْتَغِي﴾ قَالَ: التَّسْعُ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ: يَدُهُ، وَعَصَاهُ، وَلِسَانُهُ، وَالْبَحْرُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمُ آيَاتُ مَفْصَلَاتٍ.

(٤) ذَكَرَهُ مَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْهُدَايَةِ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ (١/ ٤٣٠١) عَنْ مَطْرَفٍ عَنْ مَالِكٍ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧/ ٥٦٥)، مِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ وَاضِحٍ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ يَزِيدِ النَّحْوِيِّ، عَنْ عِكْرَمَةَ وَمَطَرِ الْوَرَّاقِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿تِسْعَ آيَاتٍ﴾ قَالَا الطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالْدَّمُ، وَالْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالسَّنُونُ، وَنَقْصُ مِنَ الثَّمَرَاتِ. =

وبه قال مجاهدٌ، والشَّعْبِيُّ، وعِكرمةٌ، وقاتادةٌ. وقال الحسنُ: السُّنُونُ ونقصُ الثَّمَرَاتِ آيةٌ واحدةٌ<sup>(١)</sup>.

والرَّابِعُ: البَحْرُ والمَوْتُ أُرْسِلَ عَلَيْهِم، قاله الحسنُ، ووهبٌ.

والخَامِسُ: الحَجَرُ والبَحْرُ، قاله سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ.

والسَّادِسُ: لِسَانُهُ وإِقَاءُ الْعَصَا مَرَّتَيْنِ عِنْدَ فِرْعَوْنَ، قاله الضَّحَّاكُ.

والسَّابِعُ: البَحْرُ والسُّنُونُ، قاله مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ.

والثَّامِنُ: ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ أَيْضًا، فَذَكَرَ السَّبْعَ الْآيَاتِ الْأُولَى، إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ مَكَانَ يَدِهِ الْبَحْرَ، وَزَادَ الطَّمْسَةَ وَالْحَجَرَ، يَعْني قَوْلُهُ: ﴿أَطْمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨].

والثَّانِي: أَنَّهَا آيَاتُ الْكِتَابِ.

رَوَى أَبُو دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ، أَنَّ يَهُودِيًّا قَالَ لَصَاحِبِهِ: تَعَالَ حَتَّى نَسْأَلَ هَذَا النَّبِيَّ، فَقَالَ الْآخَرُ: لَا تَقُلْ: إِنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنَّهُ لَوْ سَمِعَ ذَلِكَ، صَارَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَغْنِي؛ فَاتَّيَاهُ، فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتِ بَيِّنَاتٍ، فَقَالَ: «لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

= وأخرجه أحمد بن منيع، كما في المطالب العالية (٤٠٣٣) من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة وأبي صالح.

(١) أخرجه الطبري (١٧ / ٥٦٦)، من طريق عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال: هذه آية واحدة.

اللهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَمْشُوا بِالْبَرِيءِ [٤٨٩/ب] إِلَى السُّلْطَانِ لِيَقْتُلَهُ، وَلَا تَسْجُرُوا، وَلَا تَقْذِفُوا الْمُخَصَّنَاتِ، وَلَا تَفْرُوا مِنْ الرِّخْفِ، وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَلَّا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ، قَالَ: فَقَبَّلَا يَدَهُ، وَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْتَلَبَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَتَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠١ - ١٠٤].

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (١٢٦٠)، وأحمد (٤ / ٢٣٩ - ٢٤٠)، والترمذي (٢٧٣٣ - ٣١٤٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٢٧ - ٨٦٠٢)، وابن ماجه (٣٧٠٥) مختصرًا، والعقيلي في الضعفاء (٢ / ٢١٦)، والطبري (١٧ / ٥٥٦ - ٥٥٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣ / ٢١٥)، وفي مشكل الآثار (٦٣ - ٦٤ - ٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٣٩٦)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢ / ١١)، والحاكم في مستدركه (١ / ٩)، والبيهقي في الكبرى (٨ / ١٦٦)، من طريق عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن صفوان بن عسال المرادي، به.

وعبد الله بن سلمة المرادي الكوفي تكلم فيه النقاد بسبب سوء حفظه. قال النسائي: وهذا حديث منكر، وحكي عن شعبة قال: سألت عمرو بن مرة عن عبد الله بن سلمة؟ فقال: تعرف وتنكر. أهـ. وقال البخاري: لا يتابع في حديثه. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس حديثه بالقائم. وانظر: الضعفاء؛ للعقيلي (٢ / ٢٦١)، والميزان (٢ / ٤٣١). قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٩ / ٨٨): وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ قرأ الجمهور: «فاسأل» على معنى الأمر لرسول الله ﷺ، وإنما أمر أن يسأل من آمن منهم عما أخبر به عنهم؛ ليكون حجة على من لم يؤمن منهم.

وقرأ ابن عباس: ﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على معنى الخبر عن موسى أنه سأل فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل<sup>(١)</sup>. ﴿فَقَالَ لَهُ: فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ﴾ أي: لأخسبك ﴿يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال: أحدها: مخدوعاً، قاله ابن عباس.

والثاني: مسحوراً، قد سحرت، قاله ابن السائب.

والثالث: ساحراً، فوضع مفعولاً في موضع فاعل، هذا مزوي عن الفراء وأبي عبيدة<sup>(٢)</sup>.

فقال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْت﴾ قرأ الجمهور بفتح التاء. وقرأ علي عليه

(١) أخرج هذه القراءة الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٦٨) من طريق هارون، عن حظلة السدوسي، عن شهر بن حوشب، عن ابن عباس، أنه قرأ: «فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ» يعني: أن موسى سأل فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم معه. والقراءة شاذة، انظر: المصاحف؛ لابن أبي داود (ص: ٢٦٠)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٤ / ٢٠٠)، وتفسير الثعلبي (١٦ / ١٣٨)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٣).

(٢) ليس في نسخة معاني القرآن المطبوعة ولا المجاز، وذكر ذلك عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٤٩٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٣ / ٤٩٥)، وانظر: معالم التنزيل؛ للبغوي (٥ / ١٣٥).

السَّلَامِ بِضَمِّهَا<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلِمَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَلَكِنْ مُوسَى هُوَ الَّذِي عَلِمَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَاجْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَمَحُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤] واختار الكِسَائِيُّ وثعلبُ قِرَاءَةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَأَبِي رَزِينٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَابْنِ يَعْمُرٍ. وَاجْتَجَّ مَنْ نَصَرَهَا بِأَنَّهُ لَمَّا نَسَبَ مُوسَى إِلَى أَنَّهُ مُسْحُورٌ، أَعْلَمَهُ بِصَحَّةِ عَقْلِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ والقِرَاءَةُ الْأُولَى أَصَحُّ؛ لِاخْتِيَارِ الْجُمْهُورِ، وَلَأنَّهُ قَدْ أَبَانَ مُوسَى مِنَ الْمُعْجَزَاتِ مَا أَوْجَبَ عَلَمَ فِرْعَوْنَ بِصَدَقِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ إِلَّا بِالتَّعَلُّلِ وَالْمَدَافَعَةِ، فَكَانَتْهُ قَالَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بِالذَّلِيلِ وَالْحُجَّةِ ﴿مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ يَغْنِي الْآيَاتِ. وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى الْبَصَائِرِ فِي الْأَعْرَافِ [آية: ٢٠٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَّ لَأَظُنُّكَ﴾ قَالَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: الظَّنُّ هَاهُنَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ، عَلَى خِلَافِ ظَنٍّ فِرْعَوْنَ فِي مُوسَى، وَسَوَى بَيْنَهُمَا بَعْضُهُمْ، فَجَعَلَ الْأَوَّلَ بِمَعْنَى الْعِلْمِ أَيْضًا.

(١) هَذِهِ الْقِرَاءَةُ أَسْنَدُهَا الْفَرَاءُ إِلَى عَلِيٍّ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢ / ١٣٢)، وَقَالَ: الْفَرَاءُ: وَالْفَتْحُ أَحَبُّ إِلَيَّ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِالرَّفْعِ، فَقَالَ: أَخَالَفَهُ أَشَدَّ الْخِلَافِ.

وفي المَثْبُورِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ الْمَلْعُونُ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(١)</sup>، وَبِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ.

والثَّانِي: الْمَغْلُوبُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

والثَّالِثُ: النَّاقِصُ الْعَقْلُ، رَوَاهُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

والرَّابِعُ: الْمُهْلَكُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>، وَبِهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ<sup>(٥)</sup>، وَابْنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٧٠) من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ يقول: ملعونًا.

(٢) أخرجه الطبري (١٧ / ٥٧٠) من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ يعني: مغلوبًا.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٤٩٩) (١٧٦٠)، من طريق أبو صالح محمد ابن عيسى بن محمد بن عبد الرحمن الضبي، قال: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن الخصيب الأبراري، قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: كنت قائمًا على رأس المأمون وهو يناظر رجلًا فسمعتة يقول له: يا مَثْبُور! ثم أقبل على فقال: يا إبراهيم! ما معنى يا مَثْبُور؟ قلت: لا أدري، فقال: حدثني الرشيد قال: حدثني أمير المؤمنين المهدي، قال: كنت جالسًا عند أمير المؤمنين المنصور، فسمعتة يقول لرجل: يا مَثْبُور! فقلت: يا أمير المؤمنين! ما معنى مَثْبُور؟ فقال: قال ميمون بن مهران: قال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - في قوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا﴾ فقال: ناقص العقل.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢ / ٣١٨)، طريق مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثْبُورًا﴾، قَالَ: «مُهْلَكًا».

(٥) مجاز القرآن (١ / ٣٩٢).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٦١).

قَالَ الرَّجَّاجُ: يُقَالُ: ثَبِرَ الرَّجُلُ، فَهُوَ مُثْبُورٌ؛ إِذَا أَهْلَكَ<sup>(١)</sup>.

والخامس: الهالك، قاله مجاهد.

والسادس: المنوع من الخير؛ تقول العرب: مَا ثَبَرَكَ عَنْ هَذَا؛ أَي:

مَا مَنَعَكَ، قاله الفراء<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ مِنْهُمْ﴾ يَعْنِي: فَرَعُونَ أَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَ بِنِي

إِسْرَائِيلَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

وَفِي مَعْنَى «يَنْتَفِرُ مِنْهُمْ» قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: يَنْتَاصِلُهُمْ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.

وَالثَّانِي: يَنْتَخِفُّهُمْ حَتَّى يَخْرُجُوا، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الرَّجَّاجُ: جَائِزٌ أَنْ يَكُونَ اسْتَفْزَأَهُمْ إِخْرَاجُهُمْ مِنْهَا بِالْقَتْلِ أَوْ

بِالتَّنْحِيَةِ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌُ عَلَى نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا

خَرَجَ مُوسَى طَلَبَهُ<sup>(٥)</sup> فَرَعُونَ، هَلَكَ فَرَعُونَ وَمَلَكَ مُوسَى، وَكَذَلِكَ أَظْهَرَ

اللَّهُ نَبِيَّهَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهَا ظَاهِرًا عَلَيْهَا. [٤٩٠/أ]

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).

(٥) فِي (س)، وَ(م): فَطَلَبَهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾؛ أَي: مِنْ بَعْدِ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ ﴿لِبَنِي إِسْرَءِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ وَفِيهَا ثَلَاثَةٌ <sup>(١)</sup> أَقْوَالٍ:  
أَحَدُهَا: فَلَسْطِينَ وَالْأَرْدُنُّ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.  
وَالثَّانِي: أَرْضُ وَرَاءَ الصَّيْنِ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ <sup>(٢)</sup>.  
وَالثَّلَاثُ: أَرْضُ مِصْرَ وَالشَّامِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يَغْنِي: الْقِيَامَةَ ﴿جَنَابِكُمْ لَفِيفًا﴾؛  
أَي: جَمِيعًا، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ <sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ الْفَرَّاءُ: «لَفِيفًا»؛ أَي: مِنْ هَاهُنَا وَمِنْ هَاهُنَا <sup>(٤)</sup>. وَقَالَ الزَّجَّاجُ:  
الْلَفِيفُ: الْجَمَاعَاتُ مِنْ قِبَائِلَ شَتَّى <sup>(٥)</sup>.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ <sup>(١٠٥)</sup> وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ  
عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا <sup>(١٠٦)</sup> قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أُولَآئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ؕ  
إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا <sup>(١٠٧)</sup> وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا <sup>(١٠٨)</sup>  
وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا <sup>(١٠٩)</sup> ﴿[الإسراء: ١٠٥ - ١٠٩].

(١) في (س): ثلاث.

(٢) تفسير مقاتل (٢/ ٥٥٤).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٦٣).





قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ الهاءُ كنايةٌ عن القرآن، والمعنى: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين المستقيم، فهو حقٌّ، ونزوله حقٌّ، وما تضمَّنه حقٌّ.

وقال أبو سليمان الدمشقي: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾؛ أي: بالتوحيد، ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ يعني: بالوعد والوعيد، والأمر والنهي.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرَأْنَا مَا فَرَّقْنَاهُ﴾ قرأ عليُّ عليه السلام، وسعد بن أبي وقاص، وأبي بن كعب، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو رزين، ومجاهد، والشَّعْبِيُّ، وقتادة، والأعرج، وأبو رجاء، وابن مَيْصُن: «فَرَّقْنَاهُ» بالتشديد<sup>(١)</sup>. وقرأ الجمهور بالتخفيف.

فأما قراءة التخفيف: ففي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: بينا حلاله وحرامه، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ<sup>(٢)</sup>.

والثاني: فَرَّقْنَاهُ<sup>(٣)</sup> بين الحقِّ والباطل، قاله الحسن.

والثالث: أحكمناه وفصلناه؛ كقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

[الدخان: ٤] قاله الفراء<sup>(٤)</sup>.

(١) قراءة شاذة، انظر: المحتسب (٢/ ٢٣)، وشواذ ابن خالويه (ص: ٧٧)، وشواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٤).

(٢) ذكره عن ابن عباس السمرقندي في بحر العلوم (٢/ ٣٣٢).

(٣) في (م): فيه.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٣٢).

وَأَمَّا الْمَشْدَدَةُ؛ فَمَعْنَاهَا: أَنَّهُ أُنْزِلَ مُتَفَرِّقًا، وَلَمْ يَنْزَلْ جُمْلَةً وَاحِدَةً. وَقَدْ بَيَّنَّا فِي أَوَّلِ كِتَابِنَا هَذَا مِقْدَارَ الْمَدَّةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ قَرَأَ أَنَسُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالضَّحَّاكُ، وَقَتَادَةُ، وَأَبُو رَجَاءٍ، وَأَبَانُ عَنْ عَاصِمٍ، وَابْنُ مُحْيِصِنٍ: بِفَتْحِ الْمِيمِ<sup>(١)</sup>؛ وَالْمَعْنَى: عَلَى تُؤْدَةٍ وَتَرْسُلٍ لِيَتَدَبَّرُوا مَعْنَاهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ هَذَا تَهْدِيدٌ لِكُفَّارِ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالهَاءُ كِنَايَةٌ عَنِ الْقُرْآنِ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وَفِيهِمْ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

وَالثَّلَاثُ: طُلَّابُ الدِّينِ، كَأَبِي ذَرٍّ، وَسَلْمَانَ، وَوَرَقَةَ بْنَ نُوفَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَهُ الْوَاحِدِيُّ<sup>(٢)</sup>.

وَفِي هَاءِ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ، وَالْمَعْنَى: مِنْ قَبْلِ نُزُولِهِ.

وَالثَّانِي: تَرْجِعُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَهُ ابْنُ زَيْدٍ.

فَعَلَى الْأَوَّلِ ﴿إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ الْقُرْآنُ. وَعَلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ﴿إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

(١) قراءة شاذة، انظر: شواذ القراءات؛ للكرماني (ص: ٢٨٤)، والكامل؛ للذهلي (ص: ٣١٣).

(٢) التفسير البسيط (١٣ / ٥٠٦).

قوله تعالى: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ اللام هاهنا بمعنى: على. قال ابن عباس: قوله: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾ أي: للوجوه<sup>(١)</sup>.

قال الزجاج: الذي يخر وهو قائم، إنما يخر لوجهه، والذقن: مجتمع اللحيين، وهو عضو من أعضاء الوجه، فإذا ابتدأ يخر، فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذقن<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثيري: أول ما يلقي الأرض من الذي يخر قبل أن [٤٩٠/ب] يصب وجهه ذقنه، فلذلك قال: ﴿لِلْأَذْقَانِ﴾، ويجوز أن يكون المعنى: يخرن للوجوه، فاكتمى بالذقن من الوجه كما يكتفى بالبعض من الكل، وبالنوع من الجنس.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ نزهوا الله تعالى عن تكذيب المكذبين بالقرآن، وقالوا: ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بإنزال القرآن وبعث محمد ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾ واللام دخلت للتوكيد.

وهؤلاء قوم كانوا يسمعون أن الله باعث نبيا من العرب، ومنزل عليه كتابا، فلما عاينوا ذلك، حمدوا الله تعالى على إنجاز الوعد.

﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ كرر القول؛ ليدل على تكرار الفعل منهم. ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ أي: يزيدهم القرآن تواضعا. وكان عبد الأعلى التيمي

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ٥٧٧) من طريق علي بن أبي طلحة، عن عباس، قوله: ﴿يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ يقول: للوجوه.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٦٤).

يقول: مَنْ أوتي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ؛ لَخَلِيقُ أَنْ لَا يَكُونَ أَوْتَى عِلْمًا يَنْفَعُهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ الْعُلَمَاءَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَبْكُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
 ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾<sup>(٢)</sup> وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾<sup>(٣)</sup> [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ ... الْآيَةُ. هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ عَلَى سَبْعِينَ. نَزَلَ أَوَّلُهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿الْحُسْنَى﴾ عَلَى سَبَبٍ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَهَجَّدَ ذَاتَ لَيْلَةٍ بِمَكَّةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ». فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَدْعُو إِلَهَا وَاحِدًا، فَهُوَ الْآنَ يَدْعُو إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ: اللَّهَ، وَالرَّحْمَنَ، مَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنَ الْيَوْمَةِ، يَعْنُونَ: مُسَيَّلَمَةً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ (ص: ٤١) (١٢٥)، وَأَبُو عبيدٍ فِي فُضَائِلِ الْقُرْآنِ (ص: ١٤٠)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مَصْنَفِهِ (٧/ ٢٠٤)، (٣٥٣٦٠)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ (ص: ١٣٧)، (٩٢٩)، وَالِدَارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ (١/ ٣٣٥) (٢٩٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ (١٧/ ٥٨٠) مِنْ طَرِيقِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَهَجَّدُ بِمَكَّةَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: يَا رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: انْظُرُوا مَا قَالَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ، يَدْعُو اللَّيْلَةَ الرَّحْمَنَ الَّذِي بِالْيَوْمَةِ، وَكَانَ بِالْيَوْمَةِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ: فَتَزَلْتُ: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وَذَكَرَهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ الثَّعْلَبِيُّ فِي الْكَشَفِ وَالْبَيَانِ (١٦/ ٥٥٥)، وَالْوَاهِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٣٠٢)، وَالتَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ (١٣/ ٥١٠).

والثاني: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَكْتُبُ فِي أَوَّلِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، حَتَّى نَزَلَ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] فَكَتَبَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فَقَالَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ: هَذَا الرَّحِيمُ نَعْرِفُهُ، فَمَا الرَّحْمَنُ؟ فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ<sup>(١)</sup>.

والثالث: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَالُوا لِلرَّسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَتَقُلُّ ذِكْرَ الرَّحْمَنِ وَقَدْ أَكْثَرَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ هَذَا الْإِسْمَ، فَتَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ<sup>(٢)</sup>.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فَنَزَلَ عَلَى سَبَبٍ، وَفِيهِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ بِمَكَّةَ، فَيَسُبُّ الْمُشْرِكُونَ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَتَى بِهِ، فَخَفَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى لَمْ يُسْمِعْ أَصْحَابَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾؛ أَي: بِقِرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ، فَلَا يَسْمَعُونَ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٣)</sup>.

(١) ذكر ذلك عنه الثعلبي في الكشف والبيان (١٦ / ٥٠٦)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٣٠٣).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٢٢)، مسلم (٤٤٦)، والنسائي (١ / ٦٧١) (٣٢٠)، والترمذي (٣١٤٦) كلهم من طريق هشيم قال: أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: نزلت ورسول الله ﷺ متوار - مختف - بمكة، فكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن بالقراءة، فإذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمع المشركون قراءتك ﴿وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ بها عن أصحابك، =

والثاني: أَنَّ الْأَعْرَابِيَّ كَانَ يَجْهَرُ فِي التَّشْهِيدِ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، هَذَا قَوْلُ عَائِشَةَ<sup>(١)</sup>.

والثالث: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بِمَكَّةَ عِنْدَ الصَّفَا، فَجْهَرَ بِالْقُرْآنِ فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَا تَفْتَرِ عَلَى اللَّهِ، فَخَفَضَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلْمُشْرِكِينَ: أَلَا تَرَوْنَ مَا فَعَلْتُ بِابْنِ أَبِي كَبْشَةَ؟ رَدَّذْنَاهُ عَنْ قِرَاءَتِهِ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ<sup>(٢)</sup>.

فَأَمَّا التَّفْسِيرُ؛ فَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ الْمَعْنَى: إِنْ شِئْتُمْ فَقُولُوا: يَا اللَّهُ، وَإِنْ شِئْتُمْ فَقُولُوا: يَا رَحْمَنُ، فَإِنَّهُمَا يَرْجِعَانِ إِلَى وَاحِدٍ، ﴿يَا أَيُّهَا مَنَّا دَعُوا﴾ الْمَعْنَى: أَيُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَدْعُوا؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: وَ«مَا» قَدْ تَكُونُ صَلَاةً؛ كَقَوْلِهِ: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِيَيْنَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وَتَكُونُ فِي مَعْنَى «أَيُّ» مُعَادَةً لَمَّا اخْتَلَفَ لَفْظُهُمَا<sup>(٣)(٤)</sup>.

= أَسْمَعُهُمُ الْقُرْآنَ وَلَا تَجْهَرُ ذَلِكَ الْجَهْرُ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ يَقُولُ: بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَخَافَةِ. وَكَذَلِكَ ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٣٠٣).

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٧ / ٥٨٧)، وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ (٧٠٧)، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (١ / ٣٥٤) (٨٣٩) مِنْ طَرِيقِ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي التَّشْهِيدِ ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا﴾. وَذَكَرَهُ الثَّلَعْبِيُّ فِي الْكُشْفِ وَالْبَيَانِ (١٦ / ٥٠٩)، وَمَكِّي بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الْهُدَايَةِ (٦ / ٤٣١٣)، وَالْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ (ص: ٣٠٤).

(٢) تَفْسِيرُ مُقَاتِلٍ (٢ / ٥٥٦).

(٣) فِي الْأَصْلِ، وَ(س): لَفْظُهَا، وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (ر)، وَ(م).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢ / ١٣٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا الصَّلَاةُ الشَّرْعِيَّةُ.

ثُمَّ فِي الْمَرَادِ بِالْكَلَامِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: لَا تَجْهَرُ بِقِرَاءَتِكَ، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا، فَكَأَنَّهُ نَهْيٌ عَنْ شِدَّةِ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ، وَشِدَّةِ الْمُخَافَةِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

فَعَلَى هَذَا فِي تَسْمِيَةِ الْقِرَاءَةِ بِالصَّلَاةِ قَوْلَانِ - ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ -:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَلَا تَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ صَلَاتِكَ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْقِرَاءَةَ بَعْضُ الصَّلَاةِ، فَنَابَتْ عَنْهَا؛ كَمَا قِيلَ لِعِيسَى: كَلِمَةُ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ بِالْكَلِمَةِ كَانَ.

وَالثَّانِي: لَا تُصَلِّ مُرَاءَةً لِلنَّاسِ، وَلَا تَدْعُهَا مَخَافَةَ النَّاسِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا.

وَالثَّلَاثُ: لَا تَجْهَرُ بِالتَّشْهَدِ فِي صَلَاتِكَ، رُوي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي رِوَايَةٍ، وَبِهِ قَالَ ابْنُ سِيرِينَ.

وَالرَّابِعُ: لَا تَجْهَرُ بِفِعْلِ صَلَاتِكَ ظَاهِرًا، وَلَا تُخَافِتُ بِهَا شَدِيدَ الْإِسْتِتَارِ، قَالَهُ عِكْرَمَةُ.

وَالْخَامِسُ: لَا تُحْسِنُ عَلَانِيَتَهَا، وَتُسَيِّئُ سَرِيرَتَهَا، قَالَهُ الْحَسَنُ.

وَالسَّادِسُ: لَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ كُلِّهَا، وَلَا تُخَافِتُ بِجَمِيعِهَا. فَاجْهَرْ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَخَافِتْ فِي صَلَاةِ النَّهَارِ، عَلَى مَا أَمَرْنَاكَ بِهِ، ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى.

والقول الثاني: أن المراد بالصلاة الدعاء، وهو قول عائشة، وأبي هريرة، ومجاهد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَافُهَا﴾ المخافتة: الإخفاء، يقال: صوتٌ خفيْتُ. ﴿وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾؛ أي: اسلك بين الجهر والمخافة طريقًا.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: نُسخت هذه الآية بقوله: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] <sup>(١)</sup>، وقال ابن السائب: نُسخت بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] <sup>(٢)</sup>، وعلى التحقيق وجود النسخ هاهنا بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ وقرأ أبو المتوكل، وأبو الجوزاء، وطلحة بن مصرف: «فِي الْمُلْكِ» بكسر الميم <sup>(٣)</sup>. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ قال مجاهد: لم يحالف أحدًا، ولم يبتغ نصر أحد <sup>(٤)</sup>؛ والمعنى: أنه لا يحتاج إلى موالاة أحدٍ لئلا يلحقه، فهو مُستغنٍ عن الوليِّ والنصير.

﴿وَكَبِيرَةٌ كَثِيرًا﴾؛ أي: عظمه تعظيمًا تامًا.

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ؛ للنحاس (ص: ٥٥٢).

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ، المنسوب للزهري (ص: ٣٠)، وذكره المصنف في نواسخ القرآن (٢/ ٥٠٣).

(٣) قراءة شاذة، انظرها في شواذ القراءات (ص: ٢٨٤).

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤٤٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ٥٩٠) من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ قال: لم يحالف أحدًا، ولا يبتغي نصر أحد.



## فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية
سورة يوسف	
٥	٨٣، ٨٢
٧	٨٤
٩	٨٧، ٨٥
١٩	٩٣، ٨٨
٣١	٩٤
٣٧	٩٨، ٩٥
٤١	٩٩
٤٣	١٠١، ١٠٠
٤٩	١٠٣، ١٠٢
٥١	١٠٧، ١٠٤
٥٣	١٠٩، ١٠٨
٥٥	١١٠
٥٧	١١١

الصفحة	رقم الآية
سورة الرعد	
٦١	٢،١
٦٣	٤،٣
٦٧	٥
٦٩	٩،٦
٧٥	١١،١٠
٨١	١٣،١٢
٨٧	١٤
٨٩	١٥
٩١	١٦
٩٣	١٨،١٧
٩٧	٢٤،١٩
١٠١	٢٧،٢٥
١٠٣	٢٩،٢٨
١٠٥	٣٠
١٠٧	٣١
١٠٩	٣٢
١١١	٣٣
١١٣	٣٥،٣٤
١١٥	٣٧،٣٦
١١٧	٣٩،٣٨
١٢١	٤١،٤٠
١٢٣	٤٣،٤٢

الصفحة	رقم الآية
سورة إبراهيم	
١٢٥	٢٠١
١٢٧	٦٠٣
١٣١	١٤٠٧
١٣٥	١٧٠١٥
١٤١	١٨
١٤٣	٢١٠١٩
١٤٥	٢٣٠٢٢
١٤٧	٢٥٠٢٤
١٥١	٢٦
١٥٣	٢٧
١٥٥	٣٠٠٢٨
١٥٧	٣٦٠٣١
١٦١	٣٧
١٦٥	٤٠٠٣٨
١٦٧	٤٣٠٤١
١٧١	٤٤
١٧٣	٤٧٠٤٥
١٧٧	٤٨
١٨١	٥١٠٤٩

الصفحة	رقم الآية
سورة الحجر	
١٨٣	٢٠١
١٨٩	٨٠٣
١٩١	٩
١٩٣	١٥٠١٠
١٩٧	١٨٠١٦
٢٠١	٢٠٠١٩
٢٠٥	٢٣٠٢١
٢٠٩	٢٥٠٢٤
٢١٣	٢٩٠٢٦
٢١٧	٤١٠٣٠
٢١٩	٤٤٠٤٢
٢٢١	٤٨٠٤٥
٢٢٣	٥٣٠٤٩
٢٢٥	٦٦٠٥٤
٢٢٧	٧١٠٦٧
٢٢٩	٧٧٠٧٢
٢٣٣	٧٩٠٧٨
٢٣٥	٨٦٠٨٠
٢٣٧	٨٩٠٨٧
٢٤٣	٩٣٠٩٠
٢٤٩	٩٤
٢٥١	٩٩٠٩٥

الصفحة	رقم الآية
سورة النحل	
٢٥٧	٣، ١
٢٦١	٤
٢٦٣	٧، ٥
٢٦٥	٨
٢٦٧	١١، ٩
٢٧١	١٦، ١٢
٢٧٥	٢١، ١٧
٢٧٧	٢٧، ٢٢
٢٨٣	٣٢، ٢٨
٢٨٧	٣٤، ٣٣
٢٨٩	٤٢، ٣٥
٢٩٥	٤٤، ٤٣
٢٩٧	٤٧، ٤٥
٢٩٩	٥٠، ٤٨
٣٠٥	٥٢، ٥١
٣٠٧	٥٥، ٥٣
٣٠٩	٥٩، ٥٦

٣١١	.....	٦٢,٦٠
٣١٥	.....	٦٦,٦٣
٣١٩	.....	٦٧
٣٢١	.....	٦٩,٦٨
٣٢٥	.....	٧١,٧٠
٣٢٧	.....	٧٤,٧٢
٣٣٣	.....	٧٦,٧٥
٣٣٥	.....	٧٧
٣٣٧	.....	٧٨
٣٣٩	.....	٨٣,٧٩
٣٤٥	.....	٨٧,٨٤
٣٤٧	.....	٨٩,٨٨
٣٤٩	.....	٩٣,٩٠
٣٥٧	.....	٩٦,٩٤
٣٥٩	.....	٩٧
٣٦١	.....	١٠٢,٩٨
٣٦٥	.....	١٠٥,١٠٣
٣٧١	.....	١١١,١٠٦
٣٧٩	.....	١١٢

٣٨١	.....	١١٣
٣٨٣	.....	١١٩، ١١٤
٣٨٥	.....	١٢٢، ١٢٠
٣٨٧	.....	١٢٤، ١٢٣
٣٨٩	.....	١٢٥
٣٩١	.....	١٢٨، ١٢٦

الصفحة	رقم الآية
سورة الإسراء	

٣٩٧	.....	١
٤٠١	.....	٣، ٢
٤٠٣	.....	٦، ٤
٤٠٩	.....	٨، ٧
٤١٣	.....	١١، ٩
٤١٥	.....	١٤، ١٢
٤٢١	.....	١٥
٤٢٣	.....	١٧، ١٦
٤٢٥	.....	١٩، ١٨
٤٢٧	.....	٢٥، ٢٠



٤٣٧	.....	٢٨,٢٦
٤٤١	.....	٣١,٢٩
٤٤٥	.....	٣٣,٣٢
٤٤٩	.....	٣٦,٣٤
٤٥٣	.....	٣٩,٣٧
٤٥٥	.....	٤١,٤٠
٤٥٧	.....	٤٤,٤٢
٤٦١	.....	٥٢,٤٥
٤٧١	.....	٥٣
٤٧٣	.....	٥٤
٤٧٥	.....	٥٧,٥٥
٤٧٧	.....	٥٩,٥٨
٤٧٩	.....	٦٠
٤٨٥	.....	٦٥,٦١
٤٩١	.....	٧٠,٦٦
٤٩٩	.....	٧٢,٧١
٥٠٣	.....	٧٧,٧٣
٥١١	.....	٨١,٧٨



023	.....	88,82
020	.....	80
029	.....	88,87
031	.....	93,89
037	.....	100,98
043	.....	108,101
049	.....	109,100
053	.....	111,110